

فَضِيحٌ

نَهْجُ الْبَالِغَةِ

الجزء الثاني

تأليف

أيد الله المجاهد

الحاج السيد محمد الحسيني الشيرازي

توضیح

نہج البلاغہ

الجزء الثانی

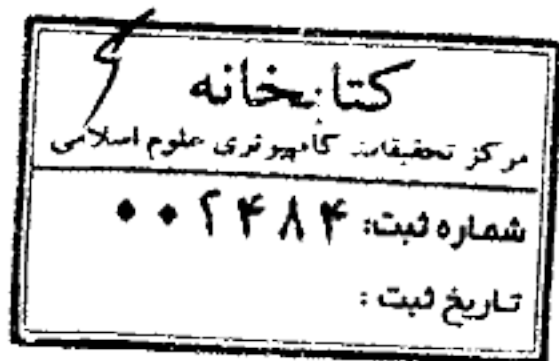
سَمَّا خَدَّائِہٖمَا اللہُ الْعَظِیْمُ

السَّیِّدُ مُحَمَّدٌ الْحُسَیْنِیُّ الشَّہِیْدُ الرَّزِیُّ

جميع الحقوق محفوظة



مركز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمد وآله اجمعين ،
واللعن على أعدائهم إلى يوم الدين .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتاب ویر علوم اسلامی

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ ، وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ ، لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْغَلْبَةُ
لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهْلِهِ
قَبْلَ إِزْهَاقِ أَجَلِهِ ، وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ ، وَفِي مُتَنَفِّسِهِ قَبْلَ أَنْ
يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ وَلِيْمْهَدَ لِنَفْسِهِ وَقَعْمِهِ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(قد علم) الله سبحانه (السرائر) جمع سريرة ، وهي القلب والضمير ،
فان جميع النوايا التي ينويها الانسان يعلمها سبحانه وتعالى (وخبر) اي
اطلع وعلم (الضمائر) جمع ضمير ، وهذا عطف بيان للجملة السابقة ، تأكيداً
(له الاحاطة بكل شئ) ومعنى احاطته استيلاءه بالعلم والقدرة (والغلبة لكل
شئ) فهو غالب على جميع الأشياء (والقوة على كل شئ) فهو القوى الغالب
المحيط ، ولا يخفى اختلاف مفهومات الصفات المذكورة .

(فليعمل العامل منكم) ايها الناس (في أيام مهله) وهي ايام كونه في
الدنيا ، فان له مهلة فيها للعمل الصالح (قبل ازهاق أجله) اي ان يرهقه و
يستأصله (وفي فراغه قبل اوان شغله) المراد بالفراغ اما الفراغ في الدنيا ، قبل
الآخرة ، او وقت فراغه ، فان الانسان قد يكون فارغاً ، وقد يكون مشغولاً .
(وفي متنفسه) اي وقت امكان التنفس ، وهو ما دام حياً (قبل ان يؤخذ
بكظمه) الكظم هو الحلق (وليمهّد) اي يهتئ مكانه في الآخرة (لنفسه وقدمه)

وَلِيَتَزَوَّدَ مِنْ دَارِ ظَنِّهِ لِدارِ إقامته . فَاللهَ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ ، فِيمَا
 اسْتَحْفَظْكُمْ مِنْ كِتَابِهِ ، وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
 لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً ، وَلَسَمَ يَدْعُكُمْ فِي جَهَالَةٍ
 وَلَا عَمَى ، قَدْ سَمِيَ آثَارَكُمْ ، وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ وَكَتَبَ آجَالَكُمْ ،
 وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ تَبْيَانًا

و ذكر القدوم لأنه من أهول الأحوال (وليتزود) بالعمل الصالح (من دارظعنه)
 أى الدنيا التى يظعن وينتقل منها (لدار اقامته) أى الآخرة التى يبقى فيها
 أبد الآبدى (ف) احذروا (الله الله) كثر للتأكيد ، يا (ايها الناس) فيما
 استحفظكم من كتابه (أى جعلكم حفيظا عليه) فاحفظوه وحفظه عبارة عن العمل
 به .

(واستودعكم من حقوقه) أى جعلكم محلاً لوديعته التى هى حقوقه عليكم ، و
 المراد بها الأحكام الشرعية ، فانها حق الله على الناس ، وهى ودائعته تعالى
 عندهم (فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً) أى بلا غاية ولا مقصد حتى لم يكن
 عليكم تكليف (ولم يترككم سدى) أى فلا تكليف ، وسدى بمعنى الإهمال (ولم
 يدعكم فى جهالة) لا تعرفون الأصول والفروع بل علمكم بسبب الأنبياء (ولا عمى)
 فان الإنسان الجاهل كالأعمى الذى لا يبصر .

(قد سَمِيَ آثَارَكُمْ) أى كتب قبل أن تعملوها ، وهذا كناية عن علمه سبحانه
 بما يعملون او المراد انه تعالى بين أعمالهم وحددها لكن الأول أقرب (و علم
 أعمالكم) أى جعل العلامة على أعمالكم ، او علمكم آياتها حتى لا تجهلوها (وكتب
 آجالكم) أى مدة بقائكم فى الدنيا (وأنزل عليكم الكتاب) المراد به إما جنس
 الكتب المنزلة على الأنبياء او خصوص القرآن الحكيم (تبياناً) أى بيان — قالوا

لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَعَمَرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَانًا ، حَتَّى اكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ - فِيمَا
 أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ - عَلَى لِسَانِهِ -
 مُحَابَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِه ، وَنَوَاهِيه وَأَوَامِرُهُ ، وَالْقَى إِلَيْكُمْ الْمَعْذِرَةَ ،
 وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ،

والتبيان اكثر افادة من البيان - (لكل شئ) والمراد بذلك انه تعالى بين
 في القرآن الخطوط العامة للحياة السعيدة ، لا انه ذكر كل جزئى جزئى من
 الأمور (وعمر فيكم نبيه) محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أزمانا) أى أعطى
 العمر لنبيه ليكون بينكم مدة مديدة (حتى اكمل) سبحانه (له) صلى الله عليه
 وآله (ولكم - فيما أنزل من كتابه - دينه) أى اكمل دينه ، بسبب القرآن
 والأحكام المنزلة فيه .

(الذى رضى لنفسه) بمعنى انه سبحانه ارتضاء ديننا لنفسه ، أى طريقة
 يصل الخلق منها الى مرضاته (وانهى اليكم) أى اوصل اليكم (على لسانه) أى
 لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (محابه من الأعمال) أى الأعمال التى
 يحبها سبحانه ومحاب جمع محب مصدر ميمى ، او اسم مكان أى مكان حبه (و
 مكارهه) أى الأعمال التى يكرهها (ونواهيه وأوامره) ولعل الفرق ان المحاب
 اعم من الأوامر لأنها تشمل حتى المستحبات بخلاف الأوامر ، وكذا النسبة بين
 المكاره والنواهى .

(وألقى اليكم المعذرة) أى ما يوجب عذركم أن اطعتموه وعذره - فى عقابكم
 - أن عصيتموه ، لأنه بين لكم فخالفتم (واتخذ عليكم الحجة) وهى ما يحتج به
 المولى على العبد - ان خالف - والعبد على المولى - ان أطاع - (وقدم
 اليكم بالوعيد) أى بين لكم العقاب الذى يأتىكم ان خالفتم .

٨توضيح نهج البلاغة
وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ . فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ ، وَأَصْبِرُوا
لَهَا أَنْفُسَكُمْ ، فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا
الْغَفْلَةُ ، وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ ، وَلَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ ، فَتَذْهَبَ
بِكُمْ الرُّخَصُ فِيهَا مَذَاهِبَ الظُّلْمَةِ ، وَلَا تُدَاهِنُوا

(و انذركم بين يدي عذاب شديد) اي قبل عذاب شديد ، الذي هو عذاب
الآخرة ، فان معنى (بين يدي) قبل الشئ وقدامه (فاستدركوا) أي أدركوا
فلا يفوتكم (بقية أيامكم) بالعمل الصالح والتوبة (واصبروا لها) أي اجعلوا
لأنفسكم الصبر في الأعمال التي تعملونها في بقية الأيام (انفسكم) مفعول اصبروا ،
ومعنى تصبير النفس امرها بالصبر (فانها) اي بقية الأيام (قليل في كثير الأيام
التي تكون منكم فيها الغفلة) ((في)) بمعنى النسبة ، يعنى ان ما بقى من
الأيام قليل بالنسبة الى الأيام الماضية التي غفلت عن الله فيها ، وانما كانت
قليلة بالنسبة الى مجموع الناس بالنسبة الى المجموع ، وان كانت الأيام الباقية
بالنسبة الى الشاب اكثر من الأيام الماضية ، او الكلام ((خطاى)) لتهوين أمر
الصبر لديهم كما جرت عادة البلغاء في تهوين المشاق للناس حتى يركبوها .

(والتشاغل عن الموعظة) اي عدم الاعتناء بها ، وهذا عطف على قوله
((الغفلة)) (ولا ترخصوا لأنفسكم) اي لا تبيحوا لها عمل المحرمات ، فان
الانسان يوحى الى نفسه بالخير والشر والنفس تعمل حسب تلك الايحاءات
(فتذهب بكم الرخص) التي ارخصتموها لأنفسكم (فيها) اي في الأنفس
(مذاهب الظلمة) جمع ظالم ، اي تسير النفس كما يسير الظالمون في ارتكاب
المحرمات ، وترك الواجبات (ولا تداهنوا) المداينة اظهار خلاف ما في

للامام الشيرازي ٩

فَيَهْجُمُ بِكُمْ الْإِذْهَانَ عَلَى الْمَصِيبَةِ . عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ
أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ ، وَإِنَّ أَغْشَهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ ، وَالْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ
نَفْسَهُ ، وَالْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ ، « وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بِنَفْسِهِ » ،
وَالشَّقِيُّ مَنْ أَخْذَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ .

الضمير مجاملة للمعاصي (فيهمجكم الإذهان على المصيبة) فان الانسان لو
داهن يكون مصيره الى النار التي هي اعظم المصائب ، وذلك لأن المداهنة
خلاف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد قال الامام المرتضى صلوات الله
عليه : أمرنا رسول الله ان نلاقى اهل المعاصي بوجوه مكفهرة ، او المراد مداهنة
الانسان مع نفسه .

يا (عباد الله ان انصح الناس لنفسه أطوعهم لربه) اي اكثرهم اطاعة ، وانما
كان انصح لأنه يهتئ لنفسه احسن المقامات في الآخرة (وان اغشهم لنفسه) اي
اكترهم غشا لها (أعصاهم لربه) لأنه يهتئ لها مستقبلا سيئا (والمغبون من
غبن نفسه) فان من يغبن نفسه بأعمال توجب لها هوانا وعقابا ، فانه احق باسم
المغبون من المغبون في معاملته ، فان خسارات المعاملة وقتية وخسارة النفس
ابدية (والمغبوط) الذي يغبطه الناس ويتحسرون على مقامه الرفيع (من سلم
له دينه) بأن لم يفسد بالمعاصي والآثام ، (والسعيد) الذي نال السعادة
(من وعظ بغيره) بأن رأى غيره تضرر من المعاصي فلم يعمل بها ، فانه ادرك
السعادة بدون ضرر .

(والشقي من اخذع لهواه) فان الهوى والميل النفسية الى الشهوات
تخدع الانسان ومن استسلم لهواه فقد شقى واستحق العقاب (وغروره) أي
النفس التي تغره وتزين له العصيان .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ «يَسِيرَ الرِّبَاءِ شِرْكٌ»، وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الْهَوَى مَنَسَاةٌ لِلْإِيمَانِ ،
وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ . جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ . الصَّادِقُ
عَلَى شَرَفٍ مَنجَاةٍ وَكَرَامَةٍ ، وَالْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ . وَلَا
تَحَاسَدُوا ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ ،

(واعلموا أن يسير الرباء شرك) الرباء هو أن يعمل الانسان الأعمال
الصالحة ليراه الناس فيمدحوه ، وهذا شرك لأن المرائي عمل لغير الله سبحانه ،
واتخذ مع الله ربا آخر ، زعمه ضارا نافعا .

(ومجالسة أهل الهوى) الذين ينساقون وراء هواهم وشهواتهم (منساة
للايمان) أي توجب نسيان الايمان ، فان الايمان يضعف اذا كثر على النفس ما
يخالف الايمان مما يقوله ويعمله أهل الهوى - فان الطبع سارق - (ومحضرة
للسيطان) فان الشيطان يحضر عند أهل الهوى والمعصية (جانبوا الكذب) أي
تجنبوا عنه (فاته) أي الكذب (مجانب للايمان) اذ الايمان يأمر بالصدق و
ينهى عن الكذب .

(الصادق على شرف منجاة) أي ان صدقه يوجب نجاته (وكرامة) أي تكريم
الله والناس له ، فان الصدق فضيلة يمدحها الناس .

(والكاذب على شفا) ((شفا)) جوف الوادي ، مما أشرف على السقوط
(مهواة) أي هوى في المشكلة والسقوط (ومهانة) عند الله سبحانه و عند
الناس فانهم مهما عرفوا ان فلانا كذب سقط من أعينهم ، فهو قريب الوقوع و
المهانة عند الناس (ولا تحاسدوا) وهو ان يتمنى الانسان لزوال نعمته
المتنعمين ولذا يعمل لزوالها بالتنقيص لهم والخط من شأنهم (فان الحسد
يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب) اذ الحسد موجب لحبط الأعمال ، هذا

« وَلَا تَبَاغُضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ » ؛ وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِيَ الْعَقْلَ ، وَيُنْسِي
الذِّكْرَ . فَأَكْذِبُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ .

بالإضافة الى ان المجتمع المتحاسد لا يزال يأخذ في السقوط والهوى حتى يصل
الهاوية اذ افراده عوض ان يشتغلوا بالرفعة والترفيه مشغولون بالتخفيض .
(ولا تباغضوا) . بأن يبغض بعضكم بعضا (فانها) اي المباغضة (الحالقة)
التي تخلق وتزيل كل خير وسعادة (واعلموا انّ الأمل يسهي العقل) اي يوجب
سهوه وذهوله . اذ الذي يأمل الاشياء البعيدة لا يعمل حسب أوامر العقل من
العمل الصالح واخذ الحيلة والحذر . لأنه يرجو بقاءه الطويل . (و ينسى
الذكر) اي يوجب ان لا يذكر الانسان ربه . اذ يترقب ان يتوب في كبوه و آخر
عمره . كما هو المشاهد في الناس طوال الأمل (فاكذبوا الأمل) اي اذا قال لكم
أنتم تبغضون في الدنيا مدة مديدة . اعملوا عمل من لا يبقى الا مدة قليلة . كما قال
الامام الحسن عليه السلام اعمل لاخرتك كأنك تموت غدا (فانه غرور وصاحبه) اي
صاحب الأمل (مغرور) قد خدع . وأرى ما ليس بحقيقة .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في بيان صفات المتقين وصفات الفساق

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ ،
فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ ، وَتَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في بيان صفات المتقين وصفات الفساق

يا (عباد الله ان من أحب عباد الله اليه) فالذين هم في الدرجة الأولى
من الحب جماعة منهم من يأتي وصفه ، ولذا جئنا ((من)) التي هي للتبعيض
(عبدا أعانه الله على نفسه) بأن كان مسلطا على النفس ، يقودها حيث مرضى
الله لا ان النفس تقوده الى الشهوات ، وليس معنى اعانة الله جبره سبحانه ،
بل توفيقه الخاص الذي يتوقف على المجاهدة قبل كما قال سبحانه ((والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)) .

(فاستشعر الحزن) أي جعل الحزن شعارا لنفسه . والشعار هو اللباس
اللاصق بالبدن سمي بذلك لاتصاله بالشعر ، يعنى انه دائما حزين ، لما يعلم
من صعوبة المستقبل والموقف في الآخرة .

(وتجلبب الخوف) أي جعل الخوف من الأهوال المستقبلية في الآخرة
جلبا با له والجلباب هو الثوب الساتر الذي يكون فوق جميع الثياب والحزن قلبي
بخلاف الخوف الذي يظهر أثره على الأعضاء والجوارح وان كان مصدره القلب

فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ ، وَأَعَدَّ الْقَرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ ،
فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ . نَظَرَ فَأَبْصَرَ . وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ ،
وَأَرْتَوَى مِنْ عَذَابِ فُرَاتٍ سَهَّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ ، فَشَرِبَ نَهْلًا ،

أيضا .

(فزهر) أى اضاء (مصباح الهدى فى قلبه) فان الانسان الخائف مسن
الآخرة يوجد فى قلبه حالة تبعثه على الخير والواجب وتمنعه عن الشر والمحرم .
(وأعدّ القرى) هو ما يهتئ للضيف ، والمراد به العمل الصالح (ليومه
النازل به) وهو يوم الموت أو يوم الآخرة ، يعنى انه يستعدّ للقاء الله تعالى
(تقرب على نفسه البعيد) الذى هو الموت ، فهو يراه قريباً يستعد له ، بينما
يراه سائر الناس بعيداً لا يعمل لأجله (وهوّن الشديد) أى الأعمال الشديدة
الموجبة لنجاته فاتّه يراها هينة لما يعلم من حسن عاقبتها (نظر) الى الأمور
بدقة واعتبار (فأبصر) لا يعنى عن المصلحة والمفسدة حيث انّ الناس يخلطون
بين الحقّ والباطل - فكانهم غير مبصرين - .

(وذكر) الله سبحانه (فاستكثر) من الذكر ، أى ذكر ذكراً كثيراً ، واستكثر

من العمل الصالح .

(وارتوى) أى شرب حتى امتلأ من الماء (من عذاب فرات) والمراد به
العلوم الصالحة لأنه شبيه بالماء العذب السائل الذى يتلذذ الانسان بشربه و
تكون له عقى محمودة (سهلت له موارده) جمع مورد وهو محلّ الورد فى الماء ،
فانّ الانسان الذى يبتغى الحقّ يسهل عليه التمسك بالأحكام وتعلّم شرائع الاسلام
بينما يصعب ذلك على غيره (فشرب نهلاً) النهل هو الشرب الأول يعنى انه

وَسَلَكَ سَبِيلًا جَدِّدًا . قَدْ خَلَعَ سَرَائِيلَ الشَّهَوَاتِ ، وَتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ ،
إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا أَنْفَرَدَ بِهِ ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى ، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى ،
وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى ، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى . قَدْ أَبْصَرَ
طَرِيقَهُ . وَسَلَكَ سَبِيلَهُ ،

ارتوى بشربه الأول ، فلم يحتاج الى تكرار الشرب (وسلك سبيلا جددا) هى
الأرض الصلبة المستوية التى يسهل السلوك فيها فان جادة الشرع واضحة قديمة
(قد خلع) أى طرح من رأسه (سراييل الشهوات) جمع سريال وهو الثوب .
(وتخلّى من الهموم) التى اشتغل بها أهل الدنيا ، فان الانسان الذى
صرف نظره الى الآخرة ، لا يهتم للأمور الدنيوية كثيرا حتى يهتم لها (إلا هَمًّا
واحدا انفرده) لهذا الانسان (به) وهو هم الآخرة ، وانما كان منفردا لأن
أهل الدنيا لا يشاركونه فى هذا الهم (فخرج من صفة العمى) فان الانسان
الذى لا يميز بين الحق والباطل والحرام والحلال هو والأعمى سواء فى عدم
رؤية الأشياء لكن عمى الأعمى ظاهرى وهذا أعمى معنى (ومشاركة أهل الهوى)
لا يشاركونهم فى ارتكاب المحضورات لمجرد هوى نفسه (وصار من مفاتيح أبواب
الهدى) فان الناس اذا أرادوا الهداية سألوا من هذا الانسان فكان الهدى
بيت له باب اذا أريد دخوله لزم فتحه بالمفتاح الذى هو هذا الانسان المتقى (و
مغاليق) جمع مغلاق وهو ضد مفتاح (أبواب الردى) أى الهلاك ، لأنه يسد
على الناس الفساد والشر ، فهو كالـمغلاق .

(قد أبصر طريقه) المودى به الى الجنة (وسلك سبيله) لأنه يسلك نفس
ذلك السبيل بخلاف من يعلم ويفعل خلاف ما يعلم فاتّه أبصر الطريق لكنه تنكب

وَعَرَفَ مَنَارَهُ ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ ، وَاسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا ،
وَمِنَ الْجِبَالِ بِأَمْتَنِهَا ، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ ، قَدْ نَصَبَ
نَفْسَهُ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ ، مِنْ إِضْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ ،
وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ .

السبيل . (وعرف مناره) هو المحل الذي ينصب في الطريق ويجعل عليه
النور ليلا ليهتدي المارة (وقطع غماره) جمع غمر - بالفتح - وهو معظم
البحر يعني انه عبر بحار المهالك الى سواحل النجات .

(واستمسك من العرى بأوثقها) عرى جمع عروة ، فقد شبه الاسلام بكوز ذي
عرى اذا تمسك الانسان باحداها تمكن من الشرب منه ، وأوثق تلك العرى عروة
التقوى .

(ومن الجبال بأمتنها) فكان السجادة في محل مرتفع وادلى منه جبال
ليصعد الناس بها الى ذلك المحل ، وأقوى الجبال هو جبل التقوى ، وهذا
اقتباس من قوله تعالى : ((فقد استمسك بالعروة الوثقى)) وقوله سبحانه :
(واعتصموا بحبل الله جميعا))

(فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس) فكما ان ضوء الشمس واضح لا لبس
فيه كذلك يقين هذا الانسان بالآخرة وما وراء الطبيعة (قد نصب نفسه لله
سبحانه في ارفع الأمور) فان الانسان اذا التزم جادة الشرع وجد واجتهد عرف
الأحكام وفهم طرق الاسلام فهو لقربه منه سبحانه واحتوائه لأحكامه كالمقرب عند
الملك الذي له مكانة رفيعة عند الملك (من اصدار كل وارد عليه) يعني انه اذا
ورد عليه مسألة من مسائل الدين يتمكن من الجواب عنها جوابا صحيحا فيصدر
السؤال بعد أن ورد عليه (وتصيير كل فرع الى اصله) لانه يعرف أصول

مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ . كَشَافُ عَشَاوَاتٍ ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ ، دَفَّاعُ مُقْضِلَاتٍ ،
 دَلِيلُ فُلُوتٍ ، يَقُولُ فِيْهِمْ . وَيَسْكُتُ فِيْسَلِمُ . قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ
 فَهُوَ مِنْ مَّعَادِنِ دِينِهِ

الاسلام وفروعه فاذا سأل عنه من فرع تمكن من ارجاعه الى أصله ، لا الى غير أصله ، فيعرف مثلا ان هذا الفرع من ((اصل : كل شيء حلال)) أو ((أصل : قف عند الشبهة)) .

فهو (مصباح ظلمات) اذ ظلمات الجهل تنكشف بسببه (كشاف عشاوات) جمع غشاوة وهوسؤ البصر ، اى انه يكشف عن أصحاب العشاوات الظلمات التى فى أبصارهم ، وهذا كناية عن توضيحه الأمور الملتبسة التى التبت على الذين ليس لهم حظ وافر من الدين (مفتاح مبهمات) التى ابهمت وأشككت فانه يفسرها ويبينها ويظهرها (دفاع معضلات) جمع معضلة وهى المشكلة التى يصعب حلها ، فانه يحلها ويدفع أعضالها ويسهل فهمها (دليل فلوات) جمع فلات وهى الصحراء الواسعة ، فكما ان الدليل يرشد الضال عن الطريق فى الصحراء ، فكذا الانسان المتقى يرشد الناس الى طريق الحق فى متاهات الحياة (يقول) الجواب ، أو الحكم (فيفهم) المخاطب ، لوضوح بيانه (ويسكت) فيما كان الجواب موجبا لغضرة ، أو التكم موجبا لشر (فيسلم) من عواقب الكلام .

(قد أخلص لله) فى أعماله ، فلا يعمل الا له سبحانه (فاستخلصه) اى جعله سبحانه خالصا لنفسه بأن اولاه عنايته ولطفه وجعله من خاصته (فهو من معادن دينه) فكما ان معدن الذهب محله كذلك هذا الانسان محل الدين ، اذ

، وَأُوتَادِ أَرْضِهِ . قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ ، فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ
نَفْسِهِ ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ ، لَا يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا ،
وَلَا مَظْنَةَ إِلَّا قَصْدَهَا ، قَدْ أَمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ ، فَهُوَ قَائِدُهُ
وَإِمَامُهُ ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقْلُهُ

هو العالم به .

(وأوتاد أرضه) فإن الأرض إنما تكون موضع رحمة الله بواسطة الاختيار .
ولولا هم لصرف الله سبحانه لطفه عن أهل الأرض ، فهم كالوتد الحافظ لأسواح
الخشبة بعضها مع بعض (قد أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ) أى بأن يعدل فى جميع الأمور
(فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ) أى لا ينساق وراء الأهواء ، إذا انسياق
وراء الهوى ظلم وتعد بالنسبة إلى النفس ، لاخراجها بذلك عن سعادتها إلى
شقاءها (يَصِفُ الْحَقَّ) أى يبين ما هو الحق من الأشياء (وَيَعْمَلُ بِهِ) هو لا
أنه يأمر الناس بالبر وينسى نفسه .

(لَا يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا) أى قصدها أى أنه يقصد نهاية كل خير، مثلا
نهاية الخير فى باب الصلوات ، أن يأتى بالنوافل ، وفى الزكاة أن يزكى من
أرباح التجارة وهكذا ، فهو لا يقتنع بأول الخير دون غايته (وَلَا مَظْنَةَ إِلَّا
قَصْدَهَا) فكلما ظن وجود الخير تبعه حتى ينال من الخير ، مثلا يظن أن هذا
الشخص فقير وفى إعانتة مثوبة ، فيعطيه وهكذا .

(قَدْ أَمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ) أى أعطى زمامه للكتاب حتى يذهب به إلى
حيث الأحكام الشرعية ، وهذا كناية عن اتباعه للكتاب الحكيم (فَهُوَ) أى القرآن
(قَائِدُهُ) الذى يقوده (وَإِمَامُهُ) الذى يأتى هذا الشخص به (يَحُلُّ) هذا
الإنسان (حَيْثُ حَلَّ ثَقْلُهُ) ثقل المسافر متاعه ، وثقل القرآن أوامره وزواجره ،

، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ . وَآخِرُ قَدْ تَسْمَى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ ، فَأَقْتَبَسَ
جَهَائِلَ مِنْ جُهَاِلٍ ، وَأَضَالِيلَ مِنْ ضَلَالٍ ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ شُرَكَاءَ مِنْ
حَبَائِلِ غُرُورٍ ، وَقَوْلِ زُورٍ ، قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ ، وَعَطَفَ الْحَقَّ
عَلَى أَهْوَائِهِ ، يُؤْمِنُ مِنَ الْعِظَائِمِ ،

يعنى ان هذا الشخص يتبع القرآن فى كل حكم (وينزل) هذا الشخص (حيث
كان منزله) اى منزل القرآن ، وفيه استعارة لطيفة .

ولما أتم عليه السلام صفات المتقين شرع فى صفات الفساق بقوله : (وأخر قد
تسمى عالماً) اى سمى نفسه عالماً (وليس به) اى ليس بعالم (فاقْتَبَسَ) اى
أخذ (جهائل) جمع جهالة ، والمراد ما ظنه علماً وهو فى الحقيقة جهل لمن
جهال) لأنهم لو كانوا علماء لم يعطوا الجهل باسم العلم (وأضاليل) اى
ضلالات ، وهى ما ظن أنها هدايات وليست كذلك (من ضلال) من اناس
ضالين ، ولولا انهم ضالون لم يعطوا الضلالات (ونصب للناس شركاء) هو
الجهالة التى يصاد بها الطير والسمك ونحوهما (من حبايل غرور) فكأن للخدعة
حبايل تنظم حتى تكون شركاء (وقول زور) اى الكذب ، فقد نظم أموراً المكذوبة
والمزورة لصيد الناس وجعلهم من حفدته ومراجعيه .

(قد حمل الكتاب) اى القرآن الحكيم (على آرائه) فمثلاً يحمل قوله تعالى
(الى ربها ناظرة)) على ان الله سبحانه قابل للرؤية بالبصر ، وهكذا (وعطف
الحق) اى آماله (على أهوائه) فكلماً اشتبهاء قال انه الحق وأخذ يستدل لذلك
(يؤمن) الناس (من) الذنوب (العظائم) فيقول ان هذه الذنوب لا خوف

وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ ، يَقُولُ : أَقِفْ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ ، وَفِيهَا وَقَعَ ،
وَيَقُولُ : وَأَعْتَزِلُ الْبِدْعَ ، وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ ، وَالْقَلْبُ
قَلْبُ حَيَوَانَ ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعُهُ ، وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدُّ عَنْهُ .
وَذَلِكَ مَبْتُ الْأَحْيَاءِ ! « فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟ » وَأَنْتِ تُؤَفِّكُونَ ! وَالْأَعْلَامُ ^(١٥٦) قَائِمَةٌ

منها (ويهون كبير الجرائم) أي المعاصي الكبيرة ، فيجعلها هينا لا أهمية
لها ، ولا اثم عظيم في فعلها (يقول) بلسانه لخداع الناس (أقف عند
الشبهات) ليزكي نفسه ويرى للناس شدة ورعه حتى انه يقف عند الأمور المشتبهة
ولا يعمل بها احتياطا (و) الحال انه (فيها) أي في تلك الشبهات (وقع)
اذ ليس له احتياط وارعاء وتقوى (ويقول) لتزكية نفسه (واعتزل البدع)
التي تجددت مما ليست من الدين ونسب اليه (وبينها اضطجع) أي نام ،
كتابة عن انغماره فيها .

(فالصورة صورة انسان) في الخلقة (والقلب قلب حيوان) لا يدرك و لا
يفهم (لا يعرف باب الهدى فيتبعه) لأنه انحرف عن الهداية ، وعدم المعرفة
لما أوقع نفسه في الشبهات (ولا) يعرف (باب العمى) والضلالة (فيصدُّ
عنه) ويمتنع عن الدخول فيه (وذلك) الانسان (مَبْتُ الْأَحْيَاءِ) لآنه حتى
بدنا ميت روحا ، فكما لا يأتي من الميت الخير كذلك لا يأتي من هذا الانسان ،
ثم أشار عليه السلام الى انفتاح باب الحق حتى ان الذي لا يلجه فانما بسبب
نفسه (فأين تذهبون) أيها الناس في ترككم الحق واتباعكم الباطل (وأنّي تؤفّفكون)
افك بمعنى انصرف ، أي الى اين تنصرفون ، عن الحق .
(والأعلام قائمة) أعلام جمع علم وهو الذي ينصب في الطريق بفاصلة ليعلم

وَالْآيَاتِ وَاصِحَةً ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ ، فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ ! بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ
وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةٌ نَبِيِّكُمْ ! وَهُمْ أَزِمَةُ الْحَقِّ ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ ، وَالسِّنَةُ
الصُّدُقِ ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ ، وَرُدُّوهُمْ وَرُودَ الْهِيمِ
الْعِطَاشِ .

منه الجادة والمراد أعلام الحق التي يستدل بها عليه (والآيات) الدالة على
رضى الله سبحانه وأمره ونهيه (واضحة) لا لبس فيها (والمنار) وهو المحل
الذي يوضع عليه المصباح ليلا للاهتداء نحو الطريق ، والمراد به هنا الجنس و
لذا قال عليه السلام : (منصوبة) موجودة (فأين يتاه بكم) من التيه بمعنى
الضلالة ، أي إلى أين يذهب الشيطان بكم منحرفا عن الجادة (بل كيف
تعمهون) من الغمه وهو اشد العمى (و) الحال انه (بينكم عترة نبيكم) أي
أهله وذريته الذين هم خلفائه والقائمون مقامه .
(وهم أزمة الحق) جمع زمام ، وهو الشيء الذي يقاد به الحيوان فكأنهم
أزمة للحق لقود الناس إلى السعادة (وأعلام الدين والسنة الصديق) أي ان
كلامهم عين الصواب ، وفيه استعارة لطيفة .

(فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ) أحسن منازل القرآن هو القلب ، والمراد
حب أهل البيت وتقديرهم ، كما يقدر القرآن ويحترم ، والمراد بأحسن ما
أنزلهم القرآن حيث قال ((الآ المودّة في القربى)) والمراد من ((الأحسن))
حينئذ ، كما يراد من قوله : ((يأخذوا بأحسنها)) (وردوهم) من ورد
الماء إذا نزل المشرقة لشربه أي اغترفوا من بحار علومهم (ورود) أي مثل ورود
(الهيم العطاش) الهيم جمع هائم وهو الأبل الشديد العطش وعطاش جمع
عطشان .

أَيُّهَا النَّاسُ ، خُلُّوْهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :
« إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ
بِبَالٍ ، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ ،
وَأَعِزُّوْا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ - وَأَنَا هُوَ - ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ

(أَيُّهَا النَّاسُ خذوها) الضمير للقصد والشأن ، اى خذوا هذه الجملة
التي تأتي ، وهذا لتأكيد التمسك بالعتره لأن الرسول صلى الله عليه وآله و
سلم نص عليهم (عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم) فانه قال : (انه
يموت من مات منا) أهل البيت (وليس بميت) لبقاء آثاره ، واشعاع روحه
الطاهرة من عالم الآخرة الى عالم الدنيا .
(ويبلى من بلى منا) اى يفقد شخصه ويدفن تحت التراب (وليس ببال)
لبقاء ذكره الجميل ، قال الشاعر : ((والذكر للإنسان عمر ثان)) (فلا تقولوا
بما لا تعرفون) فان وجود الأئمة عليهم السلام موجب لمضاعفة عذاب من يقول
فى الأحكام بما لا يعلم (فان أكثر الحق فيما تنكرون) ومن كان لا يعرف أكثر
الحق كيف يحق له أن يتكلم من عند نفسه ، والأعلام قائمة والمراد بـ ((تنكرون))
اما ((تجهلون)) بقرينة ((لا تعرفون)) كما هو الظاهر ، وهذا واضح لأن
غالب الناس يجهلون أكثر الأحكام ، واما بمعنى ((تخالفون)) من الإنكار ، و
هذا لأن الحقائق الكونية شرعية وغيرها خافية على غالب الناس ، و يظنون
خلافها .

(واعذروا) اى لا تلوموا (من لا حجة لكم عليه) اى لا دليل لكم على أنه
أخطأ (وأنا هو) المراد بقول ((اعذروه)) (ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر) الثقل

! وَأَتْرَكَ فِيكُمْ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ ! وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَأَلْبَسْتُكُمْ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي ، وَفَرَشْتُكُمْ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي ، وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي ، فَلَا

هو المتاع النفيس ، وهذا إشارة الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : ((أتى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدى)) وإنما كان القرآن الثقل الأكبر ، لأنه عبارة من مجموع الأحكام الإلهية التي منها مسألة الإمامة .

(وأترك فيكم الثقل الأصغر) فإن الإمام قد خلف الحسين عليهما السلام ، وهما من الثقل الأصغر ، قدوة للناس وإماما لهم ، بالايضا بهما و الزام التمسك لهما .

(وركزت) أى اثبت (فيكم راية الإيمان) ببيان أصول الاسلام و شرح عقائده .

(ووقفتم على حدود الحلال والحرام) ببيان الفروع وشرح الأحكام (ولبستكم العافية من عدلي) فأنتم فى عافية من الظلم .

(وفرشتكم) أى بسطت لكم (المعروف من قولي وفعلی) فأنهما كانا من المعروف الذى يستريح الانسان تحت لوائه ، وفيه تشبيه بالأرض المفروشة التى يتهنأ الانسان بالتقلب عليها .

(وأريتكم كرائم الأخلاق) من عدل وفضيلة وسخاء وشجاعة ووفاء وغيرها ، و الارائة كانت بالقول وبتجليه عليه الصلاة والسلام بها والمراد هنا الثانى بقريضة قوله (من نفسى) وان كان يحتمل الأعم ، فإن القول أيضا من النفس (فلا

تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ ، وَلَا تَتَغَلَّغُلْ إِلَى الْفِكْرِ .
 منها : حَتَّى يَظُنُّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمِّيَّةٍ
 تَمْنَحُهُمْ دَرَاهِمًا ، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا ، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا
 وَ سَيْفُهَا ، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ . بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ

تستعملوا الرأي (والقياس فى الأحكام الشرعية - بدون اتباع الكتاب والعنصرة
 - (فيما لا يدرك قعره البصر) فان الأحكام لا ينال البصر مغزاها (ولا تتغلغل)
 اى لا تدخل (الى الفكر) اذ العين والفكر قاصران عن اكتناء الحياة حتى يتمكننا
 من معرفة أحكام الله المقررة لكل جزئى جزئى من جزئيات الحياة الوسيعة .
 (منها) : ثم ذكر الامام عليه السلام ما يكون بعده من الاحداث ، وقد حذف
 الشريف ((ره)) وسط الخطبة (حَتَّى يَظُنُّ الظَّانُّ) اى الذى يظن خطأ
 (ان الدنيا معقولة) من العقال وهو شذوكة البعير - كناية عن استقرارها -
 (على بنى أمية) لا تتجاوز عنهم (تمنحهم) اى تعطيهنم الدنيا (درها) اى
 لبنها (وتوردهم) من ورود الماء ، اى ان الدنيا اذا ارادت سقى بنى أمية
 توردهم (صفوها) اى المحل الصافى من الماء (و) يظن الظان انه (لا يرفع عن
 هذه الأمة سوطها وسيفها) كناية عن حكومتهم ، فهم دائموا الحكومة والسلطة
 على الناس .

(وكذب الظان لذلك) اى دوام ملك بنى أمية (بل هى) العنفة التى
 تمنحهم الدنيا (مجة) هى نقطة العسل ، او من مجة الشراب اذا قذفه من
 فيه (من لذيذ العيش) وقد شبه بالمجة تحقيرا لها وتشبيها لقصر مدتها

يَتَطَعْمُونَهَا بُرْهَةً ، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً !

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد ذكر الامام عليه السلام فيها ما يسبب هلاك الناس

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ
وَرِخَاءٍ ؛ وَلَمْ يَجْبِرْ عَظَمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلِ وَبَلَاءٍ ؛

(يتطعمونها برهة) أى زمانا قصيرا (ثم يلفظونها) أى يتركونها (جملة) فلا
يبقى فى أيديهم شئ منها .



وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد ذكر الامام عليه السلام فيها ما يسبب هلاك الناس

(أما بعد) والأصل مهما يكن من شئ بعد الحسد والصلاة (فان الله لم
يقصم جباري دهر قط) قصمه بمعنى كسر ظهره ، والمواد ابادة الجبارين وسلب
النعمة عنهم (الا بعد تمهيل) بأن امهلهم مدة يتمكنون فيها من الانابسة و
الرجوع (ورخاء) بأن أنعم عليهم فقابلوا نعمه بالاسائة (ولم يجبر عظم أحد من
الأمم) بأن رفعهم بعد ضعفهم وانشعهم بعد ذلهم وهوانهم وقد كنى عليه
السّلام عن ذلك بجبر العظم (الا بعد أزل وبلاء) الأزل : الشدة ، أى ان
الشدة توجب الانعاش فان بعد العسر يسرا ، وهذا الأمر طبعى كسابقه ،
فان الجبارين يشتغلون بالعلاهي والفساد وهما سببا وثبة الناس لازالتهم كما
ان الأدلة يفكرون ويجمعون قواهم لرفع الهوان عن انفسهم ، وهما سبب

وَفِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتَبٍ وَمَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خُطْبٍ مُعْتَبَرٍ !
وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بَلِيبٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ ، وَلَا كُلُّ نَاطِرٍ
بِبَصِيرٍ . فَيَا عَجَبًا ! وَمَا لِي لَا أُعْجَبُ مِنْ خَطَا هَذِهِ الْفِرَقِ

التقدم والسعادة (وفي دون) اي في أقل من (ما استقبلتم من عتب) اي عتب
الزمان ، واذلاله لكم .

(وما استدبرتم من خطب) اي ما مربكم من الاحداث والخطوب الجسيمة و
الخطب هو الأمر العظيم الذي ينزل بالانسان كالرزية والمصيبة وما أشبه (معتبر)
مبتداً خبره قوله ((في دون)) اي ان اذلال الزمان لكم وانزال الخطوب بكم كاف
لأن تعتبروا ، لأنكم صرتم من مصاديق الجملة السابقة ((ولا يجبر عظم أحد ...))
(وما كل ذي قلب بليبي) وهذا كالحث لهم على العمل والتهوض ، أي
ان كل انسان ليس بعاقل ، فكونوا أنتم عقلاء فيما يجب عليكم من النهضة والقيام .
(ولا كل ذي سمع) اي ادنى (بسميع) اي بواعى ما يسمع ليعتبر به ، أو
بمعنى أنه يمكن أن يكون أصم .

(ولا كل ناظر) اي عين (ببصير) بأحد المعنيين السابقين .
(فيا عجباً) اي يا عجب احضر فهذا وقتك ، والألف في آخر الكلمة بدل
من ياء المتكلم قال ابن مالك :

واجعل منادى صح ان يصف ليا كعبد عبدى عبد عبداً عبدياً
(وما لي لا أعجب) فان المكان مكان تعجب واستغراب (من خطا هذه
الفرق) فقد تولدت في زمان الامام فرق دينية كل يدعى أنه المحبوب عند الله
سبحانه المتبع لأمره ونهيه من خوارج ، وعثمانية ، ومحايدة ، وصوفية ، وما

عَلَىٰ اخْتِلَافٍ حُجَجَهَا فِي دِينِهَا ! لَا يَقْتَصُونَ أَثَرَ نَبِيِّ ، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيِّ ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ ، وَلَا يَعْفُونَ عَنْ عَيْبٍ ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ . الْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ مَا عَرَفُوا ، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا ، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُغْضِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُبْهَمَاتِ

أشبه (على اختلاف حججها في دينها) فلكل حجة مزعومة لعمله بطريقته الخاصة به (لا يقتصون أثر نبي) لأنهم لو تمسكوا بأقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي منها ((على مع الحق والحق مع على)) لم يختلف منهم اثنان (ولا يقتدون بعمل وصي) فإن الامام كان وصيًا وخليفة فيهم ، فلو لم تكن أقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، كان اللازم اتباع الوصي مهما كان (ولا يؤمنون بغيب) فأنهم لو آمنوا بالله واليوم - وهما غائبان عن الحواس - إيماناً صادقاً ، كان إيمانهم زاجراً لهم عن اتباع الميول والأهواء (ولا يعفون عن عيب) أي لا يكونون عن عيوبهم ، بل هم سائرون في المعائب والنقائص فإن معنى عفا كف .

(يعملون في الشبهات) أي الأمور المشبهة التي لا يعلم حلالها من حرامها وحقها من باطلها (ويسيروا في الشهوات) أي ميولهم وأهوائهم بلا مراعاة للشرعية (المعروف عندهم ما عرفوا) وإن كان مخالفاً للحق (والمنكر عندهم ما أنكروا) وإن كان موافقاً للحق .

(مفزعهم في المغضلات إلى أنفسهم) المفزع الملجأ الذي يلجأ إليه الإنسان في مهماته ، والمعضلة المشكلة الدينية أو الدنيوية ، والمراد أنهم لا يرجعون إلى الامام في حل مشاكلهم (وتعويلهم) أي اعتمادهم (في المبهمات) أي الأمور

عَلَى آرَائِهِمْ ، كَانَ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ نَفْسِهِ ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا
يَرَى بِعُرَى ثِقَاتٍ ، وَأَسْبَابِ مُحْكَمَاتٍ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

حول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم واتباعه عليه
السلام له صلى الله عليه وآله

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ،

المبهمه الخفية (على آرائهم) فهم لا يرجعون الى الكتاب و السنة والعتره (كان
كل امرئ منهم امام نفسه) فلا يحتاج الى امام ومقتدى (قد أخذ منها) اي من
نفسه (فيما يرى) من آرائه في المشاكل (يعرى وثقات) فهو قد تمسك بعروة
نفسه ، و وثق بذاته (واسباب محكمات) فكان الحبل الذي تمسك به مما
ينتهي الى نفسه حبل محكم لا انفصام له .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

حول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم واتباعه عليه السلام له صلى الله
عليه وآله .

(أرسله) الله سبحانه (على حين فترة من الرسل) الفترة الفاصلة بين
الشيئين ، فقد جاء الرسول صلى الله عليه وآله بعد ما انقضى عن رسالة عيسى
حوالي خمسمائة سنة ، لا كأنبياء بني اسرائيل الذين أرسلوا تباعا .

وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَأَعْتَزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ ، وَأَنْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ ،
وَتَلَظُّ مِنَ الْحُرُوبِ ، وَالْدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ ، عَلَى حِينِ
أَصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا ،

(وطول هجعة من الأمم) السهجوع النوم ، كان الأمم كانت نائمة عن
المعارف الحقّة والمعلومات الآلهيّة فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليقاظهم
واعادة الحق الى نصابه .

(واعتزام) اى غلبة (من الفتن) فانّ الفتنة تقوم كلّما تقلص الدين مسن
النفوس اذ الدّين خير رادع عن الفتن وأسبابها وجذورها .

(وانتشار من الأمور) فانّ كلّ أمر له نظام واقمى يبيّنه الدين فاذا ذهب
الدين انتشر الأمر بين أهواء الناس مثلاً الدين يقرّر أن مهر السنة خمسمائة درهم ،
أما اذا لم يكن دين فقانون يخالى فيه الى حدود مدهشة ، وقانون يخفض منه
الى حدود زهيدة وهكذا .

(وتلظّ من الحروب) تلظت الحرب ، اى اشتعلت ، والتهبت ، و
كلّما بعد الناس عن الدّين كثرت الحروب ، لأنها ولائد الفتن ، وعدم استقرار
النّظام ، وهما من ثمار عدم الدّين .

(والدنيا كاسفة النور) فكما ان النور اذا كان ، يرى الانسان الاشياء كذلك
الدين سبب لرؤية المضار والمصالح والخيرات والشرور ، فاذا فقد الدين لم يكن
للدنيا نور (ظاهرة الغرور) الناس مخدوعون بها اذ لا ثقافة دينية لهم حتى يخرجوا
عن الاغترار الى التبصر والتفكر (على حين اصفرار من ورقها) فالدنيا كالشجرة اذا كانت
مع دين كانت مخضرة للنشاط والحياة والصحة التى يولدها الدين فيها ، والا كانت

وَلِيَّاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا ، وَأَغْوَرَارٍ مِنْ مَائِهَا ، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى ،
وَزَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى ، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا ، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا .
ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ ،

بالعكس (وایاس من ثمرها) فان الدنيا اذا كانت مضطربة لا ثمر الثمر المطلوب
منها من التقدم والأمن والرخاء .

(وأغورار من مائها) كناية عن عدم النظارة والبهجة ، او ان هذه الجملة
على نحو الحقيقة فان انحراف الأرض عن مناهج السماء توجب عدم جريان الأنهار ،
وقلة الثمار ، واصفرار الأشجار ، وهذا كما انه مربوط بالأمور الغيبية كذلك
مربوط بالمناهج فان الدين يوسع آفاق الفكر ، ويضع المناهج الصحيحة ، ويوجب
التعاون وكل ذلك موجب لعمارة الأرض .

(قد درست) اي خلقت ووليت (منار الهدى) المنار المحل الذي يوضع
عليه المصباح ، ليرى الانسان طريقة ، في الليل ، وهذا جنس ولذا جرى
بالفعل مؤثرا ، كالمثل ((اهلك الناس الدرهم البيض والدينار الصفر)) (و
ظهرت أعلام الردى) أي رايات الضلالة الموجبة للهلاك والشقاء .

(فهي) أي الدنيا (متجهمة لأهلها) من تهجم بمعنى استقبله بوجهه
عابس كربه (عابسة) أي قابضة اشعثازا (في وجه طالبها) لا تسعد الطالب و
لا تفي بما يريد الانسان من الخير والسعادة (ثمرها الفتنة) فان المناهج اذا
انحرفت — وذلك من جراء عدم الأنبياء وسلطة الجبارين — كثرت الفتن و
الاضطرابات (وطعامها الجيفة) فقد كانوا يأكلون الجيف ، لقلة أرزاقهم .

(وشعارها الخوف) أي كان الناس يخاف بعضهم من بعض ، والشعار
هو الثوب اللاصق بالشعر من الجلد — ومنه سمي شعارا — وشبه به الخوف لانه

٣٠ توضيح نهج البلاغة

وَدِّثَارُهَا السَّيْفُ . فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ ، وَأَذْكُرُوا تِيكَ الَّتِي آبَاؤُكُمْ
وَأَخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ ، وَعَلَيْهَا مُحَاسِبُونَ . وَلِعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ
بِكُمْ وَلَا بِهِمُ الْعُهُودُ وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ وَالْقُرُونُ

في قلب الانسان لاصق به ، وذلك لأن الاضطراب يوجب خوف جميع افراد
الانسان بعضهم من بعض .

(ودثارها السيف) الدثار هو الثوب الذي يلبس فوق الشعار ، والمجتمع
اذا كان خائفا كان يحمل السلاح وقاية لنفسه عن الأعداء .

أقول : وقد عادت في أيامنا هذه الحالة - كما قال الامام عليه السلام -
حيث ابتعد الناس عن الأحكام ، وهذا طابع عام لزمان الجاهلية .

(فاعتبروا عباد الله) أي خذوا العبرة - للعمل الصالح - من تلك الفترة
المظلمة ، والاعتبار إنما هو لعدم إعادة تلك الظروف ، بسبب ترك أحكام الله
سبحانه .

(واذكروا تيك) الأعمال السيئة والعقائد الباطلة (التي آباؤكم واخوانكم
بها مرتهنون) فأنهم رهائن أعمالهم فاذ قد كانوا أساءوا خسروا السعادة في
الدنيا والآخرة ، فلا تعملوا مثل أعمالهم حتى يصيبكم مثل ما أصابهم (و
محاسبون) في الآخرة (ولعمري) هذا حلف بنفسه الشريفة (ما تقادمت بكم و
لا بهم) بالآباء والاخوان (العهود) فانكم تذكرون عهد ما قبل الرسالة و
الفجائع التي كنتم وكان آباؤكم جميعا فيها (ولا خلت) أي لم تمض ، من خلا
بمعنى مضى (فيما بينكم وبينهم) أي بين الآباء والاخوان (الأحقاب) جمع
حقب ثمانون سنة أو أكثر (والقرون) القرن هو مدة جيل واحد ، فقالوا مائة ، و

وَمَا أَنْتُمْ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمٍ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بَبَعِيدٍ . وَاللَّهُ مَا أَسْمَعُهُمُ
الرُّسُولُ شَيْئًا إِلَّا وَهَذَا أَنَا ذَا الْيَوْمِ مُسْمِعُكُمْوهُ ، وَمَا أَسْمَعُكُمْ الْيَوْمَ بِدُونِ
أَسْمَاعِهِمْ بِالْأَمْسِ ، وَلَا شَقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْتِدَةُ
فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ ، إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ .

قالوا أقل .

والمعنى : ان الآباء والاخوان الذين كانوا في تلك الظلمات ، قريبين
منكم زمانا ، فهم بين أب وأخ وجد وما أشبه .
(وما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلابهم ببعيد) وإنما الفصل أقل من خمسين
سنة ، وأصلاب جمع صلب وهو العظم الذي في ظهر الانسان ، وهو محل
منى الرجل ، قال سبحانه : ((يخرج من بين الصلب والترائب)) .
(والله ما أسمعهم) أي الآباء والاخوان الذين عاصروا قبل الرسالة و حين
الرسالة و رأوا الزمانين (الرسول شيئا) من الحكم والأحكام والمواظ والنصائح
(الآ وها أنا ذا اليوم مسمعكموه) أي أبين لكم ما بين الرسول لآبائكم و اخوانكم .
(وما أسمعكم اليوم بدون اسماعهم بالأمس) يعني أنكم تسمعون كما كان
أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله يسمعون فاللزام أن تعملوا كما كانوا يعملون
(ولا شقت لهم الأبصار) حيث ان البصر محاط بالوجه الممتد ، فكأنه قد شق
في وسط شيء مستو (ولا جعلت لهم الأفتدة) جمع فتاد وهو القلب (في
ذلك الأوان) أي أوان حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .
(ألا وقد اعطيتم مثلها في هذا الزمان) فأنتم وآياهم سواء في وجوب
العمل كما أتى كالرسول صلى الله عليه وآله في الوعظ والارشاد .

وَاللَّهُ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئًا جَهْلُوهُ وَلَا أَصْفَيْتُمْ بِهِ وَحَرُمُوهُ ، وَلَقَدْ نَزَّلَتْ بِكُمْ الْبَلِيَّةَ جَائِلًا خِطَامُهَا ، رِخْوًا بِطَانُهَا ، فَلَا يَغُرَّنْكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ ، إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ .

(والله ما بصرتهم بعدهم) أى بعد أصحاب الرّسول صلى الله عليه وآله و سلم (شيئاً جهلوه) حتى يكون عذرهم فى عدم العمل انهم انما عطوا لانهم جهلوا غفرو الله وغفرانه - مثلاً - وأنتم عالمون بذلك فتعلمون أنه لا اهمية للعمل (و لا أصفيتهم به) أى بشئ (و حرّموه) بأن يكون سبب عدم عملكم أنكم مخصوصون بأمر ينجيكم ، ممّا لم يكن لا ولئلك ذلك الأمر .

بل أنتم أحق بالعمل (و) ذلك لأنه (لقد نزلت بكم البليّة) أى المصيبة وهى التّفريق والتّشتّت والفتن التى نجت من سوء تصرف عثمان الذى أدّى الى قتله (جائلاً) من الجولان وهو الحركة (خطامها) هو ما يجعل فى أنف البعير لينقاد به ، وهذا كناية عن الاضطراب وعدم الاستقرار ، فإنّ البعير اذا كان جائلاً الخطام كان غير متّجه الى وجهة معينة (رخوا بطانها) البطان حزام يجعل تحت بطن البعير ، ليستقرّ القتب فوق ظهره ، فاذا كان رخوا ألقى الراكب غشا وارهاقاً (فلا يغرنكم ما أصبح فيه أهل الغرور) أى لا يخدعكم عن الايمان والعمل الصّالح ما ترون من نعمة أهل الدّنيا ، فتظنون ان تترك الدّين يودّى الى الخير والنعمة (فأنما هو) أى ما فيه أهل الغرور من النّعم (ظلّ ممدود) لا حقيقة له ولا بقاء بل (الى أجل معدود) قد عدّت مدّت بقائها ، ثم تزول بموتهم ، أو زوال نعمتهم .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهي مشتملة على اوصاف الله سبحانه ، وعظيم مخلوقاته
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ .
 الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا ، إِذْ لَا سَمَاءَ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَلَا حُجُبٌ ذَاتُ
 إِرْتَاجٍ ، وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ ، وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهي مشتملة على اوصاف الله سبحانه ، وعظيم مخلوقاته
 (الحمد لله المعروف من غير رؤية) فان الله تعالى معروف لدى عباده بآثاره
 وان لم يره أحد . (والخالق من غير رؤية) اي انه خلق الأشياء بدون ترو وتفكر و
 امعان نظر (الذي لم يزل قائما دائما) فلم يخل منه وقت وكان قائما منذ الأزل ،
 اي عالما قادرا حيا من غير نوم ولا كسل وما أشبه (اذ لا سماء ذاب أبراج) جمع
 برج ، وهو القطعة من السماء التي تظهر ، ومن ذلك سقى برجا ، فان برج
 بمعنى ظهر (ولا حجب ذات ارتاج) جمع رتج وهو الباب العظيم والممراد
 بالحجب وهو جمع حجاب - ما جعله الله سبحانه من الحجب على العرش ،
 كالملوك الذين يجعلون الحجب من دون سريرهم ، وان كان الله سبحانه ليس
 جسما ، وانما هو للتشريف والعظمة (ولا ليل داج) أصله ((داجي)) بمعنى
 مظلم (ولا بحر ساج) أصله ((ساجي)) بمعنى ساكن ، فان للبحار سكونا في
 مقابل الأنهار التي تجري .

وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ ، وَلَا فِجٌّ ذُو أَعْوِجَاجٍ وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ ،
وَلَا خَلْقٌ ذُو أَعْتِمَادٍ : ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَوَارِثُهُ ، وَإِلَهُ الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ : يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، وَيُقَرِّبَانِ
كُلَّ بَعِيدٍ .

قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَأَخْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ ، وَعَدَّدَ أَنْفُسَهُمْ ،

(ولا جبل ذو فجاج) جمع فج ، وهو الطريق في الجبل (ولا فج) أي
طريق (ذو اعوجاج) فان الطريق في الجبل غالبا يكون ذو التواءات واعوجاجات
(ولا أرض ذات مهاد) أي تهبط وقابلية للسكون (ولا خلق ذو اعتماد) أي
ذوقصد وإرادة يعتمد عليها في أعماله ، أو استناد إلى محل (ذلك) الله
العظيم المتصف بما ذكر من الصفات (مبتدع الخلق) الذي خلقهم ابتداءً
بدون مثال واحتذاءً ما سبق من الأمثال (ووارثه) لأن الخلق يفنى ويبقى الله
سبحانه مالكا لما يبقى منهم — كالوارث الذي يملكه ما يبقى من المورث — (واله
الخلق) لا معبود لهم سواه (ورازقه) والرزق اعم من المأكول والملبوس و
غيرهما .

(والشمس والقمر دائبان) أي متحركان بحركة مستمرة بلا توقف (في مرضاته)
أي حسب إرادته تعالى وأمره ، فان الكون لا يتحرك ولا يسكن إلا حسب أمره
سبحانه (يبليان كل جديد) وهذا اسناد مجازي فان البقاء موجب للبلاء ، أو
حقيقى فان للنيرين مدخلا في تفرق الأجزاء الموجب للبلاء (ويقربان كل بعيد)
فان البعيد الزماني يقرب بمرور الأيام والليالي الحاصلات من حركات النيرين
(قسم أرزاقهم) أي أرزاق الناس (وأحصى آثارهم) أي عدد اثر كل انسان
وما يبقى منه ويخلفه بعده (وأعمالهم) التي يعملونها (وعدد أنفاسهم)

وَخَائِنَةٌ أَعْيُنُهُمْ . وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ ، وَمُسْتَقَرَّهُمْ
وَمُسْتَوْدَعُهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ ، إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ .
هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَاتَّسَعَتْ
رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ ،

فهو سبحانه يعلم عدد نفس كل انسان (وخائنة أعينهم) أي لمحات أعينهم التي
تلمح بالخيانة إلى مال الناس وعرضهم وما أشبه .

(وما تخفي صدورهم من الضمير) أي السر الذي ينوونه بقلوبهم ، فسان
الصدر وعاء للقلب (ومستقرهم) أي محل استقرارهم قبل المجئ إلى الدنيا ، و
هي أرحام النساء (ومستودعهم) أي المحل الذي يودعون فيه قبل المجئ إلى
الدنيا والمراد به أصلاب الرجال ، وإنما سمي الصلب مستودعا ، والرحم
مستقرا ، لمكث الانسان في الرحم أكثر من مكثه في الصلب ، وقد بين الامام
المراد من اللفظين بقوله (من الأرحام والظهور) فإن الصلب في ظهر الرجل ،
وهو محل المني قبل افرازه (إلى أن تتناهى بهم الغايات) يعني ان علمه
سبحانه بأحوال البشر يبتدئ من حين كونهم في الأصلاب إلى آخر أيامهم في الحياة
حيث ينتهون إلى الغاية المقدرة لهم ، والعبارة من ((القلب)) الذي هو من
فنون البلاغة ، نحو عرضت الناقة على الحوض ، فان الغاية لا تنتهى بهم ، بل
ينتھون إلى الغاية .

(هو) الله سبحانه (الذي اشتدت نقمته على أعدائه في سعة رحمته) فان
من يعاديه سبحانه بترك أوامره ، وارتكاب نواهيه تكون النقرة والعذاب عليه
شديدا ، مع أنه تعالى واسع الرحمة والمغفرة (واتسعت رحمته لأوليائه في
شدة نقمته) وهاتان صفتان تلفت الأنظار ، لما بينهما من التناقض عند

قَاهِرٌ مِّنْ عَازِهِ ، وَمُدْمِرٌ مِّنْ شَاقِّهِ ، وَمُذِلٌّ مِّنْ نَّوَاهٍ وَغَالِبٌ مِّنْ عَادَاهُ .
وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ ، وَمَنْ شَكَرَهُ
جَزَاهُ . عِبَادَ

المخلوقين ، فان الانسان اذا رضى غمض عن اعدائه واذا غضب لم ينج من غضبه
احبائه ، لكنه سبحانه يكل لكلشئ بكيهه ويضع كل شئ في موضعه (قاهر من عازيه)
اي قصد مشاركته تعالى في عزته بان يقهر السلاطين واصحاب الأموال ومن اليهم
ممن لهم شراكة - اسمية - في صفة من صفاته سبحانه ، او المراد الفراعنة و من
اليهم ممن يدعون الربوبية (ومدمر) اي مهلك (من شاقه) اي عاداه ، كانه
في شق وجانب ، والله سبحانه في جانب وشق آخر .

(ومذل من نواه) اي عاداه (وغالب من عاداه) فان الله سبحانه يغلب
على اعدائه كما قال ((كتب الله لأغلبن أنا ورسلي)) .

(ومن توكل عليه) بأن وكل أموره الى الله سبحانه - وهذا لا ينافي العمل
بل العمل من التوكل لأنه مما أمر به الله تعالى (كفاه) اي تفضل عليه بانجاز أمره .
(ومن سأله أعطاه) وهذه القضايا طبيعية ، لا كلية فلا ينافيها عدم
تطبيقها على بعض المصاديق لمصالح خاصة كما نقول العقار الفلاني مقوى للقلب
فانه لا ينافي عدم تقويته في بعض الناس .

(ومن أقرضه) اي اعطى الله قرضا وهو عبارة عن صرف المال أو النفس أو
ما أشبه في أمره سبحانه كما قال ((من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا)) (قضاة)
اي ارجع سبحانه اليه ما اقترض ، في الدنيا أو الآخرة ،

(ومن شكره) اي شكر آلائه ونعمه (جزاه) أعطاه جزاء الشكر ، يا (عباد

اللَّهُ . زِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا ، وَحَاسِبُوهَا قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا .
وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضَيْقِ الْخِنَاقِ ، وَأَنْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ ،
وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنَّ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ ،
لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ .

اللَّهُ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ (أمر من ((الوزن)) والمراد عرضه على الشريعة ليعلم مطابقتها
لها وعدم مطابقتها . كما يعرض الجنس على المقدار ليعلم كميته (قبل أن توزنوا)
في الآخرة . حيث إذا ظهرت خفة وزنكم لم يكن لكم محل للتدارك (وحاسبوها
قبل أن تحاسبوا) ليروا هل انها أدّت ما وجب عليها أم لا ، حتى إذا ظهر
عدم ادائها تداركتم (وتنفسوا) أي اعملوا والتنفس كناية عنه (قبل ضيق
الخناق) الخناق الحبل الذي يوضع في عنق من يراد خنقه واهلاكه ، فإن
الحبل إذا ضيق لم يتمكن المخلوق من التنفس وهكذا الانسان إذا مات لم يتمكن
من العمل المريح لنفسه ، كما يريح النفس للجسم (وانقادوا) أي اتبعوا
الأوامر ، كالذابة التي تنقاد لصاحبها (قبل عنف السياق) والمراد به الموت
الذي يسوق الانسان بعنف الى الآخرة .

(واعلموا انه من لم يعن على نفسه) بأن يجمع قواه وعقله ليغلب على
شهوات نفسه ولذاتها (حتى يكون له منها) أي من نفسه (واعظ) بأن كانت
نفسه يقظة تعظه عند كل زلة وترشده (وزاجر) تزجره عن المعاصي (لم يكن له
من غيرها زاجر ولا واعظ) فان النفس المنحرفة لا ينفعها مواعظ الأولين و
الآخرين ، لأنه إذا لم يكن للنفس حالة تهين واستعداد لم تقبل النصيحة والارشاد
مهما كان الناصح عظيماً .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تعرف بخطبة الاشباح وهي من جلائل خطبه عليه السلام
وكان سأل سائل ان يصف الله حتى كانه يراه عيانا فغضب عليه السلام لذلك

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(تعرف بخطبة الاشباح وهي من جلائل خطبه عليه السلام)
(وكان سأل سائل أن يصف الله حتى كانه يراه عيانا فغضب عليه السلام لذلك) والأشباح جمع شبح ، وهو الشخص ، وكأن التسمية بهذا الاسم لسؤال ذلك الشخص من الامام عليه السلام ، روى مسعدة بن صدقة عن الصادق عليه السلام ، انه قال خطب أمير المؤمنين هذه الخطبة على منبر الكوفة وذلك ان رجلا أتاه فقال له يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا لنزداد له حبا وبه معرفة ، فغضب ونادى : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله ، فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم خطبها .

اقول : لعل غضب الامام عليه السلام كان لأجل كون السؤال تعنتا ، كما هو كثير عند الجهلة ، لا يريدون بذلك الفهم وانما تحبيب انفسهم ، وانما أجاب الامام لموقفه من الحاضرين الذين شهدوا السؤال ، فان العالم يفهم الحقيقة من التعنت اما غيره فلا يدرك ، فعدم الجواب يحل على سوء الاخلاق او العجز أو

للامام الشيرازي ٣٩
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمَنْعُ وَالْجُمُودُ ، وَلَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ
 وَالْجُودُ ، إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خِلَاهُ ،
 وَهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسْمِ ، عِيَالُهُ الْخَلْقُ ،
 ضَمِينَ أَرْزَاقِهِمْ ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ ،

(الحصد لله الذي لا يفرضه) من ((فر)) ((يفرض)) على وزن وعد يعسده أى لا
 يزيده (المنع) عن العطاء (والجود) جمد مقابل سال ، فان العطية
 تسيل ، والمنع ملازم للجود (ولا يكديه) أى لا يفقره (الاعطاء) والجود فان
 الكون يتكون بلفظة ((كن)) او ارادة معناها ، فكيف يمكن الفقر والنقص بالنسبة
 الى من ارادته هكذا (اذ كل معط) غيره سبحانه (منتقص) أى موجب لنقصه
 صا اعطاء (سواء) تعالى ، ولفظة ((اذ)) تعليل لما ربما يستل : بانه كيف
 الله هكذا ، ونشاهد ان غيره ليس كذلك ؟
 (وكل مانع مذموم ما خلاه) هذا علة لقوله ((لا يفرض)) فانه دفع لدخل
 مقدر ، هو انه تعالى اذا ((لا يفرض المنع)) فلماذا يمنع ؟
 (وهو المَنَّان بفوائد النعم) أى ان اعطائه للنعم منه محض ، لا ان أحد
 يستحق منه تعالى شيئا واطافة الفوائد الى النعم للبيان .

(وعوائد المزيد والقسم) عوائد جمع عائدة وهى النعمة العائدة الى
 الانسان وسميت عائدة تقولا بأنها لا تكون مرة واحدة ، بل تعود مرة بعد مرة ،
 والقسم جمع قسمة وهى ما قسمها الله سبحانه للخلق من ضروب المنافع والأرزاق
 (عياله الخلق) أى الذين يعيّلهم ويدير شؤونهم جميع الخلق ، (ضمّن
 أرزاقهم) بأن يوصلها اليهم ، ما دام قدر لهم رزقا (و قدر اقواتهم) بأن كتب

وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاعِبِينَ إِلَيْهِ ، وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلِ الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ ، وَالرَّادِعُ أَنَا سِي الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ ، مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ

في اللّح وعلم بأن لكل احد اى قدر من الرزق (ونهج) اى اوضح وبين (سبيل الراغبين اليه) اى الذين يرغبون الوصول الى ثوابه ورضوانه (والطالبين مالدیه) من الكرامة والجنة والتعيم .

(وليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل) فان وجوده حسب الصلاح والحكمة لاحسب السؤال ، وان كان احيانا يعطى السائل بما لا يعطى الساكت ، لكن ذلك ليس الا لأن السؤال علة للحكمة والصلاح وهذا بخلاف البشر الذين هم يجودون بالمسئول بما لا يجودون بغير المسئول .

(الأول الذى لم يكن له قبل فيكون شئ قبله) فان الله سبحانه ازل ، لا شئ قبله اطلاقا ، حتى العدم (والآخر الذى ليس له بعد فيكون شئ بعده) فهو تعالى ابدى لا ((بعد)) يتصور بعده حتى يتصور المظروف الذى فى ذلك ((البعد)) .

(والرادع اناسى الأبصار) جمع انسان وهو ما يرى وسط البصر ممتازا عن السواد فى لونه (عن ان تناله او تدركه) النيل الوصول ، والادراك التميز فقد يكون الانسان يرى شيئا باجمال لكن لا يدركه بتفصيل ، وقوله ((الرادع)) مجاز ، والا فهو سبحانه غير قابل للرؤية اطلاقا .

(ما اختلف عليه دهر) بأن تمر عليه الأيام ، والشهور والأعوام ، فان

فَيَخْتَلِفُ مِنْهُ الْحَالُ ، وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ وَلَوْ وَهَبَ
مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ ، وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبَحَارِ
، مِنْ فِلْزِ اللَّجِينِ وَالْعَقِيَانِ ، وَنُشَارَةِ الدَّرِّ وَخَصِيدِ الْمَرْجَانِ ، مَا أَثَّرَ
ذَلِكَ فِي جُودِهِ ،

هذه أمور حادثة و الأمور الحادثة لا تحتوى على القديم (فيختلف منه الحال) بأن
يكون حاله في السنة الفلانية غير حاله في السنة التالية وهكذا فان اختلاف
الأحوال تابع لاختلاف الأزمان والأمكنة والصفات ، فاذا انتفى الزمان انتفى
المكان والصفة الزائدة (ولا كان) تعالى (في مكان) خاص (فيجوز) ويمكن
(عليه الانتقال) فلا زمان ولا مكان له تعالى ، لأنهما حادثان والحادث لا
يحتوى على القديم (ولو وهب) وأعطى للنبي (ما تنفست عنه معادن الجبال)
قالوا بأن الجواهر والمعادن تتكون من الحرارة المتصاعدة من جوف الأرض فانها
تحرك المواد الثمينة الى الخارج وتضجها ، ولذا شبه عليه السلام بالتنفس .
(وضحكت عنه أصداف البحار) فان الصدف ينفلق كالانسان الضاحك حتى
يظهر ما فيه من اللؤلؤ وما أشبه (من فلز اللجين) الفلز المعادن التي تذاب
بالنار ، كالذهب والفضة وما أشبه ، واللجين الفضة (والعقيان) الذهب
(ونشارة الدر) أى ما ينثر في الأعراس ونحوه من الدر الذى هو حصة شفافه
ثمينة (وخصيد المرجان) وهونبات ينبت في البحر فيحصده الغواصون (ما
أثر ذلك) الاعطاء والهبة لجميع الأشياء الثمينة (في جوده) بأن يعتريه
بخل فان الجواد اذا أعطى أمواله اثر ذلك فيه بخلاف حيث يريد الإبقاء لنفسه
وليس كذلك الله سبحانه ، لأنه لا يحتاج ولأن خلق امثال ما وهب بيده

وَلَا أَنْفَدَ سَعَةً مَا عِنْدَهُ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْعَامِ مَا لَا تُذْفِدُهُ
مَطَالِبُ الْأَنَامِ ، لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ، وَلَا يُبْخِلُهُ
الْحَاحُ الْمُلْحِينَ . فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ : فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ
فَأَنْتُمْ بِهِ وَاسْتَنْصِيءُوا بِنُورِ هِدَايَتِهِ ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ

(ولا أنفذ سعة ما عنده) أى لم يوجب لملكه وقدرته نفاداً بل يخلق من جديد .
(ولكان عنده) تعالى (من ذخائر الأنعام) مما يملك خلقه ، أو نفس
سائر الكواكب والمجرات والعوالم (ما لا تنفده مطالب الأنام) أى لا تعدمه
طلبات الناس لأن ملك الله سبحانه لا يدرك وسعته وعظمته (لأنه الجواد الذى
لا يغيضه) أى لا ينقصه من غاض الماء إذا نزل وفنى (سؤال السائلين) فاعطاء
اسألتهم لا يوجب نفاد ما عنده (ولا يبخله) أى لا يوجب بخله (الحاح الملحين)
واصرارهم على العطاء ، بخلاف الناس فأنهم ان كثر عليهم الطلب والاحساج
ما أوجب ذهاب أكثر أموالهم فأنه يوجب بخلهم لخوفهم من الفقر والعدم ان
تعادوا فى الجود والاعطاء .

(فانظر أيها السائل) يريد عليه السلام به من سأل أن يصف ربه - كما مرّ
فى أول الخطبة - (فما ذلك القرآن عليه من صفته) تعالى ، ككونه عالماً قادراً
سميعاً بصيراً خالقاً رازقاً الى غيرها (فأنتم به) أى اقتدوا بالقرآن فى وصفه تعالى
بتلك الصفات (واستنصوا بنور هدايته) أى بنور هداية القرآن فى ما يجوز على
الله تعالى من الصفات والنعوت (وما كلفك الشيطان علمه) بأن ألهم فى
نفسك بأن تصف الله سبحانه بتلك الصفة التى لم تذكر فى القرآن - والمراد
بالقرآن الأعم من ما جاء به النبى والائمة عليهم السلام ، فان ذلك من باب

مَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ، وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَأُئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ ، فَكُلُّ عِلْمِهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى
حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ
اقتِحَامِ السُّدَدِ

المثال - ولذا قال عليه السلام (مما ليس في الكتاب عليك فرضه) اي ثبوته ،
فإن أحكام الكتاب ومناهجه ثابتة للناس (ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله
وأئمة الهدى) الاثنى عشر ، والمراد ذلك وان لم يوجد بعضهم بعد ،
فقد أخبر النبي بهم وأمر باتباعهم (أثره) بأن لم يرد عنهم .

(فكل علمه) وهل أنه صحيح أم لا ؟ (الى الله سبحانه) ولذا قال
الفقهاء ان صفات الله توقيفية لا يجوز اطلاق صفة عليه الا اذا ورد ، حتى فيما
كان الفعل من تلك العادة موجودة في الكتاب أو السنة مثلا لا يصح اطلاق
(زارع) عليه تعالى ، مع أنه ورد (((أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون)) (فإن
ذلك) الايكال الى الله تعالى وعدم التكلم حول الصفة التي لم تذكر (منتهى
حق الله عليك) ومعنى منتهى الحق ، أنه ليس لك واجب آخر بالنسبة الى
هذا الموضوع غير السكوت .

(واعلم) أيها السائل (ان الراسخين في العلم) يقال رسخ بمعنى ثبت
والراسخ هو الذي تعلم كثيرا حتى ثبت في العلم وعلم النتائج ، بخلاف غيره
الذي لا يعلم النتائج وهو منها في شك ، لعدم قوة علمه وكثرة مواضعه ، حتى
يعض على العلم بضرس قاطع .

(هم الذين أغناهم عن اقتحام) اي الدخول في (السدد) جمع سدة ، و

الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ ، الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةٍ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنْ الْغَيْبِ
الْمَحْجُوبِ ، فَمَدَحَ اللَّهُ - تَعَالَى - أَعْتَرَفَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ
يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا ، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفُهُمُ الْبَحْثَ عَنْ
كُنْهِهِ رُسُوخًا ، فَاقْتَصَرَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا تُقَدَّرُ عَظَمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ
عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ . هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا أَرْتَمْتَ

هى باب الدار والفاصلة (المضروبة دون الغيوب) اى الاشياء الغائبة عمن
الادراك والحواس ، والسدد استعارة (الاقرار) فاعل اغناهم (بجمله ما
جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب) اى انهم يعترفون بالمجهول لديهم اجمالا :
بانا نعترف بكل غيب ، ولا يتكفون الفحص عما لا طريق لهم اليه ، حتى ربما
يوجب ذلك تنكبهم الطريق الحق ، وسلوكهم فى مناهات الضلالة (فمدح الله
اعترافهم بالعجز عن تناول) اى اتباع والأخذ بالبحث (ما لم يحيطوا به علما)
حيث قال سبحانه : ((والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا)) .
(وسمى) الله سبحانه (تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه
رسوخا) فان الانسان الراسخ فى العلم يعرف ما يقدر ما لا يقدر فيحوم حول
ما يقدر ويترك ما لا يقدر بخلاف غير الراسخ الذى يظن ان كلشئ فى متناولـه
فيتعمق فى الممكن والمحال .

(فاقصر على ذلك) الايمان بالجمله وترك التعمق (ولا تقدر عظمة
الله سبحانه على قدر عقلك) فان العقل محدود ، والله سبحانه غير محدود ، و
لا يمكن للمحدود الاحاطة بغير المحدود ، والا لزم الخلف (فتكون من
الهالكين) لأنك بذلك تدعن بخلاف الواقع ، وذلك كفر ، ثم ابتداء عليه
السلام ببيان ما تقدم بأسلوب آخر بقوله : (هو القادر الذى اذا ارتمت

الْأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطِعَ قُدْرَتِهِ ، وَحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبْرَأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ ، وَتَوَلَّهَتْ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ ، لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ ، وَغَمَضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَتَنَاوَلَ عِلْمُ ذَاتِهِ ،

الأوهام (اى ذهبت الأوهام والأفكار ، من الرى ، وجواب ((اذا)) قوله ((ردها)) (لتدرك منقطع قدرته) منقطع الشئ منتهاء ، لأنه ينقطع عند ذلك الحد ، اى ارادت الأوهام ان تعرف منتهى قدرة الله تعالى ، كما يعرف الانسان ان منتهى قدرة زيد — فى حمل الأثقال مثلا — مائة كيلو ، وفى المعارف الى كتاب المعالم وهكذا .

(و حاول الفكر المبرأ من خطرات الوسواس) بأن كان الفكر صحيحا سليما ، لا مريضا بالوسواس ، فان مثله ابعد عن الادراك ، لأنه يتشكك فى كل شئ (ان يقع عليه) اى يدركه ويفهمه ، فى حال كونه تعالى (فى عميقات غيوب ملكوته) الملكوت ، مبالغة فى الملك ، يعنى انه سبحانه الملك العظيم الغائب عن الادراك كنهه .

(وتولَّهت) التولَّه اشتداد الحب ، من ((وله)) بمعنى اشتياق (القلوب اليه) تعالى (لتجربى) القلوب — اى لتفهم — (فى كيفية صفاته) وانها كصفات المخلوقين ، ام لا (وغمضت) اى خفيت (مداخل العقول) بأن كان العقل يدخل من مداخل ضيقة جداً ، حتى ان مداخله كانت غامضة خفية — وهذا استعارة لمنتهى الدقة — (فى حيث لا تبلغه الصفات) اى بلغت تلك المداخل فى الدقة الى حيث لا يمكن ان توصف لدقتها .

(لتناول علم ذاته) بأن يتناول بالعلم ، ذاته تعالى ، وانها كيف هى و

رَدَّعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيْ سُدْفِ الْغُيُوبِ ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ -
فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ الْإِعْتِسَافِ كُنْهَ
مَعْرِفَتِهِ ، وَلَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولَى الرُّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ
عِزَّتِهِ . الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ أَمَثَلَهُ

ما هي (ردعها) اي ردع الله سبحانه تلك الأوهام والقلوب والعقول التي
أرادت كشف ذاته تعالى ، والمراد بالردع ، قصورها عن الوصول (و هي
تجوب) اي تسير في (مهاوي سدف الغيوب) مهاوي جمع مهوى ، و هو
محل التردى من فوق الى تحت ، و سدف جمع سدفة و هي القطعة من الليل
المظلم ، كان العقل والفكر والوهم ، تتردى في ظلمات الغيب بدون ان كانت
وصلت الى المطلوب (متخلصة اليه سبحانه) اي حينما ارادت التخلص والوصول
الى ذاته تعالى ، بأن تعرف كنه الذات (فرجعت) العقول والأوهام و
القلوب (اذ جبهت) يقال جبهه اذا ضرب على جبهته ليردعه ويرديه (معترفة
بأنه) سبحانه (لا ينال بجور الاعتساف) الجور الظلم ، والاعتساف سلوك
غير الجادة ، كأن الفكر وما اليه تنكبوا الطريق وساروا على غير الجادة ، اذا ارادوا
معرفة كنهه تعالى .

(كنه معرفته) نائب فاعل ((لا ينال)) (ولا تخطر ببال اولى الرويات)
الروية الفكر ، اي اصحاب الفكر والعقل (خاطرة) اي الصفة الخاطرة التي
تخطر بالبال (من تقدير جلال عزته) اي فهم مقدار عزته سبحانه .
(الذي ابتدع الخلق على غير مثال امثله) اي اوجد الخلق ، ايجاد
ابتداع ، لا ايجاد اقتداء بغيره ، فانه لم يكن مثال اقتفاء سبحانه في خلقه .

وَلَا مِقْدَارٍ اخْتَدَى عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْهُودٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتٍ قُدْرَتِهِ ، وَعَجَائِبٍ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ ، وَأَعْتَرَفَ الْحَاجَةُ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمِسَالِكِ قُوَّتِهِ ، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارٍ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَظَهَرَتْ فِي الْبِدَائِعِ الَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ ،

(ولا مقدار احتذى) اي اقتدى (عليه) اي على ذلك المقدار ، فلم يقس سبحانه مقدار خلقه بمقدار سابق فهو المبدع في اصل الخلق ، و في مقدار الخلق (من خالق) متعلق بـ ((مثال)) اي لم يكن مثال من خالق اخر (معهود كان قبله) تعالى .

(وأرانا) سبحانه (من ملكوت قدرته) اي الملك العظيم الذي هو آثار قدرته تعالى (وعجائب ما نطقت به آثار حكمته) كان آثار حكمة الله - فسي خلقه - السنة تنطق بالعجائب .

(واعتراف) عطف على قوله ((ملكوت)) اي أرانا من اعتراف (الحاجة من الخلق الى ان يقيمها بمسالك) ما يمكك الشيء (قوته) ((من الخلق)) و ((الى)) متعلقان بـ ((حاجة)) اي ان حاجة الخلق الى من يقوم بشئونه (ما دلنا) مفعول ((أرانا)) اي ان الله سبحانه ارانا بواسطة الملك الواسع ، و الآثار الكثيرة ، واحتياج الخلق ، دليلا على ذاته المقدسة (باضطرار قيام الحجة له) متعلق بـ ((دلنا)) (على معرفته) متعلق بـ ((دلنا)) اي دلنا على معرفته ، بسبب ان قيام الحجة يضطر الانسان الى العلم والعرفان .
(وظهرت في البدائع التي احدها) واوجدها من العدم (آثار صنعته)

وَأَعْلَامُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا، فَحُجَّتُهُ بِالتَّذْيِيرِ نَاطِقَةً، وَدَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ. فَاشْهَدْ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلَاحُمِ حَقَاقِ مَقَاصِلِهِمُ الْمُحْتَاجَةِ لِتَذْيِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ،

فاعل ظهرت (و اعلام حكمته) عطف على الفاعل ، فالبدائع دليل على الصنع وعلى الحكمة (فصار كل ما خلق) من صنوف المخلوقات (حجة له) تعالى يحتج بها على العباد - ان تركوا الاذعان به - (و دليلا عليه) يدلنا على وجوده سبحانه و الا فلو لم يكن موجودا فمن اين هذه الآثار البديعة والصنائع المحكمة ؟ (وان كان) ما خلق (خلقا صامتا) كالجمادات والحيوانات والنباتات (فحجته) اي حجة ذلك الخلق ، و الاضافة الى المفعول (بالتذير ناطقة) اي انها تنطق بأنها من فعل مدبر حكيم ، ومعنى نطقها دلالتها على ذلك (و دلالة) عطف على حجة (على المبدع قائمة) فان الأثر يدل على المؤثر و ان كان صامتا غير ناطق .

(فاشهد) يا الله (ان من شبهك بتباين اعضاء خلقك) اي بخلقك المتباين الأعضاء من عين و لسان و اذن وغيرها .

(و تلاحم) اي اتصال (حقائق مفاصلهم) حقائق جمع حق بضم الحاء بمعنى رأس العظم عند المفصل ، و المفصل موضع اتصال العظمين (المحتاجة) تلك الحقائق (لتذير حكمتك) فان حكمته سبحانه اقتضت احتجاب المفاصل تحت اللحم و الجلد ، لئلا تصاب باذى (لم يعقد غيب ضميره على معرفتك) خبر

وَلَمْ يَبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ
مِنَ الْمُتَبَوِّعِينَ إِذْ يَقُولُونَ : « تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . إِذْ
نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ » ! كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ ، إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ ،
وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ ، وَجَزَّأوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ
بِخَوَاطِرِهِمْ ،

((ان)) اي ان ضمير الغائب الباطن لم يصل الى معرفته سبحانه ، لانه شبهه
تعالى بما ليس شبيها به (ولم يباشر قلبه اليقين) فاعل يباشر و ((قلبه))
مفعول (بأنه لاند) ولا شريك (لك) لأن الله اذا كان شبيها بالانسان او
الحيوان كانا شريكين له ، اذ التشابهان مشتركان في الحكم والند يستعمل
بمعنى المثل ، وبمعنى الضد .

(وكأنه لم يسمع) الى القرآن العظيم حيث يبين (تبرؤ التابعين) لأهل
الضلالة (من المتبوعين) في القيامة (اذ يقولون : ((تالله ان كنا لفي ضلال
مبين اذ نسويكم برب العالمين)) ((التاء)) للقسم و ((ان)) مخففة من الثقيلة ،
و ((مبين)) بمعنى الظاهر الواضح ، و ((نسويكم)) بمعنى نقول بالتساوي بينكم و
بين الله سبحانه (كذب العادلون بك) يا رب ، ومعنى العادلون : الذين
عدلوا بك غيرك ، وقالوا بالتعادل والتساوي بين الخالق والمخلوق (اذ شبهوك
بأصنامهم فقالوا ان ((الله)) الهه . كما ان ((الاصنام)) الهة (ونحلوكم) اي اعطوك
(حلية المخلوقين) اي صفاتهم الخاصة بين الجسمية وما اشبه (باوهامهم) متعلق
بـ ((نحلوكم)) اي كانت النحلة بالوهم والخيال ، لا للحقيقة والواقع .

(وجزأوك تجزئة المجسمات بخواطرهم) فان الأجزاء خاصة بالأجسام و
القول بأن لله شريكا يوجب التجزئة ، لأن الشركاء لهم جهة جامعة وجهة فارقة

٥٠ توضيح نهج البلاغة

وَقَدَرُوكَ عَلَى الْخَلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى ، بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ . وَأَشْهَدُ
أَنْ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا
تَنْزَلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ ،
وَإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ، فَتَكُونَ فِي مَهَبٍ فِكْرَهَا مُكَيِّفًا

(و قدروك) اى قاسوك (على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم) قرائح جمع
قريحة ، وهى ما يقترحها الانسان ، اى ان عقولهم اقترحت قياسك على الخلق
الذين تختلف قواهم ، والله سبحانه ليس ذا قوى مختلفة ، وانما هو ذات واحد
لا اجزاء له ولا قوى تتحكم فيه .
(واشهد ان من ساواك بشئ من خلقك فقد عدل بك) اى سواك بغيرك
وجعلك معادلا له (والعاذل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك) فان
آيات الله المحكمة - غير المتشابهة - دلت على ان الله سبحانه لا شبه له كقوله
(ليس كمثل شئ)) وقوله ((ولم يكن له كفوا احد)) (ونطقت عنه) اى عن
قبل عدم التشبيه والمعادلة - اى ان النطق من هذه الجهة - (شواهد حجج
بيناتك) البينات جمع بينة وهى الأدلة الواضحة والمعنى ان الأدلة الواضحة
التي هى حجة تشهد - ناطقة - انك لست كغيرك حتى تكون صفاتك كصفات
سائر المخلوقين .

(وانك انت الله الذى لم تتناه فى العقول) اى لم تكن متناها محدودا فى
عقول الناس ، اى لا تدرك العقول (فتكون فى مهبط فكرها مكيفا) اى فتتكيف
وتتلون - بلون فكر العقول ، اذ العقل اذا احتوى على شئ فانما يلونه بلون
المعقولية ، وقوله ((مهبط)) من باب الاستعارة كان الفكر كالريح التى تهب و

، وَلَا فِي رَوِيَّاتٍ خَوَاطِرُهَا فَتَكُونُ مَحْدُودًا مُصَرَّفًا .
ومنها ، قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَذْيِيرَهُ .

لها مذهب خاص .

(ولا في رويات خواطرها) جمع روية وهي الفكر (فتكون محدودة) بحد الفكر (مصرفا) تصرفك العقول ، وتحوم حولك .

وحيث ان الله سبحانه منزّه عن صفات المخلوقين ، واغلب الناس يصورونه بتساويرهم ، ويظنون انه سبحانه كمثّل بعض مخلوقاته اكد الامام في هذه الخطبة وفي سائر خطبه بضروب التأكيد على تشبيهه بالخلق ، وافرغ المطلب في قوالب متعددة ، وفي سائر خطبه بضروب التأكيد على تشبيهه بالخلق ، وافرغ المطلب في قوالب متعددة ، وفي الحقيقة ان الطريقة الدينية الوحيدة التي تنزه الله سبحانه عما لا يليق به هي طريقة اهل البيت عليهم السلام الذين عرفوه سبحانه في حدود المعرفة البشرية ، اما كنه معرفة الله سبحانه ، فمن المستحيل ادراكه ، وذلك لدليل واضح هو انه سبحانه غير محدود ، والعقل محدود ، و المحدود لا يشتمل على غير المحدود ، والالزم الخلف ، ودليل المقدمتين ((الله غير محدود ، والعقل محدود)) واضح لا يحتاج الى البيان .

((ومنها)) (قدر) الله سبحانه (ما خلق) من صنوف المخلوقات ، ومعنى قدر ، انه لم يخلق اعتباطا ، وانما عن مقدار معين لحكمة خاصة (فأحكم تقديره) اذ وضع كل شئ موضعه اللائق به (ودبره) التدبير التخطيط للمستقبل حتى يأتي الشئ كما يراد (فألطف تدبيره) ولطف التدبير عبارة عن دقته بحيث لا يبقى فراغ

وَوَجْهَهُ لَوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ ، وَلَمْ يَسْتَضَعِبْ إِذْ أَمَرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ ، وَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتْ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ ؟ الْمُنْشَى أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَا رُويَةٍ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا ، وَلَا قَرِيحَةً غَرِيْزَةً أَضْمَرَ عَلَيْهَا ، وَلَا تَجْرِبَةً أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ ،

لحاجات الشئ (وجهه لوجهته) أى سيره فى المسير اللائق به فيها (فلم يتعد) ذلك الشئ الوجه (حدود منزلته) أى الحدود التى انزله الله فيها (ولم يقصر دون الانتهاء الى غايته) فان كل شئ من المخلوقات لا بد وان يصل الى الغاية التى عينها الله سبحانه ، مثلا غاية ارتفاع النخل كذا مترا ، فانه لا يقصر عن الوصول الى ذلك الارتفاع الذى عينه الله سبحانه له (ولم يستضعب) أى لم ير الأمر صعبا (اذ أمر بالمضى على إرادته) أى إرادته تعالى - وهذا كسابقه انما هو بالنسبة الى التكوينيةات .

(وكيف) يتمكن الشئ من مخالفته سبحانه (وانما صدرت الأمور) المرتبطة بهذا الشئ (عن مشيئته) تعالى ، فاذا لم يشأ شيئا لم يكن له تكون و صدور اطلاقا (المنشى اصناف الأشياء بلا روية فكر) الاضافة بيانية (آل) الله تعالى (إليها) أى الى تلك الروية ، بخلاف البشر فانه يعمل الأشياء بعد التفكير فيرجع الى ما فكر ثم يعمل (ولا قريحة) هى ما يقترحه الانسان وينشئه فى صقع ذهنه ثم يأتى به خارجا (غريزة) هى الصفة المنطبعة فى الانسان (اضر) الله تعالى (عليها) أى على تلك القريحة بأن اضر اقتراحا ثم أبداه فى حال الوجود . (ولا تجربة افادها) هو بمعنى استفادها (من حوادث الدهور كالانسان الذى يستفيد من الحوادث فيصح افكاره واعماله .

وَلَا شَرِيكَ أَعَانَهُ عَلَىٰ ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ ، وَأَذْعَنَ لِعَطَاعَتِهِ ، وَأَجَابَ إِلَىٰ دَعْوَتِهِ ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ ، وَلَا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّئِ ، فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوْدَهَا ، وَنَهَجَ حُدُودَهَا ، وَلَاَءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا ، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا ، وَفَرَقَهَا أَجْنَاسًا

(ولا شريك اعانه على ابتداء عجائب الأمور) فان الله لا شريك له ، حتى يكون له معين في الخلق بل هو وحده خلق جميع ما خلق (فتم خلقه) اي خلق المخلوق ، بالله وحده ، والفاء تفريع على ((المنشئ)) (واذعن لطاعته) فاعل اذعن ((الخلق)) المستفاد من ((خلقه)) (واجاب الى دعوته) فانه تعالى كلما اراد ، كان (ولم يعترض دونه) اي دون الخلق والانقياد (ريث المبطئ) اي مدة مهلة الذي يبطئ في الاجابة ، فانه تعالى بمجرد ان اراد شيئا كان ذلك الشئ بلا تعهل وبطوئ (ولا اناة المتلكئ) الاناة ، الصبر و التؤدة ، والتلؤؤ التباطى والتعلل في عدم الاطاعة (فاقام) الله سبحانه (من الأشياء اودها) اي اعوجاجها ، وهذا كناية عن عدم الاعوجاج في المخلوقات (ونهج) اي عين ورسم (حدودها) ومزاياها .

(ولاءم) من الملائمة ، بمعنى جعل التناسب والالتئام (بقدرته) سبحانه (بين متضادها) اي متضاد الأشياء ، فالنار المتضادة للماء جمع بينهما الله تعالى ، وهكذا .

(ووصل اسباب قرائنها) اي جعل اسباب القرائن موصولة بعضها ببعض حتى تجتمع قرينة كلشئ مع ذلك الشئ (وفرقها) اي الأشياء (اجناسا

مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ ، وَالْغَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ ، بَدَايَا خَلَائِقَ أَحْكَمَ
صُنْعَهَا ، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا !

منها : في صفة السماء

وَنَظَّمَ بِلَا تَعْلِيْقٍ رَهَوَاتٍ فُرْجَهَا ، وَلَا حَمَ صُدُوعَ أَنْفِرَاجِهَا ، وَ
وَشَجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا ،

مختلفات في الحدود) كالارتفاع والانخفاض (والأقدار) كالكبر والصغر (و
الغرائز) أي الطبائع ، كاليموسة والرطوبة ، (والهيئات) كالأحمر و
الأصفر والأشكال المختلفة ، وما ذكرناه من باب المثال ، والا فالألفاظ أعم ،
هي (بدايا خلائق) بدايا جمع بدئ بمعنى المصنوع ، من ((بدئ)) أي خلائق
مصنوعة (احكم) الله تعالى (صنعها) فليس في صنعها خلا وفسادا .
(وفطرها على ما اراد وابتدعها) بلا مشارك ، ومضاد في ارادته سبحانه
فلا يكون المصنوع وفق ارادته تعالى .

((منها)) في صفة السماء (ونظم بلا تعليق) بشئ (رهوات) جمع رهوة
وهي المحل المرتفع ، أي بلا ان يعلق السماء بواسطة الحبال بالأعلى ، كما
هي العادة في تعليق الأشياء بالمرتفعات (فرجها) جمع فرجة ، وهي
المحل الخال ، أي فرج السماوات ، وما بينها من الفضاء والسعة (ولاحم)
أي الصق (صدوع) جمع صدع وهو الشق (انفراجها) أي الصق ببعض
السماوات ببعض حتى لا انفراج هنا ، وحيث ان الشئ ملاء الفضاء متصله صح
هذا التعبير كما يصح التعبير السابق باختلاف الطبقات العليا في الغلظة و
الخفة (وشج) أي شبك (بينها) أي بين السماوات (وبين أزواجها) أي
امثالها ففي كل سماء انجم وكواكب واجرام ومعنى التشبيك جعل بعضها في

وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ ، حُزُونَةً مِعْرَاجِهَا ،
وَنَادَاَهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ ، فَالْتَحَمَتْ عَرَى أَشْرَاجِهَا ، وَفَتَقَ
بَعْدَ الْارْتِنَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا ، وَأَقَامَ رَصْدًا مِنَ الشُّهْبِ الثَّوَاقِبِ

بعضى .

(و ذلل للهابطين بأمره) وهم الملائكة (والصاعدين بأعمال خلقه) فان
اعمال الخلق تصعد بسبب الملائكة الى السماء (حزونة) اى صعوبة (معراجها)
اى العروج الى السماوات ، فان العروج والنزول مشكلان لكن الله سهل للملائكة
ذلك (ونادها) اى السماوات (بعد اذ هى دخان) فقد خلقت السماوات
من بخار الماء كما قال سبحانه (ثم استوى الى السماء وهى دخان ، فقال لها
والأرض : ائتيا طوعا او كرها ، قالتا اتينا طائعين) واما عبر عن البخار
بالدخان للمشابهة ، فان الأول ذرات الماء المختلطة بالهوا ، والثانى ذرات
الرماد - كذا قالوا - (فالتحمت عرى اشراجها) التحمت اى اتصلت ، وعرى
جمع عورة ، واشراج الوادى ما انفسح منه ، اى اتصلت القطعات من الدخان
حتى صارت سماءا ملتحة ، والاتيان بـ (عرى) لأن كل قطعة كالعروة فى انبساطها
تمسك لقصد اتصالها بالقطعة الأخرى .

(وفتق) اى فصل (بعد الارتناق) اى الاتصال (صوامت ابوابها) جمع
صامت كفى به عن الانغلاق ، والمعنى ان الله سبحانه فتح ابواب السماء بعد
انغلاقها ، والمراد بذلك جعل فيها ابوابا لنزول الملائكة وصعودهم (و أقام
رصدا) وهو ما يرصد ويرقب الحركات (من الشهب) جمع شهاب ، وهو النار
التي ترى فى الليل فى السماء (الثواقب) جمع ثاقبة سميت الشهب بذلك

عَلَىٰ نِقَابِهَا ، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِيهِ ،
وَأَمْرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً

لأنها تثقب الفضاء حين انقضاها (على نقابها) جمع نقب وهو الخرق والمراد بالخرق المحل الممكن لاستراق السمع في السماوات ، وقد قال سبحانه ((الامن خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب)) وهو كما ورد ، ان الشياطين يصعدون اعالي الجو لاستراق كلمات الملائكة ، فمن استرق منهم شيئا من الكلام رمى بالشهاب الذي يحرقه ، وقد دل العلم الحديث على ان الجو محل لسكونة الأرواح الخيرة والشريرة ، كما في كتاب ((على حافة العالم الاثري)) كما دل العلم الحديث على ان الأرض معرضة للقذائف الجوية التي لولا الطبقة ((النتروجينية)) المحطمة للقذائف لأصيب اهل الأرض بعنت كبير كما في كتاب ((بصائر جغرافيا)) .

(وامسكها) اي حفظ الله السماء (من ان تمور) اي تضرب (في خرق الهواء) اي في الفضاء ، فان الأرض كرة معلقة في الهواء ، لا تضرب ولا تمور خلاف سيرها المقدر لها ، وقوله ((خرق)) من باب التشبيه (بأيديه) اي بقوته والاصل انها جمع ((يد)) وحيث ان اليد آلة قوة الانسان ، استعملت بمعنى القوة .

(وامرها ان تقف) اي لا تفارق مدارها ، في مقابل الاضطراب (مستسلمة لأمره) فهي تطيع الله سبحانه كما قال سبحانه : ((فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها ، قالتا اتينا طائعين)) .

(وجعل) الله سبحانه (شمسها آية) اي دليلا على وجوده تعالى

مُبْصِرَةٌ لِنَهَارِهَا ، وَقَمَرَهَا آيَةٌ مَمْحُوءَةٌ مِنْ لَيْلِهَا ، فَأَجْرَاهُمَا فِي
مَنَاقِلٍ مَجْرَاهُمَا ، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجٍ دَرَجَتُهُمَا ، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ بِهِمَا ، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا ، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوْهَا
فَلَكَهَا ، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا ،

(مبصرة) اي توجب ابصار الناس للأشياء (لنهارها) اللام متعلق بجعل ، اي
جعل لأجل النهار الشمس مبصرة .

(و) جعل (قمرها آية مسحوة) قد محى فيه النور فليس له نور كالشمس ، او
المراد المحو الذي يشاهد في القمر (من ليلها) الظاهر ان الجار متعلق بـ
(مسحوة) اي المحو من الليل (فأجراهما) اي حركت الشمس والقمر (فسي
مناقل) جمع منقل ، وهو محل الانتقال ، والمراد به البروج التي يسير فيها
النيران (مجراهما) اي محل جريانهما (وقدر سيرهما) التقدير جعل الشئ
بقدر معلوم (في مدارج درجتهما) مدارج جمع مدرج ، وهو محل المدرج بمعنى
الحركة ، ودرج بمعنى الدرجة ، اي ان الله سيرهما في درجاتهما في السماء .
(ليميز بين الليل والنهار بهما) فاذا طلعت الشمس كان النهار ، و اذا
غابت ، وظهر القمر كان الليل .

(وليعلم عدد السنين و) ليعلم (الحساب بمقاديرهما) فان كل دورتهما
وكل ادوار خاصة للقمر شهر ، وهكذا ، وبهما يعرف السنة ، كما يعرف اوقات
المحاسبة ، في مواعيد الآجال (ثم علّق) الله سبحانه (في جوها) اي في
جو السماء ، اي وسطها ، والمراد بالسماء الفضاء (فلكها) اي افلاك السماء
والمراد بالأفلاك مدارات الكواكب (وناط بها) اي علّق بالسماء (زينتها)

مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيْهَا وَمَصَابِيْحِ كَوَاكِبِهَا ، وَرَمَى مُسْتَرْقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهْبِهَا ، وَأَجْرَاهَا عَلَى أَذْلَالٍ تَسْخِيْرَهَا مِنْ ثَبَاتٍ ثَابِتِهَا ، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا ، وَهَبُوطِهَا وَصُعُودِهَا ، وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا .

اي ما هوزينة السماء ، والمراد الكواكب ، كما قال سبحانه ((انا زيننا السماء الدنيا بزينه الكواكب)) (من) بيان لـ ((زينتها)) (خفيات دراريها) جمع دري ، وهو الكوكب الوضاء كالدر والظاهر ان المراد بها النجوم الصغار (و مصابيح كواكبها) اي الكواكب التي هي كالمصابيح اشراقا ، والمراد بها الكواكب الكبار التي تضيئ في الليل .

(ورمى مسترقى السمع) اي الشياطين الذين يعلنون الى قرب الملائكة فيستمعون الى كلامهم ، ولذا سمي اشراقا فان الملائكة لا تتردد ان يسمع الشياطين كلامها (بثواقب شهبها) اي الشهب الثاقبة كما تقدم (واجراها) اي سهر الكواكب (على اذلال) جمع ((ذل)) بالكسرو هو محجة الطريق (تسخيرها) اي سخرها في الطرق المقدرة لها ، بحيث لا تحيد عن تلك الطرق (من ثبات ثابتها) فان بعض الكواكب ثابتة في محلاتها كالكثير الكواكب (ومسير) اي سير ، فانه مصدر مبني (سائرها) وهي الكواكب السبع السيارة - او الاكثر من السبع - كما في العلم الحديث .

(وهبوطها وصعودها) فان الكوكب ما دام لم يصل الى خط نصف النهار فهو صاعد فاذا انحدر عنه فهو هابط (ونحوسها وسعودها) فان بعض الكواكب علامة السعد وبعضها علامة النحس ، كما ان الهواء الشرقية - في بلادنا - علامة الأمراض ، والغريبة بالعكس ، فقد جعل الله سبحانه لكل شئ

ومنها : ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ ، وَعِمَارَةِ الصُّفِيحِ الْأَعْلَى
مِنْ مَلَكُوتِهِ ، خَلَقًا بَدِيعًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، وَمَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا ،
وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَانِهَا ، وَبَيَّنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجْلُ الْمُسَبِّحِينَ
مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدُسِ ، وَسُتُرَاتِ

علامة ، لا ان الكوكب بنفسه سعد او نحس .

((ومنها)) فى صفة الملائكة عليهم السلام (ثم خلق سبحانه لاسكان
سماواته) اى الفضاء ، كما قال سبحانه ((وانزلنا من السماء ماء طهورا)) وقال
فى وصف الطير ((مسخرات فى جو السماء)) .

(وعماره الصفيح الأعلى) اى الصفحة الأعلى مقابل الصفيح الأسفل ، و هو
الأرض (من ملكوته) اى من ملكه ، فان ((ملكوت)) لتعظيم الملك (خلقا بديعا
اى قسما جديدا) فان الملائكة قسم جديد من الخلق (وملا بهم)
اى بالملائكة (فروج فجاجها) جمع فج وهو الطريق وفروج جمع فرجة ، و هى
السعة ، اى السعة ما بين طرق السماء (وحشا بهم) اى جعلهم فى وسط
السماء - من الحشو - (فتوق) جمع فتق وهو الانفصال فى الشئ (اجوائها)
اى فضائاتها ، جمع ((جو)) بمعنى الفضاء .

(وبين فجوات تلك الفروج) الكائنة فى السماء (زجل المسبحين منهم)
الزجل الصوت المرفوع ، فان الأصوات الملائكة ترتفع بالتسبيح له سبحانه ، وعدم
سماع الانسان لأصواتهم ، لعدم قابلية صماخه ، كما ان الاصم لا يسمع اصواتنا
لعدم قابلية صماخه (فى حظائر القدس) جضع حظيرة ، وهو المحل الخضمر
الذى يسور بسور ، ولذا سمي حظيرة - من حظر بمعنى منع - والقدس بمعنى
النزاهة والطهارة (وسترات) جمع سترة وهو الثوب الذى يعلق للستر

٦٠ توضيح نهج البلاغة

الْحُجُبِ، وَسَرَادِقَاتِ الْمَجْدِ ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي تَسْتَكُ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبْحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا ، فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا . وَأَنْشَأَهُمْ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ ،

(الحجب) جمع حجاب ، والاضافة للبيان ، فان هناك حجابا عما وراءه تشبيها بالحجب التي تنصبها الملوك لستر داخلته عن الأعين .

(وسَرَادِقَاتِ الْمَجْدِ) جمع سَرَادِق ، وهو ما يمد على صحن البيوت فيغطيه عن الريح والحر والبرد والأنظار (ووراء ذلك) الذي ذكر من الحجب والسَرَادِقَاتِ (الرجيج) اى الزلزلة والاضطراب من رج بمعنى تحرك (الذى تستك) اى تصم (منه الاسماع) لشدة الصوت او الكيفية ، والمراد بالرجيج ما تقدم من ((الزجل)) و ((الرجيج)) فى الاعراب عطف بيان لـ ((ذلك)) و ((ووراء)) خبر لقوله : (سُبْحَاتِ) اى ان وراء تلك الأصوات طبقات .

(نور تردع الأبصار عن بلوغها) لقوة النور وشدته (فتقف) الأبصار (خاسئة) اى مطرودة ، من خسوء بمعنى طرد (على حدودها) فان العين لا تتمكن ان ترى اكثر من قابليتها .

ولا يخفى انه ليس هناك جسم او ما يشبه بل هذا محل التشريف ، كما جعل سبحانه الكعبة محل تشريفه - فى الأرض - جعل الحجب والأنوار والعرش و ما اشبه محل تشريفه فى السماء ، والا فمن زعم انه سبحانه جسم اوله محل ، او انه اقرب الى مكان من مكان ، فقد اشرك بالله ، وتاه فى متاهات الكفر .

(وأنشأهم) اى اوجد الله تعالى الملائكة (على صور مختلفات) كما ان

وَأَقْدَارِ مُتَفَاوِتَاتٍ ، «أُولَى أَجْنِحَةٍ» تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ ، لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ
فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ ، وَلَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئًا مِمَّا أَنْفَرَدَ بِهِ ،
«بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لَا يُسَبِّقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» . جَعَلَهُمْ
فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ
أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ،

الانسان على صور مختلفة (واقدار متفاوتات) فلكل قدر ومزايا (اولى اجنحة
جمع جناح ، وجناحهم من جنسهم ، لا من جنس اجنحة الطير ، الا اذا اشار
التشكيل بالطيور (تسبح) الملائكة (جلال عزته) اى انهم ينزهون الله سبحانه
عما هو اجل واعز منها - كالجسمية والولد وما اشبه - .
(لا ينتحلون) اى لا ينسبون لانفسهم (ما ظهر فى الخلق من صنعته)
تعالى كأفراد الانسان الذين ينسبون الى انفسهم خلق الله سبحانه ، كالذين
ادعوا الربوبية ونحوهم .

(ولا يدعون انهم يخلقون شيئا مما انفرد) الله تعالى (به) اى بخلقهِ
(بل) الملائكة (عباد مكرمون) اكرمهم الله سبحانه (لايسبقونه بالقول) كناية
عن انهم مطيعون له تعالى . فلا يقولون شيئا قبل ان يريده تعالى (وهم بأمره)
سبحانه (يعملون) وهذا اقتباس للآية الكريمة فى وصف الملائكة .
(جعلهم فيما هنا لك) ((ما)) زائدة للتزيين (اهل الامانة على وحيه)
فانهم امناء الله سبحانه فى انزال الوحي على انبيائه (وحملهم الى المرسلين)
اى جعلهم يحملون من قبله تعالى الى انبيائه (ودائع امره ونهيه) الاضافة
للبيان ، اى امره ونهيه التى هى ودائعه عند الملائكة ليؤدوه الى الأنبياء .

وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَبِّ الشُّبُهَاتِ فَمَا مِنْهُمْ زَائِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ .
 وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ ،
 وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلَّلاً إِلَى تَعَاجِيدِهِ ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً
 عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ ، لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوَصِّرَاتُ الْآثَامِ ، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ
 عُقَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ،

(وعصمهم) أى حفظهم (من رب الشبهات) أى الشبهة فى الآله ، كما
 يشك فيه سبحانه بعض الناس (فما منهم) أى ليس احد من الملائكة (زائع) أى
 مائل منحرف (عن سبيل مرضاته) مصدر ميمى أى عن طريق رضا تعالى (وامدهم
 بفوائد المعونة) بأن اعلنهم على طاعته .

(واشعر قلوبهم) أى الهمها (تواضع اخبات السكينة) الاخبات بمعنى
 الخضوع ، فان النفس الساكنة المطمئنة خاضعة خاشعة ، بخلاف النفس
 الجموحة (وفتح لهم) تعالى (أبواباً ذللاً) جمع ذلول خلاف الصعب (الى
 تعاجيده) جمع تعجيده ، وهو المدح ، فانهم يسهل عليهم تعجيده وتسبيحه
 تعالى ، وليسوا كالبشر يوجب ذلك صعوبة وتعيا عليهم .

(ونصب لهم منارا) جمع منارة ، وهى المحل المرتفع الذى يوضع فيه
 المصباح لهداية السائر ليلاً (واضحة على اعلام) أى ادلة (توحيده) فكلهم
 يوحدون الله سبحانه ، وليسوا كالبشر بين شاك ومقرو منكر (لم تثقلهم
 موصرات الآثام) أى مثقلاتها ، من ((الاصر)) بمعنى الثقل ، فانهم لا
 يذنبون لأنهم معصومون (ولم ترتحلهم) يقال ارتحله اذا وضع عليه الرحل ليركبه
 (عقب الليالى والأيام) جمع عقبه وهى النوبة ، وتضاف الى الليل و
 النهار لتعاقبهما ، أى لم يتسلط عليهم تعاقب الليالى والأيام لتفتيهم وتهرمهم

وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ ، وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ ، وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِحْنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَلَا سَلَبَتْهُمْ الْحَيْرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرَعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ . مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدَّلْحِ

(ولم ترم الشكوك) من ((رمى يرمى)) (بنوازعها) جمع نازعة ، وهي القوس لأنها تنزع الوتر للرمى (عزيمة إيمانهم) أي صلابة إيمانهم ، والمعنى أنهم لا يشكون بعد الإيمان ، كما يحدث ذلك لبعض الناس .

(ولم تعترك الظنون) أي لم تعترض الظنون والأوهام (على معاقد يقينهم) كان لليقين عقداً في القلب — ولذا يقال له عقيدة — (ولا قدحت) أي ظهرت ، واصل القدح صك الحجر بعضه ببعض لإخراج النار (قاذحة الإحن) جمع احنة وهي الحقد والضغينة (فيما بينهم) فليس بينهم عداوة وبغضاء (ولا سلبتهم الحيرة) في الله (ما لاق) أي الشيء الذي لصق (من معرفته) سبحانه — (بضمايرهم) أي أن الحيرة لا تسلب عقيدتهم بالله ، كما قد يكون في البشر ، حيث يتحيرون في الله بعد المعرفة (و) لا سلبتهم الحيرة (ما سكن — من عظمته وهيبته جلالاته — في أثناء صدورهم) فإنهم يعظمونه سبحانه ويهابون منه ولا يزول ذلك من صدورهم (ولم تطمع فيهم الوسوسة التردد في الأمر والشك فيه) فتقترع من الاقتراع بمعنى ضرب القرعة .

(برينها) الرين الدنس (على فكرهم) كان الوسوسة تقترع لتري المحل المناسب لدنسها ، والأتیان بالاقتراح ، من جهة شياهة الوسوسة بترديد الاقتراع ، وحاصل المعنى أن الوسوسة لا تدنس أفكارهم (منهم) أي بعض الملائكة ، في الخلقة (من هو في خلق الغمام الدلح) جمع دالح وهو الغمام

وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَخِ ، وَفِي قَتَرَةِ الظَّلَامِ الْآيَهُمِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ
خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ نُحُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى ، فَهِيَ كَرَائِبَاتٍ بَيْضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي
مَخَارِقِ الْهَوَاءِ ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ أَنْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ
الْمُتَنَاهِيَةِ ،

الثقيل بالماء ، اى ان شكله كشكل الغمام ذى المطر (وفى عظم الجبال الشمخ)
جمع شامخ وهو المرتفع (وفى قتره) اى خفاء (الظلام الابهيم) اى الشديد
الظلمة ، يعنى انهم بتلك العظمة سود شديد السواد ، وذلك للارهاب و
التخويف ، ولا يخفى ان الأرواح - التى من جنسها الملائكة - ليست من
المادية بحيث تحس بالحواس ، او تصادم مع قوائر العاديات المحسوسة ، فلا
يقال اذا كانت الملائكة هكذا فلماذا لا تحس بها .

(ومنهم من خرقت اقدامهم نخوم الأرض السفلى) نخوم جمع تخم بفتح
التاء وهى باطن الأرض ، اى اعماقها ، اى ان اقدامهم فى اعماق الأرض (فهى
كرايات) اى اعلام (بيض) جمع بيضاء فى مقابل اولئك الملائكة السود
(قد نفذت فى مخارق الهواء) مخارق جمع مخرق ، وهو محل
المخرق اى انها تخرق الهواء ، حيث تخرج من الأرض الى ناحية الفضاء (و
تحتها) اى تحت اولئك الملائكة (ربح هفافة) اى الساكنة الطيبة (تحبسها)
اى تحبس تلك الريح اولئك الملائكة (على حيث انتهت) تلك الملائكة ، اى
تحبسها على منتهاها ، فلا تمتد اولئك الملائكة (من الحدود المتناهية)
المعينة لها ، فلا تتحرك عن اماكنها ، كما ان الريح تحبس الراية عن التعدى
عن حدودها ، بالالتواء وما اشبه .

قَدْ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، وَقَطَعَهُمُ الْإِيقَانُ بِهِ إِلَى أَوَّلِهِ " إِلَيْهِ ، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ . قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ ، وَشَرَبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ، وَتَعَكَّنَتْ مِنْ سُودَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشَيْجَةِ خَيْفَتِهِ ، فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ ، وَلَمْ يُنْفِذْ

(قد استفرغتهم اشغال عبادته) اى ان اشتغالهم بعبادة الله سبحانه افرغهم عن الاشتغال بغير العباداة فلا يشتغلون بشئ آخر (ووصلت حقائق الايمان) اى الايمان الحقيقى (بينهم) اى بين اولئك الملائكة (وبين معرفته) تعالى ، كان الايمان خيط متصل بين الله سبحانه وبينهم (وقطعهم الايقان به) اى اليقين بالله سبحانه (الى الوله) هو شدة الاشتياق (اليه) تعالى ، و معنى ((قطعهم)) ان اليقين سبب قطعهم عن كل شئ الى الاشتياق فهم مشتاقون الى الاستزادة من معرفته (ولم تجاوز رغباتهم ما عنده) اى ان رغبتهم الى ما عنده تعالى لم تجاوز (الى) رغبتهم فى (ما عنده غيره) فهم راغبون اليه فقط (قد ذاقوا حلاوة معرفته) وحلاوة المعرفة ابتهاج يحصل للنفس حتى يرى الانسان ان كل حلاوة ما دونها .

(وشربوا بالكأس الروية) التى تروى وتطفئ العطش (من محبته) تعالى (وتعكنت) العكنة الطى الذى فى البطن من السمن (من سوداء قلوبهم) هى مجمع الروح فى القلب ، وتعتبر كمركز للقلب (وشيجة خيفته) الوشيجة عرق الشجرة وارىد بها هنا بواعث الخوف من الله سبحانه ، اى ان بواعث الخوف الفاعلة من سوداء قلوبهم تجمعت كالعكن (فحنوا) اى ثنوا (بطول الطاعة) الباء سببية (اعتدال ظهورهم) فهم فى حالة ركوع (ولم ينفذ) من النفاد

طُولُ الرُّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةٌ تَضَرُّعِهِمْ ، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رَبِّقَ خُشُوعِهِمْ ، وَلَمْ يَتَوَلَّهِمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ ، وَلَا تَرَكْتُ لَهُمْ أَسْتِكَانَةَ الْإِجْلَالِ نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ ، وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ ، وَلَمْ تَغْضُ رَغَبَاتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ ، وَلَمْ تَجِفْ

بمعنى الخلاص والتمام (طول الرغبة اليه) تعالى (مادة تضرعهم) فان رجائهم لم يعدم خوفهم منه سبحانه .

(ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة) اي قريبهم منه تعالى — قربا معنويا — (ربق خشوعهم) جمع ربة وهي حبل فيه عدة حرى تربط فيها الحيوانات المتعددة ، فانهم مع قريبهم خاشعون له سبحانه اعناقهم في ذل العبودية (ولم يتولهم الاعجاب) من اعمالهم (فيستكثروا ما سلف منهم) كما هو الغالب في افراد الناس حيث يحسنون اعمالهم السابقة فيظنون كثرتها وكفايتها (ولا تركت لهم استكانة الاجلال) اي خضوعهم لجلال الله وعظمته (نصيبا في تعظيم حسناتهم) فانهم لا يعظمون حسناتهم لما يعلمون من عظمة الله وجلاله فان الشخص اذا نظر الى عظم الطرف يستقل عمله تجاهه (ولم تجر الفترات فيهم) الفترة من الفتور عن العمل كسلا ومللا (على طول دؤوبهم) من دائب في العمل بمعنى بالغ فيه واجتهد حتى جهد نفسه .

(ولم تغض رغباتهم) من غاض الماء اذا نزل في الأرض حتى لم يبق منه شيء اي ان رغبتهم في الطاعة لا تغنى (فيخالفوا عن رجاء ربهم) فان الرغبة اذا غاضت لم يرج الانسان المرغوب فيه ، فلا يعمل لأجله (ولم تجف) من الجفاف بمعنى

لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسَلَاتُ السِّنْتِهِمْ ، وَلَا مَلَكَتُهُمُ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهِمْ
الْجُؤَارُ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاقِبُهُمْ ،
وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ ، وَلَا تَعْدُو عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ
بِلَادَةُ الْغَفَلَاتِ ، وَلَا تَنْتَضِلُ فِي

البس (لطول المناجاة) والتكلم مع الله سرا (اسلات السنتهم) جمع اسلة و
هى طرف اللسان ، حتى تقف عن ذكره تعالى .

(ولا ملكتهم الاشغال) بمعنى منعتهن اشغالهم (فتقطع بهمس الجوار)
الهس الصوت الخفى ، والجوار الصوت ، الصوت الرفيع تضرعا ، (اليه)
سبحانه (اصواتهم) اى ان الاشتغال يوجب تبدل ضراعتهم الجهرية الى الهس
فان الانسان المشغول بأمر ما بهمس صوته عادة ، لانصراف القوة الى ناحية
اخرى .

(ولم تختلف - فى مقاوم الطاعة -) جمع مقام اى مقامات الطاعة (مناكبهم)
جمع منكب ، فانهم فى صفوف معتدلة ، حتى ان مناكبهم مصطفة لا تقـدم
لبعضها على بعضى ، وهذا يدل على التأديب .

(ولم يثنوا الى راحة التقصير فى أمره رقابهم) فان الشخص اذا اراد الاستراحة
ثنى رقبته لتمديد ها و دفع الكسل والنصب عنها ، وهذا تقصير بالنسبة اليه
سبحانه فالملائكة لم يفعلوا ذلك وانما رقابهم ممتدة دائما فى الضراعة والاستكانة .
(ولا تعدو) اى لا تسطو (على عزيمة جدهم) اى جهدهم فى الطاعة
(بلادة الغفلات) اى الغفلة البليدة ، فانهم دائمو الجد بغير غفلة وفتور .
(ولا تنتضل) يقال انتضلت الابل اذا رمت بايديها فى السير سرعة (فى

هَمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ . قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ ، وَيَمَمُّوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ ، لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ ، وَلَا يَرْجِعُ بِهِمْ الْأَسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ ، إِلَّا إِلَى مَوَادٍّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ ،

همهم) فى العباداة والطاعة (خدائع الشهوات) اى الشهوات الخادعة للانسان ، والمعنى ان الشهوات لا تسير سيرا سريعا فى اهتمامهم بالعبادة ، حتى تنقص من طاعتهم .

(قد اتخذوا ذا العرش) اى الله سبحانه (ذخيرة ليوم فاقتهم) اى حاجتهم ولعل المراد بذلك يوم العرض الأكبر ، اذ كل نفس تحضر هناك للمحاسبة ، وهو أشد أيام الأنفس حاجة وفقر (ويممونه) اى قصدوه (عند انقطاع الخلق الى المخلوقين برغبتهم) فهم يرغبون اليه تعالى بينما سائر الخلق يرغبون الى مخلوق مثلهم لقضاء حوائجهم ، فقلوه ((برغبتهم)) متعلق بـ ((انقطاع)) .

(لا يقطعون امد) اى طول (غاية عبادته) اى ان عبادتهم لا تنتهى الى الغاية حتى يستريحوا بأنهم عملوا الى الغاية المطلوبة منهم (ولا يرجع بهم) رجوعا من الطاعة الى الكسل (الاستهتار بلزوم طاعته) الاستهتار التولع الزائد، اى ان ولعهم بلزوم الطاعة لا يسبب لهم رجوعا ، كما هى العادة فى الناس، فان الولع الزائد بالشئ يولد فى أنفسهم غفوة واشمئزازا .

(الا الى مواد) من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته (مواد جمع مادة) وهى التى تعد الشئ ، والاستثناء منقطع ، اى انهم كلما اطاعوا اذ دارت فهمم بواعث الاطاعة من الرغبة والرغبة الموجودتين فى قلوبهم ، والحاصل انه لا

لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّقَقَةِ مِنْهُمْ ، فَيَنْتُوا فِي جِدِّهِمْ ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمْ الْأَطْمَاعُ
فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ . وَلَمْ يَسْتَغْظَمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ
، وَلَوْ اسْتَغْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتٍ وَجَلِيلِهِمْ ، وَلَمْ
يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ . وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ ،

يرجع ولع الملائكة بالطاعة ، الا الى الزيادة ، وذلك للمواد الموجودة فى
قلوبهم الموجبة للزيادة (لم تنقطع اسباب الشفقة منهم) الشفقة الخوف (فينوا)
من (ونى) بمعنى كسل وضعف (فى جد هم) واجتهادهم فى الطاعة .
(ولم تأسرهم الأطماع) أى اطماع خارجية (فيؤثروا) ويقدموا (و شيك
السعى) أى السعى الوشيك وهو السعى الضعيف ، مقابل السعى الحثيث ،
فان الوشيك بمعنى القريب (على اجتهد هم) وسعيهم الحثيث فى الطاعة
فان الانسان اذا طمع فى شئ قل سعيه فى غيره ، والملائكة لا طمع لهم فى
غير الله سبحانه كى يخف سعيهم فى طاعة الله تعالى .

(ولم يستغظموا ما مضى من أعمالهم) أى لا يعدونه عظيما (ولو استغظموا
ذلك) العمل الماضى منهم (لنسخ الرجاء منهم) أى ابطل الرجاء - السدى
يحدث من استعظام العمل ، فان الشخص اذا رأى عمله عظيما صار رجائه كبيرا -
(شفقات وجليلهم) أى تارات خوفهم ، جمع شفقه ، وهى التارة من الخوف ،
فان الرجاء اذا عظم ، قل الخوف .

(ولم يختلفوا فى) محبة (ربهم) وطاعته (ب) سبب (استحوذوا
الشيطان) واستمالته (عليهم) فان الشيطان لا يجد اليهم سبيلا (ولم يفرقهم
سوء التقاطع) أى التحاسد والتشتت فيما بينهم .

وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ وَلَا شَعْبَتُهُمْ مَصَارِفُ الرُّيْبِ ، وَلَا اقْتَسَمَتُهُمْ
اخْيَافُ الْهِمَمِ ، فَهُمْ أُسْرَاءُ إِيْمَانٍ لَمْ يَفْكُكْهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلَا عُدُولٌ
وَلَا وَنَى وَلَا فُتُورٌ ، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعٌ إِهَابٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ
مَلَكٌ سَاجِدٌ ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ ، يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا ،

(ولا تولاهم) اى اخذهم (غلّ التحاسد) اى الحسد الكائن فى النفس
فان الغل هو الحسد الكامن فى النفس .

(ولا شعبتهم) اى فرقتهم (مصارف الريب) جمع ريبه ، اى صسوف
الريبة الذى يصرف بالانسان ، فان الشك يوجب صرف الانسان عن اتجاهه ، و
ذلك يوجب التفريق .

(ولا اقتسمتهم اخياف) جمع خيف بمعنى الناحية (الهمم) جمع هممة
اى ان النواحي المنشئة من الأفكار والاهتمامات لا توجب تفرقهم - كما فى البشر
- اذ لا همم مختلفة لهم ، وانما هم جميعهم شئ واحد (فهم اسراء ايمان) قد
جمع الايمان بالله كلهم تحت لواء واحد ، كالأسير الذى لا يتمكن من الانفكاك و
الانطلاق (لم يفكهم من ريقته) اى ريقه الايمان وهى الحبل فيه عرى لاعناق اليهم
تربط بها لتتخرط فى حبل واحد ويسهل سوقها (زيغ) اى انحراف (و لا
عدول) عن الحق (ولا ونى) اى وهن وضعف (ولا فتور) اى فاصلة وكسالة
بين العمل .

(وليس فى طباق السماء) اى طبقاتها المختلفة ، والمراد اجزائها
(موضع اهاب) هو جلد الحيوان ، اى قدر جلد (الا وعليه ملك ساجد)
لله (اوساع حافد) خفيف سريع السير فيما امره الله فالسما متلثة بالملائكة
(يزدادون على طول الطاعة) اى على انهم فى الطاعة طول اوقاتهم (برربهم علما)

وَتَزْدَادُ عِزَّةً رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظْمًا .

ومنها في صفة الأرض ودحوها على الماء

كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْجِلَةٍ ، وَلَجَجَ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ ،
تَلْتَطِمُ أَوَاذِي أَمْوَاجِهَا ، وَتَضْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ اثْبَاجِهَا ، وَتَرْغُو زَبْدًا
كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا ، فَخَضَعَ جِمَاحُ

وهذا خلاف الانسان فان طول طاعته لاحد ، يزداده تنفرا واشمئزازا ، لما
يبدوله من نقائصه (و تزداد عزة ربهم في قلوبهم عظما) فعظمته سبحانه لا تزال
تنمو في انفسهم .

(ومنها في صفة الأرض ودحوها على الماء) اي بسطها عليه (كبس) الله
(الأرض) اي ضغط بالأرض وجعلها (على مور) المور التحرك الشديد للموج
مستفحلة) اي هائجة صعبة ، فان الله سبحانه خلق الماء أولا ثم جعل فوقه
الأرض ضاغطة للأرض على الماء ، حيث كانت الأمواج الهائجة تعلو الماء (و) على
(لجج) جمع لجة ، وهي معظم الماء ووسطه (بحار) من الماء ، والاتيان
بالجمع باعتبار قطعها المختلفة والا كانت بحرا واحدا (زاخرة) من زخر اذا
امتلا (تلتطم اواذي) جمع اذى وهو اقل الموج (امواجها) جمع موج وهو ما
يعلو البحر من المياه المختلطة بالهواء ، ومعنى النظامها ضرب بعضها بعضا
بشدة (وتضطفق) اي تضطرب وتهتز (متقاذفات اثباجها) جمع ثبج -
كفرس - ما بين الكاهل والظهر ، واستعير لاعالي الموج ، ومعنى اصطفاها
اضطرابها الموجب لقذف بعضها على بعض .

(وترغو) تلك البحار ، اي تعطى الرغوة (زبدا) بيان لترغو ، اي تخرج
الزبد (كالفحول) من الابل (عند هياجها) فان الابل اذا احتاج اخرج من فمها
الزبد لما يخلط من الهواء باللعابات اللزجة الكائنة في فمها (فخضع جراح) اي

الْمَاءِ الْمُتَلَاظِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا ، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ
بِكُلِّكَلِّهَا ، وَذَلْ مُسْتَخْذِيَا ، إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا ، فَأَصْبَحَ بَعْدَ
أَصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ ، سَاجِيَا مَقْهُورَا ، وَفِي حَكْمَةِ الذَّلِّ مُنْقَادَا
أَسِيرَا ، وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَذْحُوءَةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ
وَأَعْتَلَّانِهِ ، وَشُمُوحِ أَنْفِهِ وَسُمُوحُلَوَائِهِ

استعلاء (الماء المتلاطم) الذي يلطم بعضه بعضا (لثقل حملها) أى حمل
الأرض (وسكن هيج) أى هيجان (ارتمائته) من ((رمى)) أى اضطرابه و قذفه
للامواج (اذ وطئته) أى وطئت الأرض الماء (بكلكلها) بمعنى الصدر (وذل) الماء
(مستخديا) أى منكسرا مسترخيا (اذ تمعكت) التمعك تمرغ الدابة فى
التراب (عليه) أى على الماء (بكواهلها) أى كواهل الأرض ، والكاهل بين
العقد والعنق ، والمراد هنا الثقل ، يعنى ان الأرض لما القت بثقلها على
الماء ، ذل الماء فلم يضطرب ولم يهتز - كما كان -

(فأصبح) الماء (بعد اصطخاب) افتعال من الصخب بمعنى رفع
الصوت (امواجه) فان للأمواج صوتا وصياحا (ساجيا) من سجد بمعنى سكن
(مقهورا) ذليلا قد قهرته الأرض (وفى حكمة الذل) الحكمة ما احاط بحنكى
الفرس من لجأه (منقادا اسيرا) لا يقدر على التحرك والاضطراب .
(وسكنت الأرض مدحوة) من الدحو بمعنى البسط (فى لجة تياره) أى معظم
تيار الماء ، والتيار هو الماء الجارى بشدة (وردت) الأرض (من نخوة بأوه)
أى زهوه (واعتلائه) أى تعاليه ، فان الماء كان كالزاهى المتعال ، فلما القيت
الأرض عليه رجع عن ذلك ، بل سكن وهدأ .

(وشموخ انفه) يقال شمع بأنفه اذا تكبر (وسمو) أى ارتفاع (غلوائه) أى

كَعَمَتُهُ عَلَى كِظَّةٍ جَرِيَّتِهِ ، فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ ، وَلَبَدَ بَعْدَ زَيْفَانٍ
وَوَثْبَاتِهِ . فَلَمَّا سَكَنَ هَيَاجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْتَانِهَا ، وَحَمَلِ شَوَاهِقِ
الْجِبَالِ الشُّمُخِ الْبُذْخِ عَلَى أَكْتَانِهَا ، فَجَرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ
أَنْوَفِهَا ، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبٍ بِيْدِهَا

نشاطه وتكبره ، فان الغلوا بمعنى تجاوز الحد .

(وكعته) اى كعمت الأرض الماء ، يقال كعم البعير اذا شد فاه لئلا
يعض او يأكل (على كظة جريته) الكظة ما يعرض من امتلاء البطن بالطعام ، فالما
الذى كان يجرى فى تياره ، كان كثيرا متراكما كالشخص الممتلئ طعاما (فهمد)
اى سكن الماء (بعد نزقاته) النزقة الطيش (ولبد) اى قام وسكن (بعد
زيفان وثباته) الزيفان التبختر فى المشى ، والوثبة الطفرة ، كأن الماء كسان
يطفر من هنا الى هنا متبخترا .

(فلما سكن هياج الماء) اى اضطرابه (من تحت اكتانها) اى اطراف الأرض ،
فان الاكتاف جمع كف بمعنى الطرف والناحية (و) من (حمل) الماء لـ
(شواهق الجبال) جمع شاهقة وهى المرتفعة (الشمخ) جمع شامخ وهو
المرتفع (البذخ) جمع باذخ وهو المرتفع الضخم (على اكتانها) اى اكتاف
الأرض ، الموجب لثقل الأرض على الماء .

(فجر) اى اظهر الله سبحانه (ينابيع العيون) جمع ينبوع وهو محل
الماء العذب المجتمع تحت الأرض (من عرانيين انوفها) عرانيين جمع عرنين -
بالكسر - وهو ما صلب من عظم الانف ، والمراد اعالي الجبال (وفرقها) اى
الأنهار النابعة (فى سهوب) جمع سهب بمعنى الفلات (بيدها) جمع بيدها

وَأَخَادِيدُهَا ، وَعَدَلَّ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَّاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا ، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيْبِ
الشَّمُّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا ، فَسَكَنْتُ مِنَ الْمَيْدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطْعِ
أَدِيمِهَا وَتَغْلُغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جُوبَاتِ خِيَاشِيمِهَا ، وَرُكُوبِ الْجِبَالِ أَعْنَاقَ
سُهُولِ الْأَرْضَيْنِ وَجَرَائِيمِهَا

وهي الصحراء ، وكأنَّ المعنى الصحارى الواسعة (واخاديدها) جمع اخدود
وهي الحفر المستطيلة في الأرض ، كمجاري الأنهار .
(وعدل حركاتها) أي حركات الأرض ، فان الأرض لوجود ثقل عليها
تتحرك وتضطرب ، اضطراب السفينة في الماء (بالراسيات) جمع راسية و
هي الجبل (من جلاميدها) جمع جلمود وهو الحجر الصلب .
(وذوات الشناخيب) جمع شنخوب وهو رأس الجبل (الشم) جمع اشم
وهو الرفيع (من صياخيدها) جمع صيخود وهو الصخرة الشديدة (فسكنت)
الأرض (من الميدان) أي التحرك والاضطراب (لرسوب الجبال) أي نفوذ
الجبال في اعمال الأرض (في قطع) جمع قطعة (اديمها) أي سطحها ،
تشبيهها بالجلد (وتغلغلها) التغلغل المبالغ في الدخول ، والضمير
للجبال (متسربة) التسرب الدخول في الشيء (في جوبات خياشيمها) جوبات
جمع جوبة وهي الحفرة ، وخياشيم جمع خيشوم وهو منفذ الانف الى الرأس .
(وركوب الجبال اعناق سهول الأرضين) السهل ضد الجبل ، و ركوب
الأعناق كناية عن التسلط ، فان الراكب على عنق البعير اكثر تسلطا عليها (و
جرائيمها) هي ما سفل عن السطح فان الجبال داخلة في اجواف الأرض ، و
الأرضين - جمعا - باعتبار قطعها المختلفة .

وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنَهَا ، وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسِّمًا لِسَاكِنِهَا ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا
أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا . ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرْزَ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ
عَنْ رَوَابِيهَا ، وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلَ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا ، حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا
نَاشِئَةً سَحَابٍ تُخَيِّي مَوَاتِهَا ، وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا .

(وفسح) الله سبحانه ، اى اوسع (بين الجو) اى الفضاء (وبينها)
اى بين الأرض (واعد الهواء متنسما) آلة للتنفس ، والنسيم ما يشرح النفس
ويبرد حرارة البدن والقلب (لساكنها) اى ساكن الأرض ولولا الهواء لسم
يتمكن الانسان من العيش على وجه الأرض .
(واخرج اليها) اى الى الأرض (اهلها) من الانسان والحيوان و
النبات (على تمام مرافقها) اى بعد ان اكمل جميع وسائل الحيات والعيش
اخرج واظهر سكان الأرض ، ومرافق جمع مرفق ، بمعنى اسباب الرفق ، و
المراد اسباب العيش ووسائل الحياة المريحة .
(ثم لم يدع) سبحانه (جرز الأرض) وهى الأراضى التى لا تمر عليها
مياه العيون فتنبت النبات (التى تقصر مياه العيون عن روابيها) جمع رابية و
هى الأرض المرتفعة التى لا يصل اليها مياه الأنهار والعيون .
(ولا تجد جداول الأنهار) جمع جدول وهو النهر (ذريعة) اى وسيلة
(الى بلوغها) لارتفاع الأرض وانخفاض النهر (حتى انشأ لها) واوجد من
اجل تلك الأراضى المرتفعة (ناشئة سحب تحيى مواتها) الموات ما لا يزرع من
الأرض ، وناشئة بمعنى المنشأة ، وانما جئ بهذه اللفظة ، لأن السحاب
ينشأ رويدا رويدا حتى يكون ركاما كثيفا (وتستخرج) تلك الناشئة (نباتها)

أَلْفَ غَمَامَهَا بَعْدَ أَفْتِرَاقٍ لُمَعِهِ ، وَتَبَايُنِ قَزَعِهِ ، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ
الْمُزْنِ فِيهِ ، وَالتَّمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفْفِهِ ، وَلَمْ يَنْمِ وَمِيضُهُ فِي كَنْهَوْرِ رَبَابِهِ
وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ ، أَرْسَلَهُ سَحًّا مُتَدَارِكًا ،

بالهطول عليها (الف) الله سبحانه (غمامها) هو السحاب (بعد افتراق
لمعه) جمع لمعة وهي القطعة البيضاء من السحاب ، سميت بها لأنها تلمع
لبياضها (وتباين قزعه) جمع قزعة وهي القطعة من الغيم ، فان قطع السحاب
تتجمع من هنا وهناك ويتصل بعضها ببعض حتى تكون سحابة كثيفا .
(حتى اذا تمخضت) اي تحركت تحركا شديدا كما يتحرك اللبن في السقاء
(لجة العزن) اللجة معظم الماء ، والعزن السحاب ، وضمير (فيه) راجع
الى العزن ، فان الماء يتمخض في السحاب ، حتى يهطل ، وحيث ان
السحاب ماء مخلوط بالهواء صح جعل السحاب ظرفا ، والماء مطروفا (والتمع
برقه في كفه) جمع كفه وهي الحاشية والطرف ، فان البرق يظهر من اطراف
السحاب غالبا .

(ولم ينم وميضه) اي لمعانه (في كنهور) كسفرجل القطعة العظيمة من
السحاب (ربابه) هي السحاب الأبيض ، اي لم يسكن البرق في هذا السحاب
المحتمل بالماء ، بأن تتابعت البروق - وذلك قرب نزول المطر - .
(ومتراكم سحابه) السحاب المتراكم هو الكثير الذي اجتمع من تجمع القطع
الكثيرة (ارسله) اي ارسل الله تعالى المطر (سحّا) اي صبا متلاحقا (متداركا)
يدرك بعضه بعضا .

قَدْ أَسَفَ هَيْدَبُهُ، تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيْبِهِ وَدَفَعَ شَآبِيْبِهِ .
فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرَكَ بَوَانِيْهَا ، وَبَعَاغَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعَبْءِ
الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ ، وَمِنْ زُغْرِ
الْجِبَالِ

(قد أسف) اسف : دنا من الأرض لثقله (هيدبه) ما تهدب منه الى
الأرض أى ما تدلّ (تمرية الجنوب) أى تستخرج رياح الجنوب ما فى السحاب
من الماء ، من مرى الناقة اذا مسح على ضرعها ليحلب لبنها (درر) جمع
(درّة)) بالكسر ، وهى اللبن (اهاضيبه) جمع اهضاب ، وهو جمع
هضبة ، وهى المطرة فالسحاب كالبقرة ، وما تدل منه كالضرع ، والجنوب
كالحالب ، والأمطار التى تنزل متداركة ، كالحليب .
(ودفع شآبيب) جمع شثبوب ، وهى الدفعة القوية ، من المطر (فلما
القت السحاب) وحيث ان السحاب للجنس . جئ بالفعل مؤنثا (بـرك
بوانيه) البرك الصدر والبوانى ما يلى الصدر من الأعضاء ، فالسحاب كالحيوان
الذى يلقى على الأرض بصدرة واضلاعه — والمراد بذلك انه انزل ما فيه من
الأمطار — .

(و) القت (بعاع) الثقل الكائن فيه من الأمطار (ما استقلت) السحاب
(به) أى بذلك البعاع ، أى حملته (من العبء) أى الحمل (المحمول
عليها) فقد حملها الله سبحانه المطر .

(اخرج) الله سبحانه (به) أى بذلك المطر النازل (من هوامد الأرض)
جمع هامة وهى الميتة التى لا نبات فيها (النبات) وهو كل ما ينبت مأكولا
كان او غير مأكول (ومن زعر الجبال) جمع ازعرو هو الموضع القليل نباته

الْأَغْشَابَ ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا ، وَتَزْدَهِي بِمَا أَلْبَسَتْهُ مِنْ رِبْطِ
أَزَاهِيرِهَا ، وَحَلِيَةِ مَا سُمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا ، وَجَعَلَ ذَلِكَ
بَلَاغًا لِلْأَنَامِ ، وَرِزْقًا لِلْأَنْعَامِ ، وَخَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا ، وَأَقَامَ
الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا .

(الاعشاب) جمع عشب وهو النبات الذي لا ساق له (فهي) اي الأرض
(تبهج) من البهجة وهي الفرح والسرور (بزينه رياضها) فكأنه فرحة مسرورة
بالبساتين والاعشاب المزينة لها .

(وتزدهي) اي تعجب وتتبحر (بما البسته) الفعل مبنى للمجهول ، و
الملبس هو الله سبحانه ، او السحاب (من ربط) جمع ربطة بالفتح وهي كل
ثوب رقيق لين (ازاهيرها) جمع ازهار وهو جمع زهرة بمعنى النبات ، او بمعنى
الوردة (وحلية ما سمطت) الأرض (به) الضمير عائد الى ((ما)) وسمط
بمعنى علق عليه (من ناضر انوارها) جمع نور بالفتح بمعنى الزهر ، والناضر ذو
النضرة ، اي البهجة والجمال (وجعل ذلك) الذي يخرج من الأرض (بلاغا
للأنام) البلاغ ما يتبلغ به الانسان من القوت ، والانام بمعنى الناس (و رزقا
للأنعام) جمع نعم من غنم وابل وبقرو ما اشبه (وخرق الفجاج) الطرق (في
آفاقها) اي آفاق الأرض ، او آفاق الفضاء ، جمع افق ، ومعنى خرق ، اوجد
الطرق التي تخرق الهواء او الارض .

(واقام المنار) اي محل الانارة (للسالكين) الذين يريدون الذهاب من
محل الى محل (على جواد طرقها) جواد جمع جادة ، وهي الطريق الواضح ،
والضمير للأرض ، والمراد بالمنار العلامات الدالة على الطريق ، من الكواكب ، و

فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ ، وَأَنْفَسَدَ أَمْرَهُ ، اخْتَارَ آدَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، خَيْرَهُ
مِنْ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أَكْلَهُ
، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْأَقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ
لِلْمَعْصِيَةِ ، وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ ، فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ - مُوَافَاةً لِسَابِقِ
عِلْمِهِ - فَأَهْبَطَهُ

الجبال ، والرياح ، وما اشبه مما تدل على اتجاه الطرق والبلاد .
(فلما مهّد أرضه) جعلها قابلة للسكنى (وانفذ أمره) بمعنى خلق مسا
اراد (اختار آدم عليه السلام خيرة من خلقه) ((خيره)) مصدر تأكيدى (وجعله
اول جبلته) اى اول خليقته ، فانه اول جنس البشر (واسكنه) اى آدم عليه
السلام (جنّته) وهل هى جنّة الدنيا او جنّة الآخرة فيه خلاف (وارغد) اى
اوسع فى هنا (فيها) اى فى الجنة (اكله) اى ما يأكله (وأوعز اليه) اى
اخبّره وانبأه (فيما نهاه عنه) من اكل الشجرة . فقال ((لا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين)) .

(واعلمه ان فى الأقدام عليه) اى على ما نهاه (التعرض لمعصيته) والمراد
عصيان الأمر الارشادى لا المولوى الذى هو معصية حقيقية (والمخاطرة بمنزلته) اى
جعل منزلته فى خطر الزوال ، لأنه اذا اكل من الشجرة خرج من الجنة .
(فأقدم) آدم عليه السلام (على ما نهاه) الله (عنه) من اكل الشجرة ، و
ذلك بتغريز الشيطان وحلفه له بأنه له عليه السلام لمن الناصحين (موافاة لسابق
علمه) تعالى ، اى كان الاقدام موافقا لما علمه سبحانه من السابق ، فانه تعالى
يعلم كل شئ يقع فى المستقبل (فأهبطه) اى انزل آدم عليه السلام من درجته

بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ ، وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ
بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رَبُّوبِيَّتِهِ ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
مَعْرِفَتِهِ ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسِنِ الْخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ، وَمُتَحَمِّلِي
وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ ، قَرْنَا فَقَرْنَا ؛ حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَأَلِهِ - حُجَّتُهُ ، وَبَلَغَ الْمَقْطَعُ عُذْرَهُ

(بعد التوبة) اي تاب آدم عن زلته (ليعمر ارضه بنسله) وذريته ، والا كانت
الأرض خالية عن البشر .

(وليقيم الحجة به) اي بواسطة آدم عليه السلام (على عباده) فان الأنبياء
حجة على الخلق اذا عصوا (ولم يخلهم) اي العباد (بعد ان قبضه) اي امات
آدم عليه السلام (مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته) فان العقل دل على الربوبية ، و
الأنبياء يؤكدون ذلك (ويصل بينهم) اي بين العباد (وبين معرفته) بسبب
الأنبياء .

(بل تعاهدهم) الله سبحانه (بالحجج على السن الخيرة من انبيائه) اي
ارسل على العباد الحجة بعد الحجة على لسان المختارين من الأنبياء (ومتحملي
ودائع رسالاته) فان الرسالة وديعة من الله سبحانه عند انبيائه ليؤدوها الى
عباده (قرنا قرنا) والمراد به مدة عمر جيل من الناس ، وسمى قرنا لاقتصران
اعمار بعضهم ببعض ، وفي مدته خلاف من ثلاثين ، الى المائة ، وذلك
بمختلف الاعتبارات ، والمشهور عند الآن اطلاقه على المائة .

(حتى تمت بنينا محمد صلى الله عليه وآله حجته) اذ لا نبي بعده يأتي
بحجة جديدة (وبلغ المقطع) اي النهاية التي لا شئ بعده (عذره) فانفيا

وَنُذِرُهُ . وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا ، وَقَسَمَهَا عَلَى الضَّيْقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا ، وَلِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا . ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عِقَابِيْلَ فَاقْتِهَا

لو خالف الناس لم يكن من الله سبحانه .

(ونذره) جمع النذير ، الذي يخوف بالعقاب على المخالفين .

(وقدر) سبحانه (الأرزاق فكثرها) لبعض (وقللها) لآخر ، ومعنى

التقدير التخطيط كراكب السيارة الذي هو مضطرب في السير إلى اتجاه السيارة ،

بينما هو مختار في عمله داخل السيارة ، ولذا ورد لا جبر ولا تفويض بل أمر

بين الأمرين .

(وقسمها) أي الأرزاق وذلك بعد التقدير — (على الضيق والسعة

فعدل فيها) فلم يكن أحد الأمرين ظلماً إذ الظلم أن يمنع الإنسان أحداً حقه ،

ولا حق لأحد على الله سبحانه ، وإنما قسم بالاختلاف (ليبتلي) أي يمتحن

(من أراد) امتحانه (بميسورها ومعسورها) فهل يصبر المعسور له وهل يشكر

الميسور لأجله ؟

(وليختبر بذلك) الاختلاف (الشكر والصبر من غنيها وفقيرها) الضمير

راجع إلى العباد ويجوز الاتيان بضمير المؤنث باعتبار ((الجماعة)) كما قال ابن

مالك ((والتاء مع جمع سوى السالم من)) (مذكر كالتاء مع إحدى اللب) أو

راجع إلى الأرزاق — مجازاً — .

(ثم قرن) سبحانه (بسعتها) أي سعة الأرزاق (عقابيل) جمع عقوبة

بمعنى الشدائد (فاقتها) أي الفقر ، فإن السعة دائماً معرضة للزوال واتيان

، وَبِسْلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا ، وَبِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا . وَخَلَقَ الْآجَالَ
فَاطَالَهَا وَقَصَّرَهَا ، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا ، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا ، وَجَعَلَهُ خَالِجاً
لِأَشْطَانِهَا ، وَقَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا

الضيق مكانها (وبسلامتها) أى سلامة الأرزاق (طوارق آفاتها) جمع طارقة و
هى المصيبة النازلة دفعة فقد لا يتضيق البرزق ولكنه يكون بشدة وصعوبة .

(و) قرن سبحانه (بفرج) جمع فرجة (افراحها) جمع فرح وانما قال
(فرج) لأن الانسان يفرح فى الفرجة والسعة (غصص أتراحها) جمع غصة ،
واتراح مقابل افراح .

(وخلق) سبحانه (الآجال) أى مدة اقامة كل انسان فى دار الدنيا
(فاطالها وقصرها) بأن جعل مدة بعض طويلا ، ومدة بعض قصيرا (وقدمها
وأخرها) فذو الآجال القصيرة يقدم أجل هذا على ذاك ، وكذلك فى الآجال
الطويلة .

(ووصل بالموت اسبابها) أى حبال الآجال ، كان لكل مدة موصولة بحبل
حتى ينتهى الحبل بيد الموت ، فاذا انتهت المدة جرد الموت الحبل واختطف
الانسان المنقضى أجله .

(وجعله) أى الموت (خالجا) أى جاذبا (لأشطانها) جمع شطن
على وزن فرس بمعنى الحبل الطويل ، شبه به الأعمار الطويلة - كما ذكرنا - (و
قاطعا لمرائر) جمع مريرة وهى الحبل يفتل على أكثر من طاق (اقرانها) جمع
قرن وهو الحبل يقرن به بغيران ، وهذا من أقوى الحبال ، ومع ذلك الموت
يقطعه فيقع الانسان المتصل به فى هوة الفناء .

عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ ، وَنَجْوَى الْمُتَخَافَتِينَ ، وَخَوَاطِرِ رَجْمِ
الظُّنُونِ ، وَعُقْدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ ، وَمَسَارِقِ إِيْمَاضِ الْجُفُونِ وَمَا
ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ وَغِيَابَاتُ الْغُيُوبِ

هو سبحانه (عالم السر من ضمائر المضميرين) الذين يضمرون الأشياء فى
مكونهم فانه سبحانه يعلمها .

(و) من (نجوى المتخافتين) التخافت المكالفة سرا يعنى انه سبحانه
يعلم نجواهم .

(و) من (خواطر رجم الظنون) فان الظن اذا وقع على شئ ، فكأنه قد
رجم ذلك الشئ ، والخاطر هو الشئ يخطر بهال الانسان .

(وعقد) جمع عقدة (عزيمات) جمع عزيمة مما يعزم الانسان عليه (اليقين)
فاليقين كالشئ المعقود بالقلب الذى ينوى الانسان له ويعزم عليه ، يعنى انه

سبحانه يعلم الظنون ويعلم اليقين ، وهما سران فى ضمير الانسان .

(ومسارق) جمع مسرق ، وهو مصدر ميمي (ايماض) اللمعان السدى

بأتى من اشارة العين ، قال الشاعر :

امرئة فى رمضان الماضى تقطع الحديد بالايماضى

اي باشارة العين (الجفون) جمع جفن ، يعنى انه سبحانه يعلم سرقة

النظر ، وان لم يدرك ذلك الناس الذين بحضرة من يسرق فى نظره .

(و) يعلم (ما ضمنته اكنان القلوب) جمع كن بالكسر ، وهو كل ظسرف

يستتر فيه الشئ والمراد انه يعلم المعلومات الموجودة فى زوايا القلوب (وغيايات)

اي اعماق (الغيوب) التى هى غائبة عن الحواس كالأشياء المستورة تحت الأرض

وَمَا أَصْغَتْ لِأَسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ ، وَمَصَائِفُ الذَّرِّ ، وَمَشَاتِي
الْهُوَامِّ ، وَرَجْعُ الْحَنِينِ مِنَ الْمُؤْلَهَاتِ ، وَهَمْسِ الْأَقْدَامِ ، مَنْفَسَحُ
الثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ غُلْفِ الْأَكْمَامِ ،

• ونحوها •

(و) يعلم (ما اصغت) الاصغاء بمعنى الاستماع (لاستراقه مصائخ
الاسماع) مصائخ جمع مصاخ ، وهو محل الاصاخة ، اى ثقبه الاذن ، اى انه
يعلم ان فلانا يسترق السمع ، او يعلم المطلب الذى يسترق السمع لأجله •

(ومصائف) جمع مصيف ، وهو محل الاقامة فى الصيف (الذر) النمل ،
اى يعلم محل النمل فى الصيف - تحت الأرض - فان النمل تغير مكانه فى
الصيف عن مكانه فى الشتاء •

(ومشاتى الهوام) جمع هامة ، وهى كل حيوان صغير يعيش فى الحجر ،
والمشاتى جمع مشتى ، وهو محل الاقامة شتاء •

(و) يعلم (رجع الحنين) اى ترويد الحنين الذى يظهرها اصحاب
المصائب (من المؤلهات) اى النساء الوالهة الحزينة التى اصببت بعصبة •
(و) يعلم (همس) اى الصوت الخافت من (الأقدام) فانه سبحانه
يعلمها ويسمعها •

(و) يعلم (منفسح الثمرة) مكان نموها ، من فسح (من ولائج) جمع
وليجة بمعنى البطانة (غلف) جمع غلاف وهو القشر المحيط به (الاكمام) جمع
(كم) بالكسر ، وهو غطاء الفؤاد ووعاء الطلع ، يعنى انه سبحانه يعلم
محل نمو الثمرة فى داخل غلاف الوعاء المقرر للثمار •

وَمُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غَيْرَانِ الْجِبَالِ وَأَوْدِيَّتِهَا ، وَمُخْتَبِإِ الْبَعُوضِ بَيْنَ
سُوقِ الْأَشْجَارِ وَالْحَيْثِيَّتِهَا ، وَمَغْرَزِ الْأُورَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ ، وَمَحْطِ الْأَمْشَاجِ
مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ وَنَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَمُتَلَا حِمِهَا ،

(و) يعلم (منقمع الوحوش) أى موضع اختفاء الحيوانات الوحشية - غير
الانسية - من انقمع بمعنى اختفى .

(من غيران الجبال) جمع غار ، وهى الثقبه الواسعة فى الجبل يختفى
فيها الحيوان (واوديتها) جمع الوادى ، وهو المحل المنفسح فى الجبال و
(من) بيان لمنقمع .

(و) يعلم (مختبأ) أى محل اختباء - بمعنى الاختفاء - (البعوض
بين سوق الأشجار) جمع ساق وهو أسفل الشجرة (والحيثيتها) جمع لحاء وهو
قشر الشجرة .

(و) يعلم (مغرز الأوراق) أى محل غرزها أى نباتها (من الافنان) أى
الغصون .

(و) يعلم (محط الامشاج) جمع مشيج ، من مشج اذا خلط ، والمراد
المنى ، لأنه مخلوط من اجزاء مختلفة - انفصلت كل جزء من جزء من البدن -
لتكون بها اجزاء مختلفة للانسان والحيوان ، و (محط) بمعنى المحل
الكائن فيه المنى (من مسارب الأصلاب) جمع مسرب ، وهو المحل الذى
يتسرب ويدخل فيه المنى ، واصلاب جمع صلب ، فى ظهر الرجل .
(و) يعلم (ناشئة الغيوم) أى المنشأ من السحاب ، الذى لم يتلاحم
بعد (ومتلاحمها) أى ما اتصل بعضه ببعض كاللحم المتصل اجزائه .

وَدُرُورٍ قَطَرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا ، وَمَا تَسْفِي الْأَعَاصِيرُ بِذُبُولِهَا ،
وَتَغْفُو الْأَمْطَارُ بِسَيُولِهَا ، وَعَوْمِ نَبَاتِ الْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرَّمَالِ ،
وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الْأَجْنَحَةِ بِذُرَا شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ ، وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ
الْمَنْطِقِ فِي دِيَاجِيرِ الْأَوْكَارِ ،

(و) يعلم (درور) اي الهطول والنزول - كدر الحليب - (قطر
السحاب) اي الأمطار (في متراكمها) اي السحاب الذي بعضه فوق بعض .
(و) يعلم (ما تسفي الأعاصير) يقال سفت الريح التراب ، اي ذرته و
حملته ، والأعاصير جمع أعصار ، وهي ريح تثير السحاب ، او تقوم من الأرض
كالعمود (بذبولها) فان ذبول الريح تعمل ما تعمل ، اما معظمها فهي في
الفضاء .

(و) يعلم ما (تغفو الأمطار) اي تمحو (بسيلها) وهو المطر الغزير
الذي يشكّل مياهها كثيرة تسيل ، فتخرب البناء وما شبه .
(و) هو عالم ب (عوم) من عام اذا دخل ، وجر (عوم) لأنه عطف
على قوله (السر) المضاف اليه ل (عالم) وانما جئنا ب (يعلم) في الجمل
السابقة ، للايضاح ، والا فالكل عطف على (السر) (نبات الأرض في كُثبان
الرمال) جمع كُثيب ، وهو التل الصغير من الرمل .

(و) عالم ب (مستقر ذوات الأجنحة) اي محل الطيور (بذرا) جمع
ذروة وهي القمة بأعلى الشئ (شناخيب الجبال) جمع شنخوب بمعنى الرأس .
(و) عالم ب (تغريد ذوات المنطق) يقال غرد الطائر اذا رفع صوته
كأنه يغنى (في دياجير الأوكار) جمع ديجور وهو شدة الظلمة ، واوكار جمع

وَمَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ ، وَحَضَنْتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ ، وَمَا غَشِيَتْهُ
سُدْفَةُ لَيْلٍ ، أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ ، وَمَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدِّيَاجِيرِ
وَسُبُّحاتُ النُّورِ ، وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ ، وَحَسُّ كُلِّ حَرَكَةٍ ، وَرَجْعُ كُلِّ
كَلِمَةٍ ، وَتَحْرِيكُ كُلِّ شَفَةِ ، وَمُسْتَقَرُّ كُلِّ نَسَمَةٍ

وگوییبت الطائر ، واما ستمی ((ذوات المنطق)) لانه نطقها .

(و) يعلم (ما او عبت) ای جمعت (الأصدا ف) جمع صدف و هو
القشرة التي يخرج منها اللؤلؤ (وحضنت عليه امواج البحار) یعنی ان الأمواج
تحضنت ذلك الشيء كتحضن الأم ولدها ، وذلك مثل العنبر الذي تربسه
البحار .

(و) يعلم (ما غشيت سدفه ليل) ای ظلمته ، وغشاء بمعنى حواء (أو
ذر) ای طلع (عليه شارق نهار) ای ضياء النهار .

(و) يعلم (ما اعتقبت) ای تعاقبت و تواليت (عليه اطباق الدياجير) جمع
طبق ، و دياجير جمع ديجور بمعنى الظلمة ، كان ظلمات الليل كالأغطية التي
تغطي على الأشياء طبقا بعد طبق (وسبحات النور) جمع سبحة ای درجاته
واضوائه .

(و) هو سبحانه عالم ب (اثر كل خطوة) ای ما يبقى بعدها على الأرض
ما يدل على مرور ذي روح هنا .

(و) عالم ب (حس كل حركة) المراد بحسها صوتها ، او حالتها
الموجودة فيها (ورجع كل كلمة) ای جواب الكلمة ، او ترددها في الهواء .
(و) عالم ب (تحريك كل شفة) بالكلام (ومستقر كل نسمة) ای كل

وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ ، وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَةٍ ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ ،
أَوْ سَاقِطِ وَرْقَةٍ ؛ أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ ، أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ وَمُضْغَةٍ ، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ
وَسَلَالَةٍ ؛ لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كُفَّةٌ ، وَلَا أَعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا أَبْتَدَعَ
مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ ،

انسان ، اى يعلم ان كل انسان اين يستقر فى حال سكونه .

(و) عالم ب (مثقال) اى ثقل (كل ذرة) وهى التى ترى فى ضوء

الشمس الداخلى من كوة فى محل مظلم .

(و) عالم ب (هماهم) جمع همهمة ، وهى الصوت الذى لا يميز (كل

نفس هامة) اى التى تهتم .

(و) يعلم سبحانه (ما عليها) اى على الأرض (من ثمر شجرة) حين

وقوعه عليها (او ساقط ورقة) اى اوراق الأشجار التى تسقط على الأرض (او قرارة

نطفة) اى قرارها فى الرحم (او نقاعة دم) ما ينقع من الدم فى اجزاء البدن ،

اى يجتمع فى النقرة التى فى العروق وما اشبه (ومضغة) وهى اللحمة التى

تشبه اللحم المضغ بالأسنان ، فان المضغة تنقع فى الرحم ، او انها عطف على

نقاعة ، اى يعلم سبحانه كل مضغة .

(او ناشئة خلق) اى الخلق الذى ينشأ ويخرج من العدم الى الوجود (و

سلالة) اى الخلاصة التى تخلص من الأشياء ، او المراد الاصفاء (لم يلحقه)

سبحانه (فى ذلك) العلم بهذه الأشياء (كلفة) وصعوبة كما هو كذلك فى

الانسان فان الانسان لا يعلم شيئاً الا بعد تكلف ومشقة (ولا اعترضته فى حفظ

ما ابتدعه) واوجده (من خلقه عارضة) تمنعه عن الابتداع والايجاد ، كما قد

وَلَا اَعْتَوَرْتُهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَتَدَابِيرِ الْأَمْخُلُوقِينَ مَلَالَةً وَلَا فِتْرَةً ، بَلْ
نَفَذَ فِيهِمْ عِلْمَهُ ، وَأَخْصَاهُمْ عَدَّهُ ، وَوَسَّعَهُمْ عَدْلُهُ ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ ،
مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ . اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ ،
وَالْتَعْدَادِ الْكَثِيرِ ، إِنْ تُؤْمَلْ فَخَيْرُ مُؤْمَلٍ ، وَإِنْ تُرَجَّ فَأَكْرَمُ مَرْجُوءٍ .
اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ ، وَلَا أَثْنِي بِهِ

يمنع الإنسان شيئاً عما يريد أن يعمل ويوجد (ولا اعتورته) الاعتوار العسروض
(في تنفيذ الأمور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة) أي كسل وضعف كما يعترض
الإنسان ، إذا استمر في عمل طويل (بل نفذ فيهم علمه) أي علم الأمور داخلها
وخارجها ، كالشيء الذي ينفذ في شيء ، فيدخل باطنه (واحصاهم عدده) فانه
سبحانه يعلم عددهم (ووسعهم عدله) فانه يعدل بالنسبة إلى جميع المخلوقين ،
ومعنى العدل وضع كل شيء موضعه (وغمرهم فضله) فان احسانه سبحانه شمل
جميعهم (مع تقصيرهم عن كنه) أي ما يستحق من (ما) أي العبادة التي (هو
أهله) .

((دعاء)) (اللهم انت اهل الوصف الجميل) أي اهل لأن توصف
بالجميل (والتعداد الكثير) فان اوصافه سبحانه كثيرة (ان تؤمل) أي يرجو
فضلك الناس (فخير مؤمل) لأنه لا افضل منه سبحانه في الرجاء والأمل (وان
ترج فأكرم مرجو) هو الذي يتربى الإنسان منه الخير (اللهم وقد بسطت لي) من
فضلك (فيما) أي في النعم التي (لا امدح به) الضمير عائذ إلى ((ما))
المراد به ((النعم)) (غيرك) فانك المتفضل فكيف امدح سواك (ولا اثني)
أي لا امدح ، من الثناء بمعنى الاطراء (به) أي بسبب تلك النعم ، والضمير

٩٠ توضيح نهج البلاغة

عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ ، وَلَا أُوْجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ ، وَعَدَلْتُ
بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ ؛ وَالثَّنَاءُ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ .
اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مَثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ
؛ وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلًا عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ . اللَّهُمَّ وَهَذَا
مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ

عائد الى ((ما)) (على احد سواك) والمراد انقطاعه عليه السلام بالحمد له
وحده .

(ولا اوجهه) اي اوجه المدح (الى معادن الخيبة) اي المحلات التي
تخيّب الانسان اذا رجاها والمراد منهم ما سوى الله سبحانه (ومواضع الريبة)
اي الشك ، فان المخلوق موضع شك في انه هل يتفضل ام لا ؟

(و) قد (عدلت) يا رب (بلساني عن مدائح الآدميين) اي المنسوبين
الى آدم عليه السلام (والثناء على المرئيين المخلوقين) وانما نسب العدل اليه
تعالى ، لانه وحده تفضل ، فلم يبق مجالا لتفضل غيره حتى يستحق المدح معه
تعالى ، وهذا من باب النسبة الى السبب ، والمراد بهذه الجمل ، السبب
الأول الحقيقي في الانعام ، والا فلكل منعم من الناس حق المدح والثناء .

(اللهم ولكل مثن) اي عامل للثناء ، مادح لشخص (على من اثنى عليه
مثوبة) اي ثواب وجزاء ، فانه مصدر ميمي (من جزاء) بقدر الثناء (او عارفة
من عطاء) اي عطاء معروف اكثر من الجزاء (وقد رجوتك) يا الهى (دليلا
على ذخائر الرحمة) اي ان الرجاء هو ان تدلنى على الرحمة المدخرة عنـدك
للمـصالحين (وكنوز المغفرة) اي غفران الذنب .

(اللهم وهذا مقام) اي انا قائم في هذا المقام (من افردك بالتوحيد) اي

الَّذِي هُوَ لَكَ ، وَلَمْ يَرِ مُسْتَحِقًّا لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ ، وَبِي
فَاقَةً إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ ، وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلْقِهَا
إِلَّا مِنْكَ وَجُودُكَ ، فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ ، وَأَغْنِنَا عَنْ
مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ !

جعلك واحدا لا شريك لك (الذي هو لك) وهذا للتأكيد ان التوحيد ليس
اغراقا ، وانا حقيقة واقعة في مقابل صفات المخلوقين التي قد يدعى الانسان
انها لهم ، وليست واقعا بل اغراقا ومبالغة وتعلقا (ولم ير مستحقا لهذه المحامد)
جمع محمدا ، مصدر ميمي بمعنى الحمد (والممادح غيرك) وقوله ((ولم)) عطف
على ((افردك)) .

(وبى فاقة) اى حاجة شديدة (اليك لا يجبر مسكنتها) المسكنة شدة
الفقر التي توجب سكون صاحبها عن الحركة التجارية والزراعية وما اشبه - مما
يتحرك بها اهل الثروة - (الا فضلك) واحسانك (ولا ينعش من خلقها)
اى فقرها ، والانعاش ما يوجب النشاط والحركة (الا منك) اى احسانك
(وجودك) بالاعطاء والاكرام (فهب لنا فى هذا المقام) الذى انا فيه (رضاك)
بأن ترضى عنا (وافننا) باعطائنا حوائجنا (عن مد الايدي) اى بسطها
للاستعطاء (الى سواك) اى غيرك (انك على كل شئ قدير) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان

دَعُونِي وَالتَّمِسُوا غَيْرِي ، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَجُوهٌ وَالْوَانُ ، لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ . وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ . وَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان)

(دعوني والتمسوا غيري) اي اطلبوا للبيعة غيري ، ليكون رئيسا على المسلمين (فاننا مستقبلون أمرا له وجوه والوان) اي في الخلافة - بعد مقتل عثمان - اضطرابات وارتباكات ، فان اراد الخليفة ان يعمل بالكتاب والسنة والعدل والحق ، يقوم في وجوه المعارضون الذين اعتادوا الرشوة والظلم وهضم حقوق الضعفاء ، وان اراد الخليفة الانحراف ومسايرة الظالمين كما فعل عثمان ، كان حائدا عن الكتاب والسنة .

وحيث ان الامام لا يريد الا الحق كان يعلم عدم استقامة الأمر له (لا تقوم له) اي لهذا الأمر الذي هو الخلافة (القلوب) اي لا تتحد في الالتفاف حوله (ولا تثبت عليه العقول) بل العقول التي تقبله اول الأمر ترده آخر الأمر (وان الآفاق قد اغامت) اي غطيت بالغيم ، وهذا كناية عن خروج الأمر عن الحالة الطبيعية ، كما تخرج الآفاق بالغيم عن ذلك .

(والمحجة) اي الطريق (قد تنكرت) اي ذهبت معالمها فلا تعرف (و

أَعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ، وَلَمْ أَضْغِرْ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ
وَعَنْبِ الْعَاتِبِ ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ ، وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطُوعُكُمْ
لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا ، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا !

اعلموا اني ان اجبتكم (الى قبول الخلافة الظاهرية) ركبت بكم ما اعلم (اي سرت
بكم في طريق الحق ، كما يركب القائد الناس في مراكبه) ولم أضغ (اي لا أسمع
(الى قول القائل) الذي يقول في ما يشاء (وعتب العاتب) الذي يعتب
لما اذا تركت سيرة الخلفاء (وان تركتموني) ولم تبايعوني (فأنا كأحدكم) في انه
لا تبعه عليكم مني ، ولا افسد الأمر عليكم .
(ولعلّي اسمعكم واطوعكم لمن ولّيتموه أمركم) اي للخليفة الذي تنصبونه (و
أنا لكم وزيرا) بأن تجعلون الخليفة غيري (خير لكم مني أميرا) اي خليفة .
ولا يقال : كيف جاز للامام ان يرفض الخلافة ؟ .
لأنه يقال : الامام لم يرفض وإنما بين طريقته في هذا الأسلوب — فالأسلوب
مجاز عن الطريقة لا انه رفض حقيقى — ولذا قال في الأخير ((خير لكم)) اي من
جهة الدنيا ، لا انه خير في نظر الواقع والحقيقه ، والله اعلم .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَسَّاجَ غَيْهَبُهَا ، وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(أما بعد) أى بعد الحمد والصلاة (أيها الناس فأنى فقأت عين الفتنة) فقأ العين بمعنى قلعها ، والظاهر أن المراد بالفتنة فتنة الخوارج ، حيث أن اجتثاثهم كان صعباً جداً ، إذاً انهم كانوا يتظاهرون بالاسلام والزهد فلم يكن أحد يجترأ على تكفيرهم ومحاربتهم لولا الامام الذى كان اشد ملازمة منهم لأحكام الاسلام ، وأزهد منهم عند الخاص والعام ، وهذا شئ واضح فان الذين يتظاهرون بالدين لا يتمكن من اسقاط منزلتهم وزحزحتهم الا الاشد تمسكاً والأقوى اخذاً واحتمل ان يراد بالفتنة جميع الفتن التى وقعت فى زمان الامام ، التى لو لا الامام لم يتمكن أحد من قلعها .

(ولم يكن له يجترى عليها) أى على الفتنة واجتثاثها (أحد غيرى) لما ذكرنا (بعد ان مس) شمل واضطرب (غيهبها) أى ظلمتها ، بأن شملت ظلمتها الناس حتى الأخيار ، فان بعض الفتن تشمل الخواص كما تشمل العوام . (واشتد كلبها) الكلب داء يصيب الكلاب ويسمى حينئذ بالكلب العقور ، فاذا عض أحداً مات ، ان لم يسرع الى الدواء ، وكان أمر الخوارج هكذا يفسد

فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ
فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، وَلَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مِثَّةً وَتُضِلُّ مِثَّةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ
بِنَاقِظِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا ،

الناس بمجرد وصوله اليهم .

وإذا كنت الامام القادر على امور الدنيا والدين (فاسألوني) عن كل ما
تشؤون (قبل أن تفقدوني) بالموت والخروج من بين أظهركم .
(فوالذي نفسي بيده) قسم بالله سبحانه الذي نفس الامام بيده يوجهها
كما يشاء (لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة) أي يوم القيامة ، وإنما
سميت بالساعة ، لتجدد الساعة هناك - وكما يقال فعلا ((ساعة الصفر))
لابتداء الثورات -

(ولا) تسألوني (عن فتنة) أي جماعة (تهدي مئة وتضل مئة) السواو
بمعنى او ، وإنما خصص هذا بالذكر ، لأن ابتداء الكلام كان في الخسـواج
الذين اضلوا الناس .

(الا انبأتكم) أي أخبرتكم (بناعقها) أي الداعي الى تلك الهداية ، او
الضلالة - المفهوم من قوله تهدي وتضل - .

(وقائدها) الذي يقود اولئك المائة ، ويحتمل ان يراد بالضمير في
(ناعقها)) : المائة ، على ضرب من العجاز (وسائقها) والفرق ان القائد
هو الذي يتقدم ، والسائق هو الذي يتأخر .

وانما لم يذكر الامام عليه السلام متعلق ((لا تسألوني)) اكتفاءً بذكر متعلق
(ولا عن فتنة)) على حد قول الشاعر ((نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضو
الرأي مختلف)) وقوله ((علفتها تبنا وما باردا)) .

وَمُنَاخٍ رِكَابُهَا ، وَمَحَطٌّ رِحَالُهَا ، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا . وَمَنْ
يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا . وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِيهِ الْأُمُورِ . وَ
حَوَازِبُ الْخُطُوبِ ، لِأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ
، وَذَلِكَ إِذَا قَلَصَتْ حَرْبُكُمْ ، وَشَمَرَتْ عَنْ سَاقٍ .

(و مناخ ركابها) المناخ بضم الميم محل برك القافلة ، من اناخ ، و ركاب
الراكب ، مقابل راجل .

(و محط رحالها) اى المحل الذى يحط رحل الابل والفرس ومن المعلوم
ان محل الاناخة ، غير محط الرحال .

(و من يقتل من اهلها) اى اهل تلك الفئة (قتلا) فى مقابل الموت (ومن
يموت منهم موتا) فى مقابل القتل (ولو قد فقدتمونى و نزلت بكم كرائه الأمور)
جمع كريبه وهى الأمور الشديدة التى لا يعلم حلها وعلاجها (و حـواـزب
الخطوب) جمع حازب وهو الأمر الصعب ، وخطوب جمع خطب و هـى
الداهية والأمر الشديد .

(لأطرق كثير من السائلين) اطرق برأسه اذا نكسه فلم يرفعه تحييرا ، وهذا
كناية عن تحيرهم فى الأمر لا يدرون من يحل لهم المشكلة و يرشدهم طريق الصواب .
(وفشل كثير من المسئولين) لا يعلمون الجواب ولا يهتدون الى طريق
الصواب (وذلك اذا قلصت حربكم) اى تعادت واستمرت ، واصل التقلص
التقبض يعنى عدم انفراجها وانكشاف غمتها .

(وشمرت عن ساق) فان الانسان اذا اراد الجد فى العمل رفع ثوبه عن
ساقه - وهو التشمير - لئلا يمنعه فاضل الثوب عن الاسراع فى العمل ، والجملة
تشبيه بهذا الانسان ، كناية عن جد الحرب واستعارها .

وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضَيْقًا ، تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ ،
حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ .
إِنَّ الْفِتْنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ ؛ يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٌ ،
وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٌ ، يَحْمَنَ حَوْمَ الرِّيحِ ، يُصِيبُ بَلَدًا وَيُخْطِئُ بَلَدًا

- (وضافت الدنيا عليكم ضيقاً) بأن لا تجدوا مفراً وملجأً عن المشكلة والكارثة
- (تستطيلون معه) أى مع ذلك الضيق .
- (أيام البلاء عليكم) فإن الانسان الواقع فى البلية يستطيل الأيام .
- بالعكس الانسان الذى فى الهناء والرفاء .
- (حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم) والفتح وان كان عاماً لكنه انما يأتى بملاحظة الأبرار ولذا نسب المهتمين بعلوم راسخين
- (ان الفتن اذا اقبلت شبهت) يعنى يشته فيها الحق بالباطل ، ويلبس الباطل لباس الحق فيغربه من قلت معرفته ، وضللت تجربته .
- (واذا أدبرت) بأن انزاحت (نبهت) ودلت على مواقع الخطأ فيها
- فإن الانسان يفكر ويرجع اليه صوابه فيرى موقع الحق من الباطل .
- (ينكرن) أى الفتن ، والمعنى لا يعرف كونها فتنة وباطلا (مقبلات) أى فى حال اقبالها (ويعرفن مدبرات) فيعرف الناس — لدى ادبار الفتن — انها كانت فتنة وباطلا (يحمن) أى الفتن .
- (حوم الرياح) أى مثل حركة الرياح ، من حام بمعنى دار .
- (يصيب) الفتن (بلداً ويخطئ بلداً) فتشمل الفتنة بلداً دون بلد كما ان الرياح تشمل بلداً دون بلد .

أَلَا إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمِيَاءُ .
مُظْلِمَةٌ : عَمَتْ خُطَّتُهَا ، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا ، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ
فِيهَا ، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا . وَإِنَّمَا اللَّهُ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ
أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي ، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ

(أَلَا إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ) وذلك لأنهم حَرَفُوا
الاسلام باسم الاسلام ، وحيث كانت السُّلْطَةُ بأيديهم ، تمكنوا من ارساخ قواعد
الكفر في المجتمع ، مما كوى المسلمون بنارها الى يومنا هذا بعد اربعة عشر قرناً - و
قد كانت الجمل السابقة من قوله ((ان الفتن)) مقدمة لهذه النتيجة -
(فانها فتنة عمياء) كالأعمى الذي لا يبصر الطريق فيضل ويسقط في المهالوي
(مظلمة) وهذان وصفان لشدة جهالة الحق فيها واختلاطه بالباطل .
(عَمَتْ خُطَّتُهَا) لأنها كانت رئاسة عامة للبلاد الاسلامية فلا منجى لأحد
منها (وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا) لآل البيت عليهم السلام ، حيث انها كانت ضدهم ، او
المراد خصت بليتها اهل الحق ، وليست كالفتن التي تشمل اهل الحق واهل
الباطل .

(وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا) اي في تلك الفتنة ، فإن من عرف انها
فتنة وأراد تجنبها الى الحق نزل به بلاء الاضطهاد من بني أُمَيَّةَ .
(وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا) اي من لم يبصر أنها فتنة فجارها وسأيرها ،
فإنهم لم يكونوا يتعرضون لمن لم يعارضهم .
(وَإِنَّمَا اللَّهُ لَتَجِدَنَّ) أيها المسلمون (بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي) اي
قادة سوء يعملون سوءاً ويأمرونكم بالسوء .
(كَالنَّابِ الضَّرُوسِ) الناب الناقة المسنة ، والظروس السيئة الخلق التي

تَعْذِمُ بِفِيهَا ، وَتَخِيطُ بِيَدِهَا ، وَتَزِينُ بِرِجْلِهَا ، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا . لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ ، أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ . وَلَا يَزَالُ بِلَاؤُهُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ أَنْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَأَنْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ ، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَضْحِيهِ ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ . مَخْشِيَةً ، وَقِطْعًا جَاهِلِيَّةً ، لَيْسَ فِيهَا مَنَارٌ هُدًى ،

تعذب بضررها حالها (تعذب) اي تعذب (بفيها وتخط بيدها) اي تضرب الأرض وتخلط الحسن بالسوء .

(وتزين) اي تضرب (برجلها) فتفرض الناس وتكسر الأشياء وهكذا .
(وتمنع درها) اي حليها فلا تعطى اللبن (لا يزالون بكم) اي بنو أمية (حتى لا يتركوا منكم) أحدا (إلا نافعاً لهم) يؤيدهم (او غير ضائر بهم) لا ينهأهم عن المنكر .

(ولا يزال بلاؤهم) يتمادي ويستمر (حتى لا يكون انتصار احدكم منهم) اذا أراد كفهم عن ظلمه ، او اخذ حقه منهم .
(الا كانتصار العبد من ربه) اي سيده فكما لا يتمكن العبد ان ينتصر من سيده كذلك لا تتمكنون من الانتصار عليهم .

(و) انتصار (الصاحب من مستضحيه) اي التابع من متبوعه والذليل من اذله (ترد عليكم) ايها الناس (فتنتم) اي فتنة بني أمية (شوهاء) قبيحة المنظر ، اي مشوه الخلقة (مخشية) اي مخوفة مرعبة .
(وقطعا جاهلية) فانهم يعيدون الاخلاق الجاهلية ، فكل خلق منها كقطعة من قطع الجاهلية قبل الاسلام (ليس فيها) اي في فتنتم (منار هدى) محل للنور يعرف به الطريق .

وَلَا عَلَّمَ يُرَى نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ ، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ : بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفًا ، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفًا ، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ ، وَلَا يُخْلِسُهُمْ

(ولا علم يرى) أى دليل يسير عليه السائر ، براه فيسير نحوه لثلا يضل .
(نحن أهل البيت) المراد الأئمة الطاهرون (منها) أى من فتنه بنى أمية (بمنجاة) أى فى محل نجاة لا تشملنا ، وهذا تحريض للناس للتمسك بأهل البيت إذا أرادوا النجاة من تلك الفتنة - بمعنى عدم الوقوع فى الباطل و الاثم - .

(ولسنا فيها بدعاة) جمع داعى ، فإن أهل البيت كانوا مخالفين لبنى أمية لا داعين اليهم .

(ثم يفرجها الله عنكم) بزوال ملكهم (كتفريج الأديم) هو الجلد ، أى كما يسلخ الجلد عن اللحم (بمن) أى يكون الفرج على يد من (يسومهم خسفاً) أى يذل بنى أمية ، يقال سامه خسفاً إذا اذله (ويسوقهم عنفاً) يريد بالسوق تنحيثهم عن أريكة السلطة والمراد بأولئك آل عباس ، وليس هذا مدحاً لهم بل نقلاً وحكاية ، كما قال سبحانه عن بخت نصر ((بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بآس شديد)) .

(ويسقيهم بكأس مصبرة) أى مملوئة الى اصبارها - جمع صبر بمعنى سسى الحاشية والطرف - وهذا كناية عن الوان الانتقام منهم وتعميم التعذيب و الاستيصال لهم (لا يعطيهم إلا السيف) كناية عن سعة القتل فيهم فلا امسان لهم (ولا يحلسهم) أى لا يلبسهم - يقال احلس البعير اذا البسه الحليس و

إِلَّا الْخَوْفَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ - بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا - لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَامًا
وَاحِدًا ، وَلَوْ قَدَّرَ جَزْرُ جَزُورٍ ، لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا
يُعْطُونَنِي

هو الكساء الذي يوضع على ظهره - (إلا الخوف) يعني انه يغشى فيها -
الخوف .

(فعند ذلك تود قریش - بالدنيا وما فيها - لو يرونني) فان ابا مسلم
انما قام في مقابلة الأمويين لنصرة العلويين ، فكانت قریش تود ان ترى الامام
لتعطيه حقه ، وقوله : ((بالدنيا)) اي كانوا يحبون رويته عليه السلام في مقابل
اعطائهم الدنيا وما فيها .

(مقاما واحدا ولو قدر جزر جزور) الجزور الناقة التي تجزر اي تنحر ، اي
ان قریش تود رويتي ولو بمقدار نحر بعير في مقام واحد - فان الانسان في
السرا يحب ان يرى اصحابه واهله ليري سرورهم خصوصا اذا كان السرور لمن ظلم
(لأقبل منهم) اي اتسلم وأخذ من قریش .

(ما اطلب اليوم بعضه فلا يعطونني) هؤلاء القوم - من النصفة والحق -
اي يحبون ان يروني لا قبل منهم السلطة العامة ما اطلب اليوم بعضه ، فان
الامام عليه السلام كان يطلب ضم الشام - الذي هو بعض السلطة - فلا يعطيها
معاوية ، وفي بعض الشروح تفسير ((تود قریش)) بحب بني امية لذلك - لكن
ما ذكرناه أظهر ، والله العالم .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ففيها وصف الله والرسول وآل البيت عليهم السلام ، ثم الوعظ والارشاد .
فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهَمِّ ، وَلَا يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ ،
الْأَوَّلُ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِي ، وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقُضِي .
منها : فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وفيهما وصف الله والرسول وآل البيت عليهم السلام ، ثم الوعظ والارشاد .
(فتبارك الله) من برك بمعنى ثبت ، اي انه سبحانه ثابت لا يزول ، و
منه سميت البركة ، لأنها تبقى ولا تفتنى بسرعة (الذي لا يبلغه بعد الهم) جمع
همه ، اي ان الهممة البعيدة لا تبلغ كنه معرفته سبحانه لتعذرها على البشر (ولا
يناله حدس) هو الظن (الفطن) جمع فطنة بمعنى الذكاء .
(الأول الذي لا غاية له) اي لا آخر لوجوده تعالى (فينتهي) وينعدم (و
لا آخر له فينقضي) وكأنه بالنسبة الى ذات الشئ ، والوصف السابق باعتبار
ظرفه ، مثلاً اذا سار زيد الى الكوفة فالكوفة غاية ، واذا كان عمره الى ذلك
الوقت فله آخر هناك — والا فالوصفان بمعنى واحد ، او يتكلف : بأن لا غاية
بمعنى ((لا ابتداء)) .

((منها)) في وصف الأنبياء (فاستودعهم) الله ، اي اودعهم (في

أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ ، وَأَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ ، تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى
مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ ؛ كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ ، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّهِ خَلْفٌ .
حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛
فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتًا ، وَأَعَزَّ الْأَرْوَامَاتِ مَغْرَسًا ؛ مِنْ الشَّجَرَةِ
الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ ، وَأَنْتَجَبَ مِنْهَا أَمَنَاءُهُ .

أفضل مستودع (أى اصلا ب الرجال) وأقرهم فى خير مستقر (أى ارحام النساء .
(تناسختهم) أى تناقلتهم (كرائم الأصلا ب) أى الأصلا ب الكريمة ، والصلب
فى ظهر الرجل موضع مائه (الى مطهّرات الأرحام) أى ارحام النساء المطهّرة
عن الزنا والكفر وما اشبه . فعثلا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اودع نفسى
صلب آدم عليه السلام ثم انتقل الى رحم ((حواء)) وهناك اودع فى صلب
((هابيل)) وانتقل الى رحم ((زوجته)) وهلم جرا .

(كلما مضى منهم) أى من الأنبياء (سلف) بأن مات احدهم (قام منهم
بدين الله) أى لأقامة دينه (خلف) يخلف مكانه ليوذّى رسالة ربّه (حتّى
افضت) أى انتهت (كرامة الله) بالنبوة (الى محمد صلى الله عليه وآله
فأخرجه) أى الرسول (من افضل المعادن منبتا) المنبت اسم مكان بمعنى
محل النبات ، والمراد ((بنى هاشم)) .

(واعز الأرومات) جمع ارومة بمعنى الأصل (مغرسا) موضع الغرس (من
الشجرة التى صدع منها انبياءه) يقال صدع فلانا اذا قصده لكرمه ، أى خصهم
بالنبوة والمراد بها شجرة ابراهيم عليه السلام الذى تفرع منه انبياء بنى اسرائيل
الكثار وغيرهم .

(وانتخب) أى اختار (منها) أى من تلك الشجرة (امناؤه) المؤمنون

عِثْرَتُهُ خَيْرُ الْعِثْرِ، وَأَسْرَتُهُ خَيْرُ الْأَسْرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتْ فِي حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ، وَثَمَرَةٌ لَا تُنَالُ، فَهُوَ إِمَامٌ مَنِ اتَّقَى، وَبَصِيرَةٌ مَنِ اهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ،

على تبليغ الشريعة (عثرته) عترة الرجل اهله الأقربون ، اى ان اهل بيته الرسول صلى الله عليه وآله (خير العثر) جمع عترة (وأسرته) رهطه وجماعته (خير الأسر) جمع أسرة (وشجرتة خير الشجر) الشجر للجنس والشجرة للفرد نحو تمر وتمرّة ، وبقرو بقرّة (نبّت) شجرة الرسول صلى الله عليه وآله (فى حرم) مكة (وبسقت) اى ارتفعت (فى كرم) فكلهم كرماء اذكياء (لها فروع طوال) لامتداد ذرية الرسول صلى الله عليه وآله .

(وثمره لا تنال) اى ان عزه وسؤدده لا ينال فلا يتمكن احد من الوصول الى هذه المرتبة الرفيعة (فهو امام من اتقى) لأنه صلى الله عليه وآله المعلم والمرشد والأسوة .

(وبصيرة) اى سبب بصيرة (من اهتدى) الى الحق (سراج) اى مصباح (لمع) واشرق (ضؤّه) فكما يضيئ المصباح كذلك الرسول صلى الله عليه وآله يضيئ بالارشاد والهداية .

(وشهاب) هو النيزك يرى بالليل ينقض فى السماء (سَطَعَ) اى ارتفع (نوره) فراه كل احد (وزند) هو ما يقدح من الحجر لاخراج النار (برق لمعه) اى نوره (سيرته القصد) يعنى التوسط فى الأمور بلا افراط ولا تفريط (وسنته) اى طريقته (الرشد) لاغى فى سنته صلى الله عليه وآله وسلم .

وَكَلَامُهُ الْفَصْلُ ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ ، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ ، وَغِبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ . اَعْمَلُوا ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، وَأَنْتُمْ فِي دَارٍ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ ، وَالْأَبْدَانُ

(وكلامه الفصل) بين الحق والباطل (وحكمه العدل) لا يجوز في الحكم أو أن أحكامه كلها عادلة لا انحراف فيها (أرسله) الله سبحانه (على حين فترة من الرسل) الفترة الزمان بين الرسولين (وهفوة) أي انحراف الناس (عن العمل) الصالح (وغباوة) أي جهل (من الأمم) بما يصلح دنياهم وآخرتهم . (اعملوا) أيها الناس (رحمكم الله) دعاء في صورة الجملة الخبرية (على أعلام بيّنة) أي واضحة ، والمراد بالأعلام ، أحكام الكتاب والسنة ، فأنها أعلام لطريق الحق والهدى .

(فالطريق) إلى الحق (نهج) واضح مستقيم (يدعو إلى دار السلام) فاعل يدعو ((الطريق)) ودار السلام هي الجنة ، لأنها دار سلامة ، كما قال سبحانه : ((لهم دار السلام عند ربهم)) .

(وأنتم في دار مستعتب) أي طلب العتبا - بمعنى الرضا - فان الدنيا دار يطلب من الانسان - فيها - أي يرضى ربه ، وهذا كناية عن أن للانسان وقتا للعمل الصالح .

(على مهل) أي مهلة من العمل (وفراغ) فلا اشتغال للانسان لا يتمكن من العمل الصالح بسببه (والصحف) جمع صحيفه - التي يكتب فيها عملكم - (منشورة) فلكم امكان ان تزيدوا وتنقصوا في أعمالكم .

(والأقلام جارية) بالكتابة لكم أو عليكم ، فيمكنكم التدارك (والأبدان

صَحِيحَةٌ ، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ ، وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ ، وَالْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالٌ فِي حَيْرَةٍ ، وَخَابِطُونَ فِي فِتْنَةٍ ، قَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ
الْأَهْوَاءُ ، وَاسْتَزَلَّتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ ، وَاسْتَخَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ .

صحیحة (لا مرض فیها) (والألسن مطلقه) لا خرس لها ، والجملة من باب
الغالب - كما لا يخفى - (والتوبة مسموعة) لا كالأخرة التي لا تقبل التوبة
فیها (والأعمال مقبولة) فمن عمل صالحا قبل منه ورفع به درجته .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله

(بعثه) الله سبحانه (والناس ضلال) جمع ضال (فى حيرة) لا يعرفون
طريق الصواب (وخابطون فى فتنة) أى كانوا يخوضون فى الفتن لا يهتدون الى
الحق ، ولا يجدون للخلاص سبيلا (قد استهوتهم الأهواء) أى ان العيول و
الشهوات اخذتهم الى جانبها (واستزلتهم الكبرياء) أى ادت كبريائهم وانصرفهم
عن الحق الى الزلة و السقوط فى الفساد .

(واستخفتهم الجاهلية الجهلاء) أى جعلتهم الجاهلية خفيفا ، تسوق
بهم الى المهالك والمضار ، والجاهلية صفة لا قوام ما قبل الرسالة ، حيث كان
الناس يغيطون فى بحار الجهل والآثام ، والجهلاء مبالغة فى وصفها بالجهل .

حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ ، فَبَالَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
فِي النَّصِيحَةِ ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِيهَا حَمْدُ اللَّهِ ، وَتَعْلِيدُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ ،

(حيارى) جمع حيران (فى زلزال من الأمر) أى ان أمورهم لم تكن مستقرّة
بل مضطربة .

(وبلاء من الجهل) فجهلهم كان بلاء عليهم (فبالغ) الرسول (صلى الله
عليه وآله فى النصيحة) لهم بترك الكفر والآثام (ومضى على الطريقة) الصحيحة
يدعو الناس لاتباعه .

(ودعا الى الحكمة والموعظة الحسنة) أى دعا الناس بأن يكونوا حكماء
عارفين ، ويعظون الناس موعظة حسنة ، لا عنف فيها ولا تجهّم ، ولا ايذاء

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(فِيهَا حَمْدُ اللَّهِ ، وَتَعْلِيدُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

(الحمد لله الأول فلا شئ قبله) فهو واجب الوجود ، فهو ازل ، ولا شئ
غيره الا ممكن الوجود ، فيسبق عدمه وجوده ، مهما طال به الزمن فى طرف الأزل .
(والآخر فلا شئ بعده) لأنه سبحانه يبقى بعد فناء جميع الأشياء والدليل

وَالظَّاهِرُ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ ، وَالْبَاطِنُ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ .

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٌّ ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ ، وَ
مَمَاهِدِ السَّلَامَةِ ؛ قَدْ صُرِفَتْ نَحْوُهُ أَفْثَدَةُ الْأَبْرَارِ ،

عليه هو ((وجوب الوجود)) كما ذكرنا .

(والظاهر فلا شئ فوقه) والمراد بالظاهر العالى منزلة الرفيع قدرا ، ولذا

وصفه عليه السلام بقوله ((فلا شئ فوقه)) اى من حيث الرتبة والشرف .

(والباطن فلا شئ دونه) فى تبطن الأشياء وعرفان كنهها ، والمراد

الباطون بالعلم ، لا بالمكان — كما هو واضح .

((منها فى ذكر الرسول صلى الله عليه وآله))

(مستقره) صلى الله عليه وآله وسلم ، اى محل قراره ، وهو مكة ، والمراد

رحم امه صلى الله عليه وآله (خير مستقر) فان مكة هى ام القرى ، وببيت الله

الحرام ، وان اريد قرار نطفته ، فلطهارة والدة الرسول صلى الله عليه وآله و

اصالتها .

(ومنبته) اى آياته الذين نبت صلى الله عليه وآله منهم (اشرف منبت)

لأنهم المختارون لهذا الرسول العظيم (فى معادن الكرامة) فأجداده صلى الله

عليه وآله كانوا كرماء اذكيا ، كأنهم معدن لهذا الوصف .

(ومماهد) جمع مهيد ، والمراد المهيد — فهو اسم مكان من امهد اى

هيئ المكان الحسن للاستقرار — (السلامة) فان الرسول صلى الله عليه وآله كان

من آباء كلهم سالمون عن الكفر والسفاح وسائر الأرجاس .

(قد صرفت نحوه افثدة الأبرار) اى ان قلوبهم مصروفة نحوه صلى الله عليه و

وُثِّنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَةُ الْأَبْصَارِ ، دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الْبُضْغَانَيْنِ ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ أَلْفَ
بِهِ إِخْوَانًا ، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا ، أَعَزَّ بِهِ الذَّلَّةَ ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ . كَلَامُهُ
بَيَّانٌ ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ .

آله لاتخاذ العلم والعمل منه ، فانهم يأتسون به ويقتدون بسيرته وسنته (وثنيت
اليه) صلى الله عليه وآله .

(أزمة الأبصار) أزمة جمع زمام ، وانشاء الأزمة كناية عن تحول الأبصار اليه ،

كما ان انشاء أزمة الدابة انما يكون اذا اريد تحولها الى اتجاه آخر .

(دفن) الله سبحانه (به) اي بالرسول صلى الله عليه وآله (الضغائن)

اي الأحقاد ، بما اوجد في قلوبهم من المحبة والألفة .

(واطفأ به الثوائر) جمع ثائرة ، وهي العداوة التي تثور وتشب للاضرار

(ألف) الله سبحانه (به) صلى الله عليه وآله (اخوانا) فجعل كل مسلم أخا

للآخر — كما قال تعالى : ((انما المؤمنون اخوة)) .

(وفرق) سبحانه (به) صلى الله عليه وآله (اقربانا) الذين كانوا يالفون

على الشرك والعصيان ، فمن آمن منهم فرق عن بقى على كفره .

(اعز) سبحانه (به) صلى الله عليه وآله (الذلة) التي كانت تشمل

العرب وسائر الناس ، فيما قبل الاسلام .

(وأذل) سبحانه (به) صلى الله عليه وآله (العزة) للكافرين والعصاة

فأصبحوا أذلاء بعد ان كانوا أعزة .

(كلامه) صلى الله عليه وآله (بيان) للحق ، ليس هذرا ولغوا .

(وصمته لسان) فان سكوته صلى الله عليه وآله دليل على العدم والترك ،

فاذا سكت عن شئ دلّ على انه ليس بمنكر ، لأن قوله وفعله وتقريره كلها حجة .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في حال أصحابه ، وحال أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله
وَلِئِنْ أَمْهَلَ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ ، وَهُوَ لَهُ بِالْمُرْصَادِ عَلَى مَجَازِ
طَرِيقِهِ ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رَيْقِهِ أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في حال أصحابه ، وحال أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله
(ولئن أمهل) الله (الظالم) ولم يعجل في عقابه (فلن يفوت أخذه)
أي لا يذهب عنه تعالى أن يأخذه وينتقم منه (وهو) سبحانه (له) أي للظالم
(بالمرصاد) هو موضع الرصد والترقب ، كأنه سبحانه واقف في طريق الظالم
يراقبه حتى إذا وصل إليه - وحان وقته - أخذه أخذ عزيز مقتدر .
(على مجاز طريقه) المجاز محل العبور ، من جاز بمعنى مر (وبموضع
الشجا) الشجى ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه (من مساغ ريقه) أي ممره
من الحلق ، فان ماء الفم يمر من الحلق بسهولة إلى الباطن ، وهذا تمثيل
لقرب ترقب الله سبحانه للظالم ، حتى كأنه سبحانه في حلقه ، فإذا أراد أخذه
جعل هناك شجى فلا يتمكن من شرب الماء .
(أما والذي نفسي بيده) أي الله سبحانه الذي روح الإنسان تحت قدرته
وهذا حلف فيها نكتة لطيفة ..

لِيُظْهَرَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ ، لَيْسَ لَانْتَهُمُ أَوْلَىٰ بِالْحَقِّ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ
لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَىٰ بَاطِلٍ صَاحِبِهِمْ ، وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي . وَلَقَدْ أَصْبَحَتْ
الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِيهَا ، وَأَصْبَحَتْ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي . اسْتَنْفَرْتُكُمْ
لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا ، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا ، وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْرًا فَلَمْ
تَسْتَجِيبُوا ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا ، أَشْهُودُ كَغِيَابِ ،

(ليظهرن) اى ليغلبن وليتسلطن (هؤلاء القوم) معاوية واتباعه (علمتم
ليس لانهم اولى بالحق منكم) حتى ينطبق عليهم ((الحق يعلمو ولا يعلمى عليه)) .
(ولكن لا سراعهم الى باطل صاحبهم) معاوية اى انه اذا امرهم بأمر اسرعوا
فى تلبسته فينتهزون كل فرصة ، والعامل — دائما — مقدم على الكسول العاقل
(وابطائكم عن حقى) اى عن الحق الذى آمركم به .
(ولقد اصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها) جمع الراعى ، اى حكامها ، فان
الناس يخافون من ظلم السلاطين والحكام .
(واصبحت) بالعكس من ذلك (اخاف ظلم رعيتى) بأن تظلمنى فى عدم
الاطاعة ، وعدم السير على الخطة التى انهجها لهم (استنفرتكم للجهاد) اى
طلبت منكم النفرو السير للجهاد مع اهل الشام (فلم تنفروا) ولم تسيروا .
(واسمعتكم فلم تسمعوا) اى اسمعتكم سوء العاقبة اذا لم تحاربوا هؤلاء ،
لكنكم ما اطعتم كالذى لا يسمع .
(ودعوتكم) الى الحق (سرًّا) فرادى وفى الخلوات (وجهرا) جماهيرا
وفى الاجتماعات (فلم تستجيبوا) ولم تقبلوا النصح والارشاد .
(ونصحت لكم) فيما ينفعكم (فلم تقبلوا) نصحى ولم تسيرا وفق منهجى
(أشهود كغياب) ؟ استفهام انكار ، اى كيف انتم حاضرون فى حال كونكم —

وَعَبِيدُ كَارِبَابٍ ! أَتْلُو عَلَيْكُمْ الْحِكْمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا، وَأَعْظُمُكُمْ بِأَلْمَوْعِظَةِ
الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا ، وَأَحْثُكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتَى عَلَى آخِرِ
قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَْادِي سَبَا تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ ، وَتَتَخَادَعُونَ
عَنْ مَوَاعِظِكُمْ ، أَقَوْمُكُمْ غُدُوَّةٌ ، وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً ، كَظَهَرِ الْحَنِيَّةِ ،
عَجَزَ

فى عدم الانتفاع — كالفائبين الذين لا يسمعون الكلام (وعبيد كآرباب) ان العبد
يحتاج الى الاخافة فى الطاعة ، وهؤلاء كانوا عبيدا لكنهم كآرباب لا رب لهم و
هذا الكلام فى غاية الجمال والبلاغة فى الازدراء بهم .

(اتلو) اى اقرء (عليكم الحكم) جمع حكمة وهى الموعدة (فتنفرون منها)
بعدد العمل بعضا منها (واعظكم بالموعدة البالغة) التى تبلغ غاية الارشاد و
الايضاح (فتتفرقون عنها) اى لا تجتمعون على الأخذ بها والاعتاظ منها .

(واحثكم) اى احرضكم (على جهاد اهل البغى) اى اهل الظلم و هم
معاوية واتباعه (فما اتى على آخر قولى) فى الحث والتحريض (حتى أراكم
متفرقين) يذهب كل فريق الى داره ومحلّه (اياى سبا) جمع ايدى ، وهى
النعمة ، اى كما تفرقت نعم ((سبا)) وهى مدينة فى اليمن ، حكاه القرآن
الحكيم فعتتها فى قوله ((لقد كان لسبا فى مسكنهم آية)) ، وقيل غير ذلك ، ثم
صار ((اياى سبا)) مثلا فى شدة التفرق والاختلاف .

(ترجعون الى مجالسكم) بلاء اهتمام للجهاد (وتتخادعون) اى يخدع
بعضكم بعضا (عن مواعظكم) التى وعظتكم بها ، فلا ترون لها قيمة وثمنا .
(اقومكم) بالنصح والارشاد وجمعكم (غدوة) اى صباحا (وترجعون الى
عشية) اى ليلا (كظهر الحنية) اى القوس ، سميت بها لانحنائها (عجز

الْمُقَوْمُ ، وَأَغْضَلَ الْمُقَوْمُ أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، الْغَائِبَةُ عُقُولُهُمْ ،
الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ، الْمُبْتَلَى بِهِمْ أَمْرَاؤُهُمْ . صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ ،
وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللَّهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ . لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنْ مُعَاوِيَةَ
صَارَفَنِي بِكُمْ صَرَفَ الدِّينَارِ بِالدَّرْهِمِ ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي
رَجُلًا مِنْهُمْ !

المقوم (عن تقويمكم ، وهذا جملة خبر للتأنيف والتضجر) واعضل المقوم (اي
استصعب وعصى من يراد قوامه واستقامته .

(ايها) الجماعة (الشاهدة ابدانهم) اي الحاضرة في محضرى (الغائبة
عقولهم) كناية عن عدم رشدهم وادراكهم (المختلفة اهواؤهم) فلكل هوى وميل
واتجاه ، بلا اجتماع على الحق (المبتلى بهم امراؤهم) فان امراء العراق ما
كانوا يعلمون ماذا يصنعون بهؤلاء ، ولذا دل التاريخ على كثرة التقلبات في هذه
البلاد بما يقل مثلها في سائر المدن والبلاد .

(صاحبكم) يعنى الامام بـ ((صاحب)) نفسه الطاهرة (يطيع الله) فى
اوامره ونواهيه (وانتم تعصونه) بالمخالفة والتفرق واتباع الاهواء .

(وصاحب اهل الشام) وهو معاوية (يعصى الله) فلا يطيع اوامره و
زواجه (وهم يطيعونه) فى باطله (لوددت) اي احببت .

(- والله - ان معاوية صارفنى بكم صرف الدينار بالدراهم) المصارفة
تعويض نقد بنقد آخر (فأخذ منى عشرة منكم واعطانى رجلا منهم) فان الدينار
- كان - يعادل عشرة دراهم والمراد ان رجلا من اهل الشام - فى الاطاعة -
خير من عشرة منكم ، فالجيش المكون من مائة منهم - مثلا - افضل فى القوة و
المنعة من جيش مكون من ألف منكم .

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَأَثْنَتَيْنِ : صُمُّ ذَوُو أَسْمَاعٍ . وَبُكُمْ
ذَوُو كَلَامٍ ، وَعُمِّي ذَوُو أَبْصَارٍ ، لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَلَا إِخْوَانُ
ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ ! تَرَبَّتْ أَيْدِيكُمْ ! يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رِعَاتُهَا !

(يا أهل الكوفة منيت منكم) أى امتحنت بواسطتكم وابتليت بكم (بثلاث)
من الخصال السيئة التى فيكم (واثنيتين) أى خمس خصال سيئة ، وأما فرقهما
لأن الاثنتين شكل آخر ، من غير شكل الثلاث ، وان كان الجميع خصال سوء .
أما الثلاث (صم ذوو أسماع) أى ان آسماعكم لا تنفع ، فأنتم كالانسـان
الأصم الذى لا ينتفع بسمعه وصم جمع أصم ، وهو من فقد حاسة السمع .
(وبكم) جمع ابكم وهو الذى لا يقدر على التكلّم (ذوو كلام) وحيث ان
كلامهم لا ينفع فهم كالأبكم الذى لا يتكلم اذ عدم الكلام والكلام غير المفيد سواء .
(وعمى) جمع أعمى (ذوو أبصار) والحاصل ان آسماعكم وأبصاركم و
ألسنتكم لا يأتى منها الخير فوجودها كعدمها وأما الاثنتان (لا أحرار
صدق) أى ليس احدكم حرّاً صادقاً ، وانما حريتكم مكذوبة لأن عملكم عمل العبد
(عند اللقاء) فى الحرب ، فالعبد يفر ، لأنه لا يهيمه من كان سيده ، سيده
الأول او خصمه ، اما الحرّ فانه يعلم اذا غلب يكون عبدا لخصمه ، ولذا يصمد
امام الأعداء (ولا اخوان ثقة) أى اخوان يثق بكم الانسان (عند البلاء) فانكم
تتجانبون اصدقاؤكم اذا نزلت بهم البلاء ، لانطوائكم على الرذيلة .
(تربت أيديكم) أى اصابك التراب ، وهذا دعاء عليهم بعدم الخير ، لأن
الانسان اذا ذهب الى العمل فقد يجد العمل ، وقد لا يجد فكأنه اصابته
التراب الذى لا ينفع ، ولم تصب عملاً نافعا .
(يا اشباه الابل) المتصفة بأنـها (غاب عنها رعاتها) فان الابل اذا غاب

كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، وَاللَّهُ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا
أَخَالَ : أَنْ لَوْ حَمَسَ الْوَعْيُ ، وَحَمِيَ الضَّرَابُ ، وَقَدْ أَنْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ
أَبِي طَالِبٍ أَنْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبْلِهَا . وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَمِنْهَا جَاءَ
مِنْ نَبِيِّي ، وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الْقُطْبُ لَقُطًا

عنها الراعى تفرقت اشدّ التفرّق (كلما جمعت من جانب) فيما كان الجمع من
غير الراعى لها (تفرقت من جانب آخر) لعدم انتظام امرها . وعدم اتّحاد
اهوائها .

(- واللّه - لكأني بكم) اى هكذا اراكم واطنكم (فيما اخال) اى فيما
اطن ، فان ((خال)) بمعنى ((ظن)) (ان لو حسم) اى اشتدّ (الوعى)
اى الحرب (وحى) اصار حارا (الضراب) اى القتال ، وحرارته كناية عن
شدته (وقد انفرجتم) اى تفرقتم (عن ابن ابي طالب) يعنى الامام عليه السلام
نفسه .

(انفراج المرأة عن قبلها) كما تبدى النساء عورتها لدى الوضع عند الولادة ،
اولدى ملاقات السلاح ، لأنها تذهل عن امرها ، حتى انها لا تعرف انكشاف
قبلها اذا فرت وقد صرح الامام بهذا اللفظ ليوّجد فيهم الانفة والحمية لعلّهم
يأنفون عن مثل هذا التشبيه القبيح ، والمراد التشبه فى فرارهم بالمرأة المنفرجة
لا ان المقصود جميع اطراف التشبيه فتأمل .

(وانى) لا يهمنى امركم فى ذات نفسى ، وانما أنصح لكم ، اذ انسى
(لعلى بيّنة من ربى) فانا أعرف احكام الله سبحانه .

(ومنهاج من نبى) اعلم سنة الرسول صلى الله عليه وآله .

(وانى لعلى الطريق الواضح القطه لقطا) اى آخذ الحق كما يأخذ الانسان

أَنْظَرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمَتَهُمْ ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى ، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى ، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا . وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضَلُّوا ، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا . لَقَدْ رَأَيْتُمْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَمَا أَرَى أَحَدًا مِنْكُمْ يُشَبِّهُهُمْ لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْنًا

اللقطة الثمينة من بين ما لا ثمن له ، فإن الحق واحد والباطل ضروب مختلفة .
 (أنظروا) الى (أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم) أى طريقهم (واتبعوا أثرهم) فى الأعمال والأقوال والعقائد (فلن يخرجوكم من هدى) الى الضلالة (ولن يعيدوكم فى ردى) أى الهلاك ، والاعادة باعتبار ما كان الناس عليه فى زمن الجاهلية . (فان لبدوا) أى اقاموا على امر (فالبدوا) أى أقيموا عليه من (لبدا) بمعنى (اقام) . (وان نهضوا) بالحرب ، او ما اشبهه (فانهضوا) وهذا كناية عن اتباعهم فى كل الأمور (ولا تسبقوهم) بأن تسرعوا فى الأمر فيما تأتوا فيه ، كان يحاربوا وأهل البيت يرون وجوب المسالمة (فتضلوا) عن الطريق .

(ولا تتأخروا عنهم) كما لو قام أهل البيت بالحرب ، فلم ينهض معهم الناس ، فانهم تأخروا عنهم - فان التقدم والتأخر يعتبر بالسلوك ، تشبيهه بالمشى - (فتهلكوا) بالعصيان وتوجبوا على أنفسكم العقاب والنيران .
 (لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فما أرى أحدا منكم يشبههم) فى الطاعة والسبق الى الخير والفضيلة - والمراد بهم المؤمنون حقاً ، لا المنافقون ، - كما لا يخفى .

(لقد كانوا يصبحون شعناً) جمع اشعث وهو الذى لم يمشط رأسه فتداخل

غُبْرًا ، وَقَدْ بَاتُوا سُجَّدًا وَقِيَامًا ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُلُودِهِمْ ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ ! كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمِعْزَى مِنْ طَوْلِ سُجُودِهِمْ ! إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبْلُ جُيُوبُهُمْ ، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ ، خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ ،

شعره (غبرا) جمع اغبر وهو المعفر الرأس ، فان القيام بالليل وكثرة الركوع والسجود يسبب ذلك ، والمراد انهم كانوا عبادا زهادا (وقد باتوا) ظلوا الليل كله (سجدا) جمع ساجد (وقياما) جمع قائم (يراوحن) المرواحنة بين عمليتين هي ان يعمل هذا مرة وذلك مرة (بين جباههم) جمع جبهة (و خدودهم) جمع خد ، يعنى انهم كانوا يضعون جبهتهم و خدّهم على الأرض خضوعا - هذه مرة ، وذلك اخرى - وذلك كناية عن اذمان الصلوات والاستكانة (ويقفون على مثل الجمر) اى مثل الواقف على جمر النار (من ذكر معادهم) فان الانسان اذا خاف شديدا ، كان كالواقف على الجمر فى ضربان القلب ، وعدم استقرار الجسد .

(كأن بين أعينهم) اى فى جباههم (ركب المعزى) جمع ركة ، والمعزى ، جمع معز ، فان كثرة السجود توجب يبس الموضع واستدارته وانعقاد الثفنة ، وتخصيص المعزى لأن ركبها اشدّ يبوسة (من طول سجودهم) لله سبحانه .
(اذا ذكر الله هملت) اى جرت (أعينهم) دموعا (حتى تبل) أعينهم (جيوبهم) من كثرة البكاء ، فان الخائف الشديد الخوف ، والراغب الشديد الرغبة ، اذا ذكر لديهم المخوف منه او المرفوب اليه بكوا .

(ومادوا) اى اضطربوا - عند ذكر الله سبحانه - (كما يמיד الشجر يوم الريح العاصف) اذا هبت الرياح الشديدة (خوفا من العقاب) لئلا يكون من

وَرَجَاءٌ لِلثَّوَابِ !

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

فی وصف بنی أمیة

وَاللّٰهُ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدْعُوا لِلّٰهِ مُحَرَّمًا إِلَّا اسْتَحْلَوْهُ، وَلَا عَقْدًا إِلَّا حَلَّوْهُ، وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَأٌ بِهِ سُوءٌ رَعِيَهُمْ،

أهله (ورجاء للثواب) تمنيا ان يكونوا من مستحقه .

مركز تحقیقات علوم اسلامی

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

فی وصف بنی أمیة

(واللّٰه لا یزالون) ای یبقون (حتّٰی لا یدعوا) ای لا یترکوا (للّٰه محرمّا) استحلّوه) ای اتوا به کأنه حلال (ولا عقدا) معّا عاهد اللّٰه البشر (الاّ حلّوه) ولم یفوا به ، او المراد عقودهم مع النّاس ، وهذا اضافی بمعنی انهم لا یبالون بالمحرّمات والعقود ، لا استغراقی حقیقی .

(وحتّٰی لا یبقی بیت مدر) وهو المبنى من طوب وحجر و نحوهما (ولا وبر) وهو الخیّام المضروبة من أوبار الابل و نحوها (الاّ دخله ظلمهم) فسان المضرائب وما أشبه تدخل کلّ بیت .

(ونبا به سوء رعیهم) یقال نبا به المنزل اذا لم یوافقه فارتحل عنه ، یعنی ان

وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيانُ يَبْكِيانِ بِبَاكِ يَبْكِي لِدِينِهِ ، وَبَاكِ يَبْكِي لِدُنْيَاہُ ،
وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كُنُصْرَةَ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ ، إِذَا شَهِدَ
أَطَاعَهُ ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ ، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمُكُمْ فِيهَا عَنَاءُ أَحْسَنُكُمْ
بِاللَّهِ ظَنًّا ، فَإِنْ آتَاكُمْ اللَّهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا ، وَإِنْ ابْتَلَيْتُمْ فَاصْبِرُوا ،
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .

سوء إدارة بنى امية يوجب ابتعاد الناس عن دارهم فرارا من الظلم .
(وحتى يقوم الباكيان يبكيان) المراد جنسان من الباكي (باك يبكى لدينه)
حيث ان بنى امية يحاربون الدين (وباك يبكى لدنياه) حيث يستبدون
بالسيطرة على الدنيا فلا يجعلون لأحد منها نصيبا .
(وحتى تكون نصرة احدكم من احدهم) اى اذا أراد الانتصار (كنصرة
العبد من سيده) الذى لا يتمكن الانتصار منه والتغلب عليه (اذا شهد أطاعه
واذا غاب اغتابه) هذا بيان لكيفية النصرة ، فان العبد حيث لا يتمكن من
الانتصار يكون حاله هكذا ، اذا حضر المولى أطاعه — خوفا وجبرا — واذا غاب
المولى ، اغتابه العبد وبين مظلومه واذا له .
(وحتى يكون اعظمكم فيها) اى فى حكم بنى امية (عناء) تعباً وصعوبة
(احسنكم بالله ظناً) اذ الانسان الحسن الظن بالله يعمل من اجله سبحانه ، و
بنو امية مخالفون لمن أطاع الله سبحانه ولذا يضطهدوه ويؤذوه اكثر من غيره .
(فان آتاكم الله بعافية) سلامة عن شرهم (فاقبلوا) واشكروا الله عليها (و
ان ابتليتم) ببلائهم (فاصبروا) حتى يأتى الله بأمره (والعاقبة للمتقين) الذين
يتقون الآثام والمعاصى .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في التزهيد في الدنيا

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ ، وَنَسْأَلُهُ
الْمُعَافَاةَ فِي الْأَذْيَانِ ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ .

عِبَادَ اللَّهِ ، أَوْصِيَكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ
تُحِبُّوا تَرْكَهَا ، وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَادِكُمْ

مركز تحقيقات علوم اسلامی

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في التزهيد في الدنيا

(نحمده) تعالى (على ما كان) من تهطال نعمه علينا قديما (ونستعينه
من أمرنا على ما يكون) ليكون سبحانه عوناً لنا في ما يأتي (ونسأله المعافاة في
الأديان) بأن يتفضل علينا بعافية ديننا عن الاخطار (كما نسأله المعافاة في
الأبدان) بأن يعافى بدننا من الأمراض .

يا (عباد الله اوصيكم بالرفض لهذه الدنيا) أي تركها وعدم الاقبال عليها
(التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها) فإن الدنيا تترك الانسان عند الموت وتأخذ
عنه نعيمها ، وإن لم يحب الانسان إلا البقاء ، ودوام النعمة (والمبلىة
لأجسامكم) فإن الانسان يبلى في القبر ويصير ترابا .

وَأِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا ، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفَرٍ سَلَكَوْا سَبِيلًا
فَكَانَتْهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ ، وَأُمُومًا عُلَمَاءُ فَكَانَتْهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ . وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي
إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا ! وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ
لَهُ يَوْمٌ لَا يَبْلُغُوهُ ، وَطَالِبٌ حَيْثُ يَخْلُوهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَفَارِقَهَا

(وان كنتم تحبون تجديدها) أى تجديد الدنيا ، فهى من النقيض لكم
حيث انكم تخدمونها وهى نسيء اليكم فما اجدر بالانسان ان يترك ما هذا شأنه .
(فانما مثلكم ومثلها) أى مثلكم فى الدنيا (كسفر) بمعنى جماعة مسافرين
(سلكوا سبيلا) أى ساروا فى طريق (فكانهم قد قطعوه) وصلوا الى الغاية التى
من أجلها سافروا (وأموا علما) أى قصدوا جلا - او علامة - (فكانهم قد
بلاغوه) وهكذا الدنيا حيث انها محدودة لا بد وان تنتهى عن قريب ، ولذا
فمن الأفضل ان لا يعتمد الانسان عليها (وكم عسى المجرى) مركوبه (الى
الغاية ان يجرى اليها) أى الذى يريد ان يجرى الى تلك الغاية (حتى يبلغها)
متعلق بـ (كم عسى) أى ، أى مقدار من المدة يرجو - الذى يجرى مركوبه الى
غاية يريد ان يجرى اليها - حتى يبلغ تلك الغاية ؟ وهذا استفهام للتحقير ،
فان ماله غاية لا بد من الوصول اليها ، وان كانت المسافة بعيدة .

(وما عسى) أى ما يومل (ان يكون بقاء) أى بقائه (من له يوم لا يعدوه)
فان لكل انسان يوم لا يعدو ذلك اليوم ، بل اذا وصل اليه انتهى عمره وانتقل
الى الآخرة ، والاستفهام للتحقير لبيان قلة الأمر المؤمل اذا كان له آخر وغاية
(و) الحال انه (طالب حيث) يبحث ويحضر على السير (يحدوه) يسوقه
ويسيره (فى الدنيا حتى يفارقها) والطالب الحثيث هو امر الله سبحانه فالأمر

فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا ، وَلَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا ،
وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَائِهَا وَبُؤْسِهَا ، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ ، وَإِنَّ
زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ ، وَضَرَاءُهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا
إِلَى أَنْتَاهَا ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ . أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ

آخر ، وطالب يحدو . . . فكم يبقى الانسان والحال هذه ؟ .
(فلا تنافسوا) التنافس التغالب على الشيء (في عز الدنيا وفخرها) بأن
يريد كل منكم ان يعملوا على صاحبه في العز والفخر .

(ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها) اي لا تفرحوا ولا ترضوا عن زينة الدنيا و
نعيمها ، لأنه سراب خادع لا دوام له ولا بقاء (ولا تجزعوا) الجزع ضدد
الصبر (من ضرائها) اي الأضرار التي تلحق بكم من الدنيا (وبؤسها) شدائدھا
(فان عزها وفخرها الى انقطاع) فلا بد ان يأتي زمان لا عز لكم فيه ولا فخر حيث
ذهب بسبب او بالموت (وان زينتها ونعيمها الى زوال) وفناء (وضرأها و
بؤسها الى نفاذ) اي خلاص وتمام ، من نفد اذا فنى (وكل مدة) خيرا كانت
او شراً (فيها) اي في الدنيا (الى انتها) قال الشاعر :

رأيت الدهر مختلفا يدور فلا حزن يدوم ولا سرور
وقد بنت الملوك به قصورا فما بقي الملوك ولا القصور
(وكل حي فيها الى فناء) فكيف يعتمد العاقل على مثل هذه الدنيا ؟ أم
كيف يحزن لبؤسها ؟ او يفرح لنعيمها ؟ .

(اولى لكم في آثار الأولين) ممن كان من قبلكم (مزدجر) اي ما يسبب
الانزجار والارتداع عن الاقبال على الدنيا ، فما هم قد فنوا ومضوا وهذه
آثارهم .

وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ! أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى
الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ ، وَإِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِينَ لَا يَبْقَوْنَ ! أَوَلَسْتُمْ
تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى : فَمَيِّتٌ يُبْكِي ،
وَأَخَرٌ يُعْزِي ، وَصَرِيحٌ مُبْتَلَى ، وَعَائِدٌ يَعُودُ ، وَآخَرٌ بِنَفْسِهِ يَجُودُ
وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ ؛

(وفى آبائكم الماضين) الذين ماتوا (تبصرة و معتبر) أى ما يوجب التبصر
والاعتبار ، بأن تعرفوا من مضىهم حال الدنيا وانها لا تبقى ولا تبقى على احد
(ان كنتم تعقلون) أى ان كنتم تعقلون لا تعتبرتم بآبائكم والاولين ممن كان قبلكم ،
(اولم تروا الى الماضين منكم لا يرجعون) ؟ فهل ترجعون رجوعا لكم اذا
فنيتم ولذا تعتمدون على الدنيا (والى الخلف الباقين لا يبقون) فهل ترجون
بقاها بعد ما ترون من هلاك خلفاء السابقين — الذين يعاصرونكم — ؟
(اولستم ترون اهل الدنيا يصبحون ويمسون على احوال شتى) ؟ جمع شتيت
بمعنى احوال مختلفة ، وذلك لما يدل على عدم بقاء الدنيا على حال وانما
انتقالها من حال الى حال (فميت يبكي) له (وآخر يعزى) وهو من يرتبط
بالميت حيث يعزونه الناس ويسألونه فى مصابه (وصريح) أى من نام على فراش
العله ، كأن المرض صرعه (مبتلى) ابتلى بالداء والمرض .
(وعائد) للمريض (يعود) أى يزوره ويسأل من أحواله (وآخر) محتضر
فى آخر ساعاته (بنفسه يجود) أى يعطى نفسه لله سبحانه ، يقال جاد بنفسه
اذا قارب الموت .

(وطالب للدنيا والموت يطلبه) فهو فى عين الايغال فى الدنيا يبتعد عنها
بطلب الموت له (وغافل) عن الآخرة (وليس بمغفول عنه) بل له حساب

وَعَلَىٰ أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي ! أَلَا فَاذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَاتِ ، وَمُنْغَصِ الشَّهَوَاتِ ، وَقَاطِعَ الْأُمْنِيَّاتِ ، عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ ، وَاسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَىٰ آدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ ، وَمَا لَا يُحْصَىٰ مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ .

دقيق (وعلى اثر الماضى) من الناس (ما يعضى الباقي) ((ما)) مصدرية ، أى يكون مضى الباقي فى الدنيا .

(الا) للتنبيه (فاذكروا) أيها الناس (هادم اللذات) وهو الموت الذى يهدم لذات الانسان فى هذه الحياة ، ومن المعلوم ان ذكر الموت يوجب ابتعاد الانسان عن الشهوات لأنه يوجد فى نفس الذاكر ملكة عزوف عن الدنيا (و منغص الشهوات) يقال نغص غصه إذا افسده (وقاطع الأمنيات) جمع أمنية بمعنى الآمال ، فكأن الأمانى متصلة بالانسان والموت يقطع خيوطها (عند المساورة) متعلق بما ذكرنا ، والمساورة الموازنة كأن الانسان يشب على العمل القبيح فيأتى به (للأعمال القبيحة) المحرمة فى الشريعة .

(واستعينوا الله على آداء واجب حقه) أى اطلبوا منه سبحانه الاعانة كى يودوا حقه حتى يمينكم (و) آداء الواجب (ما لا يحصى من اعداد نعمه و احسانه) فان الانسان لا يتمكن ان يحصى عدد نعم الله سبحانه .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى رسول الله واهل بيته الأطهار

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ . نَحْمَدُهُ
فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى رسول الله واهل بيته الأطهار

(الحمد لله الناشر فى الخلق فضله) فانه سبحانه عم فضله واحسانه فى
جميع خلقه (والباسط فيهم بالجوود يده) فكما ان الانسان اذا اراد ان يعطى
احدا شيئا مد يده — اى بسطها — ليناوله ، كذلك الله سبحانه ، من باب تشبيه
المعقول بالمحسوس تقريبا الى الذهن والآن فلا يد لله سبحانه فانه منزّه عن الجسم
وعن عوارض الجسم .

(نحمده فى جميع أموره) من نعمة او بلاء فانه لا يفعل شيئا الا حسب الصلاح
فيستحق بذلك حمدا وثناء (ونستعينه على رعاية حقوقه) اى نطلب منه تعالى
ان يعيننا حتى نؤدي حقه — الذى هو اطاعته وعبادته .

(ونشهد ان لا اله غيره وان محمدا عبده ورسوله) وتقديم ((عبده))

للاعتراف بمقام الألوهية والتخضع لدى جنابه تعالى .

أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً ، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً ، فَأَدَى أَمِيناً . وَمَضَى رَشِيداً ؛ وَ
خَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ ، وَمَنْ
لَزِمَهَا لَحِقَ ، دَلِيلُهَا مَكِيتُ الْكَلَامِ ،

- (أرسله) سبحانه (بأمره صادعاً) يقال صدع بالأمر أي قام به ، واصل
الصدع الكسر كأنه يكسر الباطل ليبين مكانه صرح الحق .
(وبذكره ناطقاً) أي بأن يذكره سبحانه ، أو يذكره الذي هو قرانه (فادى)
رسالته (أميناً) بخير إن يزهد فيه أو ينقص .
(ومضى رشيداً) أي مع الرشيد لم يتغير عما كان عليه ، وهذا خلاف كثير
من الناس الذين يبتدون في الأعمال بنظافة ونزاهة ، لكن في آخر الأمر يتورطون
و يرتطمون في الفئ والاعتراف .
(وخلف فينا راية الحق) وهي الكتاب والعتره كما قال ((صلى الله عليه
 وآله)) اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيته ما ان تمسكتم بهما
 لن تضلوا بعدى أبدا .
(من تقدمها مرق) أي خرج عن الدين ، ومعنى التقدم الزيادة على ما
 شرعه الله سبحانه .
(ومن تخلف عنها زهق) أي اضمحل وهلك ، والتخلف بعدم اتيان
 ما شرع الله من الأحكام .
(ومن لزمها) أي لزم الراية (لحق) بالحق بدون تقدم أو تأخر (دليلها)
 شرع الامام عليه السلام في بيان دليل يعرف به راية الحق حتى لا يجتمع الناس
 تحت راية الباطل بظن أنها الحق .
(مكيت الكلام) أي رزين يمكث في قوله ، فلا يسرع في الجواب ، وذكر

بَطِيءُ الْقِيَامِ ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ فَإِذَا أَنْتُمْ أَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ ، وَأَشْرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ حَتَّى يُطْلَعَ اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ ، فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ ، وَلَا تَيَاسُوا مِنْ مُدْبِرٍ ، فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ ، وَتَثْبُتَ الْآخَرَى ،

الحلول للمشاكل وانما يمكن .

(بطيء القيام) اى لا يقوم بأمر الا بعد بطئ وترث وتفكر .

(سريع اذا قام) فاذا تبين وجه الحق نهض فى تنفيذه مسرعا بلا تلكؤ و

بطؤ - وكان الامام عليه السلام يصف بذلك حال نفسه .

(فاذا انتم للنتم له رقابكم) الان رقبته كناية عن الخضوع له عليه السلام ، لأن

الرقبة تكون طوع امره ونهيه ، لا تبقى صلبة لا تعتنى بأمره ونهيه .

(واشرتم اليه بأصابعكم) بأن كان مشهورا بينكم يشار اليه بالأصابع (جاءه

الموت فذهب به) يعنى اذا تم الاسلام بالامام بأن صار مطاعا مشتهرا توقى .

وبعد الوفاة تحضى مدة حتى يقوم قائم آل محمد عليه السلام (فلبثتم بعده ما

شاء الله) من المدة الطويلة بلا امام قائم (حتى يطلع الله لكم) اى يخرج لكم

(من يجمعكم) تحت لواء الحق (ويضم نشركم) يجمع المتفرق منكم (فلا تطمعوا

فى غير مقبل) الى الزعامة ، كالأئمة الذين لم يقوموا بالأمر ، فانهم لم يقبلوا نحو

الزعامة وانما لزموا دورهم (ولا تياسوا من مدبر) كالامام المهدي الذي ادبر

بغيبته عنهم (فان المدبر عسى) اى لعل (ان تزل احدى قائمتيه) اى رجله

والزلة كناية عن عدم القيام بالأمر . (وتثبت الاخرى) كناية عن عدم الانقطاع

مطلقا وانما التأخير لمصالح .

وَنَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً أَلَا إِنَّ مِثْلَ آلِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،
كَمِثْلِ نُجُومِ السَّمَاءِ : إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلْتُمْ مِنْ
اللَّهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعُ ، وَأَرَأَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ .

(و) بعد ذلك (ترجعا) القائمتان (حتى تثبتا جميعا) بأن تكمل
شرائط القيام فيقوم باذن الله سبحانه .

ولا يخفى ان الكلام لا يدل على عدم قيام لواء الحق قبل ظهور الامام عليه
السلام وانما الحق الكامل يكون بظهوره . ثم ذكر عليه السلام لزوم استمرار الحجة
وان لم يقم الامام بالزعامة .

(الا ان مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء) ثم بين وجه
التمثيل بقوله : (اذا خوى) اي غاب (نجم طلع نجم) والنجوم لا تزال في
السماء سواء كان الليل وكانت ظاهرة او كان النهار وكانت مستورة .

(فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع) جمع صنيعه بمعنى النعمة ، اي
النعم (واراكم) الله سبحانه (ما كنتم تأملون) بظهور الامام المهدي عليه
السلام .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهي تشتعل على الملاحم

الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ ، وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ ، بِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ
لَا أَوَّلَ لَهُ ، وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْأَعْلَانُ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهي تشتعل على الملاحم ، وتسمى الحرب بالملحمة ، لأنها محل اللحم
الذي يحصل من القتل ، فان اجزاء الانسان اذا قطعت كانت لحما وسميت به ،
وملاحم جمع ملحمة .

هو سبحانه (الأول قبل كل أول) فكلما يسمى بالأول ، يكون الله سبحانه
((أولا)) قبله (والآخر بعد كل آخر) فكلما يسمى بالآخر يكون الله سبحانه
((آخر)) بعده (پ) سبب (اوليته) وقدمه على الاشياء (وجب ان لا
اول له) اذ لو كان له تعالى اول ، لم يكن هو الأول ، بل ما سبقه الأول -
بقول مطلق - .

(وپ) سبب (اخريته) وبقائه بعد الأشياء (وجب ان لا آخر له) اذ لو
كان له تعالى آخر ، لم يكن هو الآخر ، بل ما يتاخر عنه هو الآخر - بقول مطلق - .
(وأشهد أن لا اله الا الله شهادة يوافق فيها السر الأعلان) لا كشهادة

وَأَلْقَبُ اللِّسَانَ أَيُّهَا النَّاسُ ، (لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي) ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عُصْيَانِي ،
وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي . فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ
النَّسَمَةَ ، إِنَّ الَّذِي أَنْبَأَكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، مَا
كَذَبَ الْمُبَلِّغُ ، وَلَا جَهْلَ السَّامِعُ .

المنافقين الذين يشهدون ظاهراً لا باطناً ، أو شهادة الكفار الذين ((جحدوا
بها واستيقنتها انفسهم)) يشهدون باطناً لا ظاهراً .

(و القلب اللسان) فكلاهما يشهدان بالوحدانية ويعترفان بالربوبية .

(أيها الناس لا يجرمنكم) أي لا يسبب جرمكم وعصيانكم (شقاقى) أي
معاندتى ، فإن الانسان ربما يريد معاندة غيره فيوقعه العناد فى الاثم و عصيان
الله سبحانه .

(ولا يستهوينكم) يقال استهواه اذا اماله عن طريق الصواب ، أي لا يميلكم
عن طريق الحق (عصيانى) بأن يكون عصيانكم لى سببا لميلكم عن الحق ، كما ربما
يوقع المعاند نفسه فى العصيان والمهلكة عنادا لشخص آخر ، وقد كان فى
الكوفة اناس يعاندون الامام فيركبون كل صعب وذلول فى سبيل معاندته .

(ولا تتراموا بالأبصار) أي تغامز بعضهم ببعض اشارة الى كذبى
(عند ما تسمعون منى) من الأخبار المغيبة .

(فوالذى فلّق الحبة) أي شقّها ليخرج منها الثّبات .

(وبرأ النسمة) أي خلق الانسان (ان الذى انبئكم به) أي اخبركم من
الأمر المستقبلة ، انما هو (عن النبى الأمى) منسوب الى ام القرى (صلى الله
عليه وآله ما كذب المبلّغ) أي الرسول ، فيما اخبرنى (ولا جهل السامع) -
يعنى نفسه عليه السلام .

وَلَكَّأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضَلِيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانٍ .
فَإِذَا فَعَرَتْ فَاعْرِثُهُ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ، وَثَقُلْتُ فِي الْأَرْضِ وَطَاتُهُ ،

(وَلَكَّأَنِّي) اللام للقسم ، لتأكيد الأمر (انظر الى ضليل) شديد الضلال
(قد نعق بالشام) اى صاح ، والغالب استعماله فى الاهانة ، لأن النعيق
صوت الحمار ، وفى المراد بـ ((الضليل)) خلاف والا شبه انه عبد الملك ، و
انما كان مبدء نعقه بالشام .

(وفحص براياته) اى ركز لها ، كما يفحص الطائر – اى يبحث بهرجوئه
– عن الأرض ، لينزع التراب عنها ليبيض (فى ضواحي) جمع ضاحية ، بمعنى
الطرف (كوفان) اى الكوفة ، وقد كان عبد الملك قد خرج امر العراق والحجاز
وفارس ومناطق اخرى من يده ، وخلق بقية ولايت فلسطين وغيرها ، و وثب
فى الشام بعض الأمويين ضده ، فتمكن من استرداد الملك من ايديهم بالبطش و
الشدة ، وهذا كناية عن استيلائه على العراق بعد قتله لمصعب بن الزبير الذى
كان واليا من قبل اخيه عبد الله .

(فاذا فعرت فاعرته) اى انفتح فمه ، يقال فعر الفم اذا انفتح – وانما
جئ بالمؤنث باعتبار النفس ، كأنها تريد الالتهام لكل شئ – والفم دليل على
فعر النفس –

(واشتدت شكيمته) الشكيمة هى الحديد المعتبرة فى اللجام فى فم
الدابة ، واذا كانت الدابة قوية تكون شكيمتها شديدة وهذا كناية عن قوة
(الضليل)) .

(وثقلت فى الأرض وطاته) اى عظم سلطانه حتى كب على الناس ، كأنه

عَصَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا، وَبَدَأَ مِنَ الْأَيَّامِ كُلُّوْحُهَا، وَمِنْ اللَّيْسَالِي كُدُوحُهَا. فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُغْضِلَةِ، وَأَقْبَلْنَ

شئ ثقيل واقع عليهم (عصت الفتنة ابناءها) والمراد بأبناء الفتنة الداخلين فيها ممن وثب على الأمر وخالف سلطته (بأنيابها) جمع ناب ، وهو الضرس المتصلة بالضواحك وانما نسب العنق اليها ، لأنها اشد في الايلام والقطع ، لحدة رأسها .

(وماجت الحرب) اي اضطربت الحرب في كل مكان ، كما يهوج البحر (بأمواجها) وانما شبه بالموج ، لأن الفتنة تبتدئ صغيرة ثم تكبر وتتوسع ، و هكذا الموج .

(وبدا) اي ظهر (من الأيام كلوحها) اي عيوسها وشدائدها ، من عيس وجهه اذا قبضه اشعثازا .

(ومن الليالي كدوحها) جمع كدح وهو الجرح واثرا الخدش ، وهو كناية عن الشدة (فاذا اينع زرعه) اي نضج وكمل ، وهو كناية عن كمال استيلاء ((الضليل)) .

(وقام على ينعه) اي حالة نضجه بأن استقام الأمر له (وهدرت شقاشقه) الشقشقة هو ما يخرج البعير من الزبد لدى هياجه ، وهدرت اي خرجت، وهذا كناية عن كمال الفتنة ووصولها حال الاهتياج .

(وبرقت بوارقه) جمع بارقة وهي البرق ، او السيف لأنه يبرق والتأنيث باعتبار كونه حديدة .

(عقدت رايات الفتن المعضلة) اعزل الأمر اذا اشكل (واقبلن) تلك

كَالَّذِي لَيْلِ الْمُظْلِمِ . وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ هَذَا ، وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ ! وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ ، وَيُخْصَدُ الْقَائِمُ ، وَيُحْطَمُ الْمَحْضُودُ !

الرايات (كالليل العظم) في عدم رؤية الانسان وجه الحق لكثرة اضطراب الأمور وتداخل الحق والباطل .

(والبحر الملتطم) الذي يلتطم بعض مائه ببعض ويتداخل امواجه من كثرة الاضطراب والحركة .

(هذا) اي اخذ هذا الخبر عن المستقبل ، وقد كان الأمر كما اخبر الامام عليه السلام فان عبد الملك لما سيطر على الأمور بعث الحجاج واليا على العراق فعقد رايات الفتن واخذت عراق تموج بمظالم الحجاج من قتل ونهب وما اشبه ذلك ، وحارب الخوارج عدة مرات ، ثم عطف الامام عليه السلام الى الكوفة يخبر عما تكون عليه في المستقبل بقوله : (وكم يخرق الكوفة من قاصف) من تصف اذا اشتد صوته ، يقال قصفت الريح اذا اشتد صوتها .

والمراد ان الكوفة ترى اضطرابات وفتنا (ويمر عليها) اي الكوفة (من عاصف) وهو الريح الشديد . سعى به ، لانه يحصف اي يهب بشدة وقد كان كما قال الامام عليه السلام ، فبعد الامام جاء معاوية ثم المختار ثم مصعب ، ثم عبد الملك ، وهكذا .

(وعن قليل تلتف القرون بالقرون) ، لعل المراد قرون اهل الحق من الشيعة بقرون اهل الباطل من اتباع معاوية (ويحصد القائم) فان معاوية اخذ يحصد الحكم القائم في زمان الامام عليه السلام .

(ويحطم المحضود) فقد كان معاوية يحطم الشيعة بالقتل والاسر و حرق

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ ، خُضُوعاً ، قِيَاماً ، قَدْ الْجَمَهُمُ الْعَرَقُ ،

الدور وما اشبه ، هذا ما يمكن ان يستفاد من الخطبة والعلم عند الله وعند اوليائه عليهم السلام .



وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

((يجرى هذا المجرى)) - اى فى ذكر الملاحم والأخبار المستقبلية

(وذلك) اى يوم القيامة (يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين) فان جميع الخلائق يجتمعون فى يوم القيامة (لنقاش الحساب) اى الاستقصاء والدقة فى المحاسبة ، من ناقشه اذا داقه وحاسبه حساباً دقيقاً .

(وجزاء الأعمال) ليجزى كل انسان بما عمل ان خيراً فخير وان شراً فشر ، فى حال كون الناس (خضوعاً) كأنهم من شدة خضوعهم قطعة من الخضوع ، نحو ((زيد عدل)) وفى حال كونهم (قياماً) جمع قائم ، وهذا دليل الشدة ، اذ الانسان الذى فى الأمن والرفاه يجلس وقت المحاسبة اما الخائف فهو يقف . (قد الجمهم العرق) اى وصل العرق الى افواههم من الكثرة كأنه لجام فى

فمهم .

وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ فَأَحْسَنَهُمْ حَالًا مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعًا ، وَلِنَفْسِهِ مَتْسَعًا . ومنه : فِتْنٌ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةٌ مَرْحُولَةٌ :

(ورجفت) اى اضطربت (بهم الارض) كما قال سبحانه ((اذا زلزلت الأرض زلزالها)) .

(فأحسنهم حالا من وجد لقدميه موعدا) يستقر فيه ، وهذا اما على الحقيقة لبيان ضيق المحشر ، واما على المجاز لبيان الاضطراب ، فان المضطرب لا يدري اين يقف فهو كمن لا يجد لقدميه موعدا (ولنفسه متسعا) اى مكانا وسيعا لا يتأذى بضيقه .

(ومنه) ثم عطف الامام عليه السلام الى ذكر الملاحم - بعد ذكر بعض احوال القيامة - وكأنه عليه السلام ذكر احوال القيامة تمهيدا ليتخذ الانسان حذره - فى الفتن - من ذلك اليوم ، فلا يخوض فى الفتنة خوفا بلا مبرر مشروع (فتن كقطع الليل المظلم) فكما لا يرى الانسان مقصده فى الليل ، كذلك لا يرى الانسان الحق فى الفتنة .

(لا تقوم لها قائمة) اى لا تنجح تلك الفتنة ، ولعل المراد بها فتنة صاحب الزنج الذى زعم انه من آل الرسول ، والتف حوله العبيد ، واخذ يقتل وينهب ويسلب فى البصرة وما والاها ، ولكنها لم تنجح اخيرا ، فقد حاربها الأخيار والأشرار على حد سواء حتى سقط قتيلًا وذهبت حركته ادراج الرياح . (ولا ترد لها راية) اى ان اعلامها لا ترد وانما تتقدم الى حيث يريد ، و ذلك كناية عن عموم فسادها وتوسعها (تأتاكم) هذه الفتنة (مزومة) تشبيه لها بالناقة المهيئة للركوب التى لها زمام (مرحولة) اى ولها رحل ، وذلك

يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا ، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كُلِّبُهُمْ ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ ،
يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ ، فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ ، وَ
فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ فَوَيْلٌ لَكَ يَا بَصْرَةَ عِنْدَ ذَلِكَ ،

كناية عن استعدادها التام للفساد (يحفزها) أي يحثها ويحرضها .
(قائدها) وهو صاحب الزنج — على ما ذكر — (ويجهد ركبها) أي
أن راكبي تلك الفتنة يجهدونها للتغلب على الأمر — وهذا كناية عن شدة تبأسهم
واهتمامهم البالغ في الحركة والثوب على البلاد (أهلها) أي أهل تلك الفتنة
القائمون بأشغالها (قوم شديد كلبيهم) أي ضراوتهم وقساوتهم ، كالكلب
المتهارش (قليل سلبهم) أي ملكهم الذي يستولون عليه أو المراد أنهم ليسوا من
أهل الثروة والعال ، وقد كان كذلك فإن غالب أحزاب صاحب الزنج كانوا من
العبيد الأشداء القليلي المال .

(يجاهد هم في سبيل الله قوم) كأن المراد بهم الأهالي الخيرون ، لا أن
القصد حربهم مع الخلفاء (أذلة عند المتكبرين) فإن ذوي الدين من أهل البصرة
وما والاها حاربوهم ، لما رواؤا فيهم من الانحراف عن الشريعة — كما ذكر في
التواريخ — وكونهم أذلة ، باعتبار أن السلطات الجبارة — غالبا — لا تهتم
بحركات أهل الدين ولا ترى فيها فائدة ، إذ أن اعتمادها على رجالها و
سلاحها ، فلا ترى للدين أهمية ولذويه غنى وفائدة .

(في الأرض مجهولون) ليس لهم معروفة أصحاب المناصب والرتب مسن
أهل السلطان .

(وفي السماء معروفون) لأنهم أخيار أبرار لهم قيعتهم عند الله سبحانه (فويل
(فويل لك يا بصرة عند ذلك) فقد كانت الفتنة في البصرة وامتدت إلى اهواز و

للامام الشيرازي
 مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللَّهِ إِلَّا رَهَجَ لَهُ، وَلَا حَسَّ، وَسَيُبْتَلَىٰ أَهْلُكَ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ
 ، وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ !

عبادان واخيرا قضى عليها الموفق العباسي .

(من جيش من نقم الله) كان الله سبحانه اراد الانتقام من اهل البصرة ، فقد
 كثف فيها الفساد قبل ظهور صاحب الزنج ، كما هو العادة في الثورات ، فانها
 ولابد فساد عام في السلطة والاجتماع .
 (لا رهج له) اي لا غبار لهذا الجيش ، فانه كانت ثورة داخلية ، لا عساكر
 وجهوش (ولا حس) اي الجلبة والاصوات المختلفة التي تتولد من حركة
 الجيش .

(وسيبتلى اهلك) يا بصرة (بالموت الاحمر) على يد صاحب الزنج ، ففي
 بعض التواريخ انه قتل ثلاثمائة الف شخص (والجوع الاغبر) الموجب لتغيير
 الوجه ، كان عليه غبار ، اذ الجوع يذهب بطلاوة الوجه ونضارته ، فقد فقد
 الناس في فتنة صاحب الزنج اقواتهم ، حتى اشتد بهم الجوع ، وقد ذكر ابن
 ميثم في الشرح تمام هذه الخطبة وهي طويلة فلتراجع .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في التزهيد في الدنيا

أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنْظَرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا ، الصَّادِفِينَ عَنْهَا ؛
فَإِنَّهَا وَاللَّهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّائِي السَّاكِنَ ، وَتَفْجَعُ الْمُتَرَفَّعَ الْآمِنَ ؛

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في التزهيد في الدنيا

(أَيُّهَا النَّاسُ انظروا الى الدنيا نظر الزاهدين فيها) والزهد في الدنيا
عبارة عن اتخاذها مقرا دائما والتناول منها كيف ما كان من دون رعاية الحلال و
الحرام ، اما التمتع بطيبات الدنيا فان ذلك لا ينافي الزهد قال الله سبحانه :
(قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين
آمنوا في الحياة الدنيا) .

(الصادقين عنها) من صدف بمعنى اعرض (فانها) اي الدنيا (— والله
— عما قليل) ((ما)) زائدة لتأكيد معنى القلة (تزيل) اي تفني وتهلك
(الثاوي) اي الذي اتخذها مثوى ومحلا (الساكن) فيها (وتفجع) افجعه
الأمرا اذا نزل به ما يوجب ذهاب مال او اهل او ما اشبه .

(المترف) الذي له ترف وهو التزهد من التمتع والاسراف فيه (الآمن)

لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَذْبَرَ ، وَلَا يُدْرِي مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرُ .
سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ ، وَجِلْدُ الرُّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ ، فَلَا
يَغُرَّنْكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا .
رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا تَفَكَّرَ فَأَعْتَبَرَ ، وَأَعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ
الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ ،

في محله و مكانه (لا يرجع ما تولى منها) اي من الدنيا (فاذبر) عن الانسان .
(ولا يدري) اي لا يعلم (ما هو آت منها) اي بماذا يأتي الدنيا بخيرا و
شرا (فينتظر) اي حتى ينتظره الانسان (سرورها مشوب بالحزن) فان الانسان
لا بد وان يحزن لجانب من جوانب الدنيا و ان كان فرحا بجانب آخر .
(و جلد الرجال) اي قوتهم و منعتهم (فيها) اي في الدنيا ، ينتهي
(الى الضعف والوهن) عطف بيان للضعف .
(فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها) اي اذا حصل لديكم كثرة من النعم الموجهة
لرضاكم لا يغركم ذلك (لقلّة ما يصحبكم منها) من تلك الكثرة ، او من الدنيا ،
فان اصطحاب الدنيا للانسان في مدة قليلة .
(رحم الله امرأ تفكر) في امر نفسه و زوال الدنيا (فاعتبر) اي اخذ العبرة ،
وهي معرفة حقيقة الدنيا ، وانها دار انقضاء لا دار بقاء (واعتبر فابصر) فان
الابصار يأتي بعد الاعتبار .
(فكأن ما هو كائن من الدنيا) و موجود فعلا (عن قليل لم يكن) لأنّه
يفنى و الفانى كأنه لم يكن ابدا ، اذ لا اثر له .
(وكأنّ ما هو كائن من الآخرة) مما سيصل الى الانسان (عما قليل لم يزل)
اذ يبقى الى الأبد .

وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانَ .
ومنها : الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا إِلَّا يَعْرِفَ
قَدْرَهُ ؛ وَإِنْ مِنْ أَبْغَضِ الرُّجَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَعَبْدًا وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى
نَفْسِهِ ، جَائِرًا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ، سَائِرًا بِغَيْرِ دَلِيلٍ ؛

(وكل معدود) أى ما يعد ، وله آخر (منقضى) أى ينقضى ويفنى كالدنيا
(وكل متوقع) ما يتوقب وقوعه - كالأخرة - (آت) يأتى لا محالة (وكل آت
قريب دان) من ((دنى)) بمعنى اقترب .

(ومنها) (العالم من عرف قدره) بأن علم بأن له قيمة ووزن ، وأنه يتمكن
أن يحصل على أعلى الدرجات بسبب العمل الصالح .
(وكفى بالمرء جهلا إلا يعرف قدره) لأن هذا أعظم أنواع الجهالة ، و
انكان عالما فى جميع العلوم .

(وان من أبغض الرجال الى الله لعبدا وكله الله الى نفسه) بأن لم يلفظ
به اللطاف الخفية ، لتركه طريق الهدى ، ومثله مثل انسان له ولدان اعطى
واحد منهما الف دينار ليتجر به فاتجر احد هما وريح فاحبه الوالد وزاد له فى
الاعطاء والاكرام ، وقامر الآخر فخر فتركه الوالد وشأنه لا بأبه به ولا يعطيه
بعد ذلك شيئا ، فانه سبحانه اعطى الانسان القوة والعقل فان صرفهما فى
سبيل الخير زاده هدى وتقوى وان صرفهما فى الشر تركه وما يعمل حتى يوصله
الى آخر درك فى الهاوية .

فى حال كون ذلك العبد (جائرا) أى مائلا (عن قصد السبيل) أى وسط
طريق الهدى (سائرا بغير دليل) فلا يتبع الأنبياء والأئمة فى سيره فى
الحياة .

إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الْآخِرَةِ كَسِلَ ! كَأَنَّ
مَسَاعِمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ ، وَكَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ !
ومنها : وَذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُسُومَةٍ ، « إِنْ
شَهِدَ لَمْ يُعْرِفْ » ، وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ ، أَوْلَيْكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى ، »

(ان دعى الى حرث الدنيا) اى زرعها وما يوجب انمائها (عمل) طلبا
للدنيا (وان دعى الى حرث الآخرة) وما يوجب الفوز بها من الأعمال الصالحة
(كسل) ووهن لعدم رغبة له فيها (كأن ما عمل له) من امور الدنيا (واجب
عليه) حتى اذا لم يحمله عوقب (وكان ما ونى) وكسل (فيه) من عمل الآخرة
(ساقط عنه) مع ان الأمر بالعكس .
(ومنها) (وذلك) اى آخر الزمان (زمان لا ينجو فيه) اى من شره
(الا كل مؤمن نومة) اى كثير النوم ، وذلك كناية عن عدم مشاركة الأشرار ،
كالا نسان النائم الذى لا يشارك الناس فى اعمالهم (ان شهد) اى حضر فى
مجتمع الناس (لم يعرف) اى لا يعرفه الناس لعدم اختلاطه بهم .
(وان غاب لم يفتقد) اى لم يسأل عن احواله احد لعدم صداقتهم معه ، و
هكذا يكون الأخيار عند غلبة الأشرار ، لأنهم يقطعون عنهم بعد رؤيتهم عدم
فائدة النصح فيهم ، وهذا لا ينافى وجوب التصدى لأحكام الاسلام الموجب
للشهرة والعز ، فان لكل واحد من الأمهين ظرفا خاصا ، بل ينبغي للمؤمن ان
يتصدى لأن يكون اماما للمتقين كما قال سبحانه : ((واجعلنا للمتقين اماما)) .
(اولئك) الموصوفون بتلك الأوصاف (مصابيح الهدى) فكما يوجب
المصباح هداية الناس الى حوائجهم فى الظلمة ، كذلك هؤلاء ادلة الناس الى
الحق فى ظلمة الجهل والاثم .

وَأَعْلَامُ السَّرَى لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ ، وَلَا الْمَذَايِيعِ الْبُذُرُ ، أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضُرَاءَ نِقْمَتِهِ أَيُّهَا النَّاسُ ، سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَى فِيهِ الْإِسْلَامُ ، كَمَا يُكْفَى الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ ، وَلَمْ يُعَذِّكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ .

(واعلام السرى) هو السير ليلا ، شبه به السير في ظلمة الكفر والعصيان فانهم اعلام وادلة لمن يهتد الاستنارة والهداية في ظلمات الجهل والباطل .
(ليسوا بالمساييح) جمع مسياح وهو الذي يسير في الناس بالفساد (ولا المذاييع) جمع مذياع وهو من يبيع الفاحشة (البذر) جمع بذور وهو كيمر السفه (اولئك يفتح الله لهم ابواب رحمته) في الدنيا بالسلامة ، وفي الآخرة بالجنة .

(ويكشف عنهم ضراء نقمته) فلا تنزل عليهم نقمته سبحانه اذا نزلت بالاشرار بل ينصرف عنهم ضر النقم واذا .
(ايها الناس سيأتى عليكم زمان يكفى فيه الاسلام) اى يترك الاسلام فلا يعمل به (كما يكفى الاناء بما فيه) فكما ان الانسان اذا كفى جعل اعلاما سفله ، كذلك يقلب الاسلام — وهو مجاز عن انقلاب اهل الاسلام — وهذا كزماننا حيث ان الاسلام لا يعمل به الا في مجال بعض العبادات .
(ايها الناس ان الله قد اعاذكم) اى امنكم (من ان يجور عليكم) فانه سبحانه لا يظلم احدا (ولم يعذكم من ان يبتليكم) اى يمتحنكم فانه سبحانه يمتحن كل احد ، فاللازم ان يخاف الانسان من الفشل في الامتحان ، وياخذ عدته ويعمل صالحا لينجح لدى الامتحان .

وَقَدْ قَالَ جَلُّ مِنْ قَائِلٍ : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ » .

قال السيد الشريف الرضي : أما قوله عليه السلام : « كُلُّ مُؤْمِنٍ نَوْمَةٌ » ، فإنما أراد به الخامل الذكر القليل الشر ، والمسايع : جمع مسباح ، وهو الذي يسبح بين الناس بالفساد والنمائم ، والمذايع : جمع مذباع ، وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ، ونوه بها ، والبذُر : جمع بذور وهو الذي يكثر صفه ويلغو منطقته .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد تقدم مختارها ، بخلاف هذه الرواية

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَ
لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا ، وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةَ وَلَا وَحْيًا ،

(وقد قال جل من قائل) : ((ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين)) ((ان))
مخففة من الثقيلة والابتلاء بمعنى الامتحان .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(وقد تقدم مختارها ب) شكل (خلاف هذه الرواية)

(اما بعد) اصله مهما يكن من شئ بعد الحمد والصلاة ، ثم خفف الى
لفظة ((اما بعد)) (فان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله و)
الحال انه (ليس احد من العرب يقرأ كتابا) سماويا قراءة صحيحة ، فان الكتب
السابقة قد حرفت وبدلت فما كان منها في ايدي الناس كانت محرفة باطلة .
(ولا يدعى نبوة ولا وحيا) اليه من جانبه سبحانه ، ومراد الامام عليه
السلام بهذه الجملة بيان حالتهم في الضلالة والجهالة ، فان خبر السماء اما ان

فَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُمْ إِلَىٰ مَنْجَاتِهِمْ؛ وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ
أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ، يَخْسِرُ الْحَسِيرُ، وَيَقِفُ الْكَسِيرُ، فَيُتَقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُلْحِقَهُ
غَايَتُهُ، إِلَّا هَالِكًا لَّا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّىٰ أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ وَبَوَاهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ

يصل بواسطة الوصى والنبي ، واما بواسطة الكتاب الصحيح وكلاهما كان مفقودا
فى زمان بعثة الرسول (ص) (فقاتل) صلى الله عليه وآله (بمن اطاعه) اى
بسبب المؤمنين (من عصاه) من الكافرين .

(يسوقهم) اى الناس (الى منجاتهم) مصدر ميمى اى الى نجاتهم (و يبادر
بهم الساعة ان تنزل بهم) اى يعجل بهم السير حتى يؤمنوا و يعملوا صالحا، حتى
لا يفاجئهم الموت قبل التنزيه و التزكية ، فكأنه صلى الله عليه وآله و الساعة يبادر
كل منهما لاختطاف الناس .

(يحسر الحسير) اى يكمل الذى يكمل عن العمل للآخرة ، من حسر فلان اذا
اعصى وكل (ويقف الكسير) اى المكسور بعض اعضائه (فيقيم) صلى الله عليه و
آله (عليه) اى على كل واحد منهما (حتى يلحقه غايته) التى هى الايمان والعمل
الصالح ، والمعنى ان من ضعف ايمانه او فسد عمله فتراخى فى السير فى سبيل
المؤمنين للوصول للسعادة و النجاة فان النبى صلى الله عليه وآله كان يقيم عليه و
ينتظره و يعالج مرضه حتى يوصله بقافة المؤمنين ، تشبيها بقائد القافلة الذى
يلاحظ الضعفاء و اهل المرض لئلا يبقوا فى الطريق ، و يكونوا عرضة الهلاك (الا
هالكا لا خيرا فيه) فمن دعاء صلى الله عليه وآله و سلم فلم تنفع فيه الدعوة و عاند
واصر فانه يتركه و شأنه ، و تسمية هالكا على نحو المجاز بالمشاركة .

(حتى اراهم) صلى الله عليه وآله و سلم (منجاتهم) مصدر ميمسى اى
نجاتهم (و بواهم) اى احلهم (محلتهم) اى المحل اللائق بهم (فاستدارت

رَحَاهُمْ، وَأَسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ وَأَيُّمُ اللَّهِ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّيْتُ
بِحِذَائِهَا، وَأَسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا، مَا ضَعُفْتُ، وَلَا جَبُنْتُ، وَلَا خُنْتُ
، وَلَا وَهَنْتُ ، وَأَيُّمُ اللَّهِ ، لَا بُقْرَنَ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ !

قال السيد الشريف الرضي : وقد تقدم غتار هذه الخطبة ، إلا أنني وجدتها في هذه
الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان ، فأوجبت الحال إثباتها ثانية .

رحاهم (كناية عن حسن احوالهم ، فان دوران الرحى يوجب الطحن الموجب
لرفاه الانسان في مأكله وطعامه) واستقامت قناتهم (هي الرمح ، فاذا كان معوجا
لم يتمكن المحارب من الغلبة ، اما اذا استقام تمكن من الغلبة على عدوه .

(وايم الله) قسم بالله سبحانه (لقد كنت من ساقتها) اي ساقه جهش
الكفر ، يعنى كنت في آخرها اضربها وافتك فيها ، وكونه في الساقه كناية عن
مطاردها بأجمعها ، لا مطاردة جانب خاص فقط (حتى تولت) اي الجهش ،
والتأنيث باعتبار الجماعة ، او الكثيية ، او ما اشبه ، ومعنى تولت ((انهزمت))
(بحذافيرها) اي بأجمعها (واستوسقت) اي اجتمعت (في قيادها) اي
قياد الرسول صلى الله عليه وآله لها بمعنى اطاعة العرب للرسول صلى الله عليه
وآله في ما يأمر وينهى .

(ما ضعفت ولا جبنت ولا خنت) فلم يكن لى تكوص عن الجهاد في سبيل
الاسلام بسبب ضعف في البدن ، او ضعف في النفس ، او ضعف في الايمان
، فان الجبن من ضعف النفس ، والخيانة من ضعف الايمان (ولا وهنت)
الوهن اعم من الضعف ، فان الانسان قد يتكاسل عن امر وان لم يكن ضعيفا في
بدنه وقوته .

(وايم الله لأبقرن) اي اشقن (الباطل) كأنه غلاف على الحق ، فاذا
شق ظهر الحق (حتى اخرج الحق من خاصرته) اي جانبه ، يعنى انا في هذا
الحال كما كنت مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا اهتم بالباطل الملتصق

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، شَهِيدًا ، وَبَشِيرًا ،
وَنَذِيرًا ، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلًا ، وَأَنْجَبَهَا كَهْلًا ، وَأَطَهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شَيْمَةً ،

على الحق ، كما لم اكن اهتم بالباطل المحارب مع الحق .



مركز تحقیقات علوم اسلامی
وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ففيها صفات الرسول صلى الله عليه وآله وتهديد بني امية ، وموعظة الناس
(حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله) اي كانت الأحوال مظلمة
حتى بعث صلى الله عليه وآله (شهيدا) يشهد على الناس بما عملوا (وبشيرا)
يبشر من امن واطاع بالشواب (ونذيرا) ينذر من خالف بالعقاب ، في حال
كونه صلى الله عليه وآله (خيرا البرية طفلا) اذ كان صادقا امينا طاهرا العولد ،
كريم الأصل (وانجبها كهلا) اي اكثرها نجابة في حال تقادم السن لم يقتصر
اثما او باطلا او ما يخالف العفاف — كما كان الشأن لدى كهول الجاهلية —
(واطهر المطهرين شيمة) الشيمة الخلق ، اي انه صلى الله عليه وآله وسلم
كان متحليا بطهارة الاخلاق ، وعدم دنسه بالردائل

وَأَجُودَ الْمُسْتَظَرِّينَ دِيمَةً.

فَمَا أَخْلَوْتُمْ لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا ، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعِ أَخْلَافِهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا ، قَلِقًا وَضِيئًا ،

(واجود المستظريين ديمة) المستظري السحاب الذي يطلب منه المطر ، و ((ديمة)) بمعنى السحاب ، أي أنه صلى الله عليه وآله كان أجود الناس في الإعطاء لمن طلب منه العون والعطاء ، قالوا : الديمة المطر الذي لا رعد فيه ولا برق ، فهو أفضل أنواع السحاب — لأنه يشبه المتواضع في مطره — ولعل الإتيان بهذه اللفظة للدلالة على إعطاء الرسول وفيضه بلا من أو أذى أو جلبة .
(فما أحلوت لكم) يا بني أمية (الدنيا) بأن صارت لكم حلوا ، من زمان عثمان (في لذتها ولا تمكنت من رِضَاعِ أخلافها) جمع خلف بالكسر حلمة ضرع الناقة ، أي ما تمكنت من در لذات الدنيا وجمع مشتبهاتها .

(إلا من بعد ما صادفتُموها) أي الدنيا (جائلا خطامها) تشبيه للدنيا بالناقة التي لا راكب لها فهي تحول الحبل الذي يوضع في أنفها كالزمام لتقاد به (قلقا وضياء) الوضين حزام الناقة الذي يشد تحت بطنها لبقاء السرج عليها حتى لا يتأذى الراكب ، ولا يقلق من ركوبها ، يعني أن الدنيا كانت قلق الوضين لا صاحب لها يسوى سرجها .

والحاصل أنكم لم تحصلوا على الدنيا بالاعتاب والجهد — كما فعل الرسول صلى الله عليه وآله — وإنما حصلتم عليها حين لا داعي لها ، وهي مستعدة لالقاء زمامها بكل أيدي ، فقد كان عثمان هكذا غير مهال بالأمر يتسلطوا عليه كل حيال انتهازي .

قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السُّدْرِ الْمَخْضُودِ ، وَحَلَالُهَا بَعِيداً
غَيْرَ مَوْجُودٍ ، وَصَادَفْتُمُوهَا ، وَاللَّهِ ، ظِلًّا مَمْدُوداً إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ . فَالْأَرْضُ
لَكُمْ شَاغِرَةٌ ، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ ، وَأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ .
وَسَيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ ،

(قد صار حرامها) أي حرام الدنيا (عند اقوام) كعثمان وحاشيته (بمنزلة
السدر المخضود) السدر هو النبق ، والمخضود المقطوع الشوك ، ومنشئ
الأغصان من ثقل الجمل لكثرة الثمرة ، والمراد كثرة لذتها ، يعني أنه قد
اختلف الحرام بالحلال ، وصار الحرام شيئاً سائغاً شهياً لديهم ، فإن الركوب
على الدنيا في هذا الحال ليس لأن الحائى يتمكن من نيل اللذة كيفما كانت ،
بخلاف ما لو كان الحرام محظوراً فإن الوصول إلى اللذة المحللة شيء صعب .

(وحلالها بعيداً غير موجود) أي ليس بموجود في قريكم ، لا أنه ليس
بموجود إطلاقاً (وصادفتُموها) أي وجدتموها الدنيا .
(— واللّه — ظلاً ممدوداً) يتهنى المتفق فيه ، وذلك كناية عن لذتها و
سعتها (إلى أجل معدود) أي مدة قد عدت تعداداً ، فلا بقاء لها — وهذا
ليبيان واقع حال الدنيا ، لا من تنمة المطلب — .

(فالأرض لكم شاغرة) أي فارغة ، قد شغرت وخلت عن القائد المحامى
(وأيديكم فيها) أي في الدنيا ، أو في الأرض (مبسطة) قد وسع عليكم
عثمان بما تشتهون بلا حساب ولا عقاب (وأيدي القادة) جمع قائد (عنكم
مكفوفة) مقبوضة ، فإن عثمان قد منع الناس العلماء كالامام ، وأبى ذروا مثالهما
من وضع حدّاً لاستهتار بنى أمية .

(وسيفوكم عليهم) أي على القادة (سلطة) بمعنى أنه كانت لكم السلطة

وَسَيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ. أَلَا إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِرًا ، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِبًا .
وَأَنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ
مَنْ طَلَبَ ، وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ. فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ ، يَا بَنِي أُمَيَّةَ ، عَمَّا قَلِيلٍ
لَتَعْرِفَنَهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ !

بما منحكم الخليفة فالقادة بالحق اتباع وانتم امرائهم .
(وسيوفهم) أى القادة (عنكم مقبوضة) لا تتمكن من ايقافكم على حدكم و
منعكم عن الاستهتار والالتذاذ بكل ما تشتهون من الحرام والفساد .
ثم اشار عليه السلام الى تهديد بنى امية بعقاب الله تعالى (الا ان لكل
دم) يراق بغير حق (ثائرا) يثور للانتقام من اراق الدم (ولكل حق) مضاع
(طالبا) يطلبه ممن قد اضاعه *تحقيق تكوير علوم رسول*
(وان الثائر فى دمائنا) التى ارقتموها يا بنى امية ، يوم صفين والجل و
نهروان (كالحاكم فى حق نفسه) فان دمائنا حق للثائر الذى هو الله سبحانه ، و
هذا لبيان انه تعالى لا يسامح فى الطلب والعقاب ، لأنه حكم فى حق هو له
سبحانه ، اذ الامام واصحابه كانوا منفذين لأمره تعالى (وهو) أى الثائر (الله
الذى لا يعجزه من طلب) أى لا يتمكن مطلوبه من تعجزه بالفرار او الاعتصام
بالقوة ، حتى لا يتمكن سبحانه من الانتقام منه وجزائه بالعقاب والادانة (و لا
يفوته من هرب) اذ لا يمكن الهروب منه تعالى .
(فاقسم بالله ، يا بنى امية عما قليل) ((ما)) زائدة ، لتأكيد التقليل
(لتعرفنّها) أى الدنيا (فى ايدى غيركم) كما صارت لبنى عباس وغيرهم (وفى
دارعدوكم) أى ان السلطة تكون فى داراعدائكم الذين هم ((المختار)) و
((المصعب)) و ((آل عباس)) و ((العلويون)) ومن اشبههم .

١٥٠توضیح نہج البلاغہ

أَلَا وَإِنْ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرَفُهُ! أَلَا إِنْ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبْلَهُ!

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةٍ مَصْبَاحٍ وَاعْظِ مُتَعِظٍ، وَأَمْتَا حُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ.

عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَرَكْنَا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَلَا تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرْفٍ هَارٍ،

(الا وان ابصر الأبصار) ای اشد الأبصار رؤية (ما نفذ في الخير طرفه) فكأنه شعاع يخرج من العين فاذا نفذ طرف الشعاع في الخير ، كان شديد الابصار واذا نفذ في الشر - بأن نظر البصير الى الشر و اراده - كان البصر ضعيفا قليلا ، وهذا تحريف على ان يصرف الانسان نظره في الخير والحق ، لا في الباطل والشر (الا ان اسمع الاسماع) ای اشد الاسماع سمعا (ما وعى التذكير) ای احتوى على التذكير (وقبله) بأن عمل به .

(أَيُّهَا النَّاسُ) ثم نحى عليه السلام نحو وعظ الناس و ارشادهم (استصبحوا) ای اطلبوا المصباح والضياء (من شُعْلَةٍ مَصْبَاحٍ وَاعْظِ مُتَعِظٍ) ای يعمل همو بوعظه ، فان الاطمینان انما يكون بمثل هذا الواعظ حتى يتبين من عمله انه متأثر بما يقول (وامتاحوا) ای استقوا الماء ، يقال امتاح اذا استقى (من صفوعين) ای الماء الصافي النابع من عين (قد رُوِّقَتْ) ای صفت ، من راق (من الكدر) والمراد استقاء الحلم من نفسه الكريمة عليه السلام .

یا (عباد الله لا تركنوا) ای لا تعتمدوا (الى جهالتكم) بأن لا تحصلوا على العلم وانما تسيروا في جهالتكم (ولا تنقادوا لأهوائكم) تسيركم حيث تشاء (فان النازل بهذا المنزل) ای المعتمد على هواه (نازل بشفا جرف هار)

يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ ،
يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ ، وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ ! فَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ
تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا يُشْكِي شَجْوَكُمْ ،

((شفا)) طرف الوادى ، و ((جرف)) المحل الذى يجرفه السيل وما اشبهه . و
يسقطه و ((هار)) اصله ((هارى)) بمعنى المتهدم او المشرف على الانهدام ،
اى ان المتكلم على هواه فى محل السقوط و الانهيار (ينقل الردى) اى الهلكة
(على ظهره من موضع الى موضع) هذا كناية عن كونه موجبا لأضلال الناس ، لأنه
ينقل الجهالة الى المستشير ، فهو هالك و ينقل الهلاك الى غيره .
(لرأى يحدثه بعد رأى يريد ان يلصق ما لا يلتصق) الظاهر ان ((اللام))
متعلق بـ ((يريد)) اى ان هذا الجاهل المعتد على هواه يريد — بسبب اراءه
التي يحدثها مرة و مرة — ان يلصق الأشياء و يجمع بين شتاتها ، فان الجهال
لا يعلمون الأسباب و النتائج ، و اتما يجمعون بين جهالات لا لصاقها ، و حيث
لا قدر لهم فى العلم لهم كل يوم رأى فى التوجيه .
مثلا من يرى الكون و لا علم له بالواقع تارة يقول انه خالق الصدقة ، و اخرى
يقول تجمع السدم ، و ثالثة يقول انه من الاثير ، و هكذا ، و الحق فى خلاف
ذلك كله .

(و يقرب ما لا يتقارب) اى يجعل بعض الأشياء قريبا الى بعضها الآخر و
مرتبطا به ، بينما لا تقارب بينهما ، كما قرب ((دارون)) بين الانسان و القرد .
(فالله الله) منصوب بفعل مقدر اى اذكروا الله ، او خافوا الله (ان تشكوا
الى من لا يشكى شجوكم) الشجوا الهم و الحاجة ، و الاشكا ، ازالة شكوى
المشتكى ، اى لا ترفعوا الشكوى الى من لا يزيل همكم و شكواكم ، و هذا لبيان

وَلَا يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ . إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ : الْإِبْلَاجُ فِي الْمَوْعِظَةِ ، وَالْاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَالْإِحْيَاءُ لِلْسُنَّةِ ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحَقِّيهَا ، وَإِصْدَارُ السُّهُمَانِ عَلَى أَهْلِهَا .

ان لا يأخذوا الحلول فى المشاكل من غيره عليه السلام ، لأنه شكاية الى من لا يحل المشكلة ولا يزيل الهم .

(و) الى من (لا ينقض برأيه ما قد أبرم لكم) ((أبرم لكم)) أى المشكلة التى وقعت فيها كأنها مبرمة مفتولة ، تحتاج الى النقض والفلّ حتى تنجوا منها ، فلا تشكوا الى من لا يتمكن من نقض هذه المشكلة ، فلا يقدر ان ينقض برأيه — ما قد أبرم واشكل ، ثم بين عليه السلام دفع ما ربما يتوهم من انه لا يتدخل فى بعض الأمور فكيف يأمر بالارجاع اليه وحده ، وذلك لبيان ان المقصود من الارجاع الى نفسه فى هذه الأمور التى يذكرها ، لا سائر الشئون .

(انه ليس على الامام الا ما حصل من أمره) أى اداء الرسالة التى حملها الله سبحانه على لسان نبيه ، ثم بين ذلك بقوله (الابلاغ فى الموعظة) بأن يبلغ الناس الموعظة النافعة لهم .

(والاجتهاد فى النصيحة) بأن يتعب نفسه فى نصح الناس وارشادهم (و الاحياء للسنة) أى طريقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

(واقامة الحدود على مستحقيها) ممن قد ارتكب اثماً او جريمة . (واصدار السهمان) جمع سهم ، بمعنى النصيب من الحقوق المالية (على اهلها) المستحقين ، ففى هذه الأمور يراجع الامام ولا يرجع الى غيره اما سائر الأمور فليس من مهمة الامام ، فانه ليس على الامام الا ما حمل ، والاعتراض على الناس انما هو : لماذا ترجعون الى غير الامام فى هذه الأمور ؟ ولا يخفى

فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَضْوِيعِ نَبْتِهِ ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَشَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ ، وَأَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ ، فَإِنَّمَا أَمَرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي !

ان هذه الخمسة شاملة لكل شئون الدنيا والدين ، بضرب من التعميم ، كشمول ((اصدار السهمان)) للمصالح العامة حتى مثل تبليط الشوارع لأن اهل المدينة يستحقون ذلك ، وهكذا .

(فبادروا العلم) اى اسرعوا فى اخذ العلم من الامام (قبل تصويح) اى جفاف (نبتة) يموت صاحب العلم .
(ومن قبل ان تشغلوا بانفسكم عن مستشار العلم) المستشار مصدر ميمى اى اثاره العلم ، من آثاره ، بمعنى اظهر ، فكان العلم فى العالم مخفى ، يتمكن الانسيان من اثارته واظهاره بالسؤال (من عند اهله) والمراد به نفسه الزكية .
(وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه) اى انتهوا بانفسكم عنه (فانما امرتم بالنهى بعد التناهى) فان النهى عن الشئ انما يؤثر بعد ان يتناهى الانسان - بنفسه - عن ذلك الشئ قال سبحانه : ((لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون)) وقال : ((قوا انفسكم ، واهليكم ، نارا)) فقدم حفظ النفس - على حفظ الأهل قال الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت ، شديد

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وفيهما فضل الاسلام، وفضائل الرسول، ولوم اصحابه
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ ، وَأَعَزَّ
 أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ ، فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ ، وَسَلَّمًا لِمَنْ دَخَلَهُ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وفيهما فضل الاسلام، وفضائل الرسول، ولوم اصحابه
 (الحمد لله الذي شرع الاسلام) أى نهجه وجعله دستوراً للحياة (فسهل
 شرائعه لمن ورده) حيث رفع العسر والحرج فضلاً منه ومنه ، ولم يشرع الأحكام
 الضرورية ، الا فى مواضع الضرورة — مما خيره اعم — كالجهاد وما اشبهه .
 (واعز أركانه) أى جعل أركان الاسلام عزيزة (على من غالبه) أى من غلب
 الاسلام ، واراد دحضه ، فان أحكام الاسلام من القوة والعصمة بحيث لا يتمكن
 احد من نقضه أو دحضه ، او المراد بأركان الاسلام ، حكومته ، يعنى ان
 الحكومة الاسلامية لا تغالب .

(فجعله) أى الاسلام (امناً) أى محل امان واطمينان (لمن علقه) أى
 تعلق به (وسلماً لمن دخله) فان الداخل فى الاسلام يسعد ويسلم من شُرور
 الدنيا والآخرة — وهذا حكم طبيعى فلا ينافى ذلك عدم انطباق الكليات
 المذكورة على بعض الافراد ، كما ان قول الطبيب العقار الكذائى مقو، طبيعى لا

وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَنُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ ، وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ ،

ينافيه عدم التقوية فى بعض الامزجة .

- (وبرهانا) اى حجة (لمن تكلم به) اى من حاج بالاسلام غلب على خصمه .
- (وشاهدا لمن خاصم به) فان المسلم اذا خاصم احدا فى امر ، واتى من الاسلام دليلا على وجهة نظره ، صار شاهدا له ، لقوة احكامه وتطابقها للواقع .
- (ونورا لمن استضاء به) فمن يهتد الضياء للخروج عن ظلمة الجهل ، كان الاسلام مرشدا الى الخير والصلاح .
- (وفهما لمن عقل) اى موجبا لدرك الاشياء وفهمها على حقيقتها لمن اراد التعقل والفهم ، لأن الاسلام بين الخطوط العامة للكون والحياة .
- (ولبا) اى عقلا (لمن تدبر) فكما ان بالعقل يفهم الانسان الاشياء ، كذلك بالاسلام يفهم الحقائق فهو كاللب فى كونه آلة الادراك .

(وآية) اى دليلا (لمن توسم) اى تفرس والمتوسم هو الذى يدرك الخفايا بالأدلة والعلامة ، وهكذا الاسلام ، فان الانسان يعلم الأمور المستقبلية بواسطة الاسلام .

- (وتبصرة لمن عزم) اى من عزم امرا ، ولم يعلم النتيجة كان الاسلام مبصرا له . لأن الاسلام يرى النتائج المترتبة على المقدمات .
- (وعبرة لمن اتعظ) اى من اراد الاتعاظ ، فان الاسلام بما بين من القصص والتواريخ يكون عبرة له .

(ونجاة) عن مشاكل الدنيا والآخرة (لمن صدق) بالاسلام بأن يكون عمله

وَتَقَّةٌ لِمَنْ تَوَكَّلَ ، وَرَاحَةٌ لِمَنْ فَوَّضَ ، وَجَنَّةٌ لِمَنْ صَبَرَ . فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ
وَأَوْضَحُ الْوَلَائِجِ ؛ مُشْرِفُ الْمِنَارِ ، مُشْرِقُ الْجَوَادِّ ، مُضِيٌّ الْمَصَابِيحِ ،
كَرِيمُ الْمِضْمَارِ ،

• موافقا له .

(وثقة لمن توكل) على الاسلام . اى ان من فوض اموره على الاسلام بأن
جعله منهجا في الحياة كان الاسلام ثقة له لا يخونه . ولا يسلمه الى المعاطب و
المهالك .

(وراحة لمن فوض) امره الى الاسلام . لأنه يعلم ان كل شئ يصيبه فقيه الخير
فهو في راحة واطمئنان .

(وجنة) اى وقاية (لمن صبر) فان الصابر - حسب امر الاسلام - يقي
نفسه من المهالك (فهو) اى الاسلام (ابلج) اوضح (المناهج) جمع منهج
وهو الطريق كأن الطرق الى الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة كثيرة اوضحها و
انورها الاسلام .

(و اوضح الولائج) جمع وليجه . وهى ما يلج ويدخل فيه الانسان لحفظه
عن الاخطار (مشرف المنار) المشرف هو المكان الذى يرتفع عليه الانسان ليطلع
على ما وراءه . والمنار محل الانارة لاضائة الطريق اى ان مناره مرتفع . فاذا
استضاء الانسان به رأى الى آخر الطريق .

(مشرق الجواد) جمع جادة وهى الطريق الواضح . اى ان طريق الاسلام
ظاهر . من اشرق اذا ظهر واستبان واتار (مضى المصابيح) فان مصابيح
الاسلام وهن احكامه تضئ وتنير طريق السعادة لمن طلبها .

(كريم المضمار) المضمار محل تضيير الخيل للسباق . ومعنى كونه كريما ان

رَفِيعُ الْغَايَةِ ، جَامِعُ الْحَلَبَةِ ، مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ ، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ .
التَّصَدِيقُ مِنْهَاجُهُ ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ ، وَالْدُّنْيَا مِضْمَارُهُ .
وَالْقِيَامَةُ حَلَبَتُهُ ، وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ .

الانسان اذا اضر خيله هناك ، سبق عند المسابقة ، وهذا كفاية عن ان الذى
يربى فى الاسلام نفسه يسبق الآخرين فى نيل السعادة .

(رفيع الغاية) فان غايته سعادة الدنيا والآخرة ، وهذه ارفع الغايات و
اسماها (جامع الحلبة) الحلبة خيل تجتمع من كل مكان للانتصار كأنها الحليب
الذى يجمع من جسد الحيوان عند الدر ، والمراد بكون الاسلام جامع الحلبة
انه يجمع جميع فنون السعادة لانتصار الانسان على المشاكل وانواع الشقاء .
(متنافس السبقة) السبقة العوض الذى يعين للسابق فى ميادين التغالب
بالخيل وشبهها ، والاسلام يتنافس ويواجه الناس بعضهم بعضا فى النهل
لسبقته التى هى الجنة ، لأنها انفس الاشياء التى يستيق الناس لأجلها .

(شريف الفرسان) اى ان الداخلين فى الاسلام الذين يتسابقون شرفاً
لأنهم انما تسابقوا فى اشرف شئ . (التصديق) لله والرسول والائمة (منهاجه)
اى طريق الاسلام .

(والصالحات مناره) اى الشئ ينير الطريق الى السعادة — ليس مصباحاً
وانما — الصالحات ، فانها تنير طريق الحق (والموت غايته) اى ان الاسلام
لا ينتهى الا بالموت ، والا فاللازم على المسلم ان يعمل باستمرار حتى يموت .
(والدنيا مضماره) فاللازم ان يعمل الانسان ما دام فى الدنيا ، لا مثل
مضمار الخيل ، الذى هو ايام قلائل .

(والقيامة حلبته) اى محل الحصول على السبقة (والجنة سبقته) اى جزاء

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله

حَتَّى أَوْزَى قَبْسًا لِقَابِسٍ ، وَأَنَارَ عِلْمًا لِحَابِسٍ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ،
وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِثُكَ نِعْمَةً وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً .

السابقين العاملين بالاسلام ، ومن المحتمل ان تكون هذه الجمل تفسيراً للجمل السابقة ، لا جملاً مستأنفاً — على نحو ما فسرناه — .

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله

(حتى اورى) اى اوقد (قبساً) اى شعلة من النور (لقابس) الذى يرهق الاقتباس والمعنى ان الرسول صلى الله عليه وآله اظهر الأحكام النيرة ، التى هى شعلة من النور فى طريق الحق ، لطلاب الحق والسعادة .
(وانا رعلما) اى وضع له نارا فى رأس علم — اى الجبل — (لحابس) هو الذى حبس ناقتة حيرة لا يدري اين الطريق ، فقد كانت العرب تضع النيران فى رؤس الجبال للإشارة الى الطريق — فى الليل — لىستتير بها المتحيرون من القوافل وغيرهم ، وهذا تشبيه لحال الرسول صلى الله عليه وآله ، و حال المتحيرين فى ببدأ الجهل والضلال (فهو) اى الرسول صلى الله عليه وآله .
(امينك المأمون) لا يخونك اذا ائتمنته وقلدته دينك ومنها جك ، اى اتبعته فى اوامره وزواجره .

(وشهيدك يوم الدين) الدين بمعنى الجزاء ، ويوم الدين هو يوم القيامة . فان الرسول صلى الله عليه وآله يشهد لمن عمل بما عمل ، كما قال سبحانه : ((ويكون الرسول عليكم شهيدا)) .
(وببعيثك) اى المبعوث لك (نعمة) اى انعاما من الله سبحانه على البشر (ورسولك) اى المرسل اليك ، ارسالا (بالحق) لا بالباطل (رحمة)

اللَّهُمَّ أَقْسِمَ لَهُ مَقْسَمًا مِنْ عَدْلِكَ ، وَأَجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ .
اللَّهُمَّ أَغْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ ! وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزْلَهُ ، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَتَهُ
، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا
، وَلَا نَادِمِينَ ، وَلَا نَاكِبِينَ ،

ای ترجماً و تفضلاً من الله على الناس .

(اللهم اقسم له) ای الرسول (مقسماً) ای نصيباً (من عدلك) و هذا

دعاءً لاعطائه سبحانه للرسول ما يستحق في مقابل اعماله .

(واجزه مضاعفات الخير) ای الخير المضاعف (من فضلك) واحسانك

زيادة على العدل والاستحقاق .

(اللهم اعل على بناء البانين بناءً) كناية عن ارتفاع دينه حتى يكون ارفع

الأديان ، كما قال سبحانه : ((ليظهره على الدين كله)) .

(واكرم لديك) المراد القرب معنا لا حساً - لاستحالة في حقه سبحانه

- (نزله) هو ما يهوى للضيف من مأكول وما اشبه لراحته ومعنى اكرامه ما هو واجب

تكريمه وتفضيله .

(وشرف عندك منزلته) بأن تكون له منزلة شريفة رفيعة (وآته) ای اعطه

(الوسيلة) ای السبب الذي يوصله الى ما يشاء (واعطه السناء) الرفعة و

النور (والفضيلة) بأن يكون له فضل وزهادة على من عداه .

(واحشرونا) ای اجمعنا من حشر بمعنى جمع (في زمرة) ای في جماعته

صلى الله عليه وآله الخاصين به (غير خزايا) جمع خزيان ، من خزي اذا ارتكب

شيئاً يوجب الخجل والقباحة (ولا نادمين) بأن لا نخذلنا حتى نعمل اعمالاً

توجب الخزي والندم - في الآخرة - (ولا ناكبين) نكب الطريق اذا عدل

١٦٠ توضيح نهج البلاغة

وَلَا نَاكِثِينَ، وَلَا ضَالِّينَ ، وَلَا مُضِلِّينَ ، وَلَا مَفْتُونِينَ .

قال الشريف : وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم ، إلا أننا كررناه هاهنا لما في الروايتين من الاختلاف .

وَمِنْهَا فِي خُطَابِ أَصْحَابِهِ

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لَكُمْ مَنَزَلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ ، وَيُعْظَمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، وَلَا يَسَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ ،

عنه ، أي لا نكون عادلين عن طريق الحق .

(ولا ناكثين) نكث العهد إذا نقضه ولم يف به (ولا ضالين) قد انحرفنا عن الطريق وضللنا (ولا مضلين) أضللنا الناس (ولا مفتونين) قد فتنتنا الدنيا بزخارفها ، فغررنا بها .
((أقول ولعل الإمام ذكرهما في مناسبتين))

وَمِنْهَا فِي خُطَابِ أَصْحَابِهِ

(وقد بلغت) أيها المسلمون (من كرامة الله لكم) حيث أكرمكم بالاسلام (منزلة تكرم بها) أي بسبب تلك الكرامة (إمامكم) بعد ما كان السادة - في زمن الجاهلية في خوف وإهانة - (وتوصل بها جيرانكم) أي يتفقد الإنسان جاره ، وكل ذلك لأمر الاسلام وتربيته الناس على ذلك .

(ويعظمكم من لا فضل لكم عليه) فإن الكفار كانوا يعظمون المسلمين لما رأو فيهم من الرفعة والسمو ، بدون أن يكون سبب ذلك فضلا من المسلمين عليهم (ولا يد) أي لا نعمة (لكم عنده) وإنما قيل للنعمة ((يد)) لأنها آلة إعطائها

وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً ، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ . وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللَّهِ مَنقُوضَةً فَلَا تَغْضِبُونَ ! وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمِّمِ آبَائِكُمْ تَأْنِفُونَ ! وَكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرْدٌ ، وَعَنْكُمْ تَصُدُّرُ ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ ، فَمَكَّنْتُمُ الظُّلْمَةَ مِنْ مَنَزِلَتِكُمْ ، وَالْقَيْتُمُ إِلَيْهِمْ أَرْمَنَكُمْ ،

— غالبا — .

(ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة) أى بطشا وعقابا ، فان الانسان يحترم العالم ويهابه وان لم يخف بطشه وعذابه ، وقد كان الكفار يهابون المسلمين بمثل هذه الهيبة (ولا لكم عليه امرة) أى اماره وسلطة (وقد ترون عهود الله منقوضة) قد نقضها الكفار ، لعدم دخولهم فى الاسلام ، او نقضها اصحاب معاوية (فلا تغضبون) ولا تنهبون عن المنكر (وانتم لنقض ذمم) جمع ذمة و هى العهد — (آبائكم تأنفون) أى تترفعون انفسكم من ان ترى ذمة آبائكم منقوضة فتنبهون عن ذلك و تخاصمون الناقض .

(وكانت امور الله عليكم ترد) فالناس يسألون منكم عن الأحكام (و عنكم تصدر) فانتم تجيبون عنها (واليكم ترجع) فى موارد اختلاف الناس فى حكم من احكام الله (فمكنتم الظلمة) جمع ظالم وهو الذى لا يعمل بأحكام الله تعالى (من منزلتكم) بأن تركتم منزلتكم حتى استولى عليها الظالمون (والقيتم اليهم) أى الى الظلمة .

(ازمتمكم) جمع زمام وهو ما يقاد به الدابة ، يعنى انكم بعد ان كنتم تأخذون بقياد الناس اخذ الناس بقيادكم ، وهذا مما يؤيد كون الكلام فى مقابل معاوية واصحابه — لا الكفار — .

وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ فِي لُشْبَهَاتِهِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ
، وَأَيُّمُ اللَّهِ ، لَوْ فَرَّقُواكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ ، لَجَمَعَكُمْ اللَّهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ !

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فی بعض ایام صفین

• وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ ، وَأَنْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ ، تَحُوزُكُمْ الْجَفَاةُ الطُّغَامُ ،

(واسلمتم امور اللہ فی ایدیہم) بعد ما كانت فی ایدیکم (يعملون فی
الشبهات) بدون ان یروا وجه الحق فیتبعوه (ویسیرون فی الشهوات) يعملون
حسب لذاتہم وشہواتہم لا حسب أوامر اللہ .
(وایم اللہ لو فرقوکم تحت کل کوكب) بأن باعدوا بینکم بهذا المقدار من
البعد للخلاص منکم . (لجمعکم اللہ لشر یوم لہم) ای لقہرہم والانتقام منہم ،
كما فعل سبحانه فی قصة ((المختار)) و ((التوابین)) وما اشبه ، وهذا الکلام
تقویۃ للشیعۃ فی القيام بأخذ حقہم .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فی بعض آیام صفین

(وقد رأیت جولتکم) معاشر أصحابی ای جولانکم وحركتکم فی الحرب (و
انحيازکم) ای تقهقرکم وابتعادکم (عن صفوفکم) خوفا من عسكر الشام (تحوزکم)
ای تشتمل علیکم (الجفاة) جمع الجافی : من الجفاء بمعنی الظلم (الطغام)

رَأْغَرَابُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَنْتُمْ لَهَا مِيمُ الْعَرَبِ ، وَيَأْفِيخُ الشَّرَفِ ، وَالْأَنْفُ
الْمُقَدَّمُ ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ . وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوَحَ صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ
بِأَخْرَةِ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ ، وَتَزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ ،
حَسًا بِالنَّصَالِ ، وَشَجَرًا بِالرَّمَا حِ ، تَرْكَبُ أَوْلَاهُمْ أَخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهَيْمِ
الْمَطْرُودَةِ ،

اوغاد الناس .

(وَاغْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ) الَّذِينَ لَا ثِقَافَةَ لَهُمْ وَلَا حَضَارَةَ وَهَذَا عَتَبٌ عَلَى
أَصْحَابِ ، نَهْ كَيْفَ يَذَلُّونَ إِمَامَ جَيْشٍ مُعَاوِيَةٍ ، وَيَبْتَعِدُونَ عَنْ صَفْوَتِهِمْ .
(وَ) الْحَالُ (أَنْتُمْ لَهَا مِيمُ) جَمْعٌ لَهُمِمْ بِمَعْنَى السَّابِقِ مِنَ الْخَيْلِ وَ
الْإِنْسَانِ (الْعَرَبِ) أَيْ السَّابِقُونَ إِلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ (وَيَأْفِيخُ الشَّرَفِ) جَمْعٌ بِأَفُوخٍ
وَهُوَ فَوْقَ الرَّأْسِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ عِظْمَا الْمُؤَخَّرِ وَالْمُقَدَّمِ .
(وَالْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ) وَصَفٌ تَوْضِيحِيٌّ لِتَأْكِيدِ مَعْنَى الشَّرَفِ (وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ)
السَّنَامُ هُوَ مَا عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ مَا هُوَ أَعْلَى أَعْضَائِهِ يَشْبَهُ بِهِ فِي الرَّفْعَةِ وَالسُّمُورِ .
(وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوَحَ صَدْرِي) جَمْعٌ وَحُوْحَةٌ صَوْتُ الصِّدْرِ إِذَا كَانَ مُتَأَلِّمًا وَهُوَ
صَوْتُ مَعَهُ بِحَجٍّ (أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخْرَةٍ) أَيْ فِي جَوْلَةِ آخِرَةٍ (تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ)
بِأَنْ اِسْتَلْتُمْ عَلَيْهِمْ وَاحْطَمْتُمْ بِهِمْ وَالْإِحَاطَةُ بِالْعَدُوِّ دَلِيلُ الْغَلْبَةِ إِذَا لَا مَفْرَاقَ لِلْمَحَاطِ
فَمِنْ أَيْنَ تَوَجَّهَ يَأْتِيهِ الْحَرَابُ (وَتَزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ) فِي الْجَوْلَةِ السَّابِقَةِ
(تَحْسُونَهُمْ) حَسًا (أَيْ قَتَلًا) بِالنَّصَالِ (هُوَ الْمُبَارَاتُ فِي الرِّمَى) (وَشَجَرًا)
أَيْ طَعْنًا (بِالرَّمَا حِ) جَمْعُ رَمَحٍ (تَرْكَبُ أَوْلَاهُمْ أَخْرَاهُمْ) لِفِرَارِهِمْ مِنْ أَيْدِيكُمْ فَإِنْ
الْجَمْعُ إِذَا ارَادُوا الْفِرَارَ وَقَعَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ كَأَنَّهُ رَاكِبٌ عَلَيْهِ (كَالْإِبِلِ الْهَيْمِ)
جَمْعٌ هَائِلَةٌ وَهِيَ الْعِطْشَانَةُ (الْمَطْرُودَةُ) الَّتِي تَطْرُدُ مِنَ الْمَاءِ فَإِنَّهَا مِنْ شِدَّةِ

تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا ؛ وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا !

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهی من خطب الملاحم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلَّى لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ . خَلَقَ
الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ ، إِذْ كَانَتْ الرُّوِيَّاتُ لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ وَلَيْسَ
بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ .

العطش و خوف الطرد اذا فرت ركبت بعضها على بعض (ترمى) تلك الابل
(عن حياضها) جمع حوض وهو محل الماء (وتذاد) اى تمنع (عن موارد ها)
جمع مورد و هو محل ورودها لشرب الماء .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(وهی من خطب الملاحم) وقد مر معنى الملاحم

(الحمد لله المتجلى) اى المظهر نفسه (لخلق ب) سبب (خلقه) فان
الخلق هو الأثر الدال على الخالق (والظاهر لقلوبهم) لا لأبصارهم لأنسبه
سبحانه لا يرى (بحجته) اى بما استدل به واحتج على وجوده سبحانه .
(خلق الخلق من غير روية) اى تفكر وتدبر لأنه لا يحتاج الى الفكر (اذ كانت
الرويات لا تليق الا بذوى الضمائر) اى الذين لهم قلوب و اجزاء كالناس : اما
الله المنزه عن ذلك فلا يتروى ولا يفكر لخلوه سبحانه عن الأعضاء والجوارح .
(وليس) سبحانه (بذى ضمير فى نفسه) اى ليس لنفسه اى ذاته ضمير و

خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتْرَاتِ وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ .

مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

أَخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمِشْكَاتِ الضِّيَاءِ ، وَذَوَابَةِ الْعُلْيَاءِ ، وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ ، وَمَصَابِيحِ الظُّلُمَةِ ، وَبَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ .

سر (خرق علمه) أي نفذ (باطن غيب السترات) جمع سترة : وهي ما يستتر به أي الباطن الغائب المستور .

(وأحاط) علمه سبحانه (بغموض عقائد السريرات) أي المخفى من عقائد الناس الكائنة في سريرتهم - أي ضمائرهم - .

مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

(اختاره) . الله سبحانه (من شجرة الأنبياء) فإن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ينتهي نسبه إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

(ومشكاة) الكرة التي يوضع فيها المصباح (الضياء) والإضافة للبيان كان هذه السلسلة التي منها النبي كون مشع منها ضياء الوحي والنبوة (وذوابة) الناصية (العليا) أي العلو فهو صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى مراتب العلو (وسرة البطحاء) البطحاء الأرض المستوية والمراد هنا مكة والسرة يسراد بها الوسط أي أنه صلى الله عليه وآله وسلم من أفضل بيت في مكة .

(ومصابيح الظلمة) فإن آباء الرسول كانوا أهل حق ودين يضيئون الطريق للجاهل والضال .

(وبنابيع الحكمة) جمع ينبوع ، وهو العين ، كأنهم كانوا عيون الحكم يتفجر منهم ما يفيد الناس ويهديهم إلى السعادة والخير .

ومنها : طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ ،
يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، مِنْ قُلُوبٍ عُمِيٍّ ، وَأَذَانٍ صُمٍّ ، وَالسِّنَةِ
بُكْمٍ ؛ مُتَتَبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ ؛ لَمْ يَسْتَضِيئُوا
بِأَنْوَارِ الْحِكْمَةِ ؛ وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ ؛

(ومنها) ثم وصف الامام عليه السلام نفسه بقوله :

(طبيب دوار بطبه) اى انه يدور هنا وهناك ومع طبه - الذى هو العلم

- لعله يجد مريضا يريد العلاج عن مرض الجهل فيشفيه بارشاده وهدايته .

(قد احكم مراهمه) جمع مرهم وهو الدواء الشافى للدمل ونحوه (واحمى

مواسمه) جمع ميسم وهو المكوات التى يكوى بها المريض اذا عجز عن الشفاء بغيره

و ((احمى)) بمعنى اوقد عليه النار حتى حوى . وذلك كناية عن استعداد

للشفاء بحيث لا يحتاج الى الاحماء اذا وجد من احتاج الى الكى (يضع ذلك)

الطب (حيث الحاجة اليه) اى فى كل مكان محتاج الى الشفاء (من قلوب عمي)

جمع اعمى وهو القلب المصروف عن الله سبحانه .

(واذان صم) جمع صماء وهى التى لا تصغى الى الموعظة (والسنة بكسـم)

جمع ابكم وهو اللسان الذى لا ينطق بالحق .

(متتبع) اى ذلك الطبيب (بدوائه مواضع الغفلة) اى انه يذهب الى

الناس الغافلين عن الآخرة (ومواطن الحيرة) اى المتحيرين عن الله وعسن

احكامه .

(لم يستضيئوا بأنوار الحكمة) اى انهم لم يهتدوا - قبله عليه السلام - بالنور

الساطع من الحكم الاسلامية (ولم يقدحوا) اصله ضرب الحجر على الحجر لاجراج

النار (بزناد العلوم الثاقبة) فانهم لم يتناولوا العلوم التى تثقب الجهل لتصل

فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ .
قَدْ أَنْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ ، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةَ الطَّرِيقِ لِخَاطِبِهَا ،
وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا ، وَظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمَتَوَسِّمِهَا .

الى محض الحق (فهم في ذلك) الجهل - المستفاد من الكلام - (كالأنعام
السائمة) التي ترعى الاعشاب بلا علم ولا دراية وانما همها بطنها (والصخور
القاسية) اي الصلبة التي لا تتفجر منها الأنهار ولا تنبت النبات فليست محل
خير .

(قد انجابت) اي ظهرت (السرائر) جمع سريرة ، والمزاد بها الأمور
الواقعية المستورة (لأهل البصائر) الذي لهم قلوب وقادة بصيرة ، والمراد
بذلك اما نفسه عليه السلام ، اي قد ظهرت لي كوامن الأمور ، فيكون هذا مقدمة
لما يخبر به بعد من الاخبار المستقبلية ، أو ان المراد ان اهل البصرة ظهر لهم
الحق بما بينه عليه السلام فمن لم يظهر له انما كان لتقصيره كقولنا ((وضع الحق
لذي عينين)) .

(ووضحت محجة الطريق) اي وسطه الواضح (لخاطبها) اي السائر
عليها والمعنى ان مرهد السير قد وضع له الحق (واسفرت الساعة) اي القيامة
(عن وجهها) اي اظهرت عن نفسها وذلك بمجيء علائقها ، فقد قال الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم ((بعثت انا والساعة كهاتين)) و اشار صلى الله عليه
وآله وسلم الى اصبعيه .

(وظهرت العلامة) للساعة (لمتوسمها) المتوسم هو المتفرس الذي يرى
العلامة فيعرف ذا العلامة ، وهذا فذلك لبيان فتنة مستقبلية هي من اشراط
الساعة .

مَالِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحًا بِلَا أَرْوَاحٍ ، وَأَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاحٍ ، وَنَسَاكَ بِلَا صَلَاحٍ ،
وَتُجَارًا بِلَا أَرْبَاحٍ ، وَأَبْقَاطًا نُومًا ، وَشُهُودًا غُيْبًا ،

ثم الظاهر ان الامام وجه الخطاب الى المعاصرين لتلك الفتنة الذين لا يقومون
باخذها ، بقوله : ((مالى ٠٠٠)) لا انه خطاب الى اصحابه لعدم المناسبة
الليهم الا ان يقال وجه الخطاب عتابهم فى عدم اخذهم بهذه العلوم التى يفيض
بها صدر الامام ، وعدم اعتنائهم لها .

(مالى اراكم) وهذا عتاب لهم ، فى مكان ((مالكم)) وانما ينسب
الاستفهام الى نفسه للإشارة الى ان المطلب من الغرابة بحيث يمكن ان يكون
المتكلم اشتبه فى الروية فهم غير مقصرين وانما رآهم المتكلم مقصرين اشتباها منه
(اشباحا) جمع شبح وهو الجسد بلا روح (بلا أرواح) اجسام مريثة بلا أرواح
مدركة .

(وارواحا بلا أشباح) هذا من تنمة التأنيب اى انكم ناقصون كالروح بلا
جسد ، او الجسد بلا روح الذى لم ينفع كل واحد منهما دون الآخر ، وهذا كما
يذم ذا اللسانين ، وان كان احد لسانيه حسنا .

(ونساکا) جمع ناسك وهو الزاهد (بلا صلاح) اى انكم غير زاهدين ،
وانما تظهرون الزهد والصلاح (وتجارا بلا ارباح) اى تعملون بلا ثمر ، لأن
اعمالكم للدنيا التى لا ربح حقيقى لها .

(وايقاظا) جمع يقظ (نوما) جمع نائم اى انكم فى الظاهر ايقاظ لكن
لعدم درosم للأمر وعدم عملكم عملا مشرا ، كالنوم .

(وشهودا) جمع شاهد وهو الحاضر (غيبا) جمع غائب ، اى انكم
حاضرون جسما ، غائبون قلبا .

وَنَاطِرَةٌ عَمِيَاءَ وَسَامِعَةٌ صَمَاءَ ، وَنَاطِقَةٌ بَكْمَاءَ ! رَأَيْتُ ضَلَالَةً قَدْ قَامَتْ ،
عَلَى قُطْبِهَا وَتَفَرَّقَتْ بِشُعْبِهَا ، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا ، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا . قَائِدُهَا
خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ ، قَائِمٌ عَلَى الضَّلَّةِ ، فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا ثُفَالَةٌ
كُثْفَالَةٍ الْقَدَرِ ، أَوْ

(وناظرة عمية) تنظرون بالعيون لكنكم كالأعمى لا تدركون الحقائق ، وعمى
جمع ((اعمى)) (وسامعة صماء) جمع اصم .
(وناطقة بكماء) جمع ابكم والمعنى لا تنتفعون بأبصاركم واسماعكم وألسنتكم
(رأيت ضلالة قد قامت) لعله اشارة الى آخر الزمان — كالوقت الذى نحن فيه —
(على قطبها) تمثيل الاستحكام اى تلك الضلالة ، حتى ان لها رضى ومدارا و
قطبا ، تدور بانتظام ، لا انها شئ وقتى وجولة تنتهى بسرعة .
(وتفرقت) تلك الضلالة (بشعبها) اى انتشرت بفروعها فلها شعب و
فروع (تكيلكم) اى تأخذكم للهلاك كيلا (بصاعها) آلة الكيل ، كان تلك الفتنة
عامة حتى انها تكال الناس كيلا ، لا انها خاصة ببعض الناس كما ان الأمر كذلك
فى زماننا هذا .

(وتخبطكم) من خبط الشجر اذا ضربه بالعصى ليسقط ورقه ، او من خبط
البعير بيده الأرض اذا ضربها بيده ، وهذا اقرب (بباعها) وهومدايدين ،
وذلك كناية عن شمول الفتنة لجميعهم (قائدها) اى قائد تلك الفتنة ، و كأن
المراد الحكام (خارج من الملة) اى من شريعة الاسلام .

(قائم على الضلة) اى الضلالة (فلا يبقى — يومئذ —) اى فى ذاك اليوم
(منكم الا ثفالة كثفالة القدر) الثفالة الثفل الذى يبقى بعد ذهاب الخالص
الطيب من الطعام ، يعنى ان الباقين ليسوا الا شرارا قد ذهب خیارهم (او

نَفَاضَةٌ كُنْفَاضَةِ الْعِصْمِ ، تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الْأَدِيمِ ، وَتَدُوسُكُمْ دُوسَ
الْحَصِيدِ ، وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَاطِنَةَ
مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ . أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمْ الْمَذَاهِبُ ، وَتَتِيهُ بِكُمْ الْغِيَاهِبُ

نفاضة (ما يسقط بالنفض .

(كنفاضة العزم) هو لفظ تجعل فيه المرأة ذخيرتها ، فاذا تمت الذخيرة
نفضت العزم لتنفذها من بقايا الزاد الباقية في ثنايا نسيج العزم .

(تعركم) الفتنة ، وهو الدلك الشديد (عرك الاديم) هو الجلد ،
يد لك شديدا ليمتد وهو كناية عن شدة وطأ الفتنة ، وتحريكها لهم تحريكا
عنيفا .

(وتدوسكم) الفتنة (دوس الحصيد) أي الحب المحصور فانه يداس بشدة
ليتفرق قشره عن لبه (وتستخلص) الفتنة (المؤمن من بينكم) ونسبة استخلاص
الفتنة المؤمن ، لأنها هي السبب في كمال ايمانه حيث يبقى في كل الهزاهـز
بدون انحراف او تنكّب .

(استخلاص الطير الحبة الباطنة) أي السمينة (من بين هزيل الحب) أي غير
سمينة .

ثم توجه الامام عليه السلام بالخطاب الى اهل ذلك الزمان الذين يقعون في
الفتنة ، بقوله : (اين تذهب بكم المذاهب) جمع مذهب ، وهي الطرائق
التي تتولد في الفتن ويدعوا كل انسان اتباعه الى طريقة خاصة .
(وتتيه بكم الغياهب) جمع غيهب وهو الظلمة ، كأن الظلمات تسبب
ظلالهم وتيهبهم .

وَتَخَذَعُكُمْ الْكَوَاذِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تَتَوَتَّنُونَ، وَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيكُمْ، وَأَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ، وَاسْتَيْقِظُوا، إِنْ هَتَفَ بِكُمْ. وَلِيَهْ نَذِقَ رَائِدُ أَهْلِهِ، وَلِيَجْمَعَ شَمْلُهُ، وَلِيُحْضِرَ ذَهْنَهُ، فَلَقَدْ فُلِقَ

(و تخدعكم الكواذب) اى الأقوال الكاذبة (ومن اين توتنون) من افك بمعنى انصرف ، ثم
الفتنة يأتون الى الناس لاطلالهم ، وهذه الاستغفامات للانكار .

(وانى تؤفكون) اى كيف تتصرفون عن الحق ؟ من افك بمعنى انصرف ، ثم
بين الامام عليه السلام ان تلك الفتنة لا تبقى وانما تذهب وتضمحل بعد مسدة
بقوله (فلكل اجل) اى مدة (كتاب) قد كتب الاجل فى ذلك الكتاب فلا يزيد
على ما كتب ولا ينقص عنه .

(ولكل غيبة) لاحد او شئ (اياب) ورجوع وهكذا يرجع الاسلام بعد
الفتنة التى تسبب غياب احكامه ونظامه .

(فاستمعوا من ربانيكم) العارف بالله سبحانه ، منسوب الى ((رب)) والمراد
نفسه الكريمة (واحضروا قلوبكم) للدراك والفهم ، لتعرفوا ذلك الزمان و
علائمه .

(واستيقظوا) اى لا تكونوا كالنائم (ان هتف) اى صاح الربانى (بكم)
لا يفاظكم ، حتى لا تقعوا فى الفتنة من غير دراية (وليصدق رائد اهله) الرائد
هو الذى يتقدم القوم المسافرين يرتاد لهم موضع كلاء وما ، وهذا امر بالقادة ،
بأن يتحفظوا على الناس فى ذلك الزمان لئلا يضل الاتباع بلا علم (وليجمع)
الرائد (شمله) اى جماعة فلا يتركهم نهبا للفتن والضلالات (وليحضر) الرائد
(ذهنه) ليعرف مواقع الفتن والضلالة (فلقد فلق) اى شق وفاعله الضمير

لَكُمْ الْأَمْرَ فَلَقَ الْخَرْزَةَ ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَاخِذَهُ ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَآكِبَهُ ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ ، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبْعِ الْعَقُورِ ، وَهَدَرَ فَنِيْقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ ، وَتَوَاحَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ ،

العائد الى الامام عليه السلام (لكم الأمر) اى بينه لكم لثلاثا تطلوا .

(فلق الخرزة) فكما ان الخرزة اذا شقت رؤى ما فى جوفها كذلك اوضح الامام لكم باطن الأمر .. حتى لا يبقى شئ مشتبه (وقرفه) اى قرف الأمر ، اى قشره ، ووضحه (قرف الصمغة) اى مثل تقشير الصمغة ، فانها اذا تقشّر يظهر ما فى بطنها بجلاء ، لكونها شفافه ، ثم بين الامام عليه السلام علائم تلك الفتنة وما يصحبها من الموبقات والآثام بقوله : (فعند ذلك) الزمان (أخذ الباطل ماخذه) جمع ماخذه اى جميع المحلات الممكنة اخذها (وركب الجهل مراكبه) والمراد تفشيه واتساعه بين الناس (وعظمت الطاغية) اى سلطنة السلطان الطاغى ، والتأنيث باعتبار النفس ، او ان التأنيث للمبالغة .

(وقلّت الدّاعية) الى الهدى (وصال الدهر) اى هجم على الناس بالفقر والبلاء والمرض وما اشبه .

(صيال السبع العقور) الذى اذا عقر ، موضعا سبب المأ كثيرا ومرضاً ، اى مثل صولة الحيوان المفترس الذى صار مع ذلك عقورا (وهدر فنيق الباطل) شبه الفتنة بالبعير اذا هدر ، فان ((فنيق)) الفحل من الابل (بعد كظوم) اى كظم وامسك ، فان اهل الباطل فى دولة الحق ساكنون خوفا من اهله اما اذا قامست الفتن ، فأهل الباطل يشرعون فى الحركة والصياح والدعوة والافساد (وتواخى الناس) اى آخى بعضهم بعضا (على الفجور) فيتخذ الخليل خليفة فاجرة ، او

وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصُّدْقِ .
فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظًا ، وَالْمَطَرُ قَيْظًا ، وَتَفِيضُ اللَّثَامُ فَيْضًا ،
وَتَفِيضُ الْكِرَامُ غَيْضًا ، وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذُنَابًا ، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعًا ،
وَأَوْسَاطُهُ أَكَالًا ،

خليلًا فاسقًا ، حيث لا اخوة تجمعهم الا الفسق (وتهاجروا على الدين) اى اذا
كان احدهم متدينًا هاجره صديقه .

(وتحابوا على الكذب) اى احب بعضهم بعضًا ، لأنه كذب فى نفعه (وتباغضوا
على الصدق) اى ان احدهم اذا صدق وقال الحق ، غضب عليه آخر ، وابتغضه
لأنه صدق (فاذا كان ذلك) حال الناس (كان الولد غيظًا) اى موجبًا لغيظ
ابويه لأنه يكون للولد اتجاه آخر غير اتجاه الأبوين ، فان الاسلام هو الذى يوحد
الاتجاهات ويظلل العائلة بالألفة والوداد ، فاذا انفصمت العلاقات (و
المطر قَيْظًا) المراد ان المطر يأتى فى الصيف حيث لا ينفع ، او ان المطر يكون
كالعطر فى القيظ لعدم الاستفادة منه ، حيث تكون الأمور الزراعية بالمكائن و
الآلات — كما فى حالنا هذا — .

(وتفيض اللثام فيضا) اى يكثرون كما يفيض الماء ويكثر ، وذلك لأن
المجتمع اذا صار فاسداً كثرفيه الفاسدون وقلّ الصالحون (وتفيض الكرام)
من غاض الماء اذا غار فى الأرض (غيضا) وذلك كناية عن قتلهم .

(وكان اهل ذلك الزمان ذنابا) اى كالذناب فى اختطاف الخيرات ، و
عدم المبالاة بالحرام والحلال ، وسوء العواقب .

(وسلاطينه سباعا) كالسبع فى افتراس الناس وقتلهم ونهبهم (واوساطه)
اى المتوسطون من اهل ذلك الزمان (أكالا) لا يعرفون الا الأكل وذلك كناية

١٧٢ توضيح نهج البلاغة

وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتًا ، وَغَارَ الصَّدَقُ ، وَفَاضَ الْكَذِبُ ، وَاسْتَعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ
بِاللِّسَانِ ، وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَبًا ، وَالْعَفَافُ
عَجَبًا ، وَلَبِيسَ الْإِسْلَامِ لُبْسَ الْفِرِّوِّ مَقْلُوبًا.

عن عدم اهتمامهم الا بأنفسهم .

(وفقراؤه) اى فقراء ذلك الزمان (أمواتا) اى كالأثوات فى عدم وسائل
العيش لهم ، اذ الأغنياء لا يرحمونهم ، والدولة لا تهتم بهم ، بخلاف ما لو
كان الاسلام اخذا بالزمام (وغار الصدق) اى نضب وذهب .

(وفاض الكذب) اى كثروا زاد كما يفيض الماء (واستعملت المودة
باللسان) اى انه يذهب الود من القلوب وانما يكون الود والحب باللسان فقط
(وتشاجر) اى عادى (الناس) بعضهم بعضا (بالقلوب) وهى صفة النفاق
(وصار الفسوق نسبا) فالفسق يكون هو سبب التواصل — كما يكون النسب
سبب التواصل — فمثلا يتصادق الناس على المنكرات والمحرمات ، ويحتمل ان
يكون المراد ان الزنا وما اشبهه يكون سببا للنسب .

(و) يكون (العفاف) والنزاهة (عجبا) اى موجبا لعجب الناس كيف
عف وتنزّه فلان ؟ .

(ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا) فقلب الناس يحب الاسلام وعليهم اسمه
اما ظاهرهم فظاهر كفرو نفاق .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في صفة الله وذكر الملائكة وبيان الخلق والاشارة الى البعث

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ : غِنِي كُلِّ فَقِيرٍ ، وَعِزُّ
كُلِّ ذَلِيلٍ ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في صفة الله وذكر الملائكة وبيان الخلق والاشارة الى البعث

- (كل شيء خاشع) اي خاضع (له) تعالى ، حتى الذين لا يعترفون به خاضعون تكوينا لارادته .
- (وكل شيء قائم به) اي ان قوام كل شيء وجوده حسب ارادته سبحانه ، حتى اذا صرف عنهم الارادة فنوا وعدموا .
- (غنى كل فقير) فان غنى الفقراء — فيما هم فيه اغنياً ، كالصحة ، والأمن ، والوجود ، وما اشبه — انما هو بسببه وفضله تعالى او المراد ان كل شيء فقير في ذاته — لكونه ممكناً — وانما غناه وجدانه لشئ من الله سبحانه .
- (وعز كل ذليل) فان الذليل يعتز بان له الها عظيماً عزيزاً ، او الذي ذكرنا في الفقرة السابقة بمعنى ان الذليل ذاتاً عزه بالله .
- (وقوة كل ضعيف) فالقوة التي للضعفاء انما هي بالله ، او على المعنى الذي ذكرناه سابقاً .

وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ . مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ ،
وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ . لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ
عَنْكَ ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ . لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِيَوْحِشَهُ ، وَلَا
أَسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ ، وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ ،

(ومفزع كل ملهوف) المفزع محل الفزع والالتجاء ، والملهوف، هو الذي
نسابه امر وعرضت له كآفة . فان كل مضطر يلتجأ اليه سبحانه لكشف ضره وتعويض
خسارته .

(من تكلم سمع) الله سبحانه (نطقه) اينما كان وكيفما تكلم (ومن سكت)
ولم ينطق (علم سره) وما يدور في ضميره (ومن عاش) في الدنيا (فعليه)
تعالى (رزقه) حتى يموت (ومن مات فاليه) سبحانه (منقلبه) مصدر ميمي اي
انقلابه ورجوعه ومعنى ((اليه)) الى جزائه والمحل الذي اعده له . اذ هو
سبحانه منزّه عن المكان .

ثم التفت عليه السلام عن الغيبة الى الخطاب — الذي هو من فنون البلاغة —
بقوله : (لم ترك) من ((رأى)) و ((الكاف)) للخطاب (العيون فتخبر
عنك) اخبارا بالروية ، بأن تحكى للنفس صورتك وكيفيتك .

(بل كنت) يا رب (قبل الواصفين من خلقك) فانّ الناس القادرين على
الوصف هم مخلوقون لك والاتيان بلفظة ((بل)) لعله لدفع ايهام ان ((ما لا
يرى لا يكون)) فعدم رويته ليس لعدم كونه فانه كائن بل قبل كل شيء .

(لم تخلق الخلق لوحشة) كما يتوحش الانسان من الانفراد ، فيكسب مونا
(ولا استعملتهم) اي امرتهم بالعمل ، اوجئت بهم الى الوجود واعطيتهم ما
اعطيتهم (لمنفعة) لك من وراءهم (ولا يسبقك) في الفرار (من طلبت) تشبه

وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذَتْ ، وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ ، وَلَا يَزِيدُ فِي
مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ ، وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخَطَ قَضَاءَكَ ، وَلَا يَسْتَغْنِي
عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ . كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ
شَهَادَةٌ . أَنْتَ الْأَبَدُ لَا أَمَدَ لَكَ ، وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى لَا مَحِيصَ

بمن يسبق طالبه قرارا فلا يدركه الطالب عجزا (ولا يفلتك) اى لا ينفلت منك
(من اخذت) كما ربما ينفلت الناس من ايدى خصائهم .

(ولا ينقص سلطانك من عصاك) اذ سلطانه كائن على الجميع ، سواء
عصى العاصى ام اطاع المطيع ، لعدم خروج شئ من تحت أمره ، وقبضة قدرته
سبحانه .

(ولا يزيد فى ملكك من اطاعك) لأن الملك كائن لا يتسع ولا ينقبض ، و
انما الأمر بالاطاعة لمنفعة المطيع (ولا يرد أمرك) اى تقديرك (من سخط
قضاؤك) فمثلا من سخط لضيق رزقه ، لا يرد سخطه ضيق رزقه الذى قضاه
سبحانه له .

(ولا يستغنى عنك من تولى) اى اعرض (عن امرك) بأن عصاك ، فان
الانسان احتياج محض اليه سبحانه (كل سر عندك) يا رب (علانية) اى ظاهر
غير مستور .

(وكل غيب) اى ما غاب عن الحواس (عندك شهادة) اى حاضر مشهود ،
لأن الله مطلع على جميع الأشياء ظاهرها وباطنها ، حاضرها وغائبها .
(انت الأبد) اى باقى دائما (لا امد لك) اى لا مدة لك ، حتى اذا
بلغت الى تلك المدة انقضى اجلك .

(وانت المنتهى) اى انتها جزاء كل انسان اليك (لا محيص) اى لا مفر

عَنْكَ ، وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ . لَا مَنَجِي مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ . بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ
دَابَّةٍ ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ . سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ
خَلْقِكَ ! وَمَا أَصْفَرَ عَظِيمِهِ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ ! وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ
مَلَكُوتِكَ ! وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ ! وَمَا أَشْبَغَ نِعَمَكَ
فِي الدُّنْيَا ، وَمَا أَصْفَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ !

(عنك) ولا يتمكن احد من ان لا يصل اليك (وانت الموعد) الموعد محل
الوعد ، اى ان الانسان وعد ان يصل اليك — والموعد غير المنتهى مفهوماً —
(لا منجى) اى لا نجات (منك الا اليك) بأن يتضرع الانسان اليك لنجاته
من سخطك .

(بيدك) اى بقدرتك وتحت امرك (ناصية كل دابة) الناصية مقدم
الجبهة ، وانما خص بذلك لأن الشخص اذا اخذ بشعر انسان لا يتمكن
المأخوذ من الانفلات ، ويمكن من توجيهه كيفما شاء .

(واليك مصير) مصدر مهمى اى صيرورة (كل نسمة) اى كل انسان
(سبحانك) مفعول مطلق لفعل محذوف ، اى اسبحك سبحانك ، والمعنى
انزهك تنزهها عن النقائص (ما اعظم ما نرى من خلقك) فان ما يرى من مخلوقاته
سبحانه عظيم فكيف بما لا يرى (وما اصغر عظيمه) اى عظيم المخلوقات (فى
جنب قدرتك) فان قدرة الله سبحانه لا تحد بحد .

(وما اهول ما نرى من ملكوتك) اى ان كبر الملكوت — بمعنى الطسك —
موجب للهلل والدهشة (وما احقر ذلك) الخلق والملك — الذى يسراه —
(فيما غاب عنا من سلطانك) وملكك (وما اسبح نعمك فى الدنيا) فان نعمه
سبحانه فى الدنيا سابغة واسعة (وما اصغرها فى نعم الآخرة) ((فى)) بمعنى

مِنْهَا فِي وَصْفِ الْمَلَائِكَةِ

مِنْهَا : مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ ، هُمْ
أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ ، وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ ، لَمْ يَسْكُنُوا
الْأَصْلَابَ ، وَلَمْ يَضْمِنُوا الْأَرْحَامَ ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، وَلَمْ
يَشْعَبْهُمْ رَبُّ الْمَنُونِ

النسبة فان نعم الآخرة من الكثرة بحيث ان نعم الدنيا لا شئ بالنسبة اليها .

مِنْهَا فِي وَصْفِ الْمَلَائِكَةِ

(من ملائكة اسكنتهم سماواتك) فان الملائكة اجسام لطيفة مقرها الطبقات
العليا من الفضاء (و رفعتهم عن ارضك) فليسوا من سكان الأرض - كالانسان -

(هم اعلم خلقك بك) هذا اضافى بالنسبة الى عامة الناس والأجسة و
الحيوانات ، لا انه حتى بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة
عليهم السلام (واخوفهم لك) اي اكثر الخلق خوفا منك (واقربهم منك) قرب
منزلة ، لا قرب مكان - فانه تعالى منزّه عن المكان -

(لم يسكنوا) اي الملائكة (الأصلاب) جمع صلب وهو محل المعنى نفس
ظهر الرجل (ولم يضمنوا الأرحام) جمع رحم ، وهي محل الولد في الأم .
(ولم يخلقوا من ماء مهين) اي حقير والمراد به النطفة (ولم يشعبهم) من
شعبه بمعنى اهلكه (ربب المنون) المنون الموت ، ورببه عمله ، والمعنى

وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقُّرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.

انهم لا يموتون — كما يموت الانسان — او ان ((المنون)) الدهر، و ((ربه)) صرفه اى لا تنالهم صروف الدهر من قوة وضعف و غنى وفقرو ما اشبه

(وانهم) اى الملائكة وهذا متعلق بقوله ((لو عاينوا)) والجملة فى الوسط اعتراض (على مكانهم منك) اى قربهم للطفك وفضلك — يا رب — (ومنزلتهم عندك) اى مكانتهم الرفيعة (واستجماع اهوائهم فيك) اى ليست لهم اهواء متشتة متفرقة — كالانسان — وانما كل فكرهم ونظرهم عنده سبحانه و مصروفة فى عظمته وطاعته .

(وكثرة طاعتهم لك) فانهم دائما فى طاعة الله سبحانه (وقلة غفلتهم عن امرك) اما حقيقى ، بأن كان لهم غفلة قليلة منه سبحانه ، او كئائى ، ان لم تكن لهم غفلة (لو عاينوا) متعلق بقوله سابقا ((وانهم)) .

(كنه ما خفى عليهم منك) اى كنه ذاتك وصفاتك (لحقروا اعمالهم) فان الانسان كلما اطلع على عظمة الله سبحانه حقّر عمله فى جنب عظمتة تعالى .

(ولزروا على انفسهم) اى عابوها وحقروها لأنها لا تعمل الا قليلا (ولعرفوا انهم لم يعبدوك حق عبادتك ولم يطيعوك حق طاعتك) فان ذلك غير معقول بالنسبة الى المخلوقات .

ثم توجه الامام عليه السلام الى الانكار على الناس العصاة الذين اعرضوا عنه

عصيان الخلق

سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا ! بِحُسْنِ بِلَاثِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ خَلَقْتَ دَارًا ،
وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً : مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا ، وَأَزْوَاجًا وَخَدَمًا ، وَقُصُورًا ، وَ
أَنْهَارًا ، وَزُرُوعًا ، وَثِمَارًا ؛ ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيًا يَدْعُو إِلَىٰهَا ، فَلَا الدَّاعِيَ
أَجَابُوا ، وَلَا فِيهَا رَغَبٌ رَغِبُوا ، وَلَا إِلَىٰ مَا شِئْتَ إِلَيْهِ

تعالى ، وقدم على ذلك مقدمة بقوله : (سبحانك) اللهم (خالقا ومعبودا)
اي انت خالق الخلق ، وانت الاله المعبود بالحق (بحسن بلائك عند خلقك)
الباء للسببية ، اي ان التسبيح بسبب حسن امتحان الله سبحانه فانه تعالى انما
اختبر عباده اختبارا حسنا سهلا لا عسرفيه ولا صعوبة (خلقت دارا) اي الجنة
(وجعلت فيها مأدبة) هي ما يضع من الطعام للمدعوين ، والمراد نعيم
الجنة .

ثم فسر عليه السلام ذلك بقوله : (مشربا ومطعما) مصدران ميميان اي شرابا
وطعاما (وازواجا) للنساء رجلا وللرجال نساء (وخداما) جمع خادم .
(وقصورا وانهارا وزروعا) جمع زرع وهو الثبات والشجر (وثمارا) اي
فواكه .

(ثم ارسلت داعيا) هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم . او مطلق الدعات
، فالمراد الجنس (يدعوا اليها) اي الى تلك الدار .
(فلا الداعي اجابوا) اي لم يجب الناس الداعي — والمراد الأغلبية منهم
— (ولا فيما رغب رغبوا) فانهم لم يرغبوا في نعيم الجنة (ولا الى ما شئت اليه

أَشْتَاقُوا . أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ أَفْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا ، وَأَصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا .
وَمَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَغْشَى بَصَرَهُ ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ ،
وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا
قَلْبَهُ ، وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسَهُ ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا . وَلِمَنْ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْهَا ،

اشتاقوا (جهلا منهم وعتوا) اقبلوا على جيفة (المراد منها الدنيا) افتضحوا
بأكلها (الافتضاح ظهور نوايا الشخص السيئة ونفسيته الدنيئة .

(واصطلحوا على حبها) اى صالح بعضهم بعضا ، بأن لا ينكر احد هم
على آخر ، فى حبّ الدنيا (ومن عشق شيئا) كما عشق الناس الدنيا (اغشى
بصره) اى اعماه ، فان المحب لا يرى الا الصفات المحبوبة اما الصفات الذميمة
فيغض عنها .

(وامرض قلبه) فان القلب اذا لم ير الشر ، فهو مريض لخروجه من جادة
الاستقامة (فهو ينظر بعين غير صحيحة) والمراد من النظر ليس الرؤية وانما
الادراك النفسى (ويسمع باذن غير سميع) فان سمع حسنة اخذها ، و ان
سمع سيئة تصام عنها .

(قد خرقت الشهوات عقله) فامتلاء بالشهوات بعد ان كان العقد لا ينفذ
فيه شئ حتى يكون على حدّ ذاته يدرك الأشياء ويميزها بميزان عادل صحيح (و
اماتت الدنيا قلبه) فان القلب الحى هو الذى يفر من السيئ ويأوى الى الحسن ،
اما القلب اذا مات ، كان كالانسان الميت الذى لا يفر من الضار ولا يجلب
النافع .

(وولهمت) اى اشتاقت اشتياقا زائدا (عليها) اى على الشهوات (نفسه
فهو عبد لها) اى للشهوات (ولمن فى يده شئ منها) فكما ان العبد يتبع

حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا . وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا ، وَلَا يَزْدَجِرُ مِنْ
 اللَّهِ بِزَاجِرٍ . وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ ، وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغُرَّةِ ،
 حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَلَا رَجْعَةَ ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ ، وَجَاءَهُمْ
 مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ ، وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ .

سَيِّدُهُ كَذَلِكَ . هَذَا الْإِنْسَانُ يَتَّبِعُ شَهْوَاتِهِ وَمِنْ يُمْكِنِ أَنْ يَحْصَلَ عَلَى الشَّهَوَاتِ
 بِوَاسِطَتِهِ (حَيْثُمَا زَالَتْ) أَيْ مَالَتْ الشَّهَوَاتُ (زَالَ) هَذَا الشَّخْصُ (إِلَيْهَا)
 إِلَى الشَّهَوَاتِ (وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ) وَاتَّجَهَتْ تِلْكَ الشَّهَوَاتُ (أَقْبَلَ عَلَيْهَا) يَدُورُ
 مَعَهَا .

(وَلَا يَزْدَجِرُ) أَيْ لَا يَنْتَهِي (مِنَ اللَّهِ) أَيْ مِنْ جِهَةِ أَمْرِهِ سُبْحَانَهُ (بِزَاجِرٍ)
 أَيْ بِسَبَبِ زَاجِرٍ عَنْ قَبْلِهِ تَعَالَى (وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ) تَعَالَى (بِوَاعِظٍ) أَيْ بِسَبَبٍ وَ
 وَاعِظٍ مِنْ طَرَفِهِ سُبْحَانَهُ .

(وَ) الْحَالُ (هُوَ) الَّذِي اتَّبَعَ الشَّهَوَاتِ غَافِلًا عَنِ الْآخِرَةِ (يَرَى
 الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغُرَّةِ) الَّذِينَ مَاتُوا وَآخَذَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ غَفْلَةً وَ
 بَغْتَةً بَدُونَ سَابِقِ انذَارٍ (حَيْثُ لَا إِقَالَةَ) بِأَنْ يَقِيلَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَثْرَاتِهِمْ (وَلَا
 رَجْعَةَ) إِلَى الدُّنْيَا لِيَتَذَكَّرُوا ذُنُوبَهُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْإِنَابَةِ (كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا
 يَجْهَلُونَ) ؟ مِنْ أَحْوَالِ الْآخِرَةِ وَسَيِّئَاتِ مَا عَمَلُوا ، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّعَجُّبِ وَ التَّذْكِيرُ
 (وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ) (مِنْ) بَيَانُ (مَا) أَيْ
 أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْمَنُونَ فِرَاقَ الدُّنْيَا ، فَجَاءَهُمُ الْفِرَاقُ بَغْتَةً وَخَطَفَهُمْ مِنْ أَمْنِهِمْ (وَقَدِمُوا
 مِنَ الْآخِرَةِ) بَيَانُ (عَلَى) (عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ) مِنَ الْعِقَابِ وَالْحِسَابِ
 الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَهُ قَلِيلًا يَمُدُّ قَوْلَهُ .

فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ : اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ ،
فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا الْوَانُهُمْ ، ثُمَّ ازدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ
وُلُوجًا ، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ ،
وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ ، عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ ، يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى
عُمُرِهِ ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرِهِ !

(فغير موصوف ما نزل بهم) من احوال والشدائد فانها لعضمها لا تأتى
فى درج البيان والوصف (اجتمعت عليهم سكرة الموت) فان للموت حالة كحالة
السكران اذ يغطى على عقله من شدة احوال الموت (وحسرة الفوت) اى فوت
اوان الطاعة الموجبة للخلاص والفوز (ففترت لها) اى لتلك السكرة والحسرة
(اطرافهم) فان الانسان يضعف عصبه عند الشدائد والمخاوف (وتغيرت لها
الوانهم) اذ الخوف يوجب هجوم الدم نحو الباطن فيصفى الوجه .

(ثم ازداد الموت فيهم ولوجا) اى دخولا ، لأن الموت امر تدرى بى يأتى
جزءا جزءا (فحيل بين احدهم) المراد كل واحد من هؤلاء الموصوفين كما قال
سبحانه : ((يود احدهم لو يعمر الف سنة)) (وبين منطق) حتى انه لا يتمكن
ان يتكلم .

(وانه لبين اهله) ممدود فى حالة السكرات (ينظر ببصره) اليهم (و
يسمع باذنه) كلامهم لكنه لا يقدر على التكلم (على صحة من عقله وبقاء من لبه)
اى عقله كل ذلك مما يزيد حسرة (يفكر فيهم) اهله ((فى ما)) واذا دخلت
حروف الجر على ((ما)) حذف الالف نحو ((عم)) و ((لم)) وما اشبهه (افنى
عمره) ؟ حيث لم يحصل على الغاية الحسنة (وفيما اذهب) واعدم (دهره)
بلا فائدة ولا تجارة رابحة .

وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا ، أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا وَأَخَذَهَا مِنْ مُصْرَحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا ،
 قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا ، تَبَقَّى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ
 فِيهَا ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا ، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ ، وَالْعِبَاءُ عَلَى ظَهْرِهِ وَالْمَرْءُ
 قَدْ غَلِقَتْ رَهُونُهُ بِهَا ، فَهُوَ يَعْصُ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ
 الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ ،

(ويتذكر) في ذلك الحال (اموالا جمعها) طيلة حياته وقد (اغمض
 في مطالبها) اي ما يطلبه تلك الاموال من الشقاء والسعادة ، لأنه اغمض بصره
 في كون تلك الاموال من الحرام او الحلال .
 (واخذها) اي تلك الاموال (من مصرحاتها) الصريح هو الذي لا لبس
 فيه ولا اشتباه (و مشتبهاتها) اشتيه حله بحرامه (قد لزمته تبعات جمعها)
 جمع تبعه ، وهي العقوبة والمشكلة تتبع التصرف السيئ من جهة الجمع ومعنى
 لزمته ان يستحق العقاب .

(واشرف على فراقها) اي مفارقة تلك الاموال (تبقي) تلك الاموال
 (لمن وراءه) اي يبقى من بعده من الورثة ونحوهم (ينعمون فيها) اي يتنعمون
 في تلك الاموال (ويتمتعون بها) التمتع اخذ المتعة (فيكون المهنا) من
 ((هنا)) وهو ما اتاك من خير بلا صعوبة ومشقة (لغيره) وهو الوارث (و
 العبث) اي الثقل ، الذي هو الذنب (على ظهره) فان الوارث لا يعلم بكون
 المال حراما ، ولذا يجري اصل الصحة ويتناوله في هنا (والمرء) المـورث
 (قد غلقت رهونه) اي استحقها مرتهنها (بها) اي بتلك الاموال .
 (فهو يعص يده) كناية عن اسفه (ندامة على ما اصحر له) اي ظهر له ، و
 اصله البروز الى الصحراء لأنه يظهر فيها (عند الموت من امره) اي امر نفسه

وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ ، وَيَتَمَنَّى أَنْ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا
وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ ! فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى
خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ :
يُرَدِّدُ طَرَفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ ، يَرَى حَرَكَاتِ السِّنْتِهِمْ ، وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ
كَلَامِهِمْ .

(ويزهد) هذا الانسان المحتضر (فيما كان يرغب فيه ايام عمره) لأنه يظهر
له في ذلك الحال عدم فائدة المال وما اشبهه ، ولذا ينفق عنه ، بينما كان في
السابق يرغب فيه (ويتمنى) حال الموت (ان) الشخص (الذي كان يغبطه
بها) اي يغبط هذا المحتضر بسبب تلك الأموال (ويحسده عليها) والفرق
بين الغبطة والحسد ان الغبطة تمنى المرء ان يكون لنفسه مثل ما لغيره والحسد
تمنى المرء زوال نعمة الغير *مركز تحقيق تكملة تفسير علوم رسول*

(قد حازها) اي ملكها ذلك الحاسد والغابط (دونه) لأنه رأى وبال
تلك الأموال فيقول يا ليت كانت لغيري حتى لا اوخذ باثمها وتبعثها (فلم يزل
الموت يبالي في جسده) ويوهن قواه .

(حتى خالط لسانه سمعه) اي شارك السمع اللسان في العجز عن القيام
بوظيفته فقد كان قادرا على الاستماع غير قادر على التكلم والآن صار لا يقدر على
الاستماع ايضا (فصار بين اهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه) وانما يبقى
له البصر .

(يردد طرفه بالنظر في وجوههم) ينظر الى هذا مرة والى ذاك اخرى
(يرى حركات السنتهم) مما يدل على انهم يتكلمون بشئ (ولا يسمع رجوع) اي
صوت (كلامهم) لأن الموت قد شمل اذنه ، وفي هذا الحال زيادة الحسرة و

ثُمَّ أَزْدَادَ الْمَوْتَ التَّيَاطُ بِهٖ ، فَقَبِضَ بَصْرُهُ كَمَا قَبِضَ سَمْعُهُ ، وَخَرَجَتِ
الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ ، وَ
تَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ لَا يُسْعِدُ بَاكِياً ، وَلَا يُجِيبُ دَاعِياً ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخْطٍ
فِي الْأَرْضِ ، وَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ ، وَأَنْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ
الْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَالْأَمْرُ مَقَادِيرُهُ ،

• كثرة الغصة •

(ثم ازداد الموت التياطا) اي اختلاطاً (به فقبض بصره كما قبض سمعه) و
لسانه من ذى قبل (وخرجت الروح من جسده) ومات •
(فصار جيفة) اي كالجيفة ، وهذا مجاز بالمشاركة (بين اهله) وتكرار
هذه الكلمة لاشفاق (قد اوحشوا من جانبه) اي من جهته (وتباعدا من قربه)
اذ الناس يخافون من الميت ويتبعدون عنه (لا يسعد باكياً) بالبكاء معه ، اي
لا يشاركهم فى احزانهم كما كان يشارك معهم فى حال حياتهم (ولا يجيب
داعياً) يدعوه •

(ثم حملوه الى مخط) اي مكان قد خط لقبره (فى الأرض واسلموه فيه) اي
فى ذلك المخط (الى عمله) بمعنى انه يبقى وعمله الذى قدمه فى الحياة فان كان
خيراً سعد وان كان شراً شقى •

(وانقطعوا عن زورته) اي زيارته ، فلا يزورونه ، ويبقى هناك فى القبر
رهن عمله (حتى اذا بلغ الكتاب اجله) اي الذى كتبه الله سبحانه لبقاء الأموات
فى القبور ، اجله : اي مدته (و) بلغ (الأمر مقاديره) جمع مقدار ، اي امر
الله فى البقاء فى القبر مقداره الذى قدره وعينه •

وَالْحَقُّ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ ،
أَمَادَ السَّمَاءِ وَفَطَرَهَا، وَأَرْجَ الْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا ، وَدَكَ
بَعْضَهَا بَعْضًا مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ وَمَخُوفِ سَطَوْتِهِ، وَأَخْرَجَ مِنْ فِيهَا، فَجَدَّدَهُمْ
بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ
عَنْ خَفَايَا الْأَعْمَالِ وَخَبَايَا الْأَفْعَالِ ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ : أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَ
أَنْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ .

(والحق اخر الخلق بأوله) بأن مات الجميع (وجاء من أمر الله ما يريد ،
من تجديد خلقه) بأحيائهم وجمعهم في عالم الآخرة (أماد السماء) أى حركها
(وفطرها) أى شقها وصدعها ، والمراد تهديد نظام السماء ، وهذا
جواب ((إذا)) (وأرج الأرض) من الرجة بمعنى الحركة (وأرجفها) أى
زلزلها (وقلع جبالها) عن مواضعها (ونسفها) أى أزالها (ودك بعضها
بعضاً) الدك الضرب (من هيبة جلالته) سبحانه .
(ومخوف سطوته) أى سلطته المخوفة ، والألفاظ أما على الحقيقة ، انكانت
الجبال تشعر ، او كناية .

(وأخرج) الله سبحانه (من فيها) أى فى الأرض من الأموات (فجددهم
بعد اخلاقهم) جمع خلق ، بمعنى البلى ، وانما جئ بالجمع ، باعتبار كل
شخص شخص (وجمعهم بعد تفرقهم) فى اماكن متعددة من الأرض .
(ثم ميزهم) أى جعل كل جماعة ذات عمل متشابه ، متميزة عن الجماعة
الأخرى (لما يريد) سبحانه (من مسألتهم عن خفايا الأعمال) أى الأعمال التى
علوها خفية (وخبايا الأفعال) جمع خبيثة وهى الخفية (وجعلهم فريقين)
مختلفين (انعم على هؤلاء) بالجنة والمغفرة (وانتقم من هؤلاء) بالنار و

فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَتِهِ فَأَتَابَهُمْ بِجِوَارِهِ ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ
النُّزَالُ ، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ ، وَلَا تُنَوِّبُهُمُ الْأَفْزَاعُ ، وَلَا
تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ ، وَلَا تُعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ ، وَلَا تُشَخِّصُهُمُ الْأَسْفَارُ وَأَمَّا
أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ ، وَغَلَّ الْأَيْدِيَّ إِلَى الْأَعْنَاقِ ، وَقَرَنَ النَّوَاصِي
بِالْأَقْدَامِ ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ ، وَمُقَطَّعَاتِ النَّيِّرَانِ ،

• العقاب

(فاما اهل طاعته فأتابهم بجواره) والمراد مجاورة رضاه ولطفه - فانه
سبحانه منزّه عن المكان - . (وخلصهم في داره) اى جعلهم خالدين باقين
ابد الأبدى (حيث لا يظعن) اى لا يرحل (النزال) جمع نازل ، اى ليس
لهم انتقال من الآخرة (ولا تتغير بهم الحال) فى سرور دائم وعيش رغد .
(ولا تنوبهم الافزاع) جمع فزع بمعنى الخوف ، ونابه بمعنى ادركه (ولا
تنالهم الاسقام) جمع سقم بمعنى المرض (ولا تعرض لهم الاخطار) جمع خطر،
وهو ما يوجب ذهاب محبوب من محاب الإنسان .

(ولا تشخصهم الأسفار) جمع سفر ، اى ليس لهم سفر ، واشخصه بمعنى
اذهب به ، والسفر حيث فيه المشقة لا يوجد فى الجنة (واما اهل المعصية
فأنزلهم شرّ دار) وهى جهنم (وغل الأيدي) لهم (الى الأعناق) حيث يجمع
بينهما فى الغل (وقرن النواصي) جمع ناصية مقدم الرأس (بالأقدام) يجمع
بينهما زيادة فى العذاب والنكال .

(وألبسهم سراويل القطران) سراويل جمع سراويل وهو الثوب ، والقطران
شئ كالدهن له رائحة كريهة تسرع فيه النار (ومقطعات النيران) اى الألبسة

فِي عَذَابٍ قَدْ أَشْتَدَّ حَرُّهُ ، وَبَابٍ قَدْ أَطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ ، فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ
وَلَجَبٌ ، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا وَلَا
يُفَادِي أُسِيرُهَا ، وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا . لَا مُدَّةٌ لِلدَّارِ فَتَفْنِي ، وَلَا أَجَلٌ
لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى .

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله

قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا ،

المقطعة من النار (في عذاب قد اشتد حره) حتى ان حرارة النار في الدنيا الا
شيء بالنسبة اليه - كما ورد -

(وباب) لجهنم (قد اطبق) وسد (على اهله) اي اهل العذاب في
نار لها كلب (اي هيجان) ولجب (اي صوت مرتفع) ولهب (اي شعلة
(ساطع) عال (وقصيف) هو الصوت الشديد .

(هائل) يوجب الهول والوحشة (لا يظعن) اي لا يسافرو ولا يرحل
(مقيمها) اي المقيم في تلك النار فانها ابدية دائمة (ولا يفادي اسيرها) اي
لا يقبل اعطاء الفدية عن الأسير في تلك النار حتى ينجو . كما يفادي الأسير
في الدنيا (ولا تفصم) اي لا تلتقط (كبولها) جمع كبل بمعنى القيد (لا مدة
للدار فتفنى) كما تنفنى الدنيا (ولا اجل للقوم) اي مدة لبقائهم هناك (فيقضى)
ذلك الأجل ، ويتخلصوا من العذاب .

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله

(قد حقر الدنيا وصغرها) اي رآها حقيرة صغيرة لا اهمية لها ولا شأن
لأمرها .

وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوْنَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَارًا ، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ
 اخْتِقَارًا ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ
 أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ ، لِكَيْ لَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا ، أَوْ يَرْجُوَ مِنْهَا
 مَقَامًا . بَلَغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِرًا ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِرًا ، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا
 نَحْنُ شَجَرَةُ النَّبُوَّةِ ، وَمَحَطُّ الرُّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ ،

(واهون بها) اي رآها هونا (وهونها) اي رآها يسيرا .
 (وعلم) صلى الله عليه وآله وسلم (ان الله زواها) اي صرف الدنيا (عنه)
 صلى الله عليه وآله وسلم (اختيارا) اي اختيار للرسول الابتعاد عن الدنيا (و
 بسطها لغيره) كالكفار والفراغة (احتقارا) للدنيا ، فانها ليست بشئ مهم
 حتى يمنع عن الاشرار .
 (فأعرض) الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (عنها) اي عن الدنيا (بقلبه)
 فلم يحبها (وامات ذكرها عن نفسه) فلم يكن يحدث نفسه بالنيل منها (وأحب
 ان تغيب زينتها عن عينه) فان الانسان اذا لم ير الشئ المرغوب فيه ، لم يهتمناه .
 (لكي لا يتخذ منها ريشا) اللباس الفاخر وما اشبهه (او يرجو منها) اي
 من الدنيا (مقاما) ومنصبا (بلغ) صلى الله عليه وآله وسلم (عن ربه معذرا) اي ما
 يوجب العذر من طرفه سبحانه ، اذا عذّب العاصي بعد البلاغ .
 (ونصح لأئمة من ذرا) لهم مخوفا عن عذاب الآخرة (ودعا الى الجنة مبشرا)
 بالثواب لمن اطاع .

ثم عطف الامام الى اهل البيت عليهم السلام بقوله : (نحن شجرة النبوة)
 اي المتفرعون من تلك الشجرة (ومحط الرسالة) اي محل حظ الرسالة السماوية .
 (ومختلف الملائكة) اي محل اختلافهم وذلك بهبوطهم وصعودهم من

وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ ، نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ ،
وَعَدُونَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في اركان الاسلام

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، الْإِيمَانُ
بِهِ وَبِرَسُولِهِ ،

اختلف اليه اذا جاء وذهب .
(ومعادن العلم) فكما ان المعدن محل الشئ الثمين الذي يتكون فيه
كذلك الأئمة عليهم السلام محلات للعلم الكثير .
(وينابيع الحكم) جمع ينبوع وهي العين ، والحكمة العلم بمواضع الاشياء
ومناسبات الأمور (ناصرنا ومحبتنا) وان لم يتمكن من نصرنا (ينتظر الرحمة)
من الله سبحانه لأنه امر بحبنا ونصرتنا (وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة) و
العذاب من الله تعالى .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في اركان الاسلام

(ان افضل ما توسل به المتوسلون الى الله سبحانه) الوسيلة هي السبب
الذي يتسبب به الى شئ محبوب (الايمان به) اي بالله (ورسوله) اي تصديقه
فانه احسن الوسائل التي يتقرب الانسان بها الى لطف الله ورحمته .

وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا
الْفِطْرَةُ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ ، وَ
صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جَنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ ، وَحَجُّ الْبَيْتِ وَأَعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا
يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْخَصَانِ الذَّنْبَ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا

(والجهد فى سبيله) بالمال والنفس وسائر ما يبذله الانسان فى سبيل
اقامة امر الاسلام .

(فانه) اى الجهاد (ذروة الاسلام) اى اعلى احكام الاسلام وذلك لأنه
الشيء الوحيد الذى يوجب وجود الاسلام فى الناس ، وبقائه (وكلمة الاخلاص)
اى الشهادة بالوحدانية - وهذا غير الايمان فان الايمان لا ينافى الاشراك ، فانه
ايمان باثنين - (فانها الفطرة) اى الخلقة فان الخلقة الخالية عن الشوائب و
الشبهات اذا نظر الى الكون وفهم وحدة النظام فيه لا بد وان يعترف بالوحدانية
(واقام الصلاة) اى الاتيان بها بحدودها وشروطها (فانها الملة) اى
انها اعظم ركن من اركان الملة الاسلامية - اى طريقتها - ولعظمها فكأنها هى
الملة بالذات .

(وايتاء الزكاة) اى اعطائها (فانها فريضة واجبة) ثابتة فى الشريعة .
(وصوم شهر رمضان فانه جنة) اى وقاية (من العقاب) كالجنة للمحارب
التي تقيه من الأعداء .
(وحج البيت واعتماره) اى العمرة (فانهما ينفيان الفقر ويرخصان الذنب)
اى يغسلان الذنب .
(وصلة الرحم) بأن يصل الانسان ارحامه فلا يتطعمهم (فانها) اى الصلة

مُثْرَاةٌ فِي الْمَالِ ، وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجْلِ ؛ وَصَدَقَةٌ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ ؛ وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ ؛ وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ .

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ . وَارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ ، وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ

(مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ) اى موجبة للثروة (وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجْلِ) اى توجب تأخيرها ، من نسي اذا تأخر .

(وَصَدَقَةُ السِّرِّ) اى اعطاء الصدقة سرّاً بحيث لا يعلم بها احد (فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ) اى توجب محو الذنوب .

(وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ) اى يتصدق الانسان فى العلن - مع التحفظ على الاخلاص - (فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ) اى الموت السيئ كالغرق والحرق والهدم وما اشبهه .

(وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ) اى صنع الشئ الحسن كاعانة الفقراء ومساعدة اهل الحاجة والسعى فى زواج العزّاب وما اشبه ذلك (فَإِنَّهَا تَقِي) اى تحفظ الانسان عن (مَصَارِعَ الْهَوَانِ) اى السقطات الموجبة للهوان والذلة ، كذهاب مال الانسان ومنصبه وتشتت أمره وما اشبه ذلك .

(أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ) الافاضة الدخول ، ومعنى الجملة المواظبة على الذكر (فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ) لأنه موجب لانارة القلب ومرضات الرب وثواب الآخرة . (وَارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ) الله (الْمُتَّقِينَ) والرغبة فيه بالعمل الصالح المؤدى اليه (فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ) لا خلف فيه ولا زيادة او نقصان (وَاقْتَدُوا) بهدى نبيكم (هَدْيِهِ) اى طريقته الرشيدة الموجبه للوصول الى الغاية . (فَإِنَّهُ أَفْضَلُ

الْهَدْي . وَاسْتَنْوَا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ .
وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ
الْقُلُوبِ ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ
أَحْسَنَ الْقَصَصِ . فَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ

الهدى) لأنه موصل الى السعادة في الدارين .
(واستنوا بسنته) اي ابتغوا سنته (فانها اهدى السنن) اي احسن
السنن هداية ، ولعل الفرق بين الجملتين ان الأول خاصة بسيرته الشخصية
صلى الله عليه وآله وسلم ، والثانية عامة لما شرعه صلى الله عليه وآله وسلم من
الأحكام وبينه من طريق السعادة .
(وتعلموا القرآن فانه احسن الحديث) اذ هو جامع لخير الدنيا وسعادة
الآخرة .

(وتفقها فيه) بمعرفة تفسيره وتأويله (فانه ربيع القلوب) فان فهم
القرآن موجب لازدهار القلوب كما يزدهر الربيع بالخضروات (واستشفوا بنوره)
اي اطلبوا الشفاء من ظلمة الجهل بنور القرآن الموجب لمعرفة الحقائق الكونية و
الشرعية (فانه شفاء الصدور) من ظلمة الجهل ، فان الجهل من اشد الأمراض .
(واحسنوا تلاوته) اي قراءة القرآن (فانه احسن القصص) اذ فيه القصص
الحقة الموجبة للهداية والتبصر ، ولما ذكر الامام عليه السلام لزوم الاتيان
للعذورات ، بعد ما تلبس الانسان لباس الاسلام ، بين انه بدون العمل بهذه
الأمر ، والاكتفاء بالعلم بها ، موجب للخسران .
(فان العالم العامل بغير علمه) كان علم بوجوب الصلاة والزكاة والحج و
حسن الصدقة والتلاوة ، لكنه لا يعمل بما يعلم (كالجاهل الحائر) الذي يتحير

الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ؛ بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ،
وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذم الدنيا

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلُوةٌ خَصِرَةٌ، خُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ،

في وجه الخير وطريق السعادة (الذي لا يستفيق من جهله) أي لا يتخلص من جهله، فان العلم انما هو للعمل فاذا لم يكن عمل كان العالم كالجاهل (بل الحجة عليه اعظم) لأنه ترك العمل بعد المعرفة، والحجة على الجاهل: انه لم يتعلم؟ (والحسرة له) في فوات الخيرات عنه (الزم) أي اكثر لزوما من الحسرة على الجاهل (وهو) العالم التارك للعمل (عند الله اليوم) أي اشد لوما، فان لوم الله سبحانه له اكثر من لومه للجاهل، وانكنا كلاهما يشتركان في اللوم.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذم الدنيا

(أما بعد) أي بعد الحمد والعلاة (فاني احذرکم الدنيا) أي اخوفكم من الوقوع في حبالها وشهواتها (فانها حلوة خصرة) لها طعم حسن و لون جذاب.

(خفت بالشهوات) أي ان الشهوات احاطت بالدنيا، وذلك كناية

وَتَحَبَّبْتُ بِالسَّاعِجَةِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَتَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ ، وَتَزَيَّنَتْ
بِالْغُرُورِ . لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا ، وَلَا تُؤْمَنُ فَجَعَتُهَا . غَرَارَةٌ ضَرَّارَةٌ ، حَائِلَةٌ
زَائِلَةٌ ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ ، أَكَّالَةٌ غَوَالَةٌ . لَا تَعْدُو - إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ
الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرُّضَاءِ بِهَا - أَنْ تَكُونَ

انها تلازم الشهوات ، وتخالطها (وتحبب) اي تقرب الى الناس (بالعاجلة)
اي كونها غير عاجلة ، وانما عاجلة يأخذها الانسان بدون ترقب و الناس يحبون
العاجلة .

(وراقت) اي تزينت (بالقليل) اي بشئ قليل من المال والجاه ، في
مقابل درجات الآخرة ، ونعيمها الكثير (وتحلت) من الحلّى ، اي تزينت
(بالآمال) فان الانسان يأمل المستقبل الخير ، وهي زينة الدنيا حتى ان
الانسان اذا لم يرج مستقبلا زاهرا ، لم يكن لدنياه حلية .

(وتزينت بالغرور) اي ان زينة الدنيا كذب لا اساس لها ، وانما هي
غرور وخداع اذ زينتها ليست الا صورة زائلة (لا تدوم حبرتها) الحبرة السرور
النعمة (ولا تؤمن فجعتها) اي ان الانسان لا يؤمن ان تصيبه مصيبة وفجعة
(غرارة) كثيرة التفرير والخداع (ضرارة) كثيرة الضرر (حائلة) اي متغيرة تنقلب
من حال الى حال (زائلة) تزول وتنقضى (نافذة) تنفذ وتنتهي (بائدة) اي
هالكة .

(اكالة) تأكل كل شئ بافنائها له (غوالة) اي مهلكة من غال بمعنى اهلك
(لا تعدو) يتأتى متعلقه في قوله ((ان تكون)) والجملة في وسطهما اعتراض .
(- اذا تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها) اي اذا انت باماني الناس
وآمالهم (والرضا بها -) لأنها جاءت بأمانهم (ان تكون) متعلق ب ((لا

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ : « كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا . لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عِبْرَةٌ ، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَائِهَا بَطْنًا ، إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا ، وَلَمْ تَطُلْهُ فِيهَا

تعدوا)) .

(كما قال الله تعالى سبحانه) اي ليست اكثر من هذا العثل المذكور في القرآن الكريم (كما انزلناه من السماء) اي المطر والمراد بالسماء جهة العلو (فاختلط به نبات الأرض) هذا في غاية البلاغة ، حتى كان الماء لم ينشأ النبات ، وانما صرف اختلاط - لبيان السرعة في التكون دليل على سرعة الدنيا - (فأصبح هشيما) الهشيم النبت اليابس المتكسر ، وفي هذا ايضا من البلاغة ما لا يخفى حتى كأنه لم يكن فصل بين اختلاط الماء بالنبات وبين ان يصبح هشيما - الا بمقدار ((الفاء)) - .

(تذروه الرياح) اي تنقله من مكان الى مكان (وكان الله على كل شيء مقتدرا) فهو سبحانه قادر على هذه التبديلات والتحويلات في سرعة خاطفة (لم يكن امرؤ منها) اي من الدنيا (في حبرة) اي سرور وحبور (الا اعقبته) اي اعقبت الدنيا ذلك الشخص (بعدها) اي بعد الحبرة (عبرة) بأن بكا بعد السرور فان ((العبرة)) بمعنى ((الدفعة)) .

(ولم يلق) امرؤ (في سرائها) اي افراح الدنيا (بطنا) كأن الدنيا مقبلة عليه فبطنها بطرف ذلك الانسان (الا منحته) الدنيا (من ضرائها) اي ضررها وبوسها (ظهرها) بأن ادارت الدنيا له ظهرها وانقلبت عليه . (ولم تطله) الطل المطر ، اي لم تمطر على احد (فيها) اي في الدنيا

دِيمَةً رَخَاءً ، إِلَّا هَتَنْتَ عَلَيْهِ مُزْنَةً بَلَاءً ! وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةٌ
أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةٌ ، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا أَعْدُوذٌ وَأَحْلُوْلِي ، أَمْرٌ مِنْهَا جَانِبٌ
فَأَوْبَى ! لَا يَنَالُ أَمْرٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغْبًا ، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَبًا ! وَلَا
يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ ، إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ ! غَرَارَةٌ ، غُرُورٌ مَا
فِيهَا ، فَانِيَةٌ ،

(ديمة) هي مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق (رخاء) بأن صار رخي البال
الكثير النعم دائمها (الا هتنت عليه) اي امطرت ، من الهتن بمعنى الصب (مزنة)
بمعنى المطر (بلاء) اي انصبت عليه البلاء ، كما انصب عليه الرخاء .
(و) الدنيا (حري) اي حقيق (اذا اصبح له) اي لأحد (منتصرة)
نصرته على اعدائه (ان تمسي) الدنيا (له) اي لذلك الشخص (متنكرة)
كالذي لا يعرفه فتقل الانتصار الى جانب آخر (وان جانب) اي طرف (منها)
اي من الدنيا (اعدوذب) اي صار عذبا فرائدا (واحلولي) اي صار حلوا (امر
منها جانب) اي صار مرا (فأوبى) اي صار كثير الوباء ، وهو مرض قتال (لا
ينال امرؤ من غضارتها) اي نعمتها وسعتها (رغبا) اي رغبته وميلا .
(الا ارهقته) الدنيا ، والارهاق تحميل العمل الموجب للتعب والنصب
(من نوائبها) جمع نائبة وهي العصبة الشديدة (تعب) بأن اوقعته في التعب
بعد الراحة (ولا يمسي) الانسان (منها) اي من الدنيا (في جناح امن)
كأنه في اعلى مراتب الأمن ، على جناح طائر - هو الأمن - (الا اصبح على
قوادم خوف) جمع قادمة وهي ريشات كبار في مقدم جناح الطائر ، وهذا تشبيه
لشدة الخوف لأن الكائن على القوادم في معرض السقوط ، الدنيا (غرارة) كثيرة
الخدع (غرور ما فيها) فان كل ما فيها - لزواله - كأنه غرور وخدعة (فانية)

فَإِنْ مَنْ عَلَيْهَا، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَىٰ. مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا
 اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ ! وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ. وَزَالَ عَمَّا
 قَلِيلٍ عَنْهُ كَمُ مِنْ وَائِقٍ بِهَا فَجَعَلَتْهُ ۚ وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ،
 وَذِي أَبْهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيرًا، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا ! سُلْطَانُهَا دُولٌ،
 وَعَيْشُهَا رِنَقٌ، وَعَذَابُهَا أَجَاجٌ،

ہی ای دنیا (فان من علیہا) من انسان وغیرہ (لاخیر فی شئ) من
 ازوادیہا (جمع زاد) (الا التقوی) فان اتقاء اللہ والمعاصی هو الذی یبقی الی
 الآخرۃ .

(من اقل منها) ای اخذ القلیل من دنیا (استکثر مما يؤمنه) ای کان
 امنہ کثیرا ، اذ كلما قل جانب کثر الجانب الآخر (ومن استکثر منها) ای اکثر
 من دنیا (استکثر مما یوبقه) ای یہلکہ (وزال) ای انتقل (عما قلیل) (ما))
 زائده لتأكيد معنى القلة (عنه) ای عما استکثر من دنیا .

(کم من وائق بہا) ای بال دنیا ظان انہا تبقی لہ (فجعلته) ای افقدت منہ
 ما یحبہ من امور دنیا ، کالاهل والمال والمنصب وما اشبه .

(و) (کم من) (ذی طمأنینۃ) ای اطمینان (الیہا قد صرعتہ) ای اوقعتہ
 علی الأرض المذلہ والعدم (و) (کم من) (ذی ابہۃ) ای عظمتہ ورفعتہ (قد
 جعلتہ) دنیا (حقیرا) بأن اذہبت ابہتہ .

(و) (کم من) (ذی نخوۃ) ای افتخار واعتزاز بما لدیہ من العز والشرف (قد
 ردتہ) ای ارجعتہ دنیا (ذلیلا) بأن ارضت انفہ (سلطانہا دول) ینتقل
 من هذا الى ذاك وهكذا جمع دولة وهي انقلاب الزمان .

(وعیشہا رنق) ای کدر فانیہ مشوب بالآلام والاسقام (وعذبہا اجاج) ای

وَحَلُّوْهَا صَبِرٌ ، وَغِذَاوْهَا سِمَامٌ ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ ! حَيْثُهَا بَعْرَضٍ مَوْتٌ ،
وَصَحِيحُهَا بَعْرَضٍ سَقَمٌ ! مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَمَوْفُورُهَا
مَنْكُوبٌ ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ ! أَلَسْتُ فِي مَسَاكِينٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا ،
وَأَبْقَى آثَارًا ، وَأَبْعَدَ آمَالًا ،

مَالِحٌ شديد الملوحة ، اذ فى عين عذوبة جانب اجاج فى جانب (و حلوها صبر)
هو عصارة شجر مرة .

(وغذاؤها سم) جمع سم وهو ما يوجب قتل الانسان اذا شربه ، اى ان
غذاء الدنيا مشوب بالسم .

(واسبابها رمام) وهى القطعة البالية من الحبل ، جمع رمة : اى ان يتمسك
بها من الدنيا ، ويجعل سببا للوصول الى هدف وغاية ، بال منقطع (حيثها
بعرض موت) اى فى معرض ان يفنى ويموت (وصحيحها بعرض سقم) اى معرض
للمرض .

(ملكها مسلوب) يسلب من يد المالك اما بالحوادث او بالموت (وعزيزها
مغلوب) بغلبة آخر عليه او غلبة الموت .

(وموفورها منكوب) اى ما كثر من الدنيا ووفر مصاب بالنكبة اى فى معرض
المصيبة والشديدة التى تذهب بذلك الكثير .

(وجارها محروب) اى من جاور الدنيا وكان فيها فانه يصيبه الحرب - على
وزن فرس - اى السلب والنهب .

(ألستم) ايها الناس (فى مساكن من كان قبلكم) من الأمم فى حال كونهم
(أطول) منكم (اعمارا وابقى آثارا) فانهم لقوة آثارهم بقيت الى هذا الوقت ،
كقلعة حلب وغيرها (وابعد آمالا) فانهم حيث كانوا أطول اعمارا ، كانت

وَأَعَدَّ عَدِيداً ، وَأَكْثَفَ جُنُوداً ! تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ ، وَآثَرُوهَا أَيَّ
إِثَارٍ ، ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ وَلَا ظَهَرَ قَاطِعٍ . فَهَلْ بَلَغَكُمْ
أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمُعُونَةٍ ، أَوْ أَحْسَنْتْ لَهُمْ
صُحْبَةً ! بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ ،

آمالهم ابعث من هؤلاء .

(واعد عديدا) اي اكثر تعدادا للعدد والأشخاص (و اكثف) اي اكثر
(جنودا) والخطاب اما عام ، او خاص بالنسبة الى المخاطبين .
(تعبدوا) اي عبدوا (للدنيا اي تعبد) وعبادتهم لها بمعنى خضوعهم
لزعارتها كما يخضع العابد للمعبود .
(واثروها) اي قدموها على سائر الأشياء (اي ايثار) وهذا اللفظ
للتعظيم ، اي ايثارا عظيما
(ثم ظعنوا عنها) اي انتقلوا (بغير زاد) من العمل الصالح (مبلغ)
يبلغهم ذلك الزاد الى الآخرة ، وهذا كناية عن بقائهم بعد الموت فقراء عن
العمل ، فأهلكهم العذاب ، كما ان من لا زاد له في السفر يهلكه الجوع و
العطش .

(ولا ظهر) اي دابة يركبون ظهرها (قاطع) يقطع الطريق ويوصلهم
الى الغاية المنشودة (فهل بلغكم ان الدنيا سخت لهم نفسا بفدية) بان اعطتهم
انفسهم في مقابل فداء اخذته منهم ، اي هل ابقتهم الدنيا ، ام اهلكتهم ؟ .
(او اعانتهم) لدى الشدائد والموت (بمعونة) اسدتها اليهم لخراجهم
من الشدة (او احسنت لهم صحبة) بأن حفظت كرامتهم وحقوقهم ؟ كلا ! (بل
ارهقتهم) اي اتعبتهم الدنيا (بالقوادح) جمع قاذحة وهي مرض يقع في

وَأَوْهَنْتَهُمْ بِالْقَوَارِعِ ، وَضَعَفْتَهُمْ بِالنَّوَائِبِ ، وَعَفَرْتَهُمْ لِلْمَنَاخِرِ ، وَ
وَطَّئْتَهُمْ بِالْمَنَاسِمِ ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ «رَيْبَ الْمُنُونِ» . فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنْكُرَهَا
لِمَنْ دَانَ لَهَا ، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ لَهَا ، حَتَّى ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ . وَهَلْ
زَوَّدْتَهُمْ إِلَّا السَّغْبَ ، أَوْ أَحَلَّتَهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ ،

الأسنان فيبدها ويفسدها .

(واهنتهم) أى اضعفتهم (بالقوارع) جمع قارعة ، وهى المصيبة
الشديدة التى تفرع الانسان وتحطه .

(وضعفتهم) أى حركتهم وذلللتهم (بالنوائب) جمع نائبة وهى
المصيبة (وعفرتهم للمناخر) جمع منخر بمعنى الأنف ، أى كبت انوفهم فى
التراب ، من ((العفر)) بمعنى التراب .

(ووطئتهم) الدنيا (بالمناسم) جمع منسم وهو رجل البعير ، أى داست
الدنيا عليهم بأرجلها .

(واعانت) الدنيا (عليهم ريب المنون) أى الموت لما اراد اخذهم
اعانت الدنيا الموت لاختطافهم واهلاكهم .

(فقد رأيتم) أيها الناس (تنكرها) كأنها لا تعرفهم (لمن دان لها) أى
خضع للدنيا بصرف اوقاته فى طلبها وتجميلها (و) لمن (اثرها) أى قدم
الدنيا على الآخرة (واخلد لها) أى ركن اليها (حتى ظعنوا) أى ارتحلوا
(عنها لفراق الابد) أى مفارقة لا رجوع اليها .

(وهل زودتهم) الدنيا ، أى اعطتهم الزاد (الا السغب) أى الجوع
(او احلتهم الا الضنك) أى الضيق ، أى احلتهم فى محل ضيق (او نورت لهم

الا الظلمة) أى ارتهم الظلمة باسم النور .

أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ! أَفْهَذِهِ تُؤْثِرُونَ ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ ، أَمْ عَلَيْهَا
تَحْرِصُونَ ؟ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَنْتَهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا !
فَاعْلَمُوا - وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ - بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا ، وَأَتَعِظُوا
فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا : « مَنْ أَشَدُّ مَنَاقُوءَ » : حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ
رُكْبَانًا ، وَأَنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا ،

(او اعقبتهم الا الندامة) فان الانسان يندم على ما اخذ من الدنيا (افهذه)
الدنيا (تؤثرون) لها على الآخرة ، بعد هذه الأوصاف ؟ والاستفهام للانكار
(ام اليها تطمئنون) ؟ اي يبقائها ودامها (ام عليها تحرصون) لجمعها و
اقتنائها .

(فبئست الدار) الدنيا (لمن لم ينته) بالخيانة والغدر (ولم يكن
فيها على وجل) وخوف (منها) اما من اتهمها وجل منها وعمل لآخرتها
فنعمت الدار هي اذ الانسان يحصل على الآخرة فيها .

(فاعلموا) ايها الناس (- وأنتم تعلمون -) جملة معترضة (بأنكم
تاركوها) عند الموت (وظاعنون) اي مسافرون (عنها) الى الآخرة (واتعظوا
فيها) اي خذوا الموعظة في الدنيا (ب) الكفار (الذين قالوا) تبجحوا واقتارا
(من اشد منا قوّة) ؟ ظانين ان قوتهم تمنع عن بأس الله فيهم وعن الموت ان
ينزل بهم .

(حملوا الى قبورهم) بالجنائز (فلا يدعون ركبانا) جمع راكب : اي لا يقال
لهم الناس انهم راكبون - حين ما حملوا في الجنائز - اذ الراكب هو من ركب
اختيارا .

(وانزلوا الاجداث) جمع جدث وهو القبر (فلا يدعون ضيفانا) جمع

وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانُ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانُ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانُ،
فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً .
إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا ، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا . جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ ، وَ
جِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ .

ضيف اى لا يقال لهم : انهم ضيوف ، لأن الضيف ليس بهذه الكيفية .
(وجعل لهم من الصفيح) بمعنى وجه الأرض ، فانه يستعمل فى كل شئ
عريض ، او المراد بالصفيح ((اللبن)) (اجنان) جمع جنن بمعنى القبر .
(ومن التراب اكفان) فان اكفانهم تبنى ولا تبقى الا القبر مشتملا عليهم (و
من الرفات جيران) الرفات العظام البالية ، اى ان جيرانهم عظام سائر الأموات
(فهم جيرة) جمع جار (لا يجيبون داعيا) ان دعاهم احد لم يتمكنوا من
اجابته (ولا يمنعون ضيما) اى ظلما ينزل بهم ، فلو انهم احد لم يتمكنوا من
دفعه .

(ولا يبالون مندبة) اى لا يهتمون بندبة احد لهم (ان جيدوا) اى مطروا،
من جاره الغيث (لم يفرحوا) كما يفرح اهل الدنيا بالمطر لنماء زروعهم وثمارهم .
(وان قحطوا) اصابهم القحط ، بأن لم يمطر السحاب (لم يقنطوا) لعدم
تضررهم بالقحط (جميع وهم آحاد) فان ابدانهم مجتمعة فى المقابر لكنهم
آحاد ، حيث لا صلة ولا تزاور ولا تعارف بينهم ، وهذا بالنسبة الى ابدانهم
اما ارواحهم فهى مستأنسة بعضها ببعض انكانوا متقين — كما ثبت بالضرورة من
الدين — .

(وجيرة) اى بعضهم جار بعض لتجاور قبورهم (وهم ابعاد) اى هم

يبعد عن الآخر .

مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارِبُونَ. حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ. لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ، أَسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا ، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا ، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً ، فَجَاوَوْهَا كَمَا فَارَقُوهَا ،

(متدانون) اى بعضهم قريب من بعض (لا يتزاورون) اى لا يزور احدهم الآخر (وقريبون) فى النسب او فى المزار (لا يتقاربون) اى لا يقرب بعضهم من بعض .

(حلما قد ذهب اضغانهم) اى اتهم كالحليم الذى لا يضعن ولا يحقد احدا (وجهلاء) اى انهم كالجهاال ، لأن علمهم قد سلب عن اجسادهم (قد ماتت احقادهم) فان الجاهل يحقد ، لكن هؤلاء لا يحقدون .
ويحتمل ان يكون المراد ان حلیمهم لا يضعن وجاهلهم لا يحقد ، على خلاف ما كانوا فى الدنيا .

(لا يخشى فجعهم) اى لا يخاف احد ان يفجعوه ويصيبوه باذى ، او لا يخاف ان ينفجع احد منهم بفجيعة .

(ولا يرجى دفعهم) بأن يدافعوا عن الاحياء كما كانوا يدافعون فى حال حياتهم .

(استبدلوا بظهر الأرض بطناً) فتركوا ظهر الأرض ، وناموا فى بطنها .
(وبالسعة ضيقاً) فكانوا فى سعة الدنيا فصاروا فى ضيق القبور (وبالأهل غربة) فقد كانوا فى اهلهم ثم صاروا غرباء .

(وبالنور ظلمة) فقد كانوا فى نور الشمس والقمر ، ثم صاروا فى ظلمة القبر .
(فجاءوها كما فارقوها) اى رجعوا الى الأرض بعد مفارقتهم لها ، فان

حُفَاةٌ عُرَاةٌ، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالْدَّارِ الْبَاقِيَةِ ،
كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعَدًا عَلَيْنَا ، إِنَّا كُنَّا
فَاعِلِينَ » .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ذكر فيها ملك الموت وتوفية النفس

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا ؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَدًا ؟ بَلْ

الانسان كان ترابا ثم نباتا ، ثم منيا ، ثم انسانا ، ثم يرجع الى حالة التراب
كما كان سابقا .

(حفاة عراة) اي جائوها في حال عدم التعلل ، وعدم اللباس (قد ظعنوا
عنها بأعمالهم) اي سافروا عن الأرض ، والمراد مسافرة ارواحهم (الى الحياة
الدائمة والدار الباقية) وهي الجنة او النار .

(كما قال سبحانه : كما بدأنا اول خلق نعيده) اي كما ابتدأنا خلق الانسان
من التراب ، نعيده في التراب (وعدا علينا) اي ان هذا وعد لازم علينا ان نفى
به (انا كنا فاعلين) لذلك .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في امتناع وصف الاله و ((ذكر فيها ملك الموت وتوفية النفس))

(هل تحس) ايها الانسان (به) اي بملك الموت (اذا دخل منزلا)

لقبض الأرواح ؟ (ام هل تراه اذا توفى) اي امات (احدا) من الناس (بل

كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ! أَيْلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلَهُهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ!

كيف (يدخل ملك الموت في بطن النساء و (يتوفى الجنين في بطن أمه)
((توفى)) متعدد ، فاعله ملك الموت ، قال سبحانه : ((الله يتوفى الأنفس))
وحكى ان احدا قال وراء جنازة ((من المتوفى)) ؟ بصيغة الفاعل ، فقال الامام
امير المؤمنين - وكان حاضرا - : الله ، فتعجب الرجل فقال الامام ((الله
يتوفى الأنفس)) .

(ايلج) اى يدخل الملك (عليه) اى على الجنين (من بعض جوارحها)
اى من بعض اعضاء المرأة ، جمع جارحة بمعنى العضو (ام الروح اجابته) اى
اجابت ملك الموت حين طلبها من الخارج (باذن ربها) ((الروح)) مؤنث
سماعا (ام هو) اى الملك القابض لروح الجنين (ساكن معه) اى مع الجنين
(في احشائها) اى في بطنها ؟ .

(كيف يصف الله من يعجز عن صفة مخلوق مثله) ؟ اى ملك الموت ، فان
من لا يقدر وصف المخلوق لا يقدر وصف الاله ، بالاولى ، .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذم الدنيا

وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنَزِلُ قُلْعَةٍ ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ قَدْ تَزَيَّنَتْ
بِغُرُورِهَا ، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا . دَارُ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا ، فَخَلَطَ حَلَالُهَا بِحَرَامِهَا ،
وَخَيْرُهَا بِشَرِّهَا ، وَحَيَاتُهَا بِمَوْتِهَا ، وَحُلُوهَا بِمُرِّهَا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذم الدنيا

(واحذركم) اي اخوفكم ايها الناس من (الدنيا فانها منزل قلعة) اي
محل انقلاع وعدم استقرار (وليست بدار نجعة) اي ليست محط الرجال ، فان
النجعة بمعنى طلب الكلاء في موضعه ، فان القوافل كانوا يطلبون لمنزلهم محلا
ذا كلاء ، فاذا لم يجدوه لم ينزلوا .

(قد تزينت بغرورها) اي ازدانت للناس بالخداع والغرور لا بالواقع و
الصدق ، بمعنى ان زينتها ليست صادقة (وغرت) اي خدعت الناس (بزینتها)
الزائلة .

(دار هانت على ربها) لا قيمة لها عند الله سبحانه (فخلط حلالها
بحرامها) بمعنى ان جعل سبحانه فيها من النوعين (وخيرها بشرها وحياتها
بموتها وحلوها بمرها) ولو كانت عزيزة عنده سبحانه لم يجعلها الا محلا للخيرات
فقط ، كما ان الانسان اذا اصطفى شيئا لم يجعل فيه الا الخير .

لَمْ يُضْفِهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضَنْ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ خَيْرَهَا زَهِيدٌ
وَشَرُّهَا عَتِيدٌ. وَجَمَعَهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرُبُ. فَمَا
خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ، وَعُمُرُ يَفْنَى فَنَاءَ الزَّادِ، وَمُدَّةُ تَنْقَطِعُ
أَنْقِطَاعَ السَّيْرِ ! أَجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ، وَأَسْأَلُوهُ مِنْ
أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ.

(لم يصفها الله تعالى لأوليائه) أى لم يجعلها صافية لهم عن الأكدار و
الآلام (ولم يضمن بها) سبحانه ، أى لم يمنعها (على أعدائه) وهم الكفار
والعصاة .

(خيرها زهيد) أى قليل (وشَرُّها عتيد) أى حاضر (وجمعها ينفد) أى
يخلص ويتم (وملكها يسلب) يسلبه الفناء (وعامرها يخرب) فان العمارة
مهما كانت محكمة يسرى اليها الخراب والفناء .

(فما خير دار تنقض) أى تهدم (نقض البناء) أى كما ينهدم البناء ، و
الاستفهام للانكار ، يعنى لا خير فى مثل هذه الدار .

(و) ما خير (عمر يفنى فناء الزاد) فكما يفنى المأكول يفنى عمر الانسان و
ينتهى (و) ما خير (مدّة تنقطع انقطاع السّير) فكما ان السّائر ينقطع سيره
بعد مدّة كذلك تنقطع مدّة بقاء الانسان فى الدنيا بعد زمان مقدّره .

(اجعلوا ما افترض الله عليكم) من الواجبات وترك المحرمات (من طلبكم)
فكما انتم تحصلون على مطالبكم الدنيوية — من اكل وشرب ولباس وما اشبه — بكلّ
حرص واشتياق ، فكذلك اجعلوا فرائض الله هكذا .

(واسألوه من اداء حقه ما سألكم) أى اطلبوا من الله سبحانه ان يوفّقكم لاداء
ما فرضه عليكم — الذى هو حقه — ومعنى ((ما سألكم)) الشئ الذى طلبه منكم .

وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ . إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا ، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرَحُوا ، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَإِنْ اغْتَبَطُوا بِمَا رَزَقُوا . قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَازِبُ الْآمَالِ ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ ،

(واسمعوا دعوة الموت اذانكم) اى اسمعوا اذانكم دعوة الموت لكم ، وهذا كناية عن تملى الانسان بقضية الموت (قبل ان يدعى بكم) اى قبل ان تدعوا الى الموت .

(ان الزاهدين فى الدنيا تبكى قلوبهم) كناية عن حزنهم (وان ضحكوا) بوجوههم (ويشتد حزنهم) الباطن (وان فرحوا) فى الظاهر .
(ويكثر مقتهم انفسهم) اى غضبهم على انفسهم - لأنها لا تطاوعهم فيما يريدون من الأعمال - (وان اغتبطوا بما رزقوا) اى غبطتهم غيرهم بما رزقهم الله سبحانه من الحظ فى الطاعة والعبادة (قد غاب عن قلوبكم) أيها الناس (ذكر الآجال) اى الموت فلا تذكرونه .

(وحضرتكم كواذب الآمال) اى الآمال الكاذبة التى لا تصلون اليها ، فانها نصب أعينكم تسعون لها (فصارت الدنيا املك بكم من الآخرة) ازمتكم بيد الدنيا كأنكم ملك لها .

(و) صارت (العاجلة) اى الدنيا العاجلة (اذهب بكم) اى اكسر تسيرا لكم نحوها (من الآجلة) اى الآخرة التى هى مؤجلة .

ثم مثل الامام عليه السلام لكون الدنيا اخذة بزمامهم ، لا الدين ، بقوله :
(وانما انتم اخوان على دين الله) كما قال سبحانه : ((انما المؤمنون اخوة)) .

مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْتُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ. فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذِلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ. مَا بِالْكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، وَلَا يَحْزَنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرِمُونَهُ! وَيُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ. وَقَلَّةٌ صَبَرَكُمْ عَمَّا زَوَى مِنْهَا عَنْكُمْ! كَأَنَّهَا دَارُ مَقَامِكُمْ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ.

(ما فرق بينكم الا خبث السرائر) اذ حب المال والجاه وما اشبه يوجب التحاسد والتفرقة (وسوء الضمائر) اى النوايا السيئة (فلا توازر) اى لا يتعاون بعضهم بعضا ، من (وازر) (ولا تناصحون) لا ينصح بعضهم بعضا (ولا تباذلون) لا يبذل الغنى منكم للفقير (ولا توادون) لا يحب احدكم الآخر .

(ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا) ؟ اى لماذا تفرحون بدنيا يسيرة (تدركونه) اى اذا ادركتم ذلك اليسير .

(ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه) . اى تحرمون منه بسوء صنيعكم او كسلكم عن القيام بما يوجب حيازكم له . كعدم مسارعكم فى الاتيان بالمندوبات والفضائل (و يقلقكم) اى يسبب اضطرابكم (اليسير من الدنيا يفوتكم) بأن يذهب عنكم بعد حيازكم له ، او بعد رجاء ان تحوزوه (حتى يتبين ذلك) الاضطراب (فى وجوهكم) بانقباضها (و) فى (قلة صبركم عما زوى) اى ابتعد (منها) اى من الدنيا (عنكم) فان قلة الصبر تظهر فى حركات الانسان .

(كأنها) اى الدنيا (دار مقامكم) داركم التى تقيمون فيها الى الأبد (و كان متاعها باق عليكم) متاع الدنيا : ما يتمتع الانسان به فيها من لباس ورياش وما اشبه .

وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ ، إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ
يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ . قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجَلِ وَحُبِّ الْعَاجِلِ ، وَصَارَ
دِينُ أَحَدِكُمْ لُغْقَةً عَلَى لِسَانِهِ ، صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَّغَ مِنْ عَمَلِهِ ، وَأَحْرَزَ رِضَى سَيِّدِهِ .

(وما يمنع احدكم ان يستقبل اخاه بما يخاف (عليه) من عيبه الا مخافة ان
يستقبله بمثله) اي انكم لا تذكرون معائب اخوانكم لهم ، حتى يتجنبون عنها
لأنكم تخافون ان ذكرت عيوبهم ، ان يذكروا لكم عيوبكم ولذا يسكت كل واحد منكم
عن عيب الآخر ، وتبقى العيوب بلا اصلاح لها .

(قد تصافيتم) اي صافى بعضكم بعضا (على رفض الآجل) الذي هو الآخرة
(وحب العاجل) الذي هو الدنيا (وصار دين احدكم لغقة على لسانه)
كاللعوق فان الدين في اللسان ، لا في القلب ، فقد قال الامام الحسين عليه
السلام : ((الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم)) .

تصنعون بالنسبة الى اوامر الله سبحانه (صنيع من قد فرغ من عمله واحرز)
اي حاز وادرك (رضى سيده) فان الانسان الذي عمل ما وجب عليه واحرز
رضى مولاه ، يستريح ولا يهتم ، واهل الدنيا هكذا يصنعون ، بلا مبالاة
بأوامره سبحانه .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في وعظ الناس

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدُ بِالنِّعَمِ وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَى
آلَائِهِ ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ . وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النَّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا
أُمِرَتْ بِهِ ، السَّرَّاعِ إِلَى مَا نُهِيتَ عَنْهُ . وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في وعظ الناس

(الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر) فان من حمده سبحانه
تفضل عليه بالنعمة ، ثم طلب من الناس - على نعمه - الشكر ، فالشكر تابع
للنعمة ، والنعمة تابعة للحمد .

(نحمده) سبحانه (على آلائه) جمع (الى) بمعنى النعمة (كما نحمده
على بلائه) اي المصائب ، فانها اما تطهير للذنوب ، او موجبة للأجر ، وكلاهما
لطف يستحقان حمدا .

(ونستعينه) اي نطلب اعانتة (على هذه النفوس) اي نفوسنا ، بشأن
يساعدنا لنتغلب عليها (البطاء) جمع بطي ، اي التي تبطى (عما امرت به)
فان الانسان يتكاسل عن فعل الطاعات (السراع الى ما نهيت عنه) اي تسرع
الى ارتكاب المحرمات .

(ونستغفره) اي نطلب غفرانه (مما احاط به علمه) اي علمه من المعاصي

وَأَخْصَاهُ كِتَابُهُ : عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ ، وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ . وَتُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانٌ
مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ ، وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ ، إِيْمَانًا نَفَى إِخْلَاصَهُ الشُّرْكَ ،
وَيَقِينُهُ الشُّكَّ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

التي ارتكبتها (واحصاء كتابه) اي عده كتابه الذي كتب فيه اعمالنا ، فان علمه
سبحانه (علم غير قاصر) بل يدرك جميع الأشياء (و) كتابه سبحانه (كتاب غير
مغادر) لا يغادر - اي لا يترك - صلا الا كتبه ، كما قال سبحانه : ((لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها)) .

(وتؤمن به ايمان من عاين الغيوب) المراد بالغيوب ، ذاته سبحانه ، فكما
لو فرض انه كان مريئا ، كان ايمان الانسان به ايمانا قويا ، كذلك تؤمن به الآن
ايمانا قويا .

(ووقف على الموعد) وهو يوم القيامة ، ومن المعلوم ان الايمان بالحشر،
من الايمان بالله (ايمانا نفى اخلاصه الشرك) فان الايمان الخالص يلزم نفى
الشرك .

(و) نفى (يقينه الشك) فان الايمان قد يكون ظنا فلا ينفي الشك - اي
الاحتمال - اما اذا كان يقينا كان منافيا للشك .

(ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله
صلى الله عليه وآله وسلم) والشهادة بعبودية الرسول بالاضافة الى انه نـوع
تشريف له لأنه عبد لله العظيم ، لنفى مزعة الوهيته صلى الله عليه وآله وسلم كما
زعم النصارى بالنسبة الى المسيح ، او الولادة كما زعم اهل الكتاب بالنسبة الى
عزير والمسيح عليهما السلام .

شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ ، وَتُرْفَعَانِ الْعَمَلَ . لَا يَخْفُ مِيزَانُ تَوْضَعَانِ فِيهِ ،
وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانُ تُرْفَعَانِ عَنْهُ أَوْصِيكُمْ ، عِبَادَ اللَّهِ ، بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ
الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَادُ : زَادٌ مُبْلِغٌ ، وَمَعَادٌ مُنْجِعٌ . دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ ،
وَوَعَاهَا خَيْرٌ وَاعٍ . فَاسْمَعْ دَاعِيَهَا ، وَفَارِزٌ وَاعِيَهَا .
عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مَحَارِمَهُ ، وَ

(شهادتين) حال من نشهد (تصعدان القول) الحسن الى السماء ،
بمعنى انهما توجبان له قبولاً (وترفعان العمل) الصالح (لا يخف ميزان
توضعان) اى الشهادتان (فيه) فانه يثقل بالحسنات .
(ولا يثقل ميزان ترفعان عنه) لأن العمل الصالح بدون الشهادتين غير
مجد (اوصيكم عباد الله بتقوى الله) اى الخوف منه الموجب لاتباع الواجب وترك
الحرام (التى هى الزاد) الموجب للوصول الى الغاية المنشودة (وبها المعاد)
الحسن .

ثم فسر عليه السلام المراد من الزاد والمعاد بقوله : (زاد مبلغ) كاف لأن
يوصل الانسان الى الآخرة بسلام .

(ومعاد منجى) يوجب نجاح الانسان وفوزه بالجنة (دعا اليها) اى الى
تلك التقوى (اسمع داع) اى اكثر الداعين اسماعاً (ووعاها) اى احتفظ بها
واخذها (خير واع) فان كل انسان محتفظ بالتقوى فهو خير واع لأنه وعى
احسن شيء (فاسمع) الناس (داعيها) اى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
(وفاز) وظفر بسعادة الدارين (واعيها) الذى وعّاها .

يا (عباد الله ان تقوى الله حمت) اى منعت من ((حى)) بمعنى منع
(اولياء الله محارمه) اى المحرمات ، لأن من خاف حقيقة اجتناب الحرام (و

الزَمْتُ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ ، حَتَّى اسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ ، وَأَظْلَمَاتُ هَوَاجِرِهِمْ ؛
فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ ، وَالرُّيَّ بِالظُّلَمِ ؛ وَاسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا
الْعَمَلَ ،

ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ ، وَغَيْرٍ وَغَيْرٍ ؛ فَمِنْ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ
قَوْسُهُ ، لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ ، وَلَا تُؤَسِّي جِرَاحُهُ يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ ، وَالصَّحِيحَ
بِالسَّقَمِ ، وَالنَّاجِيَ

الزمت قلوبهم مخافته (اي الخوف منه تعالى ، و ((مخافة)) مصدر ميمي بمعنى
الخوف .

(حتى اسهرت) التقوى (ليلاليهم) هذا من الاسناد المجازي ، اي
اسهروا في الليالي (واظلمات هواجرهم) جمع هاجرة وهي الساعة الحارة فسي
وسط النهار ، والمراد انهم قاموا الليالي عبادة ، وصاموا النهار حتى عطشوا
في الساعات الحارة .

(فأخذوا الراحة بالنصب) اي اخذوا على راحة الآخرة بتعب الدنيا .
(والري) في الآخرة (بالظلماء) في الدنيا (واستقربوا الاجل) اي رآه
قربة (فبادروا العمل) حتى لا يدركهم الاجل وبعد لم يعملوا عملا كافيا .
(ثم ان الدنيا دار فناء وعناء) اي صعوبة وتعيب (وغير) اي تغيرات (و
عبر) اي اشياء توجب الاعتبار والتنبيه (فمن الفناء) ((من)) لبيان (ان الدهر
موتر قوسه) اي جعل لقوسه الوتر ليرمى بها الناس فيهلكهم (لا تخطئ سهامه)
التي يرميها نحو الناس ، والمراد بالسهم اسباب الموت .
(ولا تؤسي جراحه) اي لا تداوي من اسوت الجرح بمعنى داريته (يرمي)
الدهر (الحي بالموت) فيموت (والصحيح بالسقم) فيمرض (والناجي)

بِالْعَطَبِ. آكِلٌ لَا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ. وَمِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا مَالًا حَمَلًا، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ! وَمِنْ غَيْرِهَا أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطًا، وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُومًا، لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيمًا زَلَّ، سُبُؤًا نَزَلَ. وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ.

بالعطب (أى الهلاك ، فيهلك ، بعد نجاته من شديدة ، والدهر) اكل (للناس (لا يشبع) من اكله (وشارب) للدما (لا ينقع) بالشرب ، لرفع عطشه .

(ومن العناء) أى التعب الموجود فى الدنيا (ان المرء يجمع ما لا يأكل) فتعبه عليه بدون ان يكون له (ويبنى ما لا يسكن) بل يسكنه غيره (ثم يخرج الى الله) المراد الى الدار التى اعدّها الله سبحانه للحساب والجزاء (لا مالا حمل) مما جمعه (ولا بناء نقل) مما بناه ولم يسكنه .

(ومن غيرها) أى من تغير الدنيا وتقلبها (أنك ترى المرحوم مغبوطا) أى ان الانسان الذى يرحمه الناس لفقره او نحوه ، يغبط بعد زمان لتجدد الغناله او نحو ذلك .

(و) ترى (المغبوط مرحوما) فمن كان يغبط لماله او جاهه او نحو ذلك يصبح مرحوما يرحمه الناس لفقده اسباب السعادة والاعتباط .

(ليس ذلك) الرحم له (الا نعيما زل) وانتقل منه (وبؤسا نزل) عليه (ومن عبرها) أى اسبابها الموجبة للعبرة (ان المرء يشرف على امه) حتى يقال انه وصل اليه (فيقتطعه) عن امه (حضور اجله) حيث يختطفه الموت فلا يصل الى امانيه .

فَلَا أَمَلٌ يُدْرِكُ، وَلَا مُؤْمَلٌ يُتْرَكُ. فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَعْرَّ سُورَهَا! وَأَظْمَأَ رِيَّهَا! وَأَضْحَىٰ فَيْئَهَا! لَا جَاءَ يُرَدُّ، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ فَسُبْحَانَ اللَّهِ، مَا أَقْرَبَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلْحَاقِقِ بِهِ، وَأَبْعَدَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ! إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنْ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ.

- (فلا أمل يدرك ولا مؤمل) اي صاحب الأمل (يترك) على حاله .
 (فسبحان الله) كلمة تستعمل بمعنى التعجب ، والأصل فيها : ان النزاهة عن التغير لله لا لغيره (ما اعر سورها) فانما ان سرورها فرور محض .
 (واظما ريبها) فان ارتوا الانسان فيها من الماء عطش ، لأنه أمل اليه (واضحى فيئها) الفئ الظل ، والأضحا البروز الى الشمس ، اي ان فيئها زائل بمجيئ الشمس مكانه .
 (لا جاء يرد) فان الموت والسقم والذلة وما اشبهها اذا قدر مجيئها لا يرد .
 (ولا ماض يرتد) فان من مضى لا يرجع (فسبحان الله ما اقرب الحي من الميِّت) اذ كل حي قريب من الموت .
 (للحاقه به) اي التحاق الحي بالميت ، بعد ان مات (وابعد الميِّت) الذي مات (من الحي) الذي بقى (لانقطاعه عنه) فان الانسان اذا مات له ميت انقطع عنه ، فلا يرجع الميت اليه ابدا .
 (انه ليس شئ بشر من الشر) اي باكثر شرا من الشر نفسه (الا عقابه) فالسرقه مثلا شئ ، وعقابها اكثر شرا منها (وليس شئ بخير من الخير) اي بأحسن من الخير (الا ثوابه) الذي يبقى .

وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ . فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ . وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا : فَكُمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَاحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ ! إِنَّ الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نَهَيْتُمْ عَنْهُ .

(وكل شئ من الدنيا سماعه اعظم من عيانه) مثلا اذا سمع الانسان ان البحر الكدائي عظيم ، فاذا شاهده رآه اصغر مما في نفسه ، وهكذا بالنسبة الى سائر الأشياء - والسر ان نفس الانسان خلقت اعظم من جميع ما في الدنيا - .
 (وكل شئ من الآخرة عيانه اعظم من سماعه) مثلا الجنة اذا شاهدها الانسان رآها اعظم مما سمع ، وكذلك سائر امور الآخرة - والعلة ان النفس خلقت اصغر من امور الآخرة - .
 (فليكنكم من العيان السماع) اي اكتفوا بسماع الآخرة - في العمل - عن عيانه الذي هو اعظم منه (ومن الغيب الخبر) اي من الغيب الذي غاب عنكم من امور الآخرة ، الذي سمعتم من خبرها .
 (واعلموا ان ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة) كالمال الذي ينفق - الانسان في سبيل الله (خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا) كما لو لم يعط الزكاة - مثلا - .
 (فكم من منقوص) نقص ماله الدنيوي (راح) لأنه زاده في آخرته (وكم من مزيد خاسر) زاد ماله الدنيوي ، لكنه خاسر اذا خسره في الآخرة .
 (ان الذي امرتم به اوسع من الذي نهيتكم عنه) هذا لبيان ان الانسان اذا اخذ بالواجبات - التي هي اضرار المحرمات - كان في سعة ، بخلاف ما

وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ . فَذَرُّوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ ، وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ . قَدْ نَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ وَأَمَرْتُمْ بِالْعَمَلِ ، فَلَا يَكُونَنَّ الْمَنْسُوءُ لَكُمْ طَلِبُهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ ،

إذا أراد الأخذ بالمحرمات فليس العمل الصالح صعباً ، بل العكس صعب ، فمثلاً أمر الإنسان بالعدل ونهى عن الظلم ، والعدل أوسع لأنه يوجب العمران والتقدم والائتلاف مما يزيد في سعة العالم ، بخلاف الظلم الذي بعكس ذلك كله .

(وما أحل لكم أكثر مما حرم عليكم) مثلاً أحل للإنسان أكثر أنواع الأشرية - التي تعدوا الآلاف - في حين لم يحرم عليه إلا الخمر وما أشبهها ، وهكذا . (فذرّوا) أي اتركوا ودعوا (ما قلّ لما كثر) ففي الكثير غنى عن القليل (وذرّوا) ما ضاق لما اتسع (فإن في السعة كفاية عن الضيق) قد تكفل (الله لكم بالرزق) بمعنى أن الرزق لا بد وأن يصل إلى الإنسان فقليل من السعي كاف ، فإن غالب الرزق إنما يكون بعمل الله سبحانه ، كالأنهر ، والهواء ، والضياء والنبات ، وما أشبه .

(وأمرتم بالعمل) الصالح للآخرة ، فإن الإنسان لا يحصل على الآخرة إلا بالعمل .

(فلا يكونن المضمون لكم طلبه) أي ما ضمن الله أن يطلبه لكم وهو الرزق (أولى بكم من المفروض عليكم عمله) وهو ما يوجب لكم القربى إلى الله سبحانه و تحصيل الجنة ، وإنما قال عليه السلام : ((أولى بكم)) لأن الإنسان إذا أولى شيئاً اهتماماً كان بحسب المترأى ((أولى به)) .

مَعَ أَنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدْ اعْتَرَضَ الشَّكُّ ، وَدَخَلَ الْيَقِينُ ، حَتَّى كَانُ الَّذِي
ضَمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ ، وَكَانُ الَّذِي قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ
وُضِعَ عَنْكُمْ فَبَادِرُوا الْعَمَلَ وَخَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ ، فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ
الْعُمْرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ . مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَدًا زِيَادَتُهُ ،

(مع انه - والله - لقد اعترض الشك ودخل اليقين) اي جاء الشك و
دخل في اليقين ، فان اليقين يكون الله سبحانه كفيلا بالرزق خالطه الشك ، ولفظة
(مع)) لبيان انه : اقول لكم الكلام السابق ، مع اني اعلم ، انه قد اعترض
الشك ، و ((والله)) لتأكيد علمه عليه السلام بذلك .

(حتى كان الذي ضمن لكم) وهو الرزق (قد فرض عليكم) بأن تحصلوه (و
كان الذي قد فرض عليكم) وهو العمل (قد وضع عنكم) فلم يجب عليكم الاتيان
به .

ثم لا يخفى ان مثل هذه الكلمات انما هي للحد من نشاط الذين يصرفون كل
اوقاتهم في طلب الدنيا بدون اعتناء بالآخرة ، كما هو اغلب الناس ، فلا يد
من كثرة التأكيد ليعتدل الأمر ، والا فطلب الحلال من المفروض على الانسان ،
كما هو ضروري من ضروريات الدين .

(فبادروا العمل) اي عجلوا للعمل للآخرة (وخافوا بغتة الأجل) اي يباغتكم
ويفجئكم الأجل بدون تهيئة زاد من العمل الصالح .

(فانه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق) فان فائت العمولا
يرجع ، واما ما يفوت من الرزق فمن الممكن تعويضه .

(ما فات اليوم من الرزق رجي غدا زيادته) بأن يزداد المقدار الفائت على ما هو
موجود عند الانسان .

وَمَا فَاتَ أَمْسٍ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجَعَتُهُ . الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي ،
وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي . فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الاستسقاء

اَللّٰهُمَّ قَدْ اَنْصَحَتْ جِبَالُنَا ، وَاغْبَرَتْ اَرْضُنَا ، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا ،

(وما فات امس من العمر لم يرج اليوم رجعتة) و تغييرا يساق في ((الغد ،
واليوم)) بملاحظة البلاغة (الرجاء مع الجائي) اي الممكن مجيئه وهو الرزق (و
اليأس مع الماضي) الذي لا يعوض وهو العمر .
(فاتقوا الله حق تقاته) اي حق تقواه وهو اجتناب المحرمات والاتيان
بالواجبات .

(ولا تموتن الا و انتم مسلمون) اي ليكن موتكم مع الاسلام الكامل ، فان في
ذلك السعادة الأبدية .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

((في الاستسقاء)) وهو طلب ((السقيا)) اي نزول المطر
(اللهم قد انصاحت) اي جفت (جبالنا) وجفاف الجبل يوجب عدم
جريان العيون ، وجفاف ما عليها من النباتات .
(واغبرت ارضا) اي صار فيها الغبار لجفافها (وهامت دوابنا) اي

وَتَحَيَّرْتُ فِي مَرَابِضِهَا ، وَعَجْتُ عَجِيجَ الثَّكَالِي عَلَى أَوْلَادِهَا ، وَمَلْتُ التَّرْدُدَ فِي مَرَاتِعِهَا ، وَالْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا ! اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَيْنَ الْآتَةِ ، وَحَنِينَ الْحَاتَةِ ! اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا ، وَأَيْنَتَهَا فِي مَوَالِجِهَا ! اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السُّنَيْنِ ،

عطشت من الهيام بمعنى العطش .

(وتحيرت) الدواب ما تدور كيف تروى انفسها (فى مراتبها) جمع مريض ، وهو محل الدابة (وعجت) اى الدواب ، والعجيج صوت فيه حزن (عجيج الثكالى) جمع ((ثكلى)) وهى المرأة التى مات ولدها (على اولادها) التى عطشت .

(وملت) الدواب (التردد فى مراتبها) جمع مرتع وهى محلات الرعى ، فانها ملت وعجزت عن كثرة ما تردت فى المراتع طلب للماء . (و) ملت (الحنين الى مواردها) جمع مورد وهو محل شرب الماء اى اخذت تحن وتعطف على موارد الماء .

(اللهم فارحم ائین الآتة) اى الحيوانات التى تأن من العطش . (وحنين الحاتة) اى الحيوانات التى تحن وتعطف .

(اللهم فارحم حيرتها) اى تحيرتلك الحيوانات (فى مذاهبها) جمع مذهب ، وهو محل الذهاب (وانينها فى موالجها) جمع مولج وهو المدخل والمراد مراتبها .

(اللهم خرجنا اليك) فان دعاء الاستسقاء وصلاته فى الصحراء ، والمعنى تجردنا عن الوطن نحو رحمتك (حين اعتكرت علينا) اى عكز ضد صفا (حدابير السنين) جمع حدبار وهى الناقة المهزولة شبهت بها السنة المجدية .

وَأَخْلَفْتَنَا مَخَائِلُ الْجُودِ ، فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَلِسِ ، وَالْبَلَغَ لِلْمُلْتَمِسِ .
نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ ، وَمُنِعَ الْغَمَامُ ، وَهَلَكَ السَّوَامُ ، أَنْ لَا تُؤَاخِذَنَا
بِأَعْمَالِنَا ، وَلَا تَأْخِذَنَا بِذُنُوبِنَا . وَأَنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ ،
وَالرَّبِيعِ الْمَغْدِقِ ، وَالنَّبَاتِ الْمُونِقِ ، سَحًا وَابِلًا ، تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ ،

(واخلفتنا مخائل) جمع مخيلة وهي السحابة التي تظهر انها ماطرة ثم لا
تمطر ، (الجود) المطر ، ومعنى الاخلاف انها لا تفي بما اظهرت من
ارادة الأمطار ؛

(فكنت) اللهم و (الرجاء) للمبتس (ابتس اي مسه البأس) (والبلاغ
للملتمس) يقال التمس الشئ اذا طلبه ، والبلاغ الى الكفاية (ندعوك حين
قنط الأنام) اي يئسوا من المطر والماء (ومنع الغمام) عن المطر .

(وهلك السوام) جمع سائمة وهي البهيمة الراعية (ان لا تؤاخذنا
بأعمالنا) بأن يكون مظهر مؤاخذتك لنا قطع المطر .

(ولا تأخذنا بذنوبنا) لعل الفرق بين ((المؤاخذة)) و ((الأخذ)) ان
الأول بمعنى المحاسبة والثاني بمعنى العقاب .

(وانشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق) يقال انبعق المزق اذا انفرج عن
المطر .

(والربيع المغدق) اغدق المطر بمعنى كثرائه ، والمراد بالربيع الفصل
المقابل للفصول الأخر (والنبات المونق) آنفى النبات اي اسر وافرح لكثرة نمائه
وحسن منظره ، سحابا .

(سحا) اي صبا (وابلا) اي شديد المطر (تحيي به ما قد مات) من

وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ . اللَّهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً ، تَامَةً عَامَةً ، طَيِّبَةً
مُبَارَكَةً ، هَنِيئَةً مَرِيعةً ، زَاكِيًا نَبْتُهَا ، ثَامِرًا فَرْعُهَا ، نَاضِرًا وَرَقُهَا ، تُنْعِشُ
بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُخَيِّ بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلَادِكَ ! اللَّهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ
تُعْشِبُ بِهَا نِجَادَنَا ، وَتَجْرِي بِهَا وَهَادُنَا ، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابَنَا ، وَتُقْبِلُ

الأراضى . واحياء الأرض انما يكون بالنبات (وترد به ما قد فات) أى مضى ،
كأن اخضرار الأرض رد لما فات .

(اللهم) اسقنا (سقيا منك) أى من طرفك ولطفك (محيية) لأراضينا
(مروية) تروى الانسلان والحيوان والنبات والأرض (تامة) لا نقص فيها
(عامة) نعم الجميع (طيبة) لا توجب مرضا او نحوه (مباركة) توجب البركة
أى النعم والزيادة (هنيئة) تكون بلا كدر ولا تعب (مريعة) أى خصيبة توجب
الخصب .

(زاكيا نبتها) أى ينمو نبات تلك المطرة (ثامرا) أى آتيا بالثمر (فرعها)
أى اغصان تلك النباتات (ناضرا) من النضارة بمعنى البهجة (ورقها) بأن
يكون شديد الاخضرار .

(تنعش بها الضعيف من عبادك) أى توجب له القوة (وتحيى بها الميت
من بلادك) فإن المطر يوجب الحركة للنبات وذلك شبيه بالحياة .

(اللهم) اسقنا (سقيا منك تعشب بها) أى بتلك السقيا (نجادنا) جمع
نجد وهو ما ارتفع من الأرض (وتجري بها وهادنا) جمع وهدة وهى ما انخفض
من الأرض ، أى تجرى بالماء .

(ويخصب بها جنابنا) الخصب ضد الجذب ، والجناب الناحية (وتقبل

بِهَا ثِمَارُنَا ، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا ، وَتَنْدَى بِهَا أَقَاصِينَا ، وَتَسْتَعِينُ بِهَا
ضَوَاحِينَا مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ ، عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُرْمَلَةِ ،
وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ . وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً ، مِثْرَاراً هَاطِلَةً ، يُدَافِعُ
الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ ، وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ ، غَيْرَ خُلْبٍ بَرَقُهَا ،

• بها ثمارنا (من الاقبال بمعنى الظهور والخروج .

(وتعيش بها مواشينا) جمع ماشية ، وهى الابل والبقر والغنم ، بأن

لا تموت من الظماء .

(وتندى بها اقاصينا) اى اطراف البلاد البعيدة ، جمع قاصية .

(وتستعين بها ضواحيننا) جمع ضاحية اى النواحي التى لها سكان كالأرياف

(من بركاتك الواسعة) متعلق بـ ((سقيا)) (وعطاياك الجزيلة) اى الكثيرة

العظيمة (على بريتك المرملة) اى الفقيرة .

(ووحشك) اى الحيوانات المتوحشة (المهمله) فى الصحارى لا راعى لها

ولا كفيل .

(وانزل علينا سماء) اى مطرا - بعلاقة الظرف والمظروف - (مخضلة)

من اخضل بمعنى ابتل .

(مِثْرَاراً) يدرو ينزل باستمرار (هاطلة) يقال هطل المطر اذا نـسـزل

باستمرار (يدافع الودق منها الودق) الودق المطر ، والجملة كناية عن استمراره

بشدة ، حتى كان كل قطرة تدافع القطرة السابقة عليها حتى تنزل (ويحفز) اى

يدفع ويحث (القطر منها القطر) فكل قطرة محفزة للقطرة المتقدمة عليها .

(غير خلب برقها) البرق الخلب ما يظهر ان فى سحابة المطر ثم لا ينزل

المطر .

وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا، وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا، وَلَا شَفَانَ ذَهَابُهَا، حَتَّى يُخْصِبَ
لِأُمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ، وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا الْمُسْتَنْتُونَ، فَإِنَّكَ تَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ
مَا قَنَطُوا، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ .

قال السيد الشريف ، رضي الله عنه ، قوله عليه السلام : (انْصَاحَتْ جِبَالُنَا) أي
تَشَقَّقَتْ مِنَ الْمُحُولِ ، يُقَالُ : انْصَاحَ الثَّوْبُ إِذَا انْشَقَّ . وَيُقَالُ أَيْضاً : انْصَاحَ
النَّبْتُ وَصَاحَ وَصَوَّحَ إِذَا جَفَّ وَيَبَسَ ، كُلُّهُ بِمَعْنَى . وَقَوْلُهُ : (وَهَامَتْ
دَوَابُّنَا) أي عَطِشَتْ ، وَالْهَيْسَامُ : الْعَطَشُ . وَقَوْلُهُ : (حَدَّابِيرُ السَّيْنِ) جمع

(ولا جهام) هو السحاب الذي لا مطرفيه (عارضها) ما يعرض في الأفق
من الحساب .

(ولا قزع) هو القطع الصغير من السحاب (ربابها) هو السحاب الأبيض
(ولا شفان) الشفان الريح الباردة أي لا ذات ريح باردة (ذهابها) جمع
ذهبة وهي المطرة القليلة ، أي لا تكون أمطارها القليلة ذات ريح باردة فإن
ذلك مما يضر الزرع ويؤذي الإنسان .

(حتى يخصب لأمرعها المجذبون) يقال اخصب القوم إذا نالوا الخصب وهو
كثرة العشب ، والأمرع الاخصاب ، والمجذب الذي ناله الجذب أي القحط
والمعنى حتى يكثر عشب أهل الجذب لأمرع تلك المطرة .

(و يحيا ببركتها المستنتون) أي الذين أصابتهم السنة — بمعنى القحط —
وحياتهم بكثرة الماء والعشب وما يتبع ذلك .

(فانك) يا رب (تنزل الغيث) أي المطر (من بعد ما قنطوا) أي
قنط الناس ويئسوا من نزوله .

(وتنشر رحمتك) أي تعمه للناس (وانت الولي الحميد) الذي يحمده
أفعاله فلا يذرع عباده يهلكون جدباً وقحطاً .

حَدَبَار، وهي الناقّة التي أنصاها السَّيْرُ، فشبه بها السنة التي فشا فيها الجَدْبُ ، قال ذو الرِّمَّة :

حَدَابِيرُ مَا تَنْفَكُ إِلَّا مُنَاخَةٌ عَلَى الْخَسْفِ أَوْ تَرْمِي بِهَا بَلَدًا قَفَرًا

وَقَوْلُهُ : (وَلَا قَرْعَ رَبَابُهَا) ، الْقَرْعُ : الْقِطْعُ الصَّغَارُ الْمُتَفَرِّقَةُ مِنْ السَّحَابِ . وَقَوْلُهُ : (وَلَا شَقَانٌ ذَهَابُهَا) فَإِنَّ تَقْدِيرَهُ : وَلَا ذَاتَ شَقَانٍ ذَهَابُهَا . وَالشَّقَانُ : الرِّيحُ الْبَارِدَةُ ، وَالذَّهَابُ : الْأَمْطَارُ اللَّيِّنَةُ . فَحَدَفَ (ذَاتَ) لِيَعْلِمَ السَّامِعُ بِهِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ وَشَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ ، فَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ غَيْرَ
وَأَنْ لَا مُقَصِّرٍ ، وَجَاهِدَ فِي اللَّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَذِّرٍ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(ارسله) الله سبحانه . والمراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (داعيا
الى الحق وشاهدا على الخلق) فانه صلى الله عليه وآله وسلم يشهد عليهم يوم
القيامة بما فعلوا ، كما قال سبحانه : ((ويكون الرسول عليكم شهيدا)) .
(فبلغ رسالات ربه) اتما جمع ((رسالات)) باعتبار كل رسالة رساله (غير
وان) من ((ونى)) بمعنى تباطى وتكاسل (ولا مقصر) فى الاداء .
(وجاهد فى الله) اى فى سبيل اقامة دين الله (اعداءه) اى اعداء الله
سبحانه - الذين لا يمثلون أوامراء - .
(غير واهن) من الوهن بمعنى الضعف اى لم يضعف فى الجهاد (ولا معذرا)

إِمَامٌ مِّنْ أَتَقَى ، وَبَصَرٌ مِّنْ أَهْتَدَى .

منها : لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طَوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ ، إِذَا لَخَرَجْتُمْ
إِلَى الصُّعَدَاتِ تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَتَرْكُتُمْ
أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَلَا خَالِفَ عَلَيْهَا ، وَلَهَمَّتْ كُلُّ أَمْرٍ نَفْسُهُ ،

هو من يعتذر كاذبا ، بلا عذر له واقعا ، اى لم يعتذر الرسول صلى الله عليه و
آله وسلم فى ترك الجهاد بأعداء كاذبة ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم (امام
من اتقى) لأنه صلى الله عليه وآله وسلم مقتدى الناس الذين يخافون الله تعالى
(وبصر من اهتدى) اى اسباب بصيرة المهتدين ، كأنه بصرهم السدى
يرون به سبيل الحق .

(منها) : (لو تعلمون ما أعلم) من أحوال الآخرة (مما طوى عنكم غيبه)
اى اخفى عليكم ، كالصحيفة التى تطوى وتلف فلا يعلم ما فيها .
(اذا لخرجتم الى الصُّعَدَاتِ) جمع صعيد بمعنى الصحراء لتركتم منازلكم
هائمين فى الصحارى ، فإن الخائف كثيرا يهيم فى الفلوات .
(تبكون على أعمالكم) التى اسلفتموها من المعاصى او التى لم تحصلوا من
ورائها الثواب .

(وتلتدمون) الالتدام الضرب على الصدر او الوجه للنياحة حزنا على مفقود
(على أنفسكم) اى تضربون اجسامكم جزعا .
(ولتركتم أموالكم لا حارس لها) اى اهتمتموها ، فإن من خاف خوفا
شديدا لم يأبه بالمال .

(ولا خالف عليها) اى ليس عليها من يخلفكم ، (ولهمت كل امرئ نفسه)
اى لحزنت نفس كل امرئ على شخصه فلم يحزن لما سواها .

لَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ غَيْرِهَا ، وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ ،
فَتَاءَ عَنْكُمْ رَأْيَكُمْ ، وَتَشْتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ . وَلَوْدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ ، وَالْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ . قَوْمٌ وَاللَّهِ مَيَّامِينَ الرَّأْيِ ،
مَرَّاجِيحُ الْحِلْمِ ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ . مَضَوْا قَدَمًا

(لا يلتفت الى غيرها) من الأهل والأقارب والأصدقاء (ولكنكم نسيت ما
ذكركم) اي ذكركم الله سبحانه من أهوال القيامة .
(وأمنتم ما حذرت) حذركم الله سبحانه من النكال والعقاب (فتاء عنكم)
اي ضلّ عنكم (رأيكم) الموجب لارشادكم الى الخوف من الآخرة .
(وتشتّت) اي تفرّق (عليكم أمركم) فانّ الانسان الذي لم يجمع فكره في
اتّجاه واحد ، يفتيه الحق ويسهر عن الصواب .
(ولوددت) اي اني احبّ (ان الله فرق بيني وبينكم) لأنكم لا تهتمون
بالآخرة .

(والحقني بمن هو أحق بي منكم) يعني الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم و
الأنبياء والأوصياء ، وكونهم أحقّ بالامام ، لأنه وآياهم على منهاج واحد ،
بخلاف المخاطبين .

(قوم والله ميامين) جمع ميمون (الرأي) في رأيهم اليمن والسعادة
(مراجيح الحلم) لهم حلوم راجحة لا طيش لهم ولا سرعة في الأمور .
(مقاويل بالحق) جمع مقوال اي كثير القول بالحق (متاريك للبغي) جمع
متراك مبالغة في الترك ، اي كثيروا الترك للظلم .
(مضوا قدما) اي مضوا في امامي الى الآخرة ، فانّ ((قدم)) بمعنى المضى

عَلَى الطَّرِيقَةِ ، وَأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ فَظَفَرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ ، وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ . أَمَّا وَاللَّهِ ، لَيُسَلِّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامٌ ثَقِيفٌ الذِّيَالُ الْمِيَالُ ، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ ، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ ، إِيَّاهُ أَبَا وَذْحَةَ !

قال الشريف: الودحة: الخنفساء . وهذا القول يومئ عليه السلام به الى الحجاج وله مع الودحة حديث ((قالوا : انه رأى خنفساء فطردها ثم عادت فطردها ثانية فلسعت يده ، فورمت وصار سبب هلاكه . وقيل بذلك - كما فى البحار - وغيره))

فى الامام (على الطريقة) الصحيحة (وأوجفوا) الوجيف سير سريع اى اسرعوا (على المحجة) بمعنى الطريق . والمراد سرعتهم فى عمل الصالحات .

(فظفروا) أى فازوا (بالعقبى الدائمة) اى العاقبة الحسنة المستمرة - اى الجنة - (والكرامة الباردة) اى هنيئة ، فانهم كانوا اذا حصلوا على الشئ بالحرب ، كانت ((جاره)) والا سموها ((باردة)) وذلك المزيد فى الهناء ، حيث لم يتعب عليها تعباً زائداً .

(اما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف) اى الحجاج بن يوسف الثقفى الذى كان والياً عليهم من قبل عبد الملك بن مروان .

(الذِّيَال) اى الطويل الذليل . فقد كان لكبره يطول ثيابه - كعبادة الجبارين - (الميَال) الكثير الميل عن الحق الى الباطل ، او المائل المتبخترف مشيته .

(يأكل خضرتكم) كناية عن تبديل لأحوالهم الحسنة الى الحالة السيئة (يذيب شحمتكم) كناية عن تضعيفه اقواهم ، كما ان من يذاب شحم جسده يهزل و يضعف .

(ايه ابا وذحة) ايه اسم فعل للاستزادة من الشئ . كأنه عليه السلام قال : استزد يا حجاج من امرك - على نحو الكناية بكونه لا مزيد على ما يفعل ممن الخراب والفساد - .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يُوبِخُ الْبَخْلَاءُ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ

فَلَا أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا ، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا . تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ ! فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يُوبِخُ الْبَخْلَاءُ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ

(فلا أموال بذلتوها للذي رزقها) أي رزقكم تلك الأموال ، ومعنى البذل له تعالى بذلها في سبيله .
(ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها) في سبيل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (تكرمون بالله على عباده) أي تكونون اعزة بسبب الله سبحانه — بانتسابكم اليه بايمانكم وعلمكم وما أشبه — على عباد الله ، وإنما جئ — ((على)) لمعنى الترفع .
(ولا تكرمون الله في عباده) ومعنى اكرام الانسان له تعالى ، ان يجلسه بالدعوة اليه ، وغرس عظمته تعالى في نفوس الناس .
(فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم) أي أنكم كائنون في منازل آبائكم — السابقين الذين ماتوا وخلفتموهم من بعدهم ، فانكم سوف تكونون مثلهم ، وهذا تحريض لبذل النفس والمال ، فأنهما الى انقطاع ، وقد قال الامام الحسين

وَأَنْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصِلِ إِخْوَانِكُمْ ۝

وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في مدح اصحابه و تحريضهم على العمل

أَنْتُمْ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ ، وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ ، وَالْجَنَّةُ يَوْمَ الْبَاسِ

عليه السلام :

وان كانت الأبدان للموت انشئت فقتل امرء بالسيف في الله أفضل
(و) اعتبروا ب (انقطاعكم عن اوصل اخوانكم) فان اقرب اخوانكم اليكم من
انقطع عنكم بالموت ، وانتم عن قريب تكونون مثلهم ، فسارعوا في الأعمال
الصالحة .

وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في مدح اصحابه و تحريضهم على العمل

(انتم) معاشر اصحابي (الأنصار على الحق) اي ينصر بعضهم بعضا في
الحق .
(والاخوان في الدين) فالاخوة بينكم اخوة دينية ، لا قبلية او نسبية او ما
اشبه .
(والجنن) جمع جنة (يوم البأس) اي يوم الشدة فانتم تحفظون البلاد
والعباد في يوم الكربة والشدة .

وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ . بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدِيرَ ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ . فَأَعِينُونِي
بِمُنَاصَحَةِ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغَشِّ ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُولَى النَّاسِ بِالنَّاسِ !

(و البطانة دون الناس) بطانة الرجل خواصه ، وهو تشبيه ببطانة الشوب
التي تلوجسده ، أي انتم الخواص لي ، دون سائر الناس .
(بكم) أي بسببكم (اضرب المدير) عن الحق الى الباطل (وارجو طاعة
المقبل) فان المقبل انما يقبل بواسطة الدعاية وبواسطة الخوف وهما يتمسان
بالأنصار والأصحاب .

(فأعينوني بمناصحة خلية من الغش) أي ينصح بعضكم بعضا في سبيل
المصلحة الاسلامية ، بدون ان يظهر النصيحة ويبطن الغش ، كما هو كثير في
المرائين والمنافقين .

(سليمة من الريب) أي ليست محل شك وارتياب ، كما ربما تكون النصيحة
بحيث يرتاب الانسان من نوايا صاحبها .

(فوالله اني لأولى الناس بالناس) أي اني أولى بهم من أنفسهم ، فاذا
أمروهم بأمر وأرادوا غير ذلك يلزمهم اتباع امرى وترك ارادتهم لأجلى ، وهذه
الجملة لتأكيد لزوم الاعانة له عليه السلام عليهم ، حيث انه عليه السلام أولى بهم
من أنفسهم ، فاعانته عليهم أولى من الانصراف الى شئون انفسهم .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا ملياً

فقال عليه السلام : مَا بِالْكُمُ أَمْخَرَسُونَ أَنْتُمْ ؟ فقال قوم منهم : يا أمير المؤمنين ، إن سرت سرنا معك .

فقال عليه السلام : مَا بِالْكُمُ ! لَا سُدُّدُتُمْ لِرُشْدٍ ! وَلَا هُدَيْتُمْ لِقَصْدٍ !
أَفِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ ؟

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

((وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا ملياً)) أى سكوتاً طويلاً فلم يجيبوه وقد كان ذلك حين ما كان يغير أصحاب معاوية على أطراف بلاد الامام ، فكان عليه السلام يريد استنفارهم لرد الاعتداء .

((فقال عليه السلام)) : (ما بالكم) أى أى شئ سبب سكوتهم (أمخرسون أنتم) ؟ من الخرس بمعنى عدم التمكن من التكلم (فقال قوم منهم : يا أمير المؤمنين ، إن سرت سرنا معك)

(فقال عليه السلام : ما بالكم لا سدّدتم لرشد) هذا دعاء عليهم بعدم التوفيق ، فإنّ التسديد بمعنى التوفيق ، والرشد الهداية (ولا هديتم لقصد) أى لطريق المعنى الذى هو قصد - أى وسط - .

(أفى مثل هذا ينبغى لى أن أخرج) ؟ فإنّ شأن الخليفة أن يخرج الى محاورات مهمة ، لا مناقشات مختصرة ، فكيف تقولون ان تخرج نخرج ؟ .

إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ ،
وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَالْمِصْرَ وَبَيْتَ الْمَالِ وَجِبَايَةَ الْأَرْضِ ، وَالْقَضَاءَ
بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالنُّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ ، ثُمَّ أَخْرَجَ فِي كَتِيبَةٍ اتَّبَعَ
أُخْرَى ، أَتَقَلَّقُ تَقَلُّقَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرِّحَا ،
تَلَوُّرُ عَلَيٍّ وَأَنَا بِمَكَانِي ، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ

- (أَنَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِّنْ أَرْضَاهُ) وأراه أهلا لصدد العدو (من شجعانكم) جمع شجاع ، (وذوئ بأسكم) البأس بمعنى الشدة ، أى صاحب الشدة الذى يتمكن من الدفاع .
- (وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَالْمِصْرَ) أى المدينة (وببيت المال و جباية الأرض) أى جمع الخراج والمقاسمة من الأرض .
- (وَالْقَضَاءُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ) فى حقوقهم (والنظر فى حقوق المطالبين) الذين يطلبون عزل وال ، او نصب وال ، او سد ثغرا وما اشبه .
- (ثُمَّ أَخْرَجَ فِي كَتِيبَةٍ) أى جماعة قليلة من الجيش ، من كتب بمعنى جمع ، ويقال للكتاب كاتب لأنه يجمع الكلمات بعضها الى بعض .
- (اتَّبَعَ) كَتِيبَةٍ (أُخْرَى) من العدو (أَتَقَلَّقُ) أى أَتَحَرَّكُ (تَقَلُّقُ الْقِدْحِ) هو السَّهْمُ قَبْلَ أَنْ يَوْضَعَ لَهُ الرِّيشُ (فى الجفير) الكنانة التى توضع فيها السَّهَامُ (الْفَارِغُ) الذى لَا سَهْمَ فِيهِ ، فَإِنَّ السَّهْمَ إِذَا كَانَ بِلا رِيشٍ ، وَضَعَ فِي الْكِنَانَةِ الْفَارِغَةَ ، تَقَلَّقُ وَصُوتُ ، وَهَذَا تَشْبِيهُ لِحَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِذَلِكَ الْقِدْحِ الذى يَكُونُ وَصْفُهُ غَيْرَ لَاقِقٍ بِهِ .
- (وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرِّحَا) فَإِنَّ الرِّيحَ يَدُورُ عَلَى الْقُطْبِ (تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي) مَقِيمٌ لَا أَنْ أَخْرَجَ إِلَى هُنَا وَهَنَّاكُ (فَإِذَا فَارَقْتُهُ) أى مَكَانِي (اسْتَحَارَ)

مَدَارُهَا ، وَأَضْطَرَبَ ثِفَالُهَا . هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ الرَّأْيُ السُّوءُ . وَاللَّهُ لَوْ لَا رَجَائِي
الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوِّ - لَوْ قَدْ حُمِّلِي لِقَاؤَهُ - لَقَرَّبْتُ رِكَابِي دُحْمُ
شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ
عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ . لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا
يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ ، مَنِ اسْتَقَامَ فَلِئَالِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ زَلَّ فَلِئَالِ النَّارِ !

ای تردد واضطرب (مدارها) ای مدار الرحی (واضطرب ثفالها) هو الشق
الأسفل من حجرى الرحى .

(هذا) الذى ذكرتم من خروجي (لعمر الله) ای قسما بالله (السوء)
السوء الذى لا يصلح المضى عليه (والله لولا رجائي الشهادة عند لقاءى
العدو - لو قد حملى لقاءه -) ((حم)) بمعنى قدر (لقربت ركايبى) ای
أحضرت ابلى التى هى للركوب (ثم شخضت عنكم) ای سافرت من بلدكم وتركتم
متخلّيا عنكم (فلا أطلبكم) للنصرة أو ما أشبه (ما اختلف جنوب وشمال) - بمعنى
الى الأبد - والمواد بالاختلاف هبوب رياح الجهتين ، يخلف احداهما الاخرى
(انه لا غناء) ولا فائدة (فى كثرة عددكم مع قلة اجتماع قلوبكم) فان الاجتماع
بالأبدان لا ينفع اذا تفرقت القلوب .

(لقد حملتكم) أى أريتكم وحضتكم (على الطريق الواضح التى لا يهلك
عليها إلا هالك) أى غير الشخص الذى تمكّن الفساد عن طبعه فلا يهتدى أبدا .
(من استقام) فى سلوك هذا الطريق (فالى الجنة ومن زلّ) وعطب ولم
يستقم (فالى النار) وهذا الكلام من الامام عليه السلام بيان ، لأنه عليه السلام
فعل ما ينبغي له ، فقد أتمّ الحجة عليهم وأراهم طريق الرشاد ، فان لم
يستقيموا كان ذلك من أنفسهم ، بعد تمام الحجة .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

فى بيان بعض فضله ووعظ الناس

تَاللَّهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ ، وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ ، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ .
وَعِنْدَنَا - أَهْلَ الْبَيْتِ - أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَ

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

فى بيان بعض فضله ، ووعظ الناس

(تالله) حلف بالله (لقد علمت تبليغ الرسالات) أى أعلم كيف يلزم أن يبلغ الخليفة ، أن يبلغ رسالات ربه ، مما آمنه التنبى لديه .
(وإتمام العداات) جمع ((عدة)) بمعنى الوعد ، أى أعلم كيف يلزم أن يتم الخليفة ما وعده ، بلا خلف ولا نقض .
(وتام الكلمات) أى أعلم كيف يلزم أن يتم الخليفة كلامه الذى تكلم به ، و هذا يلح الى التعرض بمن تصدى للخلافة بدون أن يعلم ذلك ، وأن يعمل به فلم يعرفوا كيف يبلغون رسالات الله ، بل كانوا يقولون لولا على لهلك عمر ، كما لم يعرفوا كيف يتمون المواعيد ، اذ كان وعدهم جهلا ، فاذا وقعوا فى مأزق خالفوا الوعد ، كما لم يعرفوا كيف يخرجون عن الكلام الذى تكلموا به ، لتراعى المحذور لديهم فى وسط الكلام .

(وعندنا أهل البيت) منصوب على الاختصاص ، أى أخص أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أبواب الحكم) الحكمة وضع الشئ فى موضعه (و

ضِيَاءُ الْأَمْرِ . أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ ، وَسَبِيلُهُ قَاصِدَةٌ . مَنْ أَخَذَ بِهَا
لَحِقَ وَغَنِمَ ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ . اْعْمَلُوا لِيَوْمٍ تَذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ ،
«وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ» . وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ ، وَغَائِبُهُ
أَعْوَزُ .

ضياء الأمر (فالأمر لدينا ظاهرة واضحة لا تخفى ولا تشتبه .
(ألا وإن شرائع الدين واحدة) لا تناقض فيها ولا تخالف ، فما كان
ليفعله الخلفاء من التناقض في الأحكام فواحد ينصب خالداً وواحد يعزل ، وواحد
يرى الحد وآخر يرى خلافه — مثلاً — خلاف شريعة الاسلام .
(وسبله قاصدة) أى مستقيمة متوسطة لا إفراط فيها ولا تفريط (من أخذ
بها) أى بسبل الدين (لحق) الغاية (وغنم) العثوبة .
(ومن وقف عنها) بأن لم يسير في طريق الحق (ضلّ وندم) لما يلحقه
من الائم والعقاب .
(اعملوا ليوم) هو يوم القيامة (تذخر له الذخائر) فإن الانسان يدخر
الأعمال لذلك اليوم الذى هو أحوج أيامه .
(وتبلى) أى تظهر (فيه) أى فى ذلك اليوم (السرائر) جمع سريرة ،
بمعنى ضمير الانسان وسره ، فإن الانسان فى الدنيا مخفى ضميره ، وما كان
يعمل وينوى ، أما فى ذلك اليوم فيظهر ضميره على الملأ .
(ومن لا ينفعه حاضره) أى عقله الحاضر لديه فعلاً (فعازبه) أى عازب
لبه ، والعازب المنحاز الذى لا يدرك (عنه) أى عن النفع (أعجز) فأنك
إذا لم تستفد من عقلك الحاضر فهل تستفيد من عقل ليس لك ؟
(وغائبه) أى غائب اللب ، وهو الذى يتروقب فى المستقبل (أعوز) أى

وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحَلِيَّتُهَا حَدِيدٌ ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ
أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ
أَلَمَالٍ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ .

أشد عوزاً وعدماً في عدم الاستفادة منه ، وهذا لمن يؤخر الأمر معتذراً بعدم
ادراك عقله فعلاً ، ولعله يدركه في المستقبل ، والمعنى التحريض على العمل
حالاً ، وعدم ترك العمل رجاء عقل يحصل ، او رجاء عقل مستقبل .

(وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ) فلا تعصوا لتبتلوا بها (وقعرها بعيد) فان
عقبها كثير (وحليتها) أي زينتها التي توضع في العنق واليد والرجل (حديد)
أي الغل والقيود (وشرابها صديد) وهوش يشبه قيح الجرح ، و في الخبر
يخرج من فروج الزناة .

(أَلَا) فتنبهوا (وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ)
بأن يكون لسانهم حسناً بالنسبة الى الشخص لأنه عمل الصالحات ، فيحسده
الناس (خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَلَمَالٍ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ) وهذا تحريض على أن يعمل
الانسان صالحاً ويصرف أمواله في سبيل الخير ، فإنه يوجب محبة الناس بخلاف
ما لو ترك العمل واشتغل بجمع الأموال ، فإنه يورثه الورثة ، وغالباً ، لا يحمد
الوارث المورث ، بل يصرف ماله بلا ذكر حسن منه له .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد ليلة الهير

وقد قام اليه رجل من اصحابه فقال : نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها ، فما ندرى اى الامرين ارشد ؟ فصفق عليه السلام احدى يديه على الاخرى ثم قال :

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد ليلة الهير

(وقد قام اليه رجل من اصحابه فقال : نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندرى اى الامرين ارشد) فان معاوية لما رفع المصاحف ، كلف اصحاب الامام عن الحرب ، ثم ألزموه أن يقبل اقتراح معاوية ، بأن يكون من طرف الامام حكم ، ومن طرف معاوية حكم ، يجلسان لينظرا فى أمر المسلمين ويحلّا المشكلة ، لكن الامام لم يقبل حتى أجبروه ورأى الامام لو لم يقبل الصقوا بمعاوية - كما فعلوا من بعد بالامام الحسن عليه السلام - فقبل الامام ، ثم عين الامام الحكم لكنهم لم يقبلوا حكم الامام - وهو ابن عباس - بل انتخبوا ابا موسى الأشعرى ، وأجبروا الامام على القبول ، وجلس الحكمان ، وخدع ابن العاص ابا موسى ، ولما رأوا فشل الحكمين ، جاء المغفلون من اصحاب الامام ليلقوا تبعة التحكيم على الامام ، قائلين : كيف نهيتنا أولا عن التحكيم ، ثم امرتنا به ؟ فان كان النهى صحيحا فلماذا أمرت بعد ذلك ؟ وان كان الأمر صحيحا فلماذا نهيتنا أولا ؟ (فصفق عليه السلام احدى يديه على الاخرى ثم قال) :

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ ! أَمَا وَاللَّهِ لَوَأْنِي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ
حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا ، فَإِنْ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ
أَعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ ، لَكَانَتْ الْوُثْقَى ، وَلَكِنْ
بِمَنْ وَإِلَى مَنْ ؟ أُرِيدُ أَنْ أَدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي ، كَنَاقِشِ الشُّوْكَةِ بِالشُّوْكَةِ ،

(هذا) أى فشلكم أنتم المغفلون ، الذين انطلت عليكم حيل معاوية
(جزاء من ترك العقدة) أى ما حصل عليه التعاقد ، فقد تعاقد الامام أصحابه
على حرب معاوية ، لكنهم تركوا الحرب عند حيلة ابن العاص برفع المصاحف .
(أَمَا وَاللَّهِ لَوَأْنِي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ) من الاستمرار فى الحرب وعدم
تركها لحيلة ابن العاص .
(حملتكم على المكروه) أى نفذت امرى بكل شدة وصلابة ، وان كرهتم ذلك
(الذى يجعل الله فيه خيرا) فان تنفيذ الامام لرأيه - ولو بكره من أصحابه -
مما جعل الله فيه الخير لاصابة رأى الامام عليه السلام الهدف .
(فان استقمتم هديتكم) هذه الجملة والجملتان بعدها ، لبيان كيفية تنفيذ
الامام لرأيه والمعنى ان كنتم مطيعين بينت لكم طريق الصواب .
(وان اعوججتم) بأن أردتم العصيان (قومتم) بالقوة والعقاب (وان أبيتم)
التقويم (تداركتكم) بقتل العصاة و اخراجهم من زمرة الجيش (لكانت الوثقى)
هذا جواب ((لو)) أى لو أنى نفذت رأى بكل صورة ، لكانت الطريقة الوثقى -
مؤتة أوثق - وذلك لنجاح هذه الطريقة وكفالتها لانتصار الامام على الأعداء .
(ولكن بمن) أقيم العصاة ؟ (والى من) ارجع فى مساعدتى عليكم ؟ (أريد
أن أداوى بكم) داء التفرق وعدم الاطاعة (وانتم دائي) فعنكم التفرق وعدم الاطاعة .
(كناقش الشوكة بالشوكة) أى كمن يريد اخراج الشوكة بسبب الشوكة ، فانها

وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا ! اَللّٰهُمَّ قَدْ مَلَّتْ اَطِبَّاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ ، وَكَلَّتِ
النَّزْعَةُ بِاَشْطَانِ الرُّكْبَى ! اَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دَعَوْا اِلَى الْقُرْآنِ فَقَبِلُوهُ ، وَقَرَّوْا
الْقُرْآنَ فَاحْكُمُوهُ ، وَهَيَّجُوا اِلَى الْقِتَالِ فَوَلَّيْهُوا وَلَهُ اللَّقَاحُ اِلَى اَوْلَادِهَا ،
وَسَلَبُوا السُّيُوفَ اَغْمَادَهَا ،

تألم جسمه اكثر (وهو يعلم ان ضلعها معها) الضلع الميل ، اى ان الانسان
يعلم ان ميل الشوكة الى جنسها ، لا الى جسد الانسان ، فرما انكسرت الشوكة
فى الجسم وصارت مع الشوكة السابقة اوجبت الألم اكثر ، وهذا بيان لحال
أصحابه بأن ميل المطيعين ايضا مع المعاصين ، فكيف يعالج ببعضهم بعضا ، و
لا يخفى ان السواد دائما هكذا ، وان كان الخواص على خلاف ذلك .
(اللهم قد ملت اطباء هذا الداء الدوى) وصف للداء للمبالغة ، مثل
ليلة ليل ، ومعنى ملالة الأطباء يأسهم عن العلاج .

(وكَلَّتِ) اى تعبت وعجزت (النزعة) جمع نازع هو الذى ينزع الماء من
البئر (بأشطان) جمع شطن وهو الحبل (الركى) جمع ركية وهى البئر اى
ان من يريد نزع الماء من هذه البئر بواسطة الحبل قد كل ، وذلك كناية عن
يريد نزع الهدى من قلوب الناس ، وجريه على جوارحهم .

(اين القوم الذين دعوا الى القرآن) دعاهم الرسول الى العمل بالقرآن
(فقبلوه) وعملوا به (وقروا القرآن فاحكموه) اى احكموا قرائته واحكامها العلم
به (وهيجوا الى القتال) اى هاجبهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، بمعنى
آثارهم (فولهوا) اى تحركوا نحوها تحرك الشخص الواله الذى يشق الشئ (وله
اللّقاح الى اولادها) اى مثل وله اللّقاح ، جمع لقوح وهى الناقة (وسلبوا
السّيُوف اغمادها) بمعنى جروها عن الغمد للجهاد .

وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا ، وَصَفَا صَفًا. بَعْضُ هَلَكَ ، وَبَعْضُ نَجَا . لَا يُبَشِّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ ، وَلَا يُعَزُّونَ عَنِ الْمَوْتِ. مُرَّةُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ ، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ ، ذُبُلُ الشَّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ ، صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهْرِ . عَلَى وَجُوهِهِمْ غَبْرَةُ الْخَاشِعِينَ . أَوْلَيْكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ .

(وأخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا) أى سيرا سيرا (وصفا وصفا) فهنا صف من المجاهدين وهناك صف ، حتى استولوا على أطراف الأرض وجوانبها (بعض هلك) فى الحرب بأن قتل (وبعض نجا) رجع سالما غانما (لا يبشرون بالأحياء) أى إذا قيل لأولئك المجاهدين ان فلانا بقى حيا ولم يقتل فى المعركة لا يفرحون بحياته ، لأنهم لا يرون فى الموت حزنا وهنا ، اذ يعلمون ان القتل فى سبيل الله شرف ومثوبة (ولا يعزّون عن الموتى) أى اذا مات قريب احدهم فى الجهاد ، لا يعزّيه اصحابه بموت قريبه لأنهم لا يرون الموت فى سبيل الله فجيعة تستحق ان يعزى قريب الميت ، بسبب موت قريبه .

(مره العيون من البكاء) من خوف الله سبحانه ، جمع امره وهو من فسد عينه (خمص البطون من الصيام) جمع اخمص بمعنى الضامر الهزيل (ذبسل الشفاه) ذبل جمع ذابل بمعنى اليابس ، وشفاه جمع شفه (من الدعاء) فان المكثر من الدعاء والكلام ييبس فيه ، لتبخّر الماء بالحرارة الحاصلة من الحركة . (صفر الألوان من السهر) أى سهر الليل بالصلاة والقرآن والدعاء ، جمع اصفر .

(على وجوههم غبرة الخاشعين) فان الانسان الخاشع ينكسر وجهه خشوعا ، او المراد الغبار الحاصل من السجود على الأرض (اولئك) الذين وصفتهم بتلك الأوصاف (اخوانى الذاهبون) الى الحياة الأخرى .

فَحَقُّ لَنَا أَنْ نَظْمًا إِلَيْهِمْ ، وَنَعَضُ الْأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ . إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسْنِي لَكُمْ طُرُقَهُ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً ، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ ، وَأَقْبِلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاها إِلَيْكُمْ وَأَعْقِلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ

(فحق لنا ان نظماً اليهم) كما يظلم الانسان ويتطلب الماء (ونعَضُ الأيدي) اسفا (على فراقهم) فان الانسان المتأسف يعض على أصابعه ليخفف من همه .

(ان الشيطان يسنى لكم طرقه) سَنَاه بمعنى سهله (ويريد ان يحل دينكم عقدة عقدة) كما تحل عقد الخيط . والمراد تركهم لشريعة شريعة من شرائع الاسلام .

(ويعطيكم) عرض (الجماعة) والاجتماع (الفرقة) والتفرق (فاصدفوا) اي اعرضوا (عن نزغاته) جمع نزغة ، بمعنى الحث (ونفثاته) كأنه ينفث اي ينفخ في قلب الانسان ويحثه على العصيان .
(واقبلوا النصيحة من اهداها اليكم) يؤيد نفسه الكريمة عليه السلام فانه كان يهدي النصيحة اليهم .

(واعقلوها) اي احبسوا النصيحة (على أنفسكم) بمعنى ملازمة النفس لها .
وعدم تركها تذهب أدراج الاهمال .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

قاله للخوارج ، وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون
على إنكار الحكومة ، فقال عليه السلام :

أَكُلُّكُمْ شَهِدٌ مَعَنَا صَفِّينَ ؟ فَقَالُوا : مِمَّنْ شَهِدَ وَمِمَّنْ لَمْ يَشْهَدْ .
قَالَ : فَأَمْتَاوْا فِرْقَتَيْنِ ، فَلْيَكُنْ مِنْ شَهِدِ صَفِّينَ فِرْقَةٌ ، وَمَنْ لَمْ
يَشْهَدْهَا فِرْقَةٌ ، حَتَّى أَكَلَّمَ كُلًّا بِكَلَامِهِ . وَنَادَى النَّاسَ ،

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

قاله للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة
(فقال عليه السلام) : (أَكُلُّكُمْ) أيها المنكرون للحكومة (شهد معنا
صفين) أي حضرفي تلك الواقعة التي صارت سببا لظهور الخوارج اثر قصصة
التحكيم ؟
(فقالوا : مِمَّنْ شَهِدَ وَمِمَّنْ لَمْ يَشْهَدْ) لأنه التحق بخوارج صفين
جماعة أخرى من اثر دعاية الخوارج .
(قال) : (فَأَمْتَاوْا فِرْقَتَيْنِ) أي جماعتين (فليكن من شهد صفين فرقة
ومن لم يشهدا فرقة حتى اكلم كلا بكلامه) فإن الانسان الحاضر في محل ليس
كالغائب .
(ونادى الناس) أي اخذوا يتكلمون ويصيحون — كما هي العادة في العث
هذه المواقف .

فَقَالَ : أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي ، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ ،
فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا . ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلَامٍ
طَوِيلٍ ،

منہ : اَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً ، وَمَكْرًا وَخَدِيعَةً :
إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا ، اسْتَقَالُونَا وَاسْتَرَاخُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ،
فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ : هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ
إِيمَانٌ ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ ،

(فقال أمسكوا عن الكلام) ای اسکتوا (وانصتوا لقولی) ای استمعوا (و اقبلوا
بأفئدتکم) جمع فؤاد بمعنی القلب (الی فمن نشدناه شهادة) ای طلبنا منه ان
يشهد (فليقل بعلمه فيها) ای فی تلك الشهادة (ثم كلمهم عليه السلام بكلام
طویل)

((منه)) (اَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ) زاعمین انہم يدعون الی حکم
القرآن فی حال کون رفعہم اکان (حيلة وغيلة) ای اغتیالا بمعنی اخذ الطرف
بالمکروه فجئة وبدون سابق علم .

(ومکرا) ای احتیالا للفرار من الحرب (وخديعة) ای غشاً لأصحاب الامام
عليه السلام : (اخواننا) متعلق بـ ((تقولوا)) (واهل دعوتنا) ای ان اهل
الشام اخوان لنا فی الدین ، واهل دعوة الاسلام — مثل نحن — (استقالونا)
ای طلبوا منا ان نقلیہم ونترك الحرب معهم (واستراحوا الی کتاب اللہ
سبحانہ) ای طلبوا الراحة الی کتاب لیريحہم کتاب تعب الاختلاف والانشقاق
(فالرأی القبول منهم والتنفيس عنهم) یقال نفس عنه اذا رفع همه وغمه .
(فقلت لكم : هذا) الذی یطلبون (امر ظاہره ایمان و باطنه عدوان) لانہم

وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ. فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ ، وَالزَّمُوا طَرِيقَتَكُمْ ،
وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِدِكُمْ ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقِ نَعَقٍ: إِنْ أُجِيبَ
أَضَلُّ ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلٌّ . وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا .

يبردون بذلك وقف القتال ليستعيدوا نشاطهم ويبدؤا به من جديد ، قاصدين
استمرار تعذيبهم .

(وأوله رحمة) لأنه توقيف للقتال واستراحة (وآخره ندامة) حيث تندمون
بترككم ، لهم وقد اشرفتم على الانتصار (فأقيموا على شأنكم) أي المحاربة (و
الزموا طريقكم) في عدم انهاء القتال .
(وعضوا — على الجهاد — بنواجذكم) هي الطواحين فاذا عفى الانسان
عليها قويت اعصاب رأسه ، ويكون أكثر استعداد للحرب لتزيد الحرارة في
الرأس ، الدافعة نحو الاقدام .

(ولا تلتفتوا الى ناعق نعق) أي صائح صاح ، والمراد به ابن العاص
الذي دعا الى ترك المحاربة وتحكيم القرآن (ان اجيب) ذلك الناعق الى ما
دعى (اضل) اتباعه (وان ترك ذل) لانهزام معسكره وانبطال امره .
(وقد كانت هذه الفعلة) أي صارت هذه الهيئة من الفعل ، فـان
(فعلة)) بالفتح بمعنى الهيئة (وقد رأيتم اعطيتموها) أي أنتم الذي اعطيتم
هذه الصورة للواقعة بعصيانكم امرى في استمرار القتال ، والتحاكم الى كتاب الله
— الذي رفعه ابن العاص حيلة ومكرا — .

ثم بين الامام عليه السلام انه سواء قبل انهاء الحرب والاحتكام الى الكتاب او
لم يقبل كان على حق ، لأن الكتاب في الحالين معه .

وَاللَّهُ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا ، وَلَا حَمَلَنِي اللَّهُ ذَنْبَهَا . وَوَاللَّهُ
إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لِلْمُحِقِّ الَّذِي يُتَّبَعُ ، وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي ، مَا فَارَقْتُهُ مُذْ
صَحَبْتُهُ : فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَإِنَّ الْقَتْلَ
لَيَدُورُ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ ،

(والله لئن أبيتها) أى هذه الفعلة - يعنى انهاء الحرب - (ما وجبت
على فريضتها) أى لم يكن واجب على انهاء الحرب ، وفريضتها يعنى ثبوت
الفعلة - وقد اريد بالفعل انهاء الحرب - .

(ولا حملنى الله ذنبها) أى لم يكن على ذنب فى ابا انهاء الحرب ، اذ
كان آباء الامام لمصلحة المسلمين والاسلام .
(ووالله ان جئتها) أى الفعلة بمعنى انهاء الحرب ، أى قبلت الانهاء و
تركت الحرب باختيارى .

(انى للمحق الذى يتبع) فكانت دعوة ابن العاص فى اتباع الكتاب لا
تضرنى اذ الكتاب يعينى خلفا وقائدا (وان الكتاب لمعنى ما فارقت مذهبته)
اى لم اخالف احكامه من يوم اسلمت - حسب الظاهر فلم اكن اخشى ان اتحاكم
الى الكتاب ، وانما كان ابائى لأنى اعلم بمكيدة القوم .

(فلقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله) نتبع الكتاب حيث الوقت
حرج والأزمة شديدة - فكيف نفارق الكتاب فى هذا الظرف ، وليس الأمر
بذلك التحرج .

(وان القتل ليدور على الآباء والأبناء) بمعنى ان المسلم كان يقتل أباء
الكافر وابنه الكافر .

(والاخوان والقرايات) فلم نفر من الميدان ولم نخالف الكتاب انسياقا مع

فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيْمَانًا، وَمُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ، وَتَسْلِيمًا
لِلْأَمْرِ ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا
فِي الْإِسْلَامِ لَمَّا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالْإِعْوَجَاجِ ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ .
فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلْمُ اللَّهُ بِهِ شَعْنًا، وَتَنَدَّأَنِي بِهَا إِلَى

العواطف (فما نزداد على كل مصيبة وشدة الا ايمانا) فان الانسان كلما ضحى
بشيء غال لديه ، فى سبيل هدف خاص يزداد تعلقه بذلك الهدف .

(ومضيا على الحق) نمضى فى سبيل الحق بلا رجوع او ارتداد (وتسليما
للأمر) الذى أمرنا الله سبحانه من أقسام القرائض (وصبرا على مضض الجراح)
جمع جرح ومضضها ألمها .

(ولكنا) اليوم ليس الأمر بتلك الصعوبة (إنما أصبحنا نقاتل اخواننا فى
الاسلام) وهو أهون على النفس عن قتال الآباء والأبناء (لما دخل فيه) أى فى
اسلام هؤلاء الاخوان (من الزيغ والاعوجاج) حيث خلفوا طاعة ولّى الأمر و
انضوا تحت لواء الباطل .

(والشبهة والتأويل) حيث يشبهون الباطل بالحق ويؤلون الحق بغير

معناه .

والحاصل أننا على منهاج واحد فقد كنا نقاتل فى أول الاسلام لارساء دعائم
الاسلام . ونقاتل الآن لتقويم ما اعوج من أمره ، والهدف فى كلا الأمرين واحد .
(فإذا طمعنا فى خصلة) أى فى أمر (يلم الله به شعثنا) أى يجمع به
تفرقتنا ، وذلك بدخول هؤلاء فى الطاعة ونبذهم العناد والعصيان .
(وتنداني بها) أى تقترب بسبب تلك الخصلة بعضنا من بعض (إلى

الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا ، رَغِبْنَا فِيهَا ، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لأصحابه في ساحة الحرب بصقين

وَأَيُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ أَحْسَنُ مِنْ نَفْسِهِ رِبَاطَةً جَاشَ عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلًّا فَلْيَذُبْ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فَضَّلَ بِهَا

البقية فيما بيننا) اى الى بقية الاسلام التى يتمسك الطرفان بها (رغبتنا فيها) اى فى تلك الخصلة (وأمسكنا عما سواها) من الاختلافات التى لا تعود الى جوهر الاسلام ، وتقدير الكلام : فاذا طمعنا فى لم الشعث ، حاربنا رغبة فى الاجتماع ، وقد تحصل ان الامام عليه السلام احتج عليهم بامرهم :
الأول : انهم هم الذين طلبوا الحكومة فلم يكن ذلك من الامام عليه السلام .
الثانى : ان الامام سواه حارب أو أنهى المحاربة فهو على حق ، فان محاربة الامام كانت للاسلام ، فلا مأخذ عليه ، وتركه كان للرجوع الى حكم القرآن ، و القرآن يعينه دون عدوه .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(قاله لأصحابه فى ساحة الحرب) بصقين وفيه تعليمهم لكيفية المحاربة (وأى امرئ منكم) معاشر أصحابى (أحسن من نفسه رباطة جأش) اى قوة القلب (عند اللقاء) اى لقاء العدو (ورأى من أحد من اخوانه فشلا) وضعفا (فليذب عن أخيه) فليدافع عنه (بفضل نجدته) أى شجاعته (التى فضل بها

عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ ، فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ . إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ
حَيْثُ لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ ، وَلَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ . إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ !
وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ ، لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ
مَيْتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ

ومنه : وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكْشُونَ كَشِيشَ الضُّبَابِ :

عليه (اي فضل بتلك الشجاعة على اخيه (كما يذب عن نفسه) وهذا بالنتيجة
عائد الى نفسه لأن نصره الانسان تتوقف عمل نصره أقرانه جميعا .
(فلو شاء الله لجعله مثله) في ضعف القلب وال فشل ، فاذا تنفّل الله
عليه بالشجاعة فليشكر ربه في بذلها لصديقه الفاضل الضعيف .
(ان الموت طالب حيث) أي يطلب الناس بشدة (لا يفوته المقيم) في
محله (ولا يعجزه الهارب) الذي يهرب من الموت وهذا الكلام من الامام
دفع ، لأن يقول القوي اني أخاف أن نصرت اخرا ان اقتل دونه .
(ان أكرم الموت القتل) لأن الانسان لا بد أن يموت ، فاذا قتل في سبيل
الله ادرك الثواب ، واذا مات ، لم يدرك ثوابا ، والأمركائن لا محالة ،
فلماذا لا يدرك الانسان ما فيه فضل .
(والذي نفس ابن أبي طالب بيده) هذا حلف بالله سبحانه ، —
اشتماله على التهديد — ان كان المطلب على خلاف الواقع — . (لألف ضربة
بالسيف) في سبيل الله (أهون عليّ من مية على الفراش) ومعنى الهوان كونه
محبوبا لدى ، لما اعلم من الثواب فيه .
(منه) اي بعض هذا الكلام (وكأني أنظر اليكم) معاشر المحاربين في
ركابي (تكشون كشيش الضباب) جمع ضب وهو حيوان معروف ، فانها اذا

لَا تَأْخُذُونَ حَقًّا ، وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْمًا . قَدْ خُلِيتُمْ وَالطَّرِيقَ ، فَالْنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ ، وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ .

ومنه : فَقَدُّمُوا الدَّارِعَ ، وَأَخْرُوا الْحَاسِرَ ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسَّيُوفِ عَنِ الْهَامِ ، وَالتَّوَّاءُ فِي أَطْرَافِ الرَّمَاكِ ،

ازدحمت سمع لجلودها صوت خاص ، يسمى بالكشيش ، والمراد حكاية حال اصحابه عند الهزيمة من جيش الأعداء ، ولعل ذلك بعد قتله عليه السلام و سيطرة معاوية على البلاد .

(لَا تَأْخُذُونَ حَقًّا وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْمًا) أى ظلما (قد خليتم والطريق) أى خلى لكم الطريق ، فَإِنَّ الْقَوْمَ يَسِيرُونَ فِي طَرِيقِ الدُّنْيَا ، أَمَا طَرِيقُ الْآخِرَةِ ، فَقَدْ خَلَى لَكُمْ .

(فَالْنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ) أى للَّذِي يَسْلُكُ طَرِيقَ الْآخِرَةِ ، وَأَمَّا سَمَاءُ اقْتِحَامًا لِمَا فِي طَرِيقِ الْآخِرَةِ مِنَ الشَّدَائِدِ (وَالْهَلَكَةُ) أى الْعِقَابُ وَالْعَذَابُ (لِلْمُتَلَوِّمِ) أى لِلْمُتَبَاطِي وَالْمَتَوَقِّفِ ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَسْلُكُ طَرِيقَ الْآخِرَةِ .

(وَمِنْهُ) : فِي حَتِّهِمْ عَلَى الْقِتَالِ (فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ) أى لِيَكُنَ الَّذِي لِبَسِ الدَّرْعِ فِي مَقَدِّمَةِ الصُّفُوفِ لِعَدَمِ تَأْذِيهِ بِنِبَالِ الْقَوْمِ وَرِمَاحِهِمْ (وَأَخْرُوا الْحَاسِرَ) الَّذِي لَا دَرْعَ لَهُ (وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ) أى اضْغَطُّوا بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ (فَإِنَّهُ) أى الْعَضُّ (أَنْبَى لِلسَّيُوفِ عَنِ الْهَامِ) مِنْ بِنَا السَّيْفِ إِذَا رَفَعْتَهُ الصَّلَابَةَ مِمَّنْ مَوْقَعُهُ فَلَمْ يَقْطَعْهُ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَضَّ عَلَى نَوَاجِذِهِ تَصَلَبَتْ أَعْصَابُ رَأْسِهِ وَجُلْدَتُهُ ، فَيَكُونُ أَقْوَى فِي الصَّلَابَةِ وَيَقِلُّ تَأْثِيرُ السَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ حِينَئِذٍ ، وَهَامُ جَمْعُ هَامَةٍ ، بِمَعْنَى الرَّأْسِ .

(وَالتَّوَّاءُ فِي أَطْرَافِ الرَّمَاكِ) أى إِذَا جَاءَكُمْ طَرَفُ رِمَحِ الْأَعْدَاءِ ، فَأَمِيلُوا

فَإِنَّهُ أُمُورٌ لِلْأَسِنَّةِ ، وَغَضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَاشِ ، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ ،
وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشْلِ . وَرَأَيْتَكُمْ فَلَآ تُعْمِلُوهَا وَلَا
تُخْلُوهَا ، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ ، وَالْمَانِعِينَ الذَّمَّارِ مِنْكُمْ ،

ذلك الجانب واعطفوه ، حتى لا يصل اليكم الريح .

(فآته) اى الالتواء (امور للأسنة) اسنة ، جمع سنان ، وهو الريح ، و
معنى أمور : اشدّ فعلا للمور ، اى الاضطراب ، فانّ الانسان اذا التوى ،
اضطرب جانبه المقصود بالريح فلم يتمكن الريح من النفوذ فيه ، بل انزلق عنه (و
غضوا الأبصار) والظاهر انّ المراد بالغض تضيق الجفون ليرى قليلا ، لا الغض ،
(فآته) اى الغض (اربط للجاش) اى اكثر تقويتا للقلب (و أسكن
للقلوب) فانّ الانسان اذا نظر الى الأعداد هاله كثرتهم واضطرب قلبه وخاف
اما اذا غضى بصره لم ير الا ما أمامه وذلك شئ قليل فيقوى قلبه فى المحاربة .
(وأميتوا الأصوات) اى لا تتكلموا (فآته أطرد للفشل) فانّ المتكلم يذهب
بعض قواه فيكون أقرب الى الفشل ، اما السّاكت فقواه متجمعة فى باطنه مندفعة
نحو عمله فيكون أطرد للفشل .

(ورايتكم) اى لو انكم (فلا تعملوها) فانّ ميل الرأية موجب لريبة البعيد
فيظنّ أنها مشرفة على السقوط (ولا تخلصوها) اى لا تفعلوها بها ما يوجب خلا ،
لأن الرأية علامة البقاء والاستمرار فى الجهاد .

(ولا تجعلوها الا بأيدى شجعانكم والمانعين الذمار منكم) الذمار ما يلزم
على الانسان حفظه من عرض او مال او ما اشبه ، اى الأشخاص الذين لهم نفسية
منع الذمار عن الأعداء فانهم اكثر ايثارا للنفس فى سلب التحفظ على كيانهم ، فلا
يتخلون على اللوا بمجرد خوف او تعب .

فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحْفُونَ بِرَايَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَ :
حَفَافِيهَا ، وَرَاءَهَا ، وَأَمَامَهَا ، وَلَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسَلِّمُوهَا ، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ
عَلَيْهَا فَيُفَرِّدُوهَا . أَجْزَأُ أَمْرُ قِرْنِهِ ، وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى
أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ . وَأَيْمَ اللَّهُ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ
الْعَاجِلَةِ ،

(فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نَزُولِ الْحَقَائِقِ) أى الذين يصبرون اذا نزلت بهم نازلة
(هُمُ الَّذِينَ يَحْفُونَ بِرَايَاتِهِمْ) أى يكتنفون بها ويحيطون حولها لئلا تسقط
فيفشلوا ويلاموا .

(وَيَكْتَنِفُونَهَا حَفَافِيهَا) أى جوانبها أى بدورون فى جوانبها تحفظا لها عن
الأعداء .

(وَرَاءَهَا وَأَمَامَهَا) تفسيرا لحفافيها (وَلَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسَلِّمُوهَا) يبيد
الأعداء (وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا) بأن يجعلونها وراء ظهرهم (فَيُفَرِّدُوهَا) فإنا
أفراد الراية محل خطر السقوط الذى فيه انهزام الجيش .

(أَجْزَأُ أَمْرُ قِرْنِهِ) فعل ماضى بمعنى الأمر ، وَأَجْزَأُ بمعنى يكفى ، أى فليكف
كل شخص منكم قرنه - أى مثله - من الأعداء (وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ) أى ليواسى
أخاه بنفسه ، بأن يقدم له ما يتمكن من العون .

(وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ) بأن يفر هو من مقابلة قوة من الأعداء ، حتى
يذهب القرن الى صديقه (فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ) أى على ذلك الصديق (قِرْنُهُ وَقِرْنُ
أَخِيهِ) فَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا لَمْ يَجِدِ الْمُسْلِمَ الَّذِى كَانَ يُقَاتِلُهُ لَوِى عَنَانَهُ إِلَى مُسْلِمٍ آخَرَ ،
فَيَجْتَمِعُ عَلَى ذَلِكَ الْمُسْلِمِ الْكَافِرَانِ .

(وَأَيْمَ اللَّهُ) حلف بالله سبحانه (لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ) أى سيف

لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ ، وَأَنْتُمْ لَهَا مِيمُ الْعَرَبِ ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ .
 إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِبَةَ اللَّهِ ، وَالذَّلَّ الْإِلَازِمَ ، وَالْعَارَ الْبَاقِيَّ . وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ
 مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ ، وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ . الرَّائِحُ إِلَى اللَّهِ كَالظُّمْآنِ
 يَرِدُ الْمَاءَ ؟ الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي !

الدنيا ، الذي بأيدي أعدائكم فرارا من خوف الموت (لا تسلموا من سيف
 الآخرة) اي عذاب الله سبحانه المهيئ لمن فرعن الزحف (وأنتم لها ميم العرب)
 جمع لهميم ، وهو السابق من الانسان او الخيل ، اي السابقون الى كل خير ،
 فان الكوفة كانت معروفة بالبسالة والشجاعة .
 (والسنام الأعظم) السنام ما على ظهر البعير من الارتفاع ، يمثل به
 العترة (ان في الفرار موجبة الله) أي غضبه (والذلّ اللازم) فان الانسان
 الذي ينتصر عدوه عليه يلزمه الذلّ والعار (والعار الباقي) حتى بعد موته ،
 حيث يذكر في غير .

(وان الفارّ لغير مزيد في عمره) فان العمر لا يطول بالفرار ، كما لا يقصر
 بالوقوف (ولا محجوز بينه وبين يومه) المقدّر فيه موته ، اي لا يتمكن من أن
 يحجز ويمنع عن الموت اذا جاء وقته .

(الرّائح الى الله) العراد الميت الذي له عمل صالح - كالمشهد فسي
 سبيل الله - (كالظّمآن يردّ الماء) فكما يفرح ويروي الماء غلته كذلك يفرح
 الميت في سبيله سبحانه ويتنعم بمختلف انواع النعيم .

(الجنة تحت أطراف العوالي) جمع عاليه بمعنى الريح ، والمعنى أنّ
 الجنة انما تتحصل من الاستشهاد تحت ظلال الريح ، او مطلق الجهاد وان
 لم يستشهد الانسان .

الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَخْبَارُ ! وَاللَّهِ لَأَنَا أَشَوْقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ . اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَأَفْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ ، وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ . إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ : يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ ، وَضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ ، وَيُطِيعُ الْعِظَامَ ، وَيُنْدِرُ السَّوَاعِدَ وَالْأَقْدَامَ ؛

(اليوم تبلى الأخبار) أى تظهر أخبار كل انسان ، مما كان يظهر انه شجاع او ثابت او ما شاكل ذلك ، فان الحرب مختبر الرجال .
(والله لانا أشوق الى لقاءهم) أى لقاء الأعداء ، لنيل ثواب الجهاد (منهم الى ديارهم) فان الشوق الى الديار اقل من شوق المؤمن الى الجنة .
(اللهم فان ردوا الحق) ولم يقبلوه (فافضض جماعتهم) أى فرقهم (وشتت كلمتهم) أى اجعل كلام واحد يخالف كلام الآخر ، حتى يقع التنافر بينهم من جراء اختلافهم .

(وابسلهم) أى اسلمهم للهلاك (بخطاياهم) أى بذنوبهم ، والمعنى عجل العقوبة عليهم بما أذنبوا ، ولا تؤخر هلاكهم (أنهم) أى الأعداء (لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك) أى متدارك متتابع (يخرج منه) أى من مواضع ذلك الطعن (النسيم) أى الهواء ، والمعنى أنهم مستمعيتون ، فاللزام أن يتخذ أصحابنا اهبتهم للقاءهم .

(و) دون (ضرب يفلق) أى يكسر (الهام) أى الرأس (ويطيح العظام) فان الضرب اذا كان شديدا تطايرت منه صغار العظام ، فتسقط على الأرض .

(ويندر) أى يخرج (السواعد) جمع ساعد من اليد (والأقدام) أى

وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتَّبِعُهَا الْمَنَاسِرُ؛ وَيُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا الْحَلَائِبُ؛
وَحَتَّى يُجَرَّ بِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ يَنْلُوهُ الْخَمِيسُ؛ وَحَتَّى تَدْعُقَ الْخُيُولُ فِي
نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ، وَيَأْغْنَانِ مَسَارِيهِمْ وَمَسَارِحَهُمْ.

قال السيد الشريف : أقول : الدّعقُ : الدقُّ ، أي تدقُّ الخيولُ بحوافيرها
أَرْضَهُمْ . ونَوَاحِرُ أَرْضِهِمْ : مُتَقَابِلَاتُهَا . يُقَالُ : مَنَازِلُ بَنِي فُلَانٍ تَتَنَاحَرُ ،
أَي تَتَقَابَلُ .

يخرجها عن مراكزها (وحتّى يرموا بالمناسر) جمع منسر ، القطعة من الجيش
(تتبعها المناسر) أي يتوالى قطعات الجيش بعضها أثر بعض .
(ويرجموا بالكتائب) جمع كتيبة بمعنى الجيش ، أو قسم خاص منسـه
(تقفوها) أي تتبعها (الحلائب) جمع حلبه ، هي الجماعة من الخيل تجتمع
للنصرة .

(وحتّى يجر ببلادهم الخميس) أي يذهب إلى بلادهم الجيش ، وسمى
الجيش خميسا لاشتماله على الأيمن والأيسر والمقدم والخلف والقلب .
(يتلوه الخميس) أي جيش وراء جيش (وحتّى تدعق) يقال دعق الطريق
إذا وطئه وطئا شديدا (الخيول في نواحر أرضهم) أي أقاصى أرضهم تشبيها
بالنحر الذي هو آخر الجسد ، أو المراد المواضع المهمة ، كما أنّ النحر موضع
مهم إذا خنق مات الإنسان .

(وباعنان مساريهم ومسارحهم) اعنان الشيء أطرافه ، والمسارب جمع
مسرب بمعنى المذهب ، والمسارح جمع مسرح ، بمعنى محل سرح الماشية ، و
قد كان الامام عليه السلام يعلم مقدار استعداد الأعداء ولذا حرض أصحابه بمثل
هذه التحريضات البالغة ، وهي دستور لكل من يريد الظفر على أعداء مجتهدين .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

في التحكيم

إِنَّا لَمْ نُحْكَمْ الرُّجَالَ ، وَإِنَّمَا حَكَمْنَا الْقُرْآنَ . وَهَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ
خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَتَيْنِ ، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ ، وَلَا يُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ .
وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرُّجَالُ .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

(في التحكيم) وذلك بعد أن سمع عليه السلام قصة الحكيمين

(إِنَّا لَمْ نُحْكَمْ الرُّجَالَ) كَأَنَّ الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَنْقُضَ كَلَامَ
الْخَوَارِجِ الَّذِي قَالُوا قَدْ حَكَمَتِ الرُّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ .

(وَإِنَّمَا حَكَمْنَا الْقُرْآنَ) بَأَن يَنْظُرُوا فِيهِ فَيَحْكُمُوا عَلَى طَبَقِ أَمْرِهِ (وَهَذَا الْقُرْآنُ
إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَتَيْنِ) هُمَا الصَّفْحَتَانِ مِنْ جُلْدٍ تَحْوِيَانِ عَلَى أَوْرَاقِ
الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ .

(لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ) إِذْ لَا لِسَانَ لَهُ (وَلَا يُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ) يَتَرَجَّمُ وَيُبَيِّنُ
الْمُرَادَ مِنْهُ (وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرُّجَالُ) الْعَارِفُونَ لِمَعْنَاهُ ، وَهَذَا نَقْضُ لِكَلَامِ
الْخَوَارِجِ حَيْثُ قَالُوا لَا حَاجَةَ إِلَى التَّحْكِيمِ بَعْدَ وَجُودِ كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَإِنَّ
الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامَ يَذْكُرُ أَنَّ الْقُرْآنَ صَامِتٌ فَلَا يُدَّ لَهُ مِنْ رِجَالٍ يَعْرِفُونَ مَعْنَاهُ لِيُبَيِّنُوا
مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ .

وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحْكَمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلَّى عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نُحْكَمَ بِكِتَابِهِ ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ ، فَلَمَّا حُكِمَ بِالصَّدَقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَنَحْنُ أَوْلَاهُمْ بِهِ .

- (ولما دعانا القوم) أى أصحاب معاوية (الى أن نحكم بيننا القرآن لم تكن الفريق المتولى) أى المعرض (عن كتاب الله تعالى) .
- (وقد قال الله سبحانه : « فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ») فان الامام انما اعرض عن التحكيم لأنه كان يعلم أنه مكيدة ، ولم يكن اعراضه عن الكتاب .
- (فردّه الى الله) فى قوله سبحانه : ((ردّوه الى الله)) (ان نحكم بكتابه) فيما يوجد فى الكتاب من الأحكام .
- (وردّه الى الرسول) فى قوله سبحانه : ((والرسول)) (أن نأخذ بسنته) فى ما لم يوجد فى الكتاب (فاذا حكم بالصدق) بأن لم يكن القصد المكيدة (فى كتاب الله) بأن بين المراد من الكتاب كتطبيق آية : ((وأولى الأمر منكم)) على الامام .
- (فنحن أحق الناس به) أى بالحكم ، او بالكتاب (وان حكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله) كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : على مع الحق والحق مع على .
- (فنحن أولاهم) أى أولى الناس ، أو أولى من معاوية وأصحابه (به) أى بحكم السنة .

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلًا فِي التَّحْكِيمِ ؟

(وأما قولكم) أى الخوارج (لم جعلت بينك وبينهم أجلا فى التحكيم) ؟
فإن الامام عليه السلام جعل مدة الحكم سنة ، حتى ينظر الطرفان فى تلك المدة
ويحكمما بما يوافق الكتاب ، وقد كان الخوارج يوجهون النقد على الامام فى ضرب
هذه المدة وحجتهم فى النقد ان معاوية يتقوى فى مدة المهلة ويستعيد نشاطه
للمحاربة من جديد ، لكن كلام الخوارج كان فاسدا ، فإن المدة كانت لابد منها
كما ضرب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مدة فى قصة الحديبية ، وذلك لأن
أمر الثورات ليس كقضاء عادى بين نفرين يفصل فى يوم أو ساعة ، وإنما يحتاج الى
مدة من الأمر ، لتهيئة الظروف للتفاهم ، وتقريب وجهات الأنظار .

ولا بأس ببيان صورة الكتاب : ((بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما
تقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان قاضى على بن أبى طالب
على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، وقاضى
معاوية بن أبى سفيان على أهل الشام ومن كان من شيعته من المؤمنين والمسلمين
أما ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه ولا يجمع بيننا الآيات وإن كتاب الله
سبحانه بيننا من فاتحته الى خاتمته نحى ما أحى القرآن ونميت ما أمات القرآن ،
فإن وجد الحكمان ذلك فى كتاب الله أتبعاه ، وإن لم يجداه أخذنا بالسنة
العادلة غير المفرقة ، والحكمان عبد الله وعمر بن العاص ، وقد أخذ الحكمان
من على ومعاوية ومن الجندين أنهما آمان على أنفسهما وأموالهما وأهلهما ، و
الأمة لهما أنصار وعلى الذين يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين
عهد الله أن يعمل بما يقضيان عليه فيما وافق الكتاب والسنة وإن الأمن والموادة
ورضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين الى ان يقع الحكم ، وعلى كل واحد من
الحكمين عهد الله ليحكم بين الأمة بالحق ، لا بما يهوى واجل الموادة سنة

فإنما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ، ويتثبت العالم ؛ ولعل الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة ؛ ولا تؤخذ بكظامها ، فتعجل عن تبين الحق ، وتنقاد لأول الغي . إن أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه - وإن نقصه وكرهه -

كاملة ، فإن أحب الحكمان أن يعجلا الحكم عجلاه ، وإن توفي أحدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلا لا يألو الحق والعدل وإن توفي أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممن يرتضون أمره ويحمدون طريقته ، اللهم إنما نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة وأراد فيها الحادا أو ظلما .
وشهد في الصحيفة من أصحاب علي عليه السلام عشرة ومن أصحاب معاوية عشرة .

(فأنما فعلت ذلك ليتبين الجاهل) أي يفهم الأمر (ويتثبت العالم) في رآيه ليتخلص من الشبهات (ولعل اللّمان يصلح في هذه الهدنة) أي مدة الكف عن القتال (أمر هذه الأمة) بما لا يكون معه قتال بعد ذلك .
(ولا تؤخذ بكظامها) جمع (كظم) محرّكة بمعنى مخرج النفس ، وذلك كناية عن المضايقة والاشتداد لعدم المهلة (فتعجل عن تبين الحق) بمعنى أن تتعجل قبل تبين الحق وظهوره .
(وتنقاد لأول الغي) أي ما يبدو من الضلال ، فإن الجاهل ينساق وراء كل ناعق ويتجاوب لكل حركة .

(إن أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه) هذا لبيان أن العدة ولو كانت توجب الصعوبة على ، لكن ذلك حق ، واللازم أن يتبع الإنسان الحق وإن أوجب صعوبة عليه (وإن نقصه) الحق (وكرهه) أي أوجب

مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةٌ وَزَادَهُ. فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ ! وَمِنْ أَيْنَ أُتَيْتُمْ !
أَسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ ، وَمُوزَعِينَ
بِالْجَوْرِ لَا يَعْدِلُونَ بِهِ ، جُفَاءً عَنِ الْكِتَابِ ، نُكْبٍ عَنِ الطَّرِيقِ. مَا أَنْتُمْ
بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا ، وَلَا زَوَافِرٍ عِزُّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا .

• شدة الغم عليه

(من الباطل) متعلق بأحب اليه (وان جرّ اليه فائدة وزاده) عطف على
(جر) أي زاده فائدة (فأين يتاه بكم) خطاب مع الخوارج ، أي إلى
أين تضلون .

(ومن أين أتيتم) ؟ أتاه ، أي خدعه واغفله أي من ان صار سبب هلاككم .
والى أي الممالك تذهبون ، بعد وضوح الحجة والاستفهام انكارى .
(استعدّوا للمسير إلى قوم) أي أصحاب معاوية (حيارى عن الحق) جصع
حيران (لا يبصرونه) أي لا يرون الحق (وموزعين) من أوزعه أي أغراه (بالجور)
فان معاوية أغراه بالظلم والجور .

(لا يعدلون به) أي لا يجعلون شيئاً عدلاً للجور الذي يرتكبونه (جفاة) من
جفا ، بمعنى ظلم وابتعد (عن الكتاب) أي القرآن (نكب) جمع ناكب
بمعنى المائل (عن الطريق) لا يستقيمون فيه وإنما يمشون في الطرق المعوجة ،
ثم أظهر الامام اشمئزازه عن أصحابه بقوله : (ما أنتم بوثيقة يعلق بها) أي بعروة
محكمة يمسك بها (ولا زوافر) جمع زافرة وهي أنصار الرجل وأعوانه (عز)
أي أنصار موجب للعز والشرف (يعتصم اليها) أي يتمسك الشخص بها و
يوجبون له عزّة ورفعة .

للامام الشيرازي
 لِبَيْسٍ حُشَّاشُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ ! أَفْ لَكُمْ ! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرَحًا ، يَوْمًا
 أَنْادِيكُمْ وَيَوْمًا أَنْاجِيكُمْ ، فَلَا أحرَارُ عِنْدَ النَّدَاءِ ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ
 النَّجَاءِ !

(لبئس حشاش نار الحرب أنتم) حشاش جمع حاش ، من حش النار
 بمعنى أوقدها ، أي لبئس الموقدون لنار الحرب أنتم ، وشبهت الحرب بالنار ،
 لأنها كالنار ، تفتي الأشياء .
 (أف لكم) كلمة تضجرو وتتفرو (لكم) لبيان جهة الضجر ، وأنه من
 جهنمك .

(لقد لقيت منكم برحاً) أي شدة وعننا (يوما أناديكم ويوما أناجيكم) أي
 سواء كنتم بعيدين عني أو قريبين ، فلا بعدكم بعريح ولا قريبكم بمفيد .
 (فلا أحرار عند النداء) للحرب وعنده ، فإن الإنسان الحريجيبي المفادي
 للحرب لأنه يعلم أن الحرب عزة وشرفه وبقاء أهله وبلده ، بخلاف العبد الذي
 لا علاقة له ، فإنه لا يفرق لديه تغلب أي الطرفين ، فإنه لا علاقة له بهـذا
 الطرف ولا بذاك الطرف .

(ولا إخوان ثقة عند النجاء) النجاء الافضاء بالسّر ، من النجوى أي لا
 يوثق بكم في اباحة السّر و اظهار الضمير للمشاورة والمباحثة .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما عوتب على التسوية في العطاء

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فَيَمَنُّ وَلَيْتَ عَلَيْهِ ! وَاللَّهِ مَا أَطُورُ بِهِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(لما عوتب على التسوية في العطاء)

فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يسوى في العطاء بين المسلمين ، سواء كان المال من الغنائم أو الزكاة أو ما أشبه ، أما من جاء بعده ممن ادعى الخلافة فقد كانوا يتفاضلون ، خلاف سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى جاء الإمام عليه السلام فأخذ في التسوية وذلك مما لم يرق للذين اعتادوا الفضل في زمن الثلاثة ، فعاتبوه بما فعل ، وذكروا له أنه عليه السلام ان استمر فسي هذه الطريقة أدى ذلك الى تفرق أصحابه ، وفاته النصر ، فأجاب الإمام عليه السلام بهذا الجواب :

(أتأمروني أن أطلب النصر بالجور) أى أن أكون منتصرا بسبب إعطاء حق الضعيف الى القوى الذى هو جور وظلم (فيمن وليت عليه) متعلق ((بالجور)) أى أجور على الرعية التى ملكت زمام أمرها .

(واللّه ما أطوره) من طاريطور ، بمعنى حام حول الشئ ، أى لا أحوم حول ذلك ولا أقاربه .

مَا سَمَرَ سَمِيرٌ ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا ! لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ
بَيْنَهُمْ ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ ! أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ
تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ . وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَيُكْرِمُهُ
فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ . وَلَمْ يَضَعْ أَمْرُؤُا مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ
غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ ،

- (ما سمر سمير) أى ما دام يسمر سامر ، والسامر هو المتحدث بالليل ، و
هذا كناية عن الأبدية فى عدم جوره ، لأن السمر مستمر مع بقاء الانسان .
(وما أم نجم فى السماء نجما) أى ما دام يقصد بعض النجوم بعضا ، وذلك
كناية عن سيرها ، فانها بحركاتها ، ترى كالمقاصد .
(لو كان المال لى) ملكا شخصيا (لسويت بينهم) أى بين الناس فى
العطاء (فكيف) لا أعدل (وإنما المال مال الله) وقد أمر سبحانه بالتسوية ،
فأولى بأن أسوى بين الرعية .
(ألا وإن أعطاه المال فى غير حقه تبذير وإسراف) لأن الله سبحانه جعل
للمال موارد خاصة ، فإذا صرف فى غير تلك الموارد ، كان تبذيرا .
(وهو) أى أعطاه المال فى غير حقه (يرفع صاحبه فى الدنيا) لتقويته
صاحب الأطماع للمعطى (ويضعه فى الآخرة) لأنه عصى الله سبحانه فى صرفه
المال فى غير مصرفه المقرر .
(ويكرمه فى الناس) لمدح الآخذين له (ويهينه عند الله) لعصيانه له
تعالى (ولم يضع أمرؤا ماله فى غير حقه) المقرر شرعا (ولا عند غير أهله الا حرمه
الله شكرهم) اذ الأخذ ذوالالطمع لا يعرف حقا ، حتى يشكر المعطى ، ولو
عرف الحق لم يطمع فى أزيد من نصيبه .

توضيح نهج البلاغة
وَكَانَ لِغَيْرِهِ وَدُّهُمْ فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النُّعْلُ يَوْمًا فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرَّخَدِينَ
وَالْأُمَّ خَلِيلٍ !

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وفيه بين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين

(وكان لغيره) أى غير المعطى (ودُّهم) أى حبّ الآخذين ، فهم يأخذون من هذا المال ويحبّون غيره .
(فان زلت به النعل) كناية عن سقوط المعطى سقوطاً مالياً أو اجتماعياً أو ما أشبه (يوماً) فى يوم من الأيام .
(فاحتاج الى معونتهم) أى أن يعيَّنه الآخذون لماله .
(ف) هم (شرّخدين) الخدين الصديق (والأم خليل) أى أكثر الاختلاء
لثامة ، فان من يطمع فى مال الانسان لا يهبه حقه فما دام له مال ورفعة حام حوله ، اما اذا سقط ، تركه ليحوم حول ذى مال آخر .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وفيه يبين بعض احكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين
فى الاعتراض على الخوارج ، فأنهم قالوا بأن الامام كفر - لأنه عليه السّلام
قبل التّحكيم فى دين الله - وقالوا للامام تب ، لكنّ الامام عليه السّلام لم يقبل
مقالهم ، وبيّن لهم أنّه لم يخطأ حتّى تجب عليه التّوبة ، فأخذوا يحاربون الامام
والمسلمين عامّة ، يفسدون فى الأرض ويقتلون الناس ، بلا مبرر الا هوى وجهالة
ضلالة .

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ ، فَلَيْسَ تُضِلُّوْنَ
عَامَّةَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، بِضَلَالِي ، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطِيئِي ،
وَتُكْفِرُونَهُمْ بِذُنُوبِي ! سَيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضْعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ
وَالسَّقَمِ ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ،

(فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ) بقبولي للتحكيم (فَلَيْسَ
تُضِلُّوْنَ عَامَّةَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فان ضلال الخليفة لا يوجب
ضلال الأمة (بِضَلَالِي) أي بسبب ضلالي
(وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطِيئِي) وعصيانِي (وَتُكْفِرُونَهُمْ بِذُنُوبِي) وقد قال سبحانه :
(لا تزر وازرة وزر أخرى)
(سَيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ) جمع عاتق ما بين المنكب والعنق يوضع السيف هناك
استعدادا للضرب .

(تَضْعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ وَالسَّقَمِ) أي تضربون بها المستحق وغير المستحق -
والمراد السقم بنظرهم ، لا بنظر الإمام عليه السلام - .

(وَتَخْلِطُونَ) في الضرب (مَنْ أَذْنَبَ) بنظركم - كالإمام عليه السلام -
(بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ) كعامة المسلمين وقد كان الخوارج ولدوا نظرة مغلوطه - تابعا
لنظرتهم المغلوطه حول الإمام عليه السلام - و تلك أنه لا واسطة بين الاسلام و
الكفر فمن أذنب فهو كافر ، ومن لم يذنب فهو مسلم - وليس هناك مسلم
فاسق ، يستحق الحد لفسقه ، لا القتل لكفره ، فاعترض عليهم الإمام عليه
السلام بقوله : (وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ)
وهو الذي له زوج ، فكانه قد تحصن عن الزنا بالزواج (ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ) صلاة

ثُمَّ وَرَثَهُ أَهْلُهُ ؛ وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلُهُ . وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِسنَ الْفِيءِ ، وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ ؛ فَأَخَذَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذُنُوبِهِنَّ ، وَأَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِنَّ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُنَّ سَهْمَهُنَّ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُنَّ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ . ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ ،

الأموات ، فلو كان كافرا - لزناه - لم يصل عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ثم ورثه أهله) أى أعطى ميراثه لأهله بعد موته . لا لأهله قبل موته ، بعسد الزنا فان الانسان اذا كفر قسم امواله يوم كفره الى ورثته فى ذلك اليوم لا ورثته عند الموت .

(وقتل) صلى الله عليه وآله وسلم (القاتل وورث ميراثه أهله) يوم قتل ولو كان كافرا بسبب قتله كان اللازم جعل ميراثه حسب يوم ان قتل ، لا يوم قتل .

(وقطع) صلى الله عليه وآله وسلم يد (السارق وجلد الزانى غير المحصن) الذى لا زوج له (ثم قسم عليهما من الفئ) أى الغنيمة (ونكحها المسلمات) ولو كانا كافرا بالسرقه والزنا ، لم يكونا مسلمين ليستحقا الغنيمة و يجوز للمسلمات نكاحهن اياهما .

(فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم) أى عاقبهم حسب ذنوبهم (وأقام حق الله فيهم ولم يمنعهم) الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (سهمهم من الاسلام) كالفئ الذى يعطى للمسلم وما أشبه (ولم يخرج اسماءهم من بين أهله) أى أهل الاسلام ، بأن يعلن أنهم كفار داخلون فى زمرة الكافرين . (ثم أنتم شرار الناس) ترتكبون الآثام بأنفسكم فكيف تكفرون مرتكبى الآثام و

وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ ، وَضَرَبَ بِهِ تِيَهُهُ ! وَسَيَهْلِكُ فِي صِنْفَانِ :
مُحِبٌّ مَفْرُطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَمُبْغِضٌ مَفْرُطٌ يَذْهَبُ بِهِ
الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِي حَالِ النَّمَطِ الْأَوْسَطِ فَالزُّمُوهُ ، وَ
الزُّمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ .

تصرفون النظر عن أنفسكم .

(ومن رمى به الشيطان مراميه) أى أنتم من وسائل الشيطان فى اضلال الناس
تشبيهه بمن يرمى بسهمه هدفه ليصطاد من وراء ذلك ما شاء .

(وضرب به تيهه) أى سلك به فى رادى الضلالة ، يقال ضربت التيه أى
سرت فى العتاهة ، سميت الصحراء بها لأنها محل التيه والضلal عن الطريق .
(وسيهلك فى صنفان) من الناس ، والمراد الهلاك ، عاقبة وأخيرة
(محب مفراط يذهب به الحب الى غير الحق) كالذين قالوا بالوهمية الامام عليه
السلام .

(ومبغض مفراط يذهب به البغض الى غير الحق) كالخوارج والنواصب
الذين سبوا الامام عليه السلام ونسبوه الى الكفر والعصيان .
(وخير الناس - فى - حالا) تميز لخير (النمط الأوسط) أى القسم
الأوسط وهم شيعة عليه السلام .

(فالزموه) أى النمط الأوسط (وألزموا السواد الأعظم) فقد كان السواد
الأعظم ذلك اليوم مع الامام عليه السلام ، وإنما كان مع الخوارج قلة من الناس ،
وليس المراد السواد الأعظم مطلقا ، والا فاهل الباطل كالوثنيين والمسيحيين
أكثر من المسلمين .

(فان يد الله مع الجماعة) أى قوة الله سبحانه - اذ اليد بمعنى القوة -

وَلِيَاكُمْ وَالْفُرْقَةَ ! فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذَّنْبِ . أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشُّعَارِ فَاقْتُلُوهُ ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ ، وَإِنَّمَا حُكْمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَ مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ ، وَيُمِيتَ مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ ، وَإِحْيَاؤُهُ لِاجْتِمَاعٍ عَلَيْهِ ، وَإِمَاتَتُهُ لِإِفْتِرَاقٍ عَنْهُ . فَإِنْ جَرْنَا الْقُرْآنُ

(وَايَاكُمْ وَالْفُرْقَةَ) أى التفرقة (فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ) اذ من يترك الناس ويستبد بآرائه يسرع اليه الباطل ، لأنه لا يستفيد الآراء الصحيحة من المجتمع .

(كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذَّنْبِ) حيث يخطفها ، اذ لا يرى الراعى عليها (أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشُّعَارِ) الشعار علامة يتواضع جماعة من الناس عليه ليعرفوا به جماعتهم عن سواهم ، وتسمى شعارا كأنه اللباس الملاصق الذى جلدهم - اذ البطانة تسمى الشعار ، فى مقابل الظهارة المسماة بالدثار - و مراده عليه السلام بهذا الشعار شعار المفارقة للجماعة التى هم على حق .

(فَاقْتُلُوهُ ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ) هذا لبيان عدم غرور الانسان بزهد صاحب الشعار وصلاحه ، وإنما الميزان كونه مع الجماعة ، او مخالفا لهم ، فان من يخالف الجماعة اذ لم يقتل كان مادة فساد واخلال بالأمن والاجتماع .

(وَإِنَّمَا حُكْمَ الْحَكَمَانِ) أبو موسى وابن العاص (لِيُحْيِيَ مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ وَ يُمِيتَ مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ) كما سبق ذكره فى الكتاب الذى كتب بين الامام ومعاوية . (وَإِحْيَاؤُهُ) أى القرآن (لِاجْتِمَاعٍ عَلَيْهِ) لأنه يوجب حركة القرآن فى مجالات الحياة والحركة من ملازمات الحياة .

(وَإِمَاتَتُهُ لِإِفْتِرَاقٍ عَنْهُ) فانه يوجب عدم العمل بالقرآن (فَإِنْ جَرْنَا الْقُرْآنُ

إِلَيْهِمْ أَتَبِعْنَاهُمْ، وَإِنْ جَرُّهُمْ إِلَيْنَا أَتَّبِعُونَا فَلَمْ آتِ - لَا أَبَا لَكُمْ - بُجْرًا،
وَلَا خَتَلْتُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلَا لَبِسْتُمْ عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلِكِكُمْ عَلَى
اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكََا
الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ،

البيهم) اى الى معاوية وأصحابه (اتبعناهم) وسلمنا الأمر اليهم (وان جرهم)
القرآن (اليها اتبعونا) وسلموا الأمر اليها - وهذا الكلام من الامام عليه
السلام لبيان انه لم يعمل عصيانا بتحكيم القرآن وجعل الحكيم -

(فلم آت - لا ابا لكم - بجرا) البجر الشر ، وأصل لا ابا لكم كلمة تنقيص
كانه لا ابا لهم ليرشد هم ويؤدبهم ، أو دعاء عليهم بأن يفقدوا الاب ليتشبهت
شملهم .

(ولا ختلتم) اى خدعتكم (عن امركم) بأن جعلت الحكيم خدعة ،
فتأخذون ذلك على (ولا لبستهم عليكم) بأن اخفيت عنكم وجه الحقيقة لتشتبهوا
فى الأمر .

(إنما اجتمع رأى ملككم) اى جماعتكم وذوى الرأى منكم (على اختيار رجلين)
الأشعري وابن العاص (أخذنا عليهما) العهد (أن لا يتعديا القرآن) فى
حكمهما (فتاهها) اى ضلأ وانحرفا (عنه) أى عن القرآن (وتركوا الحق وهما
يبصرانه) لأن كليهما كان يعلم ان الحق مع الامام .

لكن الأشعري لم يعين الامام حقدا عليه ، حيث عزله الامام عليه السلام عن
منصبه فى الكوفة ، وابن العاص ترك الامام انسياقا وراء شهواته وما وعده
معاوية من ولاية مصر ، فقد خدع ابن العاص الأشعري ، وقال له : ان الفساد
من هذين الرجلين على ومعاوية ، فاللازم أن يخلع كل منا صاحبه ، حتى يجتمع

وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضِيَا عَلَيْهِ . وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا - فِي
الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ ، وَالصُّمْدِ لِلْحَقِّ - سُوءَ رَأْيِهِمَا ، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا .

المسلمون ويعينوا خليفة صالحا لأنفسهم ، واغتر الأشعري بكلام ابن العاص، وفي
يوم الاعلان ، صعد الأشعري المنبر ، وقال : أيها الناس انا خلعت عليا كما
نزعتم هذا الخاتم من اصبعي .

ثم صعد ابن العاص - وكان الأشعري يظن أنه يفعل مثل ما فعل ، بالنسبة
الى صاحبه معاوية - وقال : أيها الناس استمعتم ان الأشعري خلع صاحبه ؟
فأني قد نصبت صاحبي معاوية على مسند الخلافة ، كما وضعت خاتمي في اصبعي
ثم جعل خاتمه في اصبعه ، ثم لما نزل من المنبر ، سبه الأشعري ، وأخذ كل
بلحية الأخرى ، ولم تنحل الفتنة ، وإنما زادت .

(وكان الجور) والانحراف (هواههما) أي الأشعري وابن العاص (فمضيا
عليه) تاركين الحق والعدل (وقد سبق استثنائنا عليهما) أي ان تفويضنا
لهما لم يكن مطلقا ، بل استثنينا العمل برأيهما ، فهما لم يكونا حكمان حتى فسى
نفاذ مثل هذا الرأي (- في الحكومة بالعدل والصدق للحق) أي الصدور والثبات
للحق . هذه جملة معترضة لبيان مقدار تفويضهما في الأمر (سوء رأيهما و جور
حكمهما) مفعول ((استثنينا))

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة

يَا أَحْنَفُ ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ . وَلَا قَعْقَعَةٌ لُجْمٍ ، وَلَا حَمْحَمَةٌ خَيْلٍ . يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة) . وكان ذلك بعد موقعة الجمل (يا أحنف) وقد كان واليا للامام علي البصرة (كَأَنِّي بِهِ) أي بصاحب الزنج واسمه علي بن محمد ، وكان يدعى انه من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ثار واجتمع حوله كثير من العبيد والصعاليك ، وقتل في البصرة مقتلة عظيمة ، حتى ذكر بعض التواريخ ان قتلاه كانوا ثلثمائة الف ، وأخيرا غلب عليه الخليفة العباسي وقتله .

(وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار) لعدم كونه جيشا له خيل ينشر الغبار ، وإنما كان اتباعه حفاة .

(ولا لجب) أي لا صياح لهم (ولا قعقعة لجم) جمع لجام ، لأنه لم يكن لهم خيل حتى تكون لها لجم ، وقعقعة اللجام صوته لدى الحركة . (ولا حصّة خيل) أي صوتها (يثيرون الأرض بأقدامهم) أي يظهرون الغبار بالأقدام ، دون الخيول (كأنها أقدام النعام) جمع نعامة ، لعمل

قال الشريف : يومئذ بذلك إلى صاحب الزنج .

ثم قال عليه السلام : وَيَلُ لِسِكِّكُمْ الْعَامِرَةَ ، وَالْدُّورِ الْمُزَخْرَفَةِ الَّتِي لَهَا
أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ ، وَخَرَّاطِيمُ كَخَرَّاطِيمِ الْفِيلَةِ ، مِنْ أَوْلِيكَ الَّذِينَ
لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ ، وَلَا يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ . أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لَوَجْهِهَا

التشبيه في سهولة المشي ويسره فان النعام هكذا ، وقيل غير ذلك ((يومئذ
بذلك إلى صاحب الزنج)) وانما قيل له ذلك ، لأن غالب جيشه كان من
الزنج أي العبيد ، الذين أتى بهم من الزنج .

(ويل لسككم العامرة) جمع سكة ، والمراد خراب الطرق العامرة بواسطة
ثورة صاحب الزنج (والدور المزخرفة) أي المزينة بالزخرف ، وهو بمعنى الزينة
(التي لها اجنحة كأجنحة النسور) المراد ما يخرج منها إلى الجادة كالجنح ،
بقصد توسعة الغرف ، وتظليل العارة عن البرد والحر .

(وخراطيم) جمع خرطوم (كخراطيم الفيلة) جمع فيل والمراد بها الأهددة
التي تحفظ الجناح .

(من أولئك الذين لا يندب قتيلهم) ((من)) متعلق بويل ، والظاهر
ان المراد بعدم ندبة القتل انهم لا أهل لهم - لأن أغلبهم من العبيد - فلا
يبكي احد لهم اذا قتلوا .

(ولا يفتقد غائبهم) اذا غاب منهم احد لم يكن احد يفتقده ويبحث عن
أحواله .

(أنا كابُّ الدنيا لوجهها) من كب الاناء ، اذا اكثته ، بمعنى انه زهد
في الدنيا فلم يعتن بشأنها .

وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا ، وَنَاطِرُهَا بِعَيْنِهَا .

منه في وصف الأتراك

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا « كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمَطْرَقَةُ » ، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ
وَالدِّبَاجَ ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ . وَيَكُونُ هُنَاكَ أَشْجَرًا قَتْلًا

(وقادرها بقدرها) أي معامل مع الدنيا بقدرها الحقيقي ، لا أن تضعها
فوق قيمتها ، كما يفعل أهل الدنيا .

(وناظرها بعينها) أي انظر إلى الدنيا بعين الدنيا أي بالعين التي
ينبغي أن ينظر بها إلى الدنيا لا بعين العظمة والكبر -

(منه) ويومئ عليه السلام به إلى وصف الأتراك ، الذين جاؤوا من الشرق ،
وهم المغول وخربوا بلاد الإسلام وقد كان حركة هؤلاء بتحفيز المسيحيين ، والذي
تمكن أن يبقى من الإسلام باقية أمام زحفهم هم الشيعة بقيادة الإمام الشيخ نصير
الدين الطوسي ((ره)) ، كما ثبت ذلك في التواريخ .

(كأني أراهم) أي المغول (قوماً كأن وجوههم المجان) جمع مجسـ
(المطرقة) وهي التي الزق بها الطراق - ككتاب - وهو جلد يقدر على سـ
مقدار الترس ثم يلزق به ، وقد كان وجوه الأتراك في الاستدارة كالمجان وفي
الخشونة كالمطرقة .

(يلبسون السرق) الحرير الأبيض ، أو مطلق الحرير (والدباج) ما كان
فيه حرير (ويعتقبون الخيل) أي يحتبسونها لأنفسهم ويمنعونها عن غيرهم .
(العتاق) جمع عتيق ، وهي الخيل الكريمة ، فقد كان الأتراك أصحاب
تروفاً وجمال (ويكون هناك استحرار قتل) أي اشتداد هـ أصله من ((الحر)) .

حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ ، وَيَكُونَ الْمُفْلِتُ أَقْلٌ مِنَ الْمَأْسُورِ !

فقال له بعض أصحابه : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب ! فضحك عليه السلام ، وقال للرجل ، وكان كليياً :

يَا أَخَا كَلْبٍ ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمٍ غَيْبٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ .
وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَمَا عَدَدُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ : « إِنْ
اللَّهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ . وَيُنْزَلُ الْغَيْثُ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ... » الْآيَةُ ،
فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ ،
وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ،

(حتى يمشى المجرع على المقتول) وقد أكثر الأتراك القتل في إيران و
العراق .

(ويكون المفلت) الذي يفلت من أيديهم وينجو بنفسه (اقل من المأسور)
الذي يأسرونه .

((فقال له بعض أصحابه : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب .. فضحك
عليه السلام وقال للرجل - وكان كليياً -)) : (يا أخا كلب ليس هو بعلم
غيب وإنما هو تعلم من ذي علم) أي ليس هذا علماً مبنياً بالغيب ذاتاً ، وإنما
هو تعلم من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي علمه الله سبحانه .

(وإنما علم الغيب علم الساعة) أي وقت قيام القيامة (وما عدده الله سبحانه
بقوله : ((ان الله عنده علم الساعة)) ((الآية))) إشارة إلى آخر الآية (فيعلم
سبحانه ما في الارحام) أي ارحام النساء .

(من ذكر او انثى وقبيح او جميل وسخى او بخیل وشقى او سعيد) والظاهر

وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَظْبًا . أَوْ فِي الْجَنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مَرَافِقًا . فَهَذَا عِلْمُ
الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمُ عِلْمَةِ اللَّهِ نَبِيَّهِ
فَعَلَّمْنِيهِ ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي ، وَتَضَطَّمَ عَلَيْهِ جَوَانِحِي

ان المراد العموم ، اما في الجملة فيمكن ان يعلمه الوصي بواسطة الرسول صلى
الله عليه وآله وسلم بأمره سبحانه ، كما قال سبحانه : ((فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ
أَحَدٌ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ)) .

(ومن يكون في النار حظبا) توقد به النار ، كما قال سبحانه : ((وقودها
الناس والحجارة)) (أوفى الجنان للنبيين مرافقا) اي مصاحبا ورفيقا .
(فهذا) اي كل واحد من هذه الثلاثة (الساعة) و (ما في الأرحام)
(غاية كل انسان) (علم الغيب الذي لا يعلمه احد الا الله تعالى) و ما سوى
ذلك (المذكور) فعلم علمه الله نبيه فعلمتيه (فانا اعلمه بتعليم الرسول اياي .
(ودعا) الرسول صلى الله عليه وآله (لي بأن يعيه) اي يحفظه ويضبطه
(صدري) فلا انساه (وتضطم) اي تضم ، باب افتعال من (الضم) بمعنى
الاشتغال (عليه جوانحي) اي اضلاعي ، جمع جانحة ، والمراد بذلك القلب ،
وحاصل الفرق على ما بينه الامام عليه السلام ان في الغيب امرين .
الأول : ما يبديه الله سبحانه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويعلمه
الرسول للاوصياء .

الثاني : ما لا يعلمه الله للرسول - وهو الأمور الثلاثة - وعدم التعليم
قالبي ، والا فقد اخبر سبحانه بعض تلك الثلاثة لنبيه صلى الله عليه وآله و
سلم ، واخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم للأئمة - كما يظهر من بعض
الأحاديث - .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في ذكر المكايل والموازن

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّكُمْ - وَمَا تَأْمَلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا - أَثَوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ ،
وَمَدِينُونَ مُقْتَضُونَ : أَجَلٌ مَنْقُوصٌ ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ . فَرُبُّ دَائِبٍ مُضَيِّعٌ ،
وَرُبُّ كَادِحٍ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

(في ذكر المكايل والموازن) للناس صالحهم و طالحهم

يا (عباد الله انكم - وما تأملون من هذه الدنيا - اثويا) جمع ثوى كغنى
بمعنى الضيف ، اى مثلكم مثل الضيف ، ومثل امالكم مثل امال الضيف ، فكما
ان الضيف لو امل آمالا كثيرة كان ذلك باطلا ، كذلك اذ كانت لكم آمالا طوالا ،
اذ لا تبقون فى الدنيا كثيرا حتى تدركوا جميع آمالكم .
(مؤجلون) لكم اجل ومدة محدودة (ومدينون) اى مطلوبون بالموت
(مقتضون) من اقتضاه بمعنى طلبه ، اى يطلبكم الموت ، فلا بقاء لكم حتى
تدركوا امالكم ، لكم .

(اجل منقوص) ينقص كل يوم جزء منه (وعمل محفوظ) يحفظ كل ما عملتم
لتجزون به فى الآخرة .

(فرب دائب) فى العمل ، اى مستمر فيه ليله ونهاره (مضيع) اوقاته ،
حيث انه يعمل فيما لا ينفعه فى الآخرة (ورب كادح) من كدح بمعنى تعب و

خَاسِرٌ . وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنِ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَارًا ، وَلَا الشَّرُّ إِلَّا إِقْبَالًا . وَلَا الشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ ، وَأَمَكَنْتْ فَرِيستُهُ . أَضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ ، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا ،

اجهد نفسه (خاسر) لأنه خسر عمره بدون ان يحصل على ما يبقى له في الآخرة ، وهاتان الجملتان لتحريض الانسان على ان يصحح اعماله ، ويجعلها بحيث ينتفع منها في الآخرة .

(وقد أصبحتم في زمن) المراد زمانه عليه السلام ، بالقياس الى زمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (لا يزداد الخير فيه الا ادبارا) لأن الناس قد توجهوا الى الدنيا ، حيث اعتادوا في زمن الخلفاء ذلك ، وحيث انهم يستقبلون زمن معاوية الذي كان ماديا محضا .

(ولا الشر الا اقبالا) فكلمنا ادبر الخير اقبل الشر (ولا) يزداد (الشيطان في هلاك الناس الا طمعا) لما يرى من ادبارهم عن الآخرة واقبالهم على الدنيا (فهذا اوان) جمع آن بمعنى الوقت (قويت عدته) اي عدة الشيطان ، لما يرى من استيلاء معاوية على بعض البلاد ، وتفرق المسلمين (وعمت مكيدته) اي شملت كثيرا من الناس .

(وامكنت فريسته) اي سهلت الفريسة التي يريد ان يفترونها ، والمراد بالفريسة ، اهل الباطل والآثام ، فانهم فريسة الشيطان يفترونها لادخالهم في النار ، وتبعيدهم عن رحمة الله سبحانه .

(اضرب بطرفك) ايها السامع (حيث شئت من الناس) اي انظر اليهم (فهل تبصر الا فقيرا يكابد فقرا) ((يكابد)) اي يلاقى مصاعبه ومصائبه ، وهذا

أَوْ غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفَرًّا ، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَانَ بِأُذُنِهِ عَنِ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقَرًّا ! أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ !

لا ينافي قوله عليه السلام : ((ولعل هناك باليعة او الحجاز من لا عهد له بالشيع ولا طمع له في القرض)) الظاهر منه عدم وجود الفقير في المجتمع ، فان الامام عليه السلام اراد بالفقير هنا ، الذي لا يعيش عيش رقاء وسعة ، والا فقد عم الاسلام - بواسطة منهاجه الذي طبقه الامام عليه السلام - الغنى ، حتى لم يكن في المجتمع الاسلامي فقير واحد ، ولذا لما رأى الامام فقيرا بصيرا ، وقف يسئل : ما هذا ؟ قالوا يا أمير المؤمنين : نصراني كبير وعجز ، قال عليه السلام ما انصفتموه استعملتموه حتى اذا عجز تركتموه ، اجروه له من بيت المال راتبا .
واما قصة عقيل عليه السلام ، وقوله عليه السلام : رأيت صبية شعت الشعور فقد كان عقيل بذولا للمال ، ولذا ورد انه استقرض مائة الف ، وأرادها من الامام .

(أَوْ غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) أشار الى قوله سبحانه : ((ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار)) وتهديل النعمة كفرا يسراد به عدم صرف النعمة في المحل اللائق بها .

(أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفَرًّا) اي موجبا لتوفير ماله وتكثيره ، وهذا غير المستبدل لنعمة الله كفرا ، فان ذلك يصرفها في غير مصارفها ، وهذا يجمعها فلا يصرفها اصلا .

(أَوْ مُتَمَرِّدًا كَانَ بِأُذُنِهِ عَنِ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقَرًّا) اي صمما فلا يسمع عن غيره كأنه لا يسمع المواعظ .

(أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ) لقد كان الامام عليه السلام يجب ان يرى المجتمع ،

وَأَيْنَ أحرَارُكُمْ وَسَمَحَاؤُكُمْ ! وَأَيْنَ الْمُتَوَرَّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ ، وَالْمُتَنَزَّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ ! أَلَيْسَ قَدْ ظَنَعُوا جَمِيعاً عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ ، وَالْعَاجِلَةِ الْمُنْفَصَةِ ، وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ لَا تَلْتَقِي بِذِمَّتِهِمُ الشُّفَتَانِ ، اسْتَغْفَاراً لِقَدَرِهِمْ ،

كالمجتمع أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم — كما تقدم في خطبة أخرى له عليه السلام — فاذ لم ير ذلك ، تأفف وتضجر ، كما هو شأن المصلحين اذا رأوا خلافاً في المجتمع تضجروا منه كثيراً لتألمهم بالخلل الجزئي لما ارتكزوا عليه من حب الإصلاح .

(واين احراركم) جمع حر ، والمراد المقيد بالشرف والوطن والدين ، و قد سبق ان العبد لا يهيمه الوطن ونحوه ، لعدم علقته له بجانب خاص .
(وسماؤكم) اي أهل السماح والفضل (واين المتورعون في مكاسبهم) يهيمهم الحلال ويتورعون — اي يجتنبون — عن الحرام .
(والمتنزهون في مذاهبهم) اي يتنزهون ويتبعدون عن الشبهات فسي طرقهم الدينية والدينية .

(اليس قد ظعنوا) اي سافروا (جميعاً عن هذه الدنيا الدنية) اي الوضعية (والعاجلة المنغصة) التي تنغص عيش الانسان وتشوبه بالكدور والمرارة .
(وهل خلقتكم) أنتم المخاطبون (الا في حثالة) اي في جعاجة من الناس انذال ، فان الحثالة بمعنى الردي .

(لا تلتقي بذمتهم الشفتان) فان المتكلم اذا أراد أن يتكلم تلاقت شفتاه ، و هؤلاء لا يذمتهم الانسان لكثرة نذالتهم (استغفارا لقدرهم) فانه يحقرهم بهراهم اصفرحتي من الذم .

وَذَهَابًا عَنْ ذِكْرِهِمْ! فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! «ظَهَرَ الْفَسَادُ» ، فَلَا مُنْكَرٌ مُغَيِّرٌ ، وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ . أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَاءِهِ عِنْدَهُ ؟ هَيْهَاتَ إِلَّا يُخْدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ النَّارِكِينَ لَهُ ،

(و ذهاباً عن ذکرهم) ای ابتعاداً حتی من ان یذکرهم ویتلفظ باسمهم و بمثلهم (فانا لله وانا الیه راجعون) قد وقعنا فی الفاجعة حیث عاصرنا مثل هؤلاء الناس .

(ظهر الفساد) والانحراف عند الناس (فلا منکر مغیر) ای لا احد ینکر المنکر و یغیره الی المعروف .

(ولا زاجر مزدجر) ای لا رادع للمکر یردع هو بنفسه عن الآثام (افیهذا) العمل والخلق (تریدون أن تجاوروا الله) ای تجاوروا رضاه و لطفه (فی دار قدسه) ای الدار التی اعدّها مقدسة طاهرة من کل نقص و عیب .

(و تكونوا اعزّ اولیائه عنده ؟) والاستفهام للانکار والتوبيخ (هیهات) کلمة استبعاد ، بمعنی لا یكون ذلك (لا یخدع الله عن جنته) بأن یخدع نفسه الانسان ببعض ظواهر یأتی بها ، لأخذ الجنة .

(ولا تنال) ای لا تدرك (مرضاته) ای رضاه سبحانه - مصدر میبسی بمعنی الرضا - (الا بطاعته) و عبادته ، ولما ذکر علیه السلام قوله : ((ولا زاجر مزدجر)) عقب ذلك بقوله : (لعن الله الامرین بالمعروف التارکین له) فعله منکر ، و یأمر بمعروف ، كما قال سبحانه : ((کبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون)) .

وَالنَّاهِيْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِيْنَ بِهِ !

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الربرة

يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ ،

(و التّاهين عن المنكر العاملين به) وهذان من صفات المنافقين ، فانهم يأمرُونَ وينهون لعدم الصّعوبة في ذلك ، لكنهم لا ياتَمرون بما يأمرُونَ ولا يَنْتَهون عما يَنْهون ، لصعوبة العمل .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الربرة) وهي موضع قرب المدينة المنورة ، وقبر أبي ذر هناك ، وقد هدمه الوهابيون وهو مزار معروف إلى الآن ، وقد كان أبو ذر رحمه الله لا يسكت عن بدع عثمان وما أحدثه في الإسلام مما يخالف الكتاب والسنة ، ولذا نفاه عثمان إلى الشام - وشيعة لبنان إلى يومنا هذا من مخطفات أبي ذر في مدة نفيه - ثم أرجعه معاوية إلى المدينة ، فنفاه عثمان ثانيا إلى الربرة ، وبقى هناك يكابد الجوع والمرض حتى مات هناك ودفن ، ولما أراد الخروج من المدينة منفيا من قبل عثمان ، ودّعه الامام عليه السلام بهذه الكلمات :

(يا أبا ذر انك غضبت لله) حيث رأيت أعمال عثمان المخالفة لله سبحانه

فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ . إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ ،
فَاتَرَكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ ، وَأَهْرَبَ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ ، فَمَا
أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ ! وَسَتَعْلَمُ مِنَ الرَّابِعِ
غَدًا ، وَالْأَكْثَرُ حُسْدًا .

(فارح من غضبت له) بأن يتفضل عليك في الدنيا بذكر باق حسن ، و نفسى
الآخرة بالأجر والثواب الجزيل .

(ان القوم) يعنى عثمان ومعاوية وحاشيتهما (خافوك على دنياهم) لأنهم
رأوفيك مهددا لدنياهم حيث ان ذكر ثواب الشخص يوجب انقراض الناس من
حوله .

(وخفتهم على دينك) حيث خفت ان جاملتهم وسكت عن معايبهم تكون
مأثوما عند الله سبحانه (فاترك في ايديهم ما) أى الدنيا التى (خافوك عليه)
أى اعرض عنها بقلبك وتسل بفراقها .

(واهرب منهم بما) أى بالدين الذى (خفتهم) أى خفت منهم (عليه)
فان الانسان اذا بعد عن مجتمع الناس سقط تكليفه فى الأمر والنهى ، فيكون
هاربا بدينه ، لم يبق ويترك الأمر حتى يكون عاصيا .

(فما احوجهم الى ما منعتهم) أى انهم محتاجون الى الدين ، الذى انت
لم تعطهم دينك فى سبيل تعمييرهم لدنياك .

(وما أغناك عما منعوك) فان الانسان الزاهد لا يحتاج الى الدنيا وانما
كل نظره الى الآخرة .

(وستعلم من الرابع غدا) علم يقين ومشاهدة ، هل انت الرابع ام هم ؟
(و) من (الأكثر حسدا) جمع حاسد ، كناية عن اوتى الثواب ، فان المنعم

وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا ، ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ ، لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا أَوْ لَا يُؤْنِسُكَ إِلَّا الْحَقُّ ، وَلَا يُوحِشُكَ إِلَّا الْبَاطِلُ ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لِأَحْبَبِكَ ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لِأَمْنُوكَ .

مقصود .

ثم بين الامام عليه السلام له ان الله تعالى لا يذره هملا (ولو ان السماوات والأرض كانتا على عبد رتقا) بحيث لا مفّر له منهما ، قد ضيقنا سبله ، وأحاطنا به ، وواقعتاه في المشاكل .

(ثم اتقى الله) أي عمل بأحكام الشريعة (لجعل الله له منهما مخرجا) كما قال سبحانه : ((وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)) . (ولا يؤنسك إلا الحق) فكن آتسبا به وإن أوحشك الناس (ولا يوحشك إلا الباطل) فكن مستوحشا به وإن آنسك الناس .

(فلو قبلت دنياهم) وسكت عنهم (لأحبوك) حبّ الظالم لأنصاره (ولو قرضت منها) أي قطعت جزءا من دنياهم (لأمنوك) فإن الانسان عبيد الاحسان .

ومن طريف ما ينقل ان عثمان بعث الى أبي ذر بمال — مع عبد له — ليسكته عن نقده لعثمان ، وحيث علم ان عثمان لا يقبل الرشوة اراد الخدعة — والاتيان مما ظاهره الشرع — فقال للعبد : ان قبل ابوذر المال فأنت حر ، اراد بذلك ان يصّر العبد ، ويرى ابوذر ان قبول المال موجب لعتق رقبة ليقدم على القبول فجاء العبد وعرض المال فأبى ابوذر ، قال العبد : ان في ذلك عتقى ، فقال ابوذر : ولكن في ذلك رقى .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

وفيه يبين عليه السلام قبوله ، أى الخلافة ويصف الامام الحق
 أَيْتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ ، وَالْقُلُوبُ الْمُنَشَّتَةُ ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ،
 وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ، أَظَارُكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ
 الْمِعْزَى مِنْ وَغْوَةِ الْأَسَدِ ! هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سِرَّارَ الْعَدْلِ ، أَوْ
 أَقِيمَ أَعْوَجَاجَ الْحَقِّ .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

وفيه يبين عليه السلام قبوله ، أى الخلافة ويصف الامام الحق
 (أيتها النفوس المختلفة) من حيث الأهواء والميول (والقلوب المنشتة)
 تشتت بمعنى تفرق (الشاهدة أبدانهم) أى انهم حضور بأبدانهم (والغائبة
 عنهم عقولهم) كناية عن عدم وعيهم واتعاضهم كالفائب عقله (أظاركم) أى
 أعطفكم واميلكم (على الحق وانتم تنفرون عنه نفور المعزى) جمع معز (من
 وغوة الأسد) صوته .
 (هيهات ان اطلع بكم سرار العدل) أى ما خفى من العدل ، والمراد
 أنتم غير قابلين للاطلاع ، حتى اشرفكم على العدل المضاع بين اظهركم ، يقال
 اطلع به الشئ ، اذا اصعده رتبة ليرى الشئ المخفى ورائها ، واسرار كسحاب
 آخر ليلة من الشهر ، والمراد به الظلمة ، أى الظلمة الساترة للعدل .
 (واقم اعوجاج الحق) أى الاعوجاج الذى اصاب الحق ، بخلطه مع

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلَا التَّمَّاسَ شَيْءٌ مِنْ فَضُولِ الْحُطَامِ ، وَلَكِنْ لِنَرْدِ الْمَعَالِمِ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرِ الْإِضْلَاحَ فِي بِلَادِكَ ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُقَامَ الْمُعْطَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ .
اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ ،

الباطل ، فأنكم غير مستعدين لذلك .

(اللَّهُمَّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مَنَّا) من قبل الخلافة الظاهرية (منافسة في سلطان) بأن اردت ان اتقدم في السلطة على سائر الناس ويكون لي الحكم والأمر والنهي .

(ولا التماس) أي طلب (شئ من فضول الحطام) أي زوائد متاع الدنيا ، وسمى حطاما ، لأنه يحطم ويفنى ، وإضافة الفضول الى الحطام بيانية .
(ولكن لنرد المعالم من دينك) معالم الطريق ، والنصب الدالة عليه ، وقد طمست المعالم في زمن عثمان ، وبعضها في زمن الخلفيتين ، فأراد الامام عليه السلام اضمهارها و احياها .

(ونظهر الاصلاح في بلادك) وقد أمر سبحانه بعمارة الأرض واصلاحها (فيامن المظلومون من عبادك) ولا يخافوا من الظالمين (وتقام المعطلة من حدودك) أي الحدود المعطلة والأحكام المهمة .

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ) أي رجع اليك بالطاعة والانقياد ، وتسمية الأمر انابة — وان لم يكن من الامام عليه السلام اعراض — باعتبار المشابهة لمن سواه ، كما قالوا في قوله تعالى : ((لنخرجنكم من أرضنا أو لنعودن في ملتنا)) .
(وسمع) داعي الله (وأجاب) بقبول الاسلام واحكامه ، فان الامام عليه السلام اول الناس ايمانا .

لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - بِالصَّلَاةِ .
وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالْدِّمَاءِ
وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ
نَهْمَتُهُ ، وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلُّهُمْ بِجَهْلِهِ ، وَلَا الْجَانِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ ،
وَلَا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ

(لم يسبقني إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة) ومن هذا
شأنه يسرع إلى أوامر الله سبحانه لا يريد الخلافة لسلطان أو مال .

(وقد علمتم) أيها الناس (أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج و
الدماء والمغانم) جمع مغنم الغنيمة (والأحكام) أي تنفيذ أحكام الإسلام (و
إمامة المسلمين) أي كونه مقتدى لهم وأسوة ، وكون الوالي على الفروج باعتبار
أمر ونهيهم بالحرب الموحدة لشيء النساء المسلمات أحيانا ، وسبى النساء
الكافرات ، وبمعنى ذلك الوالي على الدماء .

(البخيل) اسم لـ (يكون) و (الوالي) خبيرة المقدم (فتكون في
أموالهم نهمة) يبالغ في حرصه وجمعه لأموالهم ، لأن البخيل لا يبذل المال ،
وفي ذلك تعطيل لأموالهم ، وإضاعة لما يحتاج ومن يحتاج إلى المال .
(ولا الجاهل فيضلهم بجهله) لأن الوالي مصدر الأمور ، فإذا جهل
الأمور سبب اضلالهم (ولا الجاني) الذي لا يجفو ولا يقطع الناس كبرا أو
ضجرا (فيقطعهم بجفائه) ويعطل أمورهم المتوقفة عليه .

(ولا الحائف) الذي يحيف ويجور (للدول) جمع دولة ، بمعنى المال
لأنه يتداول من يد إلى يد ، يعني الذي يجور في إعطاء المال ، فيحابي
شخصا زائدا ، ويمنع شخصا آخر ، حسب شهواته ورغباته .

للامام الشيرازي ٢٩١
فَيَتَّخِذُ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ، وَلَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحَقُّوقِ ، وَيَقِفَ
بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ ، وَلَا الْمُعْطَلُ لِلسَّنةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ .

(فيتخذ قوما دون قوم) دون أن يراعى المساواة وجعل الحقوق مواضعها ،
وفي بعض النسخ ((الخائف)) بالخاء المعجمة أي الذي يخاف بعض الدول ،
فيصادق من خاف منه دون غيره .
(ولا المرتشي في الحكم) أي الذي يأخذ الرشوة (فيذهب بالحقوق) لأنه
يأخذ الرشوة ويحكم للراشي ، دون الذي له الحق واقعا .
(ويقف بها) أي بالحقوق (دون المقاطع) أي الحدود التي عينها الله
سبحانه ، جمع مقطع ، أي محل قطع الأمور ، الذي جعله الله سبحانه .
(ولا المعطل للسنة) الذي لا ينفذ أحكام الاسلام (فيهلك الأمة) لأن
في أحكام الاسلام حياة الأمة ، فإذا عطلت هلكت الأمة .
ولا يخفى أن الامام عليه السلام ذكر أبرز الصفات المنافية للأمر ، لا كلها ،
والجامع أن يكون فاقها لأمر الدنيا والدين ، عادلا - بمعنى الملكة الباعثة
على الاطاعة - رجلا طاهر المولد ، إلى غيرها مما فصل في الفقه .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وفیہا وعظ و تزہید و تذکیر

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى ، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَأَبْتَلَى . الْبَاطِنُ لِكُلِّ
سَرِيرَةٍ ، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ ، وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ .
وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ ، شَهَادَةٌ يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ
الْإِعْلَانُ ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانُ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وفیہا وعظ و تزہید و تذکیر

(نحمدہ علی ما اخذ و اعطی) فان کلا من اخذہ سبحانہ و اعطائہ یتبع مصلحۃ
تستحق الحمد (و علی ما ابلی) ای احسن و انعم (و ابتلی) ای امتحن .
(الباطن لكل سريرة) ای يعلم السرائر ، كأنه باطن معها (العالم بما تكن
الصدور) ای تخفی فیہا (و ما تخون العیون) من اختطاف النظر ، الذی لا
یطلع علیہ احد ، و لو کان قریبا من الخائن عینہ .
(و نشہد ان لا اله غیرہ ، و ان محمدا) صلی اللہ علیہ وآلہ (نجیبہ) ای
مختارہ من انجیہ ، ای اختارہ (و بعیثہ) ای مبعوثہ ارسلہ بالہدی و دین الحق
(شہادۃ یوافق فیہا السر الاعلان و القلب اللسان) لا شہادۃ لسانیۃ کالمنافق ،
او قلبیۃ فقط کالکافر الذی یعلم ، قال سبحانہ : (و جحدوا بہا و استیقننتہا
انفسہم) فکلاہما یشہدان بہاتین الشہادتین ، و المراد بالسر و الاعلان
جہرا و خفیۃ .

منها : فَإِنَّهُ وَاللَّهِ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ ، وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ . وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ ، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ . فَلَا يَغُرُّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ جَمْعِ الْمَالِ وَحَذِرِ الْإِقْلَالَ ، وَأَمِنْ الْعَوَاقِبِ - طُولَ أَمَلٍ وَاسْتِبْعَادَ أَجَلٍ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَازْعَجَهُ عَنْ وَطْنِهِ ، وَ أَخَذَهُ مِنْ مَأْمِنِهِ ، مَحْمُولًا عَلَى أَغْوَادٍ

(منها) في وعظ الناس (فانه) اي امر الآخرة (والله الجد لا اللعب) اي ان ما هناك من جنة ابدية او نار سرمدية جد ، لا انه لعب ولهو (والحق) المطابق للخارج (لا الكذب وما هو) مصير الانسان (الا الموت اسمع) الناس (داعيه) اي داعي الموت وليس المراد صرف الموت ، بل ما يترتب عليه من الأمور ، ومعنى اسماع داعيه ، انه قد علم كل انسان مصيره . (واعجل حاديه) الذي يحدد ويشير بالناس الى الموت يسير بهم سيرا مستعجلا - وذلك كناية عن سرعة ايام الدنيا وانقضائها - . (فلا يغرنك سواد الناس من نفسك) فان الانسان كثيرا ما يغترر بوجوه سواد الناس في أطرافه فيعصى الله سبحانه ، اعتمادا عليهم ، بينما ان الموت يختطفه ولا ينفعه سواد الناس في دفع الموت ودفع العقاب المترتب على الخطيئة . (فقد رأيت من كان قبلك) من الناس الذين ماتوا (ممن جمع المال و حذر) اي خاف (الإقلال) اي القلة من المال (وامن العواقب) بأن لم يخش موتا ولا فوتا (طول امل واستبعاد أجل) اي كان آمنه لأجل طول أمله في الدنيا ، وانه كان يستبعد ان يأتيه أجله . (كيف نزل به الموت فازعجه عن وطنه) الازعاج التسبب الى ما يوجب اذى الانسان (وأخذه من مأمنه) اي محل أمنه ، في حالكونه (محمولا على اغواد

الْمَنَابِيَا يَتَعَاطَىٰ بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالَ ، حَمَلًا عَلَى الْمَنَاقِبِ وَإِمْسَاكَ بِالْأَنَامِلِ .
أَمَّا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيدًا ، وَيَبْنُونَ مَشِيدًا ، وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا ! كَيْفَ
أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُورًا ، وَمَا جَمَعُوا بُورًا ، وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ ،

المنابيا (اى التابوت ومنابيا جمع ((منية)) بمعنى الموت (يتعاطى به
الرجال الرجال) اى يعطى بعض بعضا جنازته (حلا على المناكب) جمع منكب
وهو ما بين العضد والعلق (وامساكا) اى اخذا (بالانامل) جمع انملة ،
رأس الاصبع ، والمعنى أنك ستصبح بعد قليل مثل اولئك ، فاللازم ان تأخذ
حذرك .

(اما رأيتم الذين يأملون بعيدا) لهم آمال طوال ، مثل انه يأمل أن ينال
بعد سنوات مناصب او اموالا ، او ما أشبه .

(ويبنون مشيدا) اى ابنية محكمة ما تدل على رجائهم البقاء الطويل .

(ويجمعون كثيرا) زاعمين انهم يبقون مدة مديدة يحتاجون خلالها الى
تلك الأموال .

(كيف أصبحت بيوتهم قبورا) مثل الناس الذين يدفنون فى بيوتهم ، ويهدم
بيوتهم قبورا) مثل الناس الذين يدفنون فى بيوتهم ، او يهدم عليهم البيت
فيبقون هناك الى الأبد .

(وما جمعوا بورا) جمع بائراى بلا فائدة منها لهم (وصارت أموالهم
للوارثين) أما عطف بدل عن ((ما جمعوا بورا)) او ان المراد بما جمعوا -
جمعهم - اى ان الفعل ، وهو الجمع قد هلك ، وصار المال لغيرهم ،
بمعنى ضاع عليهم ، وصارت نتيجة العمل للغير ، فان العمل شئ والنتيجة
شئ آخر .

وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ !
فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَزَ مَهْلُهُ ، وَفَازَ عَمَلُهُ . فَاهْتَبِلُوا هَبْلَهَا ، وَاعْمَلُوا
لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا : فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ
مَجَازًا لِتَزُودُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ .

(وأزواجهم) نسائهم ، او المراد الأعم من (الرجل) الذي ماتت زوجته
و (الزوجة) التي مات زوجها (لقوم آخرين) وهذا الكلام لاستفزاز النفس
نحو العمل الصالح ، فان أزواجهم ومن اقرب الناس اليهم يصبحن لعيش
اناس اجانب - بعد موتهم - فما الأمل من هذه الدنيا ؟ وما يكون اعتبار
مثلها ؟

(لا في حسنة يزيدون) لأن ابن آدم اذا مات انقطع عمله .
(ولا من سيئة يستعتبون) أي يطلب منهم أن يعملوا عملا يكفرها (فمن
اشعر التقوى قلبه) أي اذاق قلبه طعم التقوى بحيث صارت التقوى ملكة له .
(برز مهله) أي اظهر التقدم في الخير - على سائر الناس - فان (المهل)
بمعنى التقدم في الخير (وفاز عمله) أي ظفر على عمله الصالح ، وتمكن من
الاتيان به ، في مقابل الفساق الذين لا يتمكنون من الظفر على صالح الأعمال .
(فاهتبلوا هبلها) الاهتبال تطلب الشيء بأحكام للنيل منه ، والضمير
عائدا الى التقوى أي اطلبوا التقوى طلبا لاثابها .
(واعملوا للجنة عملها) أي العمل اللائق باللجنة الموصل اليها (فان
الدنيا لم تخلق لكم دار مقام) أي دار بقاء تقيمون فيها .
(بل خلقت لكم مجازا) أي محل عبور (لتزودوا منها الأعمال الى دار القرار)
أي لتأخذوا منها زادكم للآخرة التي هي دار قراركم وبقائكم ، الى الأبد .

فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ . وَقَرَّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَنْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَزْمَتِهَا ، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ
مَقَالِيدَهَا ، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ ،

(فكونوا منها) أى من الدنيا (على اوفاز) جمع وفز بمعنى العجلة ، أى
على استعجال - لئلا تفوت الدنيا قبل ان تعملوا للآخرة ، ولعل الاتيان بـ
((اوفاز)) جمعا للإشارة الى انه ينبغى العجلة فى كل أمر .
(وقربوا الظهر) أى الظهر المطايا التى تركبون عليها (للزيال) أى
لفراق الدنيا ، تشبيه بمن يريد السفر حيث يقرب مراكبه الى نفسه للسير .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِيهَا تَعْظِيمٌ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَذِكْرٌ لِلْقُرْآنِ وَالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ،
وَوَعظٌ لِلنَّاسِ .

(وانقادت له) أى لله سبحانه (الدنيا والآخرة بأزمته) جمع زمام (وقذت
إليه السماوات والأرضون مقاليدها) جمع مقلاد ، بمعنى المفتاح ، فكما ان
الباب ينفتح ، كذلك أبواب الرزق والخلق وما أشبه من المكونات مفاتيحها بيد
الله سبحانه .

(وسجدت له بالغدو) أى الصبح (والآصال) جمع أصيل طرف العصر
(الأشجار الناضرة) أى ذات النضرة والبهجة ، والمعنى خضوعها له سبحانه

وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النَّيْرَانَ الْمُضِيئَةَ، وَأَنْتَ أَكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثَّمَارَ الْيَانِعَةَ.

في القرآن

منها : وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَغِيَا لِسَانُهُ ، وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ .

وقوله بالغدو والآصال كناية عن الاستمرار ، أو هناك سجدة خاصة لها في
الوقت لا ندركها .

(وقدحت له) أي لله سبحانه (من قضبانها) جمع قضيب بمعنى الغصن
(النيران المضيئة) فان المرخ والعقار تظهر من أغصانها النار ، ومعنى ((له))
لأمره وإرادته تعالى .

(وأنت) أي أعطت (أكلها) أي ما يؤكل من الثمار (بكلماته -) أي
بأوامره التكوينية التي هي كالكلمات بالنسبة إلى المخلوقين (الثمار) أي أشجار
الثمار - فاعل أنت - (اليانعة) أي الناضجة المدركة .

(منها) : في القرآن

(وكتاب الله) أي القرآن (بين أظهركم) أي في وسطكم (ناطق لا يعيا)
أي لا يكل (لسانه) كناية عن إمكان دوام الاستفادة منه (وبيت) كما أن البيت
يحفظ الإنسان من الحر والبرد واللي وما أشبه ، كذلك القرآن حافظ للعامل
به .

(لا تهدم أركانه) أركان البيت جوانبه المحيطة به ، والمراد بأركان القرآن
مواظبه وأصوله وأحكامه وما أشبه (وعز لا تهزم أعوانه) فان أعوان القرآن
منتصرون دائما ، لانتصار الحق على الباطل دائما ، أما جسا ، أو روحا و
واقعا .

رسول الله

منها : أَرْسَلَهُ عَلَى حِينٍ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَتَنَازَعَ مِنَ الْأَلْسُنِ ،
فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ ، فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ ،
وَالْعَادِلِينَ بِهِ .

منها : وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى ،

(منها) : حول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

(أرسله) الله سبحانه (على حين فترة من الرسل) أى فاصلة بين الرسول
وبين الرسل السابقة .

(وتنازع من الألسن) فإن الألسن كانت مختلفة ، وانما وحدها الاسلام
بلغه القرآن ، او هو كناية عن المذاهب والآراء ، بعلاقة السبب والمسبب ،
فإن مظهر المذهب اللسان

(فقفى به) أى بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم (الرسل) أى اتبع الله
سبحانه بسبب الرسول اولئك الرسل بأن جعله صلى الله عليه وآله وسلم فسى
قفاهم ومن بعدهم .

(وختم به الوحي) اذ هو صلى الله عليه وآله وسلم آخر الأنبياء وخاتم
المرسلين .

(فجاهد فى الله) أى فى سبيله سبحانه (المدبرين عنه) أى الذين أدهروا
عن الله ، وأقبلوا على الأصنام والآثام .

(والعادلين به) أى الذين يجعلون الأوثان عدلا لله تعالى وشركاء له .

(منها :) فى وصف الدنيا (وانما الدنيا منتهى بصر الأعمى) فإن الدنيا
آخر مكان ينظر اليها الشخص الذى اعمى عن الآخرة ، فيظن ان ليس بعد الدنيا

لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئًا ، وَالْبَصِيرُ يَنْفُلُهَا بَصَرُهُ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا .
فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ ، وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ . وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ ،
وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ .

عظة الناس

منها : وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمْلَهُ

شئ .

- (لا يبصر ممّا وراءها) أى وراء الدنيا (شيئا) ويزعم ان لا آخره .
- (والبصير ينفذها بصره) أى ينفذ فى الدنيا ويعبر منها الى الآخرة ، فيرى
- انه وراء الدنيا آخره (ويعلم ان الدار) الحقيقية التى هى دار باقية (وراءها)
- وانها ليست بدار الا مجازا .
- (فالبصير منها) أى من الدنيا (شاخص) أى مسافر ، والمعنى انـه
- كالمسافر يعمل عمل المسافر ، لا عمل القاطن (والأعمى) الذى لا يرى الآخرة
- (اليها) أى الى الدنيا (شاخص) بمعنى شخص ببصره اذا نظربه الى الشئ
- يعنى ان تمام نظره الى الدنيا ، لا ينظر الى الآخرة .
- (والبصير منها) أى من الدنيا (متزود) يأخذ الزاد للآخرة ، لأنه يرى
- ان داره هناك فلا بد ان يتزود لها .
- (والأعمى لها متزود) فانه حيث يزعم ان الدنيا هى داره ، انما يعمل
- لعمارة الدنيا فقط ، فكل ما يحصله من الأشياء انما يحصله لعمارة الدنيا .
- (منها :) فى موعظة الناس .
- (واعلموا انه ليس من شئ) من أمور الدنيا (الا ويكاد صاحبه) أى صاحب
- ذلك الشئ (يشبع منه ويمله) من الملالة بمعنى الضجر ، فان طبع الانسان

إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً. وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمِيَاءِ ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَاءِ ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ ، وَفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ . كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ ،

متطور يألف الجديد ويتنفر من القديم (الا الحياة فانه لا يجد) له اى لنفسه (فى الموت راحة) بل يخاف الموت ولا يمل من الحياة خوفا من ان يبتلى بالموت ، وقد جعل الله هذه الخيفة من الموت ، لمصلحة بالغة ، هى أن يعمل الانسان لما بعد الموت ، فان الانسان اذا خاف من شئ مترقب فكرفى علاج الأمر وما يزل الخوف ، وهذا هو المراد من قوله عليه السلام : (وانما ذلك) الخوف من الموت (بمنزلة الحكمة التى) هى وضع الأشياء مواضعها، اى ان الخوف حكمة (هى حياة للقلب الميت) الذى لا يعرف الآخرة ، فان خوفه يسوقه الى العمل الصالح وما يكره به نفسه عن الأهوال بعد الموت .

(و) ذلك الخوف (بصر للعين العمياء) اى يوجب تبصرها ، لمن لا يرى الآ الدنيا (وسمع للأذن الصماء) فان الخوف يوجب ان يستمع الى المواعظ ليجد ضالته فيها .

(ورى للظمآن) الذى ظمأ الى معرفة ما ينجى من الأهوال ، هذا الخوف رى له اى موجب لربه ، لأنه يسوقه الى التحزى عن الحقيقة ومعرفة أسباب النجاة (وفيها) اى فى تلك الحكمة التى هى الخوف من الموت (الغنى كله) فان الخائف يتزود بما يوجب غناه هناك (والسلامة) فان الخائف يعمل الصالح الموجب لسلامة آخرته .

ثم عطف الامام عليه السلام الى القرآن بقوله : (كتاب الله تبصرون به) الحقائق من الأصول والفروع والأخلاق والقصص .

للامام الشيرازي ٣٠١

وَتَنْطِقُونَ بِهِ ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ، لَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ . قَدْ أَصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغُلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ ، وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمْنِكُمْ .

(و تنطقون به) فان حمله الكتاب ينطقون بالكتاب في أوامرهم وسائر شئون علمهم وعلمهم .

(و تسمعون به) اي تستمعون الى الأشياء بواسطة الكتاب ، فان صدقة الكتاب اخذتم ، والا رفضتم .

(وينطق بعضه ببعض) اي يفسر بعضه بعضا (ويشهد بعضه على بعض) نفى مكان منه الدعوى ، وفي مكان آخر الدليل .

(ولا يختلف) القرآن (في الله) اي في باب بيان الله ، كما يختلف التورات والانجيل الرائجان في أوصافه سبحانه .

(ولا يخالف) القرآن (بصاحبه) الذي أخذ به وعمل بما فيه (عن الله) اي لا يبعده عنه تعالى ، ان القرآن الذي هذا شأنه بينكم ولكم اعرضتم عنه و (قد اصطلحتم) اي تصالح بعضكم مع بعض (على الغل فيما بينكم) اي الخيانة و الحقد فيحقد بعضكم على بعض ، ويخون بعضكم بعضا ، كانه وقع التصالح على ذلك ، ولذا لا ينكر أحد منكم على الآخر غلة وعمله الفاسد .

(و) اصطلحتم على (نبت المرعى على دمنكم) هذا مثال لمن يتصالح في الظاهر ويريد الغدر في الباطن ، المرعى : النبات . و (دمن) : جمع (دمنة) بمعنى المحل القدر ، فان النبات الذي ينبت على المقادير نفسمر لكنه سريع الجفاف ، وكذلك التصالح الذي يقع مع غل القلوب ، فانه في الظاهر جميل ، لكن في الباطن سريع الزوال ، لأن غل القلوب لا يذره يبقى ،

وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْأَمْالِ ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ . لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكُمْ الْخَبِيثُ ، وَتَاهَ بِكُمْ الْغُرُورُ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ .

والمعنى ان صلحكم على الغل من هذا القبيل .

(و تصافيتم) اى صار بينكم الصفا (على حب الآمال) فلكل امل يوقبه ، ولا ينكر عليه غيره ، للتصافى الذى صار بينهم .

(و تعاديتم فى كسب الأموال) فان بعضكم يعادى بعضا حول مال الدنيا ، يريد كل واحد ان يسلب ما فى يدى الآخر ، ويسبق الى المنفعة قبل وصول اخيه اليها .

(لقد استهام بكم الخبيث) اى الشيطان ، والمعنى صار هائما - شديد العشق - بكم حيث راكم لأوامره طيعين (و تاه بكم الغرور) اى ان الغرور اوجب ظلالكم ، من تاه - اذا تحير -

(والله المستعان) الذى يستعان به لانقاذه تعالى المبتلى بيد عدوه (على نفسى وأنفسكم) حتى نتغلب عليها ، ولا تقودنا الى هواها .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم

وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ، وَسِتْرِ الْعَوْرَةِ.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم بنفسه) فقد كان الجيش الاسلامي يحارب في جبهات الشام بقيادة خالد بن الوليد - في زمن أبي بكر - ولما مات وولي عمر الأمر ، عزل خالد - لما بينهما من الأحن - ونصب مكانه أبا عبيدة الجراح ، فضعف الجيش عن المقاومة ، وخرج ملك الروم بنفسه للمحاربة ، فتقوى جانب الكفار لما رأوا ملكهم معهم ، ووصل الخبر إلى ((عمر)) فأراد أن يخرج بنفسه ، فشاور الامام عليه السلام في ذلك - كما كان من عادته مشاوره الامام ، لما يعلم من صواب رأيه عليه السلام ، ولم يكن الامام يخفي عنه النصيحة للاسلام والمسلمين ، فأشار الامام عليه السلام ، عليه بعدم خروجه قائلا :

(وقد توكل الله) أي تحفظ سبحانه (لأهل هذا الدين) أي المسلمين (بإعزاز الحوزة) حوزة كل شيء مجتمعه ، وما يحوزه أي يملكه ، أي أنه سبحانه يعزّجني الاسلام .

(وستر العورة) أي عورة المسلمين وهي محلات النقص فيهم ، يسترها لئلا يراها الأعداء ، فيها جمون منها على المسلمين .

وَالَّذِي نَصَرَهُمْ ، وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ ، وَمَنْعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ ،
حَيٌّ لَا يَمُوتُ .

إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ ، فَتَلْقَهُمْ بِشَخْصِكَ فَتُنَكِّبَ لَا تَكُنْ
لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةً دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ . لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ،

(و) الله سبحانه (الذي نصرهم) أي المسلمين (وهم قليل) في بدء
الاسلام (لا ينتصرون) أي ان من شأنهم ان لا يتغلبوا على الأعداء ، لقلتهم و
كثرة الأعداء (ومنعهم) عن تسلط الأعداء عليهم (وهم قليل لا يمتنعون) أي
ليس فيهم قابلية الامتناع (حي لا يموت) فيقدر ان ينصرهم على الروم ، ومنعهم
عن يأس الكفار ، وبعد بيان هذه المقدمة بين الامام العلة في نهيه عمر عن
الخروج الى الروم - بنفسه - فقال :
(انك متى تسر الى هذا العدو) الذي هو الروم (بنفسك فتلقهم بشخصك)
في ميدان الحرب (فتنكب) أي تغلب بان يغلب الروم عليك - فضا - (لا
تكن للمسلمين كانفة) أي حاصمة وكنف يلجأون اليها (دون أقصى بلادهم) أي
ملجأ يحفظ بلادهم ، كانه حامى لا قاصى بلاد الاسلام كما يقال لا حائط دون
البلد ، أي الامام البلد يحفظه من الأخطار .

(ليس بعدك) اذا نكبت وغلب الروم (مرجع يرجعون اليه) أما اذا
كنت في المدينة ، وكسر جيش الاسلام لا يهولهم الأمر لوجود الحافظ والمرجع .
ولا يخفى ان هذا الكلام لا ينافي رؤية الامام الحق لنفسه ، اذا كان الأمر
دائرا بين ذهاب الاسلام ، او ذهاب حق الامام ، فاختر الثاني ، فانه اذا
ذهب عمر وغلب ، انكسر المسلمون هناك ، وطمع فيهم الأعداء من كل مكان ،
والامام لم يعرف عند جميع المسلمين بكونه مرجعا حتى يكون الأخذ بالزام ، ولعله

للالامام الشيرازى ٣٠٥
 فَأَبْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِخْرَبًا ، وَآخِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةِ ، فَإِنْ أَظْهَرَ
 اللَّهُ فُذَّاكَ مَا تُحِبُّ ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى ، كُنْتَ رِذَاءً لِلنَّاسِ وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ .

كان فى ذلك هلاك الأمة .

ان قلت : ألم يكن يقدر الامام على الحفظ ؟

قلت : النبى والامام يسرون حسب الظروف الظاهرية ، العادية ، والامام
 بلا معين لم يكن يقدر حسب العادة .

(فابعث اليهم رجلا مجربا) اى مارسا للحروب (واحفز) اى ادفع (معه
 اهل البلاء) اى الذين لهم مهارة وتجارب (والنصيحة) الذين ينصحون لله
 والرسول والمسلمين فى الجهاد لا يرودون الا الحق .
 (فان اظهر الله) الأمر بأن كان الغلب للمسلمين (فذاك ما تحب) وقد
 انتهى الأمر بسلام .

(وان تكن الأخرى) بأن انكسر المسلمون (كنت) انت (رذءا) أى ملجاء
 (للناس) المنكسرين (ومثابة) أى مرجعا (للمسلمين) فتشهى الجيش من
 جديد .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان :
أنا أكفيك ، فقال علي عليه السلام للمغيرة :

يَا بَنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ ، وَالشَّجَرَةَ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ ، أَنْتَ
تَكْفِينِي ؟ وَاللَّهِ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ .
أَخْرِجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللَّهِ نَوَاكَ ،

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

(وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان) وكان ذلك حال استسفر الثوار
الامام ليبلغ عثمان رأيهم ويطلب منه الخروج عن المظالم .
(فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان انا اكفيك ، فقال علي عليه السلام
لمغيرة :)

(يا بن اللعين الأبتَر) أبو مغيرة كان من رؤس المنافقين ، والأبتَر كل شيء
انقطع عن الخير ، من بتر بمعنى قطع (والشجرة التي لا أصل لها) لا آباء
كرام (ولا فرع) الى اولاد صالحين (أنت تكفيني) ؟ استفهام انكار (والله
ما أعز الله من أنت ناصره) فان الشخص الذي لا دين له لا ينصر نصره لله فيها
رضى ، حتى يعز منصوره .

(ولا قام من أنت منهضه) اي تنهضه وتقومه ، فان الشخص الجبان لا
يمكن من اقامة انسان .

(اخرج عنا أبعد الله نواك) اي دارك ، او النوى بمعنى البعد، والمعنى

ثُمَّ أَبْلَغْ جَهْدَكَ ، فَلَا أَبْقَى 'اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ !

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في أمر البيعة

لَمْ تَكُنْ بَيِّعْتَكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةٌ ،

ان بعدك يكون كثيرا (ثم ابلغ جهدك) فيما تشاء ان تعمل من التخريب و
الافساد .

(فلا أبقي الله عليك ان ابقيت) يقال ابقيت على فلان ، اذا راعيته ، و
المعنى عدم تمكنه من اى افساد وعمل ، حتى انه اذا اراد الابقاء على الامام عليه
السلام ورعايته ، لم يحتج الامام الى ذلك ، بل يطلب منه ان لا يبقي عليه ، و
يدعوه عليه بأن لا يراءه الله ان اراد رعاية الامام .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في أمر بيعة الناس له

(لم تكن بيعتكم اياي فلتة) الفلتة الأمر الذي يقع فجأة بلا روية ولا استشارة
وهذا اشارة الى ما وصف به عمر بيعة ابي بكر - كما في كتب السنة - قال ان
بيعة ابي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها ومن عاد اليها فاقتلوه ، قال
الشاعر :

قد قال فيها انها لفلتة لا ترجعوا لمثلها البته

وهذا الكلام من الامام اشارة الى وجوب اطاعتهم له ، لأن الأمر لم يكن بلا

اختيار ومشورة حتى يحتجوا بأنهم اضطروا ، فلا حكم لبيعتهم .

وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا. إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ .
 أَيُّهَا النَّاسُ ، أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَآيُمُ اللَّهِ لِلْأَنْصِفِينَ الْمَظْلُومِينَ مِنَ
 ظَالِمِهِ ، وَلَا تُقَوِّدَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ ، حَتَّى أُوْرِدَهُ مِنْهَلِ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا .

(و ليس امرى و امرکم واحدا) ای لنا اتجاہان (انی اریدکم للہ) بآن
 اقیمکم و اقیم امر اللہ فیکم (و انتم تریدوننی لأنفسکم) بآن اعتر دنیاکم و اشبع
 میولکم .

(ایہا الناس أعینونی علی أنفسکم) ای اذا امرت أمرا خلاف میولکم ، فانفذوا
 امری علی أنفسکم و انکانت کارہة لذلك .

(و آیم اللہ) حلف باللہ تعالیٰ (لأنصفن المظلوم من ظالمه) یعنی آخذ
 الحق للمظلوم من ظلمه

(و لا أقودن الظالم بخزامته) ہى خلقه من شعر تجعل فى وتره انف البعير
 لیشد فیہا الزمام فیقاد حیث شاء و هو کناية عن ارغام الظالم (حتى اوردہ منهل
 الحق و انکان کارہا) المنهل محل ورود الماء .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

في شأن طلحة والزبير وفي البيعة له

وَاللَّهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا . وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكُهُمْ فِيهِ ، فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ إِلَّا قَبْلَهُمْ .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

(في معنى طلحة والزبير) كيف بايعا الامام وكيف خرجا عليه .
(واللّه ما أنكروا) طلحة والزبير واتباعهما (على منكر) عملته يهــرون
بذلك خروجهم على .

(ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا) اي عدلا وانصافا بأن ينصفونني (وانهم)
باحتراجهم الباطل : في طلبهم مني دم عثمان (ليطلبون حقا هم تركوه) فان
كان حق عثمان صحيحا ، فلماذا تركوا عثمان حتى قتل بدون اين يفكروا على
القاتلين .

(ودماء هم سفكوه) فانهم كانوا في طليعة المحرضين على قتل عثمان (فان
كنت) فرضا (شريكهم فيه) اي في سفك دم عثمان (فان لهم نصيبهم منه) ولا
وجه لأن يطالب احد القتلة قاتلا آخر بالدية والقود .

(وان كانوا ولوه) اي باشروا سفك دم عثمان (دوني) وكان هذا هو الواقع
حيث ان الامام كان يستسفر بين عثمان والثوار لئلا تقع المشكلة .
(فما الطلبة الا قبلهم) الطلبة ما يطالب به الثار ، ان المطلوب هــدم

وَلَا أَوْلَ عَدْلِهِمْ لِلْحُكْمِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ . إِنْ مَعِيَ لَبِصِيرَتِي مَا لَبِستُ وَلَا لُبِسَ عَلَيَّ . وَلَئِنَّهَا لَلْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ فِيهَا الْحَمَأُ وَالْحُمَةُ ،

عثمان ، هم لا أنا .

(و) بناءً على هذا ف (ان اول عدلهم) اذا ارادوا العدل (للحكم على أنفسهم) ((اللام)) للتأكيد والجملة خبر ((ان)) فاللزام ان يحكموا اولاً على أنفسهم ثم من بعد ذلك ينظرون من كان شريكاً معهم ، والواقع ان طلحة والزبير ومعاوية وعائشة كانوا هم الذين أثاروا الفتنة على عثمان ، ولكنهم لما رأوا ان الامام لا ينزل عند رغبتهم في توليتهم المناصب واعطائهم الأموال اتخذوا دم عثمان ذريعة لوصولهم الى شهواتهم ، لكن القضاء عاكس جميعهم فالأولان قتلوا هدرًا وعائشة ابتليت بمعاوية التي لم تكن تفكر في انه يصبح خليفة ، ومعاوية وان نال الخلافة اياماً ، لكن ايامه كانت ايام قتل واضطرابات مما لم يهناه بالملك ، ثم اورث اللعنة والخزي الى الأبد .

(ان معي لبصيرتي) لم ارفارق بصيرتي وعلمي حتى لا اعلم ما لي مما على (ما لبست) اي اشتبهت (ولا لبس على) بأن يستب قول الناس وعملهم اشتباها في أمرى حتى أشتبه و لا أعلم وجه الحق ، فانا أعلم انى على حق وانهم على باطل .

(وانها) اي هذه الفئة التي تحارب بقيادة طلحة والزبير (للفئة الباغية) التي تبغى وتظلم (فيها الحمأ) اي القريب في النسب من الامام وهو الزبير فقد كان ابن خالة الامام (والحصه) وهى الابرة اللاسعة من العقرب ونحوه ، ويشير بذلك الى زوجة الرسول ، حيث كانت تلدغ ، وقد اخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الامام بخروج هؤلاء عليه ، كما اخبر صلى الله عليه وآله وسلم عائشة بالذات .

وَالشُّبْهَةُ الْمَغْدِفَةُ؛ وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ ، وَقَدْ زَاغَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ ، وَ
أَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ . وَأَيُّمُ اللَّهِ لَا فَرِطَنَ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَاتِحُهُ ، لَا يَصُدُّوْنَ
عَنْهُ بَرِيٌّ ، وَلَا يَعْبُونَ بَعْدَهُ فِي حَسْبِي !

(والشبهة المغدفة) من اغدف بمعنى اظلم ، اى الشبهة التى تظلم وجه الحق ، وتستر على الناس الدوافع الحقيقية لطلب هؤلاء بدم عثمان .
(وان الأمر لواضح) فى ذاته ودوافعه (وقد زاح الباطل) اى زال و ذهب (عن نصابه) اى عن محله (وانقطع لسانه) اى لسان الباطل (عن شغبه) الشغب تهيج الشر ، فقد كان الناس يعرفون دوافع طلحة والزبير و عائشة ومعاوية ، وقد اوضحها الامام فى عدة خطب وكلمات ، حتى لم يكن للمشتبه عذر فى عدم العلم .
(و ايم الله لأفرطن لهم حوضاً أنا ماتيحه) أفرط الحوض بمعنى ملاء حتى فاض ، وفتح الماء بمعنى نزع من البحر او نحوها وأخرجه يعنى املاً لهم حوض المنية الذى انا أخرجت ماء ذلك الحوض وحصلت عليه ، وذلك كناية عن استعدادهم للمحاربة فهو يفتح الماء ويملاء احواضهم :
(لا يصدرون عنه برى) اى لا يتمكنون من الاستفادة من ذلك الحوض فلا يوتون عنه ، بل يفصون بمائه ، وذلك كناية عن عدم استفادتهم مطالبهم من هذا الشغب الذى اثاروه .
(ولا يعبون) العب شرب سريع بلا تنفس (بعده) اى بعد الشرب من هذا الحوض (فى حسي) وهو مجمع الماء فى الأرض اى لا يتمكنون أن يشربوا ماءً بعد شربهم من هذا الحوض ، لأن مائه يهلكهم فلا تبقى لهم حياة ليشربوا من ماء آخر .

منه : فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُودِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا ، تَقُولُونَ : الْبَيْعَةُ
الْبَيْعَةُ ! قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُموها ، وَنَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُموها . اللَّهُمَّ
إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي ، وَنَكَثَا بَيْعَتِي ، وَأَلْبَا النَّاسَ عَلَيَّ ، فَأَحْلُلْ مَا عَقَدَا ،
وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا ، وَأَرْهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَلَا وَعَمَلَا .

(منه) في كيفية بيعه الناس له عليه السلام .

(فأقبلتم) بعد قتل عثمان (إلى إقبال العود) أي مثل إقبال الأنثى من
الضئ والابل ، جمع عائذة (المطافيل) جمع ((مطلق)) بمعنى ذات الطفل
(على أولادها) فكما أن الأم تقبل على أولادها كأنها تستجير بها وتلوذ ، كذلك
كانت الناس تقبل على الإمام للبيعة معه .

(تقولون : البيعة البيعة) منصوب بفعل مقدر أي نريد البيعة (قبضت
كفّي) أي جمعتها لئلا تلامس أيديكم للبيعة (فبسطتموها) وجزيتموها (ونازعتكم
يدي) أريد قبضها وتريدون بسطها (فجاذبتموها) للبيعة ، هكذا كانت
بيعة الناس لي ، ومنهم طلحة والزبير ، ثم نكثا إثارا للدنيا ولشهواتهما .

(اللهم انهما) أي طلحة والزبير (قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي) أي
نقضها (وألبا) أي حرضا (الناس علي) لنكث البيعة والمহারبة (فاحلل ما
عقدا) من الاتفاق ضدّي ، حتى تفسد عقدهما (ولا تحكم لهما ما أبرما) الإبرام

انقل ، أي لا تجعل ما أبرما محكما حتى لا يقبل النقض والنكث .

(وأرهما المساءة) أي السوء (فيما أملا) من النفوذ والسلطة ، فقد كان
أمل طلحة والزبير الخلافة والأمانة (وعلا) من تهئية الجيش وتحريض الناس
وقد استجاب الله دعاء الإمام عليه السلام ، فقتلا شرقتة ولم ينالا ما أرادوا .

وَلَقَدْ اسْتَبْتَهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ ، وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوَقَاعِ ، فَغَمَطَا
النُّعْمَةَ ، وَرَدَّا الْعَافِيَةَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يَوْمِي فِيهَا إِلَى ذِكْرِ الْمَلَا حِم

يُعْطِفُ الْهَوَىٰ عَلَى الْهَدَىٰ ، إِذَا عَطَفُوا الْهَدَىٰ عَلَى الْهَوَىٰ ، وَيُعْطِفُ
الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ .

(ولقد استبتهما) اي طلبت رجوعهما الى البيعة والطاعة ، من ((ثاب))
بمعنى رجع (قبل القتال) فابيا (واستأنييت بهما امام الوقاع) اي طلبت
منهما الاناة والتؤدة قبل وقوع الحرب (فغمطا النعمة) اي جحداها ، والمراد
نعمتي عليهما (وردا العافية) بالسلامة من الحرب الى المحاربة والمقاتلة .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يَوْمِي فِيهَا إِلَى ذِكْرِ الْمَلَا حِم

(يعطف الهوى على الهدى) هذا في احوال الامام المنتظر المهدي عجل
الله تعالى فرجه الذي بشر به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في اخباره متواترة
ذكرها علماء السنة وعلماء الشيعة ، والمعنى ان الامام يحكم بالهدى ويتبرك
الهوى .

(اذا عطفوا) اي سائر الناس (الهدى على الهوى) بأن جعلوا الدين
تبعاً لهواهم ومشتبهات انفسهم (ويعطف) الامام عليه السلام (الرأي على
القرآن) فيرى حسب احكام القرآن ويفتى بها (اذا عطفوا القرآن على الرأي) بأن
اولوا القرآن حسب آرائهم وافكارهم .

منها : حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ ، بِأَدْيَاءٍ نَوَاجِذُهَا ، مَمْلُوءَةٌ
أَخْلَافُهَا ، حُلُوءًا رَضَاعُهَا ، عُلُقَمًا عَاقِبَتُهَا . الْآوِ فِي غَدٍ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لَا
تَعْرِفُونَ - يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَالَهَا عَلَى مَسَاوِيءِ أَعْمَالِهَا ،

(منها) في بيان كيفية استيلاء الامام المنتظر ، وحكمه في البلاد والعباد ،
فانه عليه السلام يأتي ويثور (حتى تقوم الحرب بكم على ساق) كناية عن
اشتدادها ، كالانسان القائم على رجله ، ليتهايئ للأمر (باديا) اي ظاهرا
(نواجذها) جمع ((ناجذ)) وهي أربعة في اقصى الأضراس ، وهذا كناية
عن شدة الاحتدام ، فان الأسد اذا اشتد غضبه ابدى نواجذه .
(مملوءة اخلافها) جمع خلف - بالكسر - بمعنى الضرع ، وهذا كناية
عن كثرة الشر واستعداده للظهور كاستعداد الحليب في الضرع اذا امتلأ .
(حلوا رضاعها) فان الناس يستعدون تلك الحرب لما يروا فيها من سيطرة
الحق (علقا) اي مرا كالعلقم (عاقبتها) بالنسبة الى الظالمين (الا و نسي
غد) والمراد : المستقبل ، وان كان بعيدا ، كما يطلق الأس على الماضي ، و
ان كان قبل دهر .

(وسيأتي غد بما لا تعرفون) جملة معترضة بين الظرف ((في غد)) و
المظروف ((ياخذ)) اتت للتهويل .
(ياخذ الوالى) المراد بالوالى الامام الحجة عليه السلام (من غيرها) اي ان
المتصف بكونه من غير هؤلاء السلاطين ، وكأنه قد سبق ذكر لامرة والولاية
لجماعة من الناس كبنى امية والعباس .
(عمالها على مساوى اعمالها) اي يحاسب العمال الذين تحت نفوذه . و
امرته على سوء تصرفاتهم في البلاد والعباد ، ولا يتركهم هملا يعملون كيف

وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيدًا كَبِيدَهَا ، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْعًا مَقَالِيدَهَا ، فَيُرِيكُمْ
كَيْفَ عَدْلُ السَّيْرَةِ ، وَيُخَيِّي مَيْتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .
منها : كَأَنِّي بِهِ

يشانون كما هي العادة في الحكومات الظالمة حيث لا تهمهم مظالم الناس و ظلم
العمال .

(وتخرج له الأرض أفاليداً) جمع افلاذ . وهو جمع فلذة ، وهي القطعة
الثمينة من المعادن ، كالذهب والماس وغيرها .

(كبدها) جمع كبد شبه بها المعادن المخفية تحت الأرض ، والمراد ان

المعادن والكنوز تظهر للامام الحجة عليه السلام .

(وتلقى) الأرض (اليه) اي الى الامام الحجة عليه السلام (سلماً

مقاليدها) جمع مقاليد ، وهو المفتاح ومفاتيح الأشياء التي هي سبب

للوصول الى غايات مهمه . من فتح البلاد واستخراج الثروات ، وما اشبه

ذلك ، وقوله : ((سلماً)) اي بدون صعوبة كبيرة .

(فيريكم) الامام الحجة (كيف عدل السيرة) اي السيرة العادلة ، او سيرة

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاللام للعهد الذهني (ويحيي ميث الكتاب

والسنة) والمراد بميتهما ما اهل وترك العمل به منهما ، وحياته وواجه و

تنفيذه .

(منها) : اي قطعة من هذه الخطبة (كَأَنِّي بِهِ) لفظة ((كَأَنِّي)) وما

اشبه ، للدلالة على ان الامور واقع ، حتى كان الامام عليه السلام ينظر اليه ، و

الضمير ((به)) . على ما ذكروا عائد الى عبد الملك بن مروان ، الذي ثارت

أطراف البلاد عليه ، فاخذها .

قَدْ نَعَى بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ بِرَأْيَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانِ ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ
الضَّرُوسِ ، وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ . قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ
وَطَاتُهُ ، بَعِيدَ الْجَوْلَةِ ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ .

(قد نعى) أى صوت ، والنعيق هو الصوت الذى له اعوان (بالشام)
فان مركز عبد الملك كان الشام (وفحص برأياته) أى بحث بأعلامه ، وبحثها
كناية عن تركيزها ، لأن العلم يركز بعد حفر الأرض كأنه فحص القطرات لبيضها
(فى ضواحي كوفان) جمع ضاحية وهى الناحية (فعطف) أى عبد الملك
(عليها) أى على تلك الضواحي وأهاليها (عطف الضروس) هى الناقة السيئة
الخلق ، والمراد انتقام عبد الملك من الأهالي ، فانه قد ثار مختار ضد بنى
امية ، ثم ثار ابن الزبير فى مكة وأرسل أخاه مصعبا ، فاستولى مصعب على
العراق ، وقتل المختار ، ثم جاء عبد الملك وقتل مصعبا وانتقم من أهالي
الكوفة وما والها انتقاما شديدا ، وأكثر فيهم القتل .

(وفرش الأرض بالرؤوس) كناية عن كثرة قتله لأهل العراق (قد فغرت) أى
انفتحت (فاغرته) كناية عن فمه ، فإن السبع اذا أراد التهام شئ فتح فاه
للأكل والازدراء .

(وثقلت فى الأرض وطاته) أى قدمه التى توطئ الأرض ، وذلك كناية عن
ثقله على الناس لما كانوا يخافون ويهربون بطشه وقتكه (بعيد الجولة) أى
الحركة كناية عن سيطرته فى الآفاق .

(عظيم الصولة) أى البطش والفتك . يقال صال الأسد اذا وثب على

وَاللّٰهُ لَيُشْرِدَنَّكُمْ فِيْ اطْرَافِ الْاَرْضِ حَتّٰى لَا يَبْقٰى مِنْكُمْ اِلَّا قَلِيْلٌ ، كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ ، فَلَا تَزَالُوْنَ كَذٰلِكَ ، حَتّٰى تَوُوْبَ اِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ اَحْلَامِهَا ! فَالْزُمُوْا السَّنَنَ الْقَائِمَةَ ، وَالْاَثَارَ الْبَيِّنَةَ ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيْبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النَّبُوَّةِ . وَاعْلَمُوْا اَنَّ الشَّيْطَانَ اِنَّمَا يُسْنِيْ لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوْا عَقِبَهُ .

(والله ليشردنكم) يفرقنكم (في اطراف الأرض حتى لا يبقى منكم) معاشر المخاطبين ، والمراد هم وذريتهم ، (الا قليل) ينجو من يده (كالكحل في العين) من القلة واستدارة الأعداء عليهم (فلا تزالون كذلك) في ظلم بنى أمية واضطهادهم (حتى تروبا) أي ترجع (الى العرب عوازب احلامها) أي غائبات عقولها ، فان عوازب جمع عازبة ، بمعنى الغائبة والأحلام جمع حلم بمعنى العقل ، وهل المراد بذلك بنو العباس لأنهم كانوا عربا أصيلا - بخلاف بنى أمية الذين كان أصلهم من روم - أو سلاطين الشيعة ، أو ذلك في زمان الامام المهدي عليه السلام ؟ احتمالات .

(فالزموا) أيها الناس (السنن القائمة) أي الأحكام التي هي جارية بينكم ، ولا تتركوها (والآثار البينة) أي آثار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الواضحة الظاهرة (والعهد القريب) أي عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو قريب من زمانكم (الذي عليه) أي على ذلك العهد (باقى النبوة) والمراد بها الأئمة عليهم السلام ، الذين هم الباقون من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

(واعلموا ان الشيطان انما يسنى) أي يهتئ (لكم طرقه) بالتزيين لكم وحثكم على سيرها (لتتبعوا عقبه) أي عقب الشيطان ، والعقب مؤخر القدم .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

في وقت الشورى

لَمْ يُسْرِعْ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةٍ رَحِمٍ، وَعَائِدَةٍ كَرَمٍ. فَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَعُوا مَنْطِقِي؛ عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانَ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَيْمَةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ، وَ

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

(في وقت الشورى) قال عليه السلام لأهل الشورى - الخمسة - حينما كانوا يريدون انتزاع أمر منه .

(لم يسرع أحد قبلي إلى دعوة الحق) فأتى أول الناس اجابة إلى دعوة الحق ، كما في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث كان أول الناس إيماناً ، واطاعة للرسول في كل أمر (وصلة رحم) فان قبول الاسلام من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان صلة للرحم ، حين قطعها سائر اقارب الرسول .
(وعائدة كرم) أي الكرم العائد على الناس بخير ، فالإضافة من باب إضافة الصفة إلى الموصوف .

(فاسمعوا قولي) حيث علمتم سوابقي واني لا أقصد ولا أعمل إلا الخير
(وعوا) أي ادركوا (منطقي) أي كلامي (عسى) أي لعل - اذا أسرعتم إلى الانتخاب - (ان تروا هذا الأمر) أي انتخاب أحد بلا روية (من بعد هذا اليوم تنتضى) أي تسل وتجر (فيه السيوف) للمقاتلة (وتخان فيه العهود) بين الأمة والولايات (حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة) أي مقتدى لهم (و

شِيعَةُ لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ .

ومن كتاب له عليه السلام

في النهي عن عيب الناس

وَأَمَّا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ أَنْ يَرْحَمُوا
أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ ، وَالْحَاجِزَ
لَهُمْ عَنْهُمْ ،

شِيعَةُ لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ (اى تابعا لأهل الجهل ، وقد كان قال الامام عليه
السلام ، فان عثمان خان عهد اهل الشورى بأن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله ،
بل سار على هواه حتى اجتمع الثوار فقتلوه ، وصار اماما لأهل الضلالة كمعاوية و
من أشبهه ، بينما كان تابعا لأهل الجهل كصهره مروان وسائر اقربائه يتبع
آرائهم في العمل على خلاف الكتاب والسنة .

ومن كتاب له عليه السلام

في النهي عن عيب الناس

(واما ينبغى لأهل العصمة) الذين حفظهم الله وعصمهم عن اقتـسـراف
الآثام ، والمراد الذين لا يعصونه سبحانه ، كالعدول (والمصنوع اليهم في
السلامة) الذين صنع الله اليهم في ان يسلموا من الآثام والسيئات (ان يرحموا
اهل الذنوب والمعصية) بأن يهتموا لاقصائهم عن العاصي ، كما لو قيل ترحم
على المريض كان معناه اعطف عليه وانجّه من المرضي (ويكون الشكر) على ما
انعم الله عليهم بارشادهم الى الطريق وحفظهم عن العصيان .
(هو الغالب عليهم والحاجز لهم) اى المانع لأهل العصمة (عنهم) اى

فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيْرَهُ بِبَلَوَاهُ ! أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ ! وَكَيْفَ يَذُمُّ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ ، مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ . وَإِنَّمَا اللَّهُ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ ، لَجَرَّأَتْهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ !

عن عيب اهل المعصية (فكيف بالعائب الذي عاب أخا) لأنه يعصى ، فهو بعدم شكره وعدم ترحمه ، قد خالف اللازم عليه فكيف اذا زاد على ذلك الاشتغال بالعيب .

(وعيره ببلواه) الذي ابتلى به من العصيان (اما ذكر) هذا الغائب أخاه العاصي (موضع ستر الله عليه) اي اما فعل الله تعالى بهذا الشخص العائب (من ذنوبه) بيان لما ستر ، متعلق به ((ستر)) (مما هو اعظم من الذنب الذي عابه به) فان اهل الصلاح مهما كانوا اتقيا - اذا لم يكونوا معصومين - لا بد وان قد ارتكبوا جرائم هي بالنسبة اليهم ، اعظم من الجرائم التي يرتكبها الفاسق بالنسبة الى أنفسهم (وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله) اي قد عمل مثل ذلك الذنب (فان لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه) الذي يعيب الفاسق به (فقد عصى الله فيما سواه) اي سوى ذلك الذنب (مما هو اعظم منه) وقد مَرَّ وجه كونه اعظم ، ثم بين الامام عليه السلام انه اذا فرض عدم ذنب له سابقا، لكنه الآن آت بالذنب .

(وايم الله لئن لم يكن عصاه) اي عصى الله (في الكبير) لم يكن (عصاه في الصغير) قبل ذلك (لجراته على عيب الناس اكبر) من عيوب الناس فهو اذا عاصى له سبحانه بعيبه للناس .

يَا عَبْدَ اللَّهِ ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ . فَلْيَكْفُفْ مَنْ عِلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ .

(يا عبد الله لا تعجل في عيب أحد بذنبه) اي بسبب ذنبه (فلعله مغفور له) ولا يخفى ان هذا الكلام من الامام عليه السلام انما هو بالنسبة الى الذين لم يخلعوا جلباب الحياء من أمر الله سبحانه بدمهم وعيبيهم ، ليدوقوا هون المعصية ، ويجنب الناس عن اتباعهم والاعتداء بمصلحتهم .
(ولا تأمن على نفسك صغير معصية ، فلعلك معذب عليه) اذ لا يعلم الانسان مورد غضب الله تعالى ، ولذا ورد لا تحقر شيئا من المعاصي فلعل فيها غضب الله .

(فليكف من علم منكم عيب غيره) اي فليحفظ نفسه من ان يعيب احدا (لما يعلم من عيب نفسه) قال الشاعر :

لا تنه عن خلق و تأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

(وليكن الشكر) لله سبحانه على ما وفقه (شاغلا له على معافاته) اي على

ان عافاه (مما ابتلى به غيره) من اصناف المعاصي والآثام .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

فى النهى عن سماع الوقعة وترتيب الأثر عليها ، وفى الفرق بين الحق والباطل
أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ ، فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ
أَقَاوِيلَ الرُّجَالِ . أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي ، وَتُخْطِئُ السَّهَامُ ، وَيُحِيلُ الْكَلَامُ ،
وَبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

فى النهى عن سماع الوقعة وترتيب الأثر عليها ، وفى الفرق بين الحق و
الباطل .

(أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَ (مِنْكُمْ) مَنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ) أَيْ أَنْ لَهُ دِينًا يُوَثِّقُهُ
وَيُقَيِّدُهُ عَنْ اقْتِرَافِ الْآثَامِ وَالْمَعَاصِي (وَسَدَادَ طَرِيقٍ) أَيْ صَحَّةَ طَرِيقَتِهِ وَسِيرَتِهِ
فِي الْأُمُورِ .

(فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرُّجَالِ) أَيْ كَلِمَاتِهِمُ الْبَذِيئَةَ فِيهِ وَرَمِيهِ بِالْجَرَائِمِ
(أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي وَتُخْطِئُ السَّهَامُ) فَكَمَا أَنَّ قَدْ تَخْطِئُ السَّهَامُ فَلَا تَصِيبُ
الْهَدَفَ كَذَلِكَ قَدْ يَخْطِئُ الْكَلَامُ فَلَا يَكُونُ الْعَرْمَى بِالْكَلَامِ السَّيِّئِ مُقْتَرَفًا لِمَا رَمَى بِهِ ، مَثَلًا
يُقَالُ فَلَانُ لَيْسَ بِأَمِينٍ ، وَالْحَالُ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مُخَالَفٌ لِلْوَقَاعِ ، بَلْ هُوَ أَمِينٌ فِي
الْأُمُورِ ، وَهَكَذَا .

(وَيُحِيلُ الْكَلَامُ) أَيْ يَتَغَيَّرُ عَنْ وَجْهِ الْحَقِّ (وَبَاطِلُ ذَلِكَ) الْكَلَامُ أَيْ
الْمَكْذُوبُ مِنْهُ (يَبُورُ) أَيْ يَهْلِكُ وَلَا يَشْتَرِي عُنَى أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْوَقِيعَةُ مَكْذُوبَةً
تَهْلِكُ وَتَفْسُدُ بَلَا أَنْ يَضُرَّ الْعَرْمَى شَيْئًا (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لِلْقَدَفِ (وَشَهِيدٌ) يَشْهَدُ

أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ .

فَسئل ، عليه السلام ، عن معنى قوله هذا ، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال :

الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ !

على ذلك وهذا كالتهديد لمن يرمى القول جزافا .

(اما انه ليس بين الحق والباطل الا أربع أصابع) ((فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا ؟)) ((فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال)) :

(الباطل أن تقول سمعت ، والحق أن تقول رأيت) والمراد بذلك ان مسموعات الانسان يختلط فيها الحق بالباطل ، فمن الباطل ان يحكم الانسان بكل شئ سمع ، وذلك بخلاف ما يراه الانسان فانه حق لا شبهة فيه ، قالوا : وهاتان القضيتان مهمتان ، اذ لا سور لهما ، ولذا جاز ان يكون من المسموع حقًا وهو ما اجتمع فيه شرائط الحجية ، ومن المرئي باطلا وهو الذي يسدرك بالبصر خلاف واقعه لعله ، كالماء المتراكم الذي يرى اسود والجسم البعيد الذي يرى صغيرا والخطان المتقاربان اللذان يرى اتصالهما بعد مسافة وهكذا .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

المعروف في غير أهله

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ . مِنْ الْحَظِّ
فِيمَا أَتَى إِلَّا مَحْمَدَةُ اللَّثَامِ ، وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ ، وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ ، مَا دَامَ
مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ : مَا أَجُودَ يَدُهُ ! وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ !
فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ ،

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في مواضع المعروف ، وأنه ما قد تكون عند أهله ، وقد تكون عند غير
أهله .

(وليس لواضع المعروف في غير حقه وعند غير أهله) كمن يطلق كلبا عقورا ،
فإن الإطلاق لغير حق ، وهو ليس بأهل للإطلاق - واللفظتان : في غير ..
وعند غير .. متقاربتا المعنى - .

(من الحظ فيما أتى) وعمل من فعل المعروف ، و (من) متعلق بـ
(ليس) (الآ محمدة اللثام) فإن اللثام هم الذين يحدون عمله (و ثناء
الأشرار) فإنهم يشنون عليه ويمدحونه (ومقالة الجهال) فإن الجهال يقولون
فيه القول الحسن (ما دام منعمًا عليهم) فإن الثناء منهم له ما دامت نعمته
قائلين (ما أجود يده) أو أنها جملة مستأنفة ، أي أنه جواد (و) لكن (هو
عن ذات الله) أي البذل في سبيله وحسب أوامره (بخيل) لا يبذل شيئا .
(فمن آتاه الله) أي أعطاه سبحانه (ما لا فليصل به القرابة) بأن يبذل على

وَلِيُحْسِنَ مِنْهُ الضِّيَافَةَ ، وَلِيُفُكَّ بِهِ الْأَمِيرَ وَالْعَانِي ، وَلِيُعْطِيَ مِنْهُ الْفَقِيرَ
وَالْغَارِمَ ، وَلِيُصْبِرَ نَفْسَهُ عَلَى الْحَقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ، ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ ؛ فَإِنَّ فَوْزاً
بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا ، وَدَرَكُ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ذوى قرباء (وليحسن منه) أى من ذلك المال (الضيافة) بأن يضيف الناس
ضيافة حسنة ، لا أن يضيف الأثرياء واهل المعصية أو ما أشبه (وليفك به)
الأسير (فى أيدي الظالمين) يفديه بماله ليخلصه من شرهم (والعانى) الذى
عناه وقصده بحاجته (وليعط منه) أى من ذلك المال (الفقير والغارم) أى
المديون فى غير معصية الله سبحانه (وليصبر نفسه على الحقوق) أى وحقوق الله
الناس عليه ، بادائها اليهم كالخمس والزكاة والصدقات .
(والنوائب) جمع نائبة وهى المعصية فإن للمال والاعطاء فى سبيل الصالح
العام تبعات وضعوبات ، وذلك (ابتغاء الثواب) أى طلب الأجر من الله
سبحانه ، لا لأجل الرياء والسمعة (فان فوزاً) يفوزه الانسان (ب) سبب
(هذه الخصال) التى ذكرت ، وانما نكر ((فوزاً)) للتعظيم نحو : ((ربنا
آتانا فى الدنيا حسنة .

(شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة) فقد حاز المنفق ماله فى هذه
السبيل لشرف الدنيا وسعادة الآخرة (انشاء الله) تعالى .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الاستسقاء

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقْلِكُمْ ، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظْلِكُمْ ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمُ ،
وَمَا أَصْبَحْتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتَيْهِمَا تَوْجَعًا لَكُمْ ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمُ ،
وَلَا لَخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمُ ، وَلَكِنْ أَمْرَتَا بِمَنَافِعِكُمُ فَاطَاعَتَا ، وَأَقِيمْنَا عَلَى
حُلُودِ مَصَالِحِكُمُ فَقَامَتَا إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ
الثَّمَرَاتِ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الاستسقاء

(ألا وإن الأرض التي تقلكم) أي تحملكم (والسما التي تظلكم) تشبيهه
للسماء بالسقف الذي يظل الإنسان من الحر والبرد (مطيعتان لربكم) كما قال
سبحانه : ((فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا اتينا طائعين)) .
(وما أصبحتا تجودان لكم ببركتيهما) من المطر والنبات وما أشبه (توجعا
لكم) أي تألما لفقركم ، كما يتألم الإنسان لإنسان فقير .
(ولا زلفة إليكم) أي لأجل أنهما تهودان الاقتراب والتحبب إليكم (ولا لخير
ترجوانه منكم) فهما غنيان عنكم .

(ولكن أمرتا بمنافعكم) أمرهما الله سبحانه بأن تنفعكما (فاطاعتا وأقيمتا)
أي أقامهما الله سبحانه (على حدود مصالحكم فقامتا) بأمر الله سبحانه (إن الله
يبتلي عباده عند الأعمال السيئة) أي إذا عملوا السيئات (بنقص الثمرات) لتحمل

وَحَبَسَ الْبَرَكَاتِ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ،
وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِغْفَارَ سَبَبًا
لِدُرُورِ الرُّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: «أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ
غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ». فَرَحِمَ
اللَّهُ أَمْرًا أَسْتَقْبِلَ تَوْبَتَهُ،

الاشجار ثمار اقل مما كانت تحمل سابقا .

(وحبس البركات) جمع بركة وهي النمو والزيادة فنتاج الحيوان والأرض

وما اشبه يكون اقل .

(واغلاق خزائن الخيرات) فالخير الذي كان يأتي سابقا ، من الانسان

لأخيه ، او من السماء او من الأرض ، تغلق ابوابه (ليتوب تائب) فان التأديب
موجب لليقظه والتوبة .

(ويقلع مقلع) اي ينتهي عن الشيء من اراد الانتها (ويتذكر متذكر) اي

من له قابلية التذكر والانزجار بواسطة التأديب (ويزدجر مزدجر) اي ينزجر عن
المعصية من اراد الانزجار .

(وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سببا لدور الرزق) اي دوره ونزوله كدور

الحليب (ورحمة الخلق) عطف على ((دور))

(فقال) تعالى في القرآن الحكيم : (استغفروا ربكم انه كان غفارا) كثير

المغفرة للذنوب (يرسل السماء عليكم مدرارا) اي هاطلا بالأمطار (ويمددكم
بأموال وبنين) بأن يكثر أموالكم وأولادكم ، كل ذلك بسبب الاستغفار .

(فرحم الله أمرا استقبل توبته) كما يستقبل الانسان أصدقائه وأقربائه ، و

المراد تاب في مستقبل عمره وجهله ((رحم الله)) ماض ، لكنه بمعنى الدعاء و

وَأَسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ ! اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ
الْأُتَارِ وَالْأَكْنَانِ ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ ،
وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ . اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا
غَيْثَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسُّنِينِ ، « وَلَا تُؤَاخِذْنَا
بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا » ؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ

• الانشاء

(واستقال خطيئته) أى طلب منه سبحانه ان يقبله ويغفر ذنبه كأنه لم
يذنب (وبادر منيته) أى موت بأن عمل قبل أن يموت .
(اللهم انا خرجنا اليك) فى الصحراء - على ما يقتضى العادة من كون
الاستسقاء فى الصحراء (من تحت الأستار) كالمخدّرات التى خرجن من تحت
الستر (والأكنان) جمع كن ، وهو البيت (وبعد عجيج البهائم) أى صوتها
من العطش (والولدان) أى عجيج الأولاد الصغار من العطش .
فى حال كوننا (راغبين فى رحمتك) بانزال المطر ودرّ الخير (وراغبين
فضل نعمتك) بأن تتفضل علينا من نعمتك (وخائفين من عذابك ونقمتك)
النقمة ضد الرحمة .

(اللهم فاسقنا غيثك) أى المطر النازل من عندك (ولا تجعلنا من
القانطين) أى الآيسين من رحمة الله (ولا تهلكنا بالسنين) جمع سنة بمعنى
القحط والجذب (ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا) من المعاصى ، فان
المعاصى سفیه وان ظهر فى كمال العقل (يا أرحم الراحمين) فان رحمته سبحانه
اكثر كما وكيفا من كل رحمة .

(اللهم انا خرجنا اليك) أى خرجنا لنطلب لطفك واحسانك ، فانسه

نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، حِينَ الْجَائِنَا الْمَضَائِقُ الْوَعْرَةُ وَأَجَاءَتْنَا
الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ، وَأَعَيْتَنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ، وَتَلَاخَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ
الْمُسْتَضْعِبَةُ اللَّهُمَّ إِنَّا زَعَمْنَا أَنَّكَ لَا تَرُدُّنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْلِبُنَا وَاجِبِينَ .
وَلَا تُخَاطِبُنَا بِذُنُوبِنَا ، وَلَا تُقَاسِنَا بِأَعْمَالِنَا . اللَّهُمَّ أَنْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ
وَبَرَكَّتَكَ ، وَرَزَقَكَ وَرَحِمَتَكَ ؛

سبحانه منزله عن المكان .

(نشكو اليك ما لا يخفى عليك) من عدم الأمطار ، والقحط ، و شح
المياه ، وقلة الأرزاق (حين الجائنا المضايق الوعرة) جمع مضيق ، و هو
المحل الضيق الذي يصعب للانسان الكون فيه ، والوعرة بمعنى الخشنونة
الشديدة ، يقال أرض وعرة أى غير مستوية .
(واجائتنا) بمعنى جائت بنا (المقاحط) جمع مقحط ، بمعنى القحط
(المجدبة) من اجذب مقابل اخصب (واعيتنا) أى اعجزتنا (المطالبـ
المتعسرة) أى مطالبنا التى تعسرت علينا (وتلاخمت) أى اجتمعت حتى
صارت وصلة كاللحم (علينا الفتن المستضعبة) فان القحط يوجب الفتنة لاشاعته
للرهب والفوضى .

(اللهم انا نسألك ان لا تردنا خائبين) الخائب الذى لم يحصل على
مطلبه (ولا تقلبنا) أى لا ترجعنا الى أهلنا (واجمين) الواجم هو الحزين
الكاسف البال الذى اسكنه الحزن عن التكلم .

(ولا تخاطبنا بذنوبنا) بأن تسمينا عندك مذنبين ، فلا ترضا (ولا تقايسنا
بأعمالنا) أى لا تجعل فعلك بنا مناسبا لأعمالنا (اللهم انشر علينا غيثك) الغيث
المطر (وبركتك) أى نماء فى الثمر وما اشبه (ورزقك ورحمتك) الرحمة اعم

وَأَسْقِنَا سُقِيًّا نَافِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً ، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ ، نَافِعَةً الْحَيَا ، كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى ، تُرْوِي بِهَا الْقِيْعَانَ ، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ ، وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ ، وَتُرَخِّصُ الْأَسْعَارَ ، « إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ » .

من الرزق (واسقنا سقيا) أى مطرا (نافعة) للبلاد والعباد (مروية) أى تروى من الظماء والعطش (معشبة) تنبت العشب والكلاء (تنبت بهما ما قد فات) فلم ينبت بسبب القحط (وتحى بها ما قد مات) من الأشجار ، فإن أصل الشجر يبقى حيا بينما يموت الشجر ، فإذا وصل إليه الماء حى من جديد .
(نافعة الحيا) أى المطر والخصب (كثيرة المجتنى) أى الثمر الذى يجتنى ويقتطف (تروى بها القيعان) جمع قاع وهى الأرض السهلة (وتسيل البطنان) جمع بطن ، وهو المنخفض من الأرض (وتستورق الأشجار) أى تخرج ورقها (وترخص الأسعار) فإن الرزق إذا كثر رخص وذهب الغلاء (انك على ما تشاء قدير) فتقدر على أن تعمل كل ما طلبنا منك .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في بعثه الرسل ، وفضل اهل البيت ، وأحوال اهل الضلال
بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى
خَلْقِهِ ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِشِرْكِ الْأَعْذَارِ إِلَيْهِمْ ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ
الصُّدُقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ . أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً ، لَا أَنَّهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في بعثه الرسل ، وفضل اهل البيت ، وأحوال اهل الضلال .
(بعث الله رسله بما خصهم به من وحيه) فان الوحي خاص بالرسول لا
يشركهم فيه أحد (وجعلهم حجة له على خلقه) يحتج يوم القيامة بالرسول على
العصاة ، يقول لهم : ألا بلغ الرسل ، فلماذا عطلتم بالمعاصي والآثام (لئلا
تجب الحجة لهم) اي للناس (ب) سبب (ترك الأعذار) من الله (اليهم)
فيقول اهل المعاصي : يا رب لم نكن نعرف ما يجب علينا ، فارتكبنا للمعاصي
لم يكن تقصيرا منا .
(فدعاهم) الله سبحانه (بلسان الصدق) فان الرسل كانوا صادقين في
كلماتهم (الى سبيل الحق) الذي هو مطابق للواقع لا خلاف فيه .
(ألا ان الله قد كشف الخلق كشفاً) اي اطلع عليهم ، وذلك تشبيه بمن
يكشف السر ، ويستبطن الأمر ليطلع عليه .
ثم بين عليه السلام ان الكشف لم يكن لجهله سبحانه ، بل لاختبارهم (لانه)

جَهْلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونٍ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونٍ ضَمَائِرِهِمْ ، « وَلَكِنْ لِيَبْلُوهُمْ :
 أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » ، فَيَكُونُ الثَّوَابُ جَزَاءً ، وَالْعِقَابُ بَوَاءً .
 أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا ، كَذِبًا وَبَغْيًا
 عَلَيْنَا ، أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ .
 بِنَا يُسْتَعْطَى الْهَدَى ،

تعالى (جهل ما أخفوه) أي الناس (من مصون أسرارهم ومكنون ضمائرهم) جمع
 ضمير وهو باطن الانسان وسره (ولكن) كان الكشف (ليبلوهم) أي يختبرهم
 (أيهم أحسن عملا) والمراد أيهم يعمل حسنا وأيهم يعمل سيئا (فيكون
 الثواب جزاءً) أي لثلا يكون الثواب جزاءً يعطى لمن لا يستحق (والعقاب
 بواءً) من باء إذا رجع ، أي جزاء لما عملوا من المعاصي ، أو من باء فسلان
 بقلان ، أي قتل به ، فيكون العقاب كالقصاص .

(أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم) أي الثابتون فيه ، فان العالم
 القوي يكون راسخا ، غير مردد في الأمور ، بخلاف غيره فانه يتردد في الأمور ،
 فيظن أو يشك ويرجح بالمرجحات (دوننا) أي لسنا نحن الراسخين و انما هم
 الراسخون فقد كان في أصحاب الرسول من يزعم انه أعلم من أهل البيت ، أو اقرب
 أو أقضى أو ما أشبه .

(كذبا) كان زعمهم (وبغيا علينا) أي حسدا وذلك لأنه (ان رفعنا
 الله ووضعهم) قال سبحانه : ((أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من
 فضله ؟)) .

(وأعطانا) العلم (وحرّمهم ، وأدخلنا) في لطفه ورحمته (وأخرجهم)
 أي لم يعطهم ولم يشعلهم بلطفه (بنا يستعطى الهدى) أي يطلب الناس أخذ

وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى . إِنَّ الْأُئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ ،
لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ .
منها : آثَرُوا عَاجِلًا وَأَخَّرُوا آجِلًا ، وَتَرَكَوْا صَافِيًا ، وَشَرَبُوا آجِنًا كَأَنِّي
أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلْفَهُ ، وَبَسَى بِهِ وَوَافَقَهُ ، حَتَّى
شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزِيدًا كَالْتِّيَارِ

الهدى (ويستجلى العمى) أى يطلب انجلاء الجهل (ان الأئمة من قريش
غرسوا في هذا البطن من هاشم) أى البطن الطالبي العلوى (لا تصلح) الامامة
(على سواهم) من سائر الناس وسائر بطون قريش (ولا تصلح الولاة) خلفاء
الرسول (من غيرهم) .

(منها) : أى بعض تلك الخطبة (آثروا عاجلا) أى ان بعض الناس
اختاروا الدنيا العاجلة (واخروا آجلا) ولم يعتنوا بالآخرة المستقبلة فلم يعملوا
لها (وتركوا صافيا) فإن الآخرة مصفاة من الأكدار (وشربوا آجنا) الماء
الآجن المتغير لونه وطعمه والعراد لذائد الدنيا المشوبة بالكدورات (كأنى أنظر
الى فاسقهم) أى فاسق الناس ، أو فاسق معين ، كملوك بنى أمية ومن أشبههم
(وقد صحب المنكر فالفه) كما يالف الصديق الصديق (وبسئ به) أى فرح به
(ووافقه) أى وافق الفسق (حتى شابت عليه مفارقة) جمع مفروق ، وهو أم
رأسه (وصبغت به) أى بالمنكر (خلائقه) جمع خليفة ، ملكة الانسان ، أى ان
ملكاته النفسية تلونت بلون المنكر (ثم أقبل) على الناس (مزيدا) يخرج الزيد
من فيه ، بيان لحاله في سورة غضبه (كالتيار) وهو الشلال من الماء ونحوه ،
الذى يجرى بشدة فيوجب الأمواج والتلاطم .

لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ ، أَوْ كَوَّعَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَخْفِلُ مَا حَرَّقَ !
 أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَضِيحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى ، وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ
 التَّقْوَى ! أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وَهَبَتْ لِلَّهِ ، وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ! أَزْدَحَمُوا
 عَلَى الْحُطَامِ ، وَتَشَاحَّوْا عَلَى الْحَرَامِ ، وَرَفَعَ لَهُمْ عِلْمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ،

(لا يبالي ما غرق) لكونه كالسكران من المعصية (او كوقع النار في الهشيم)
 اي الحطام اليابس ، الذي يتهشم ويتكسر بسهولة (لا يحفل) اي لا يبالي (ما
 حرق) وهكذا يكون أهل المعصية ، اما أهل الدين فانهم يراقبون كل حركاتهم
 وسكناتهم حتى لا يصدر منهم ما فيه لله سبحانه نهي .

(أين العقول المستضيحة بمصابيح الهدى) أي صاحب معها مصابيح الهدى ،
 التي هي أحكام الله سبحانه ، فسار في ضوئها الى موضع السعادة .

(و) أين (الأبصار اللامحة) اي الناطرة (الى منار التقوى) كالرسول
 صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرين ، حيث تشع منهم التقوى .

(أين القلوب التي وهبت لله) فلم تفكر ولم تأمر الا في الله وفيما لله فيه
 رضى (وعوقدت) عقدتها أصحابها (على طاعة الله) حتى لا تتحرك الا للطاعة

(ازدحموا) أي الناس (على الحطام) أي حطام الدنيا ، وهو ما يابس
 من النبات حتى اذا صادفها اقل قوة تكسرت وتلاشت - وقد شبهت الدنيا

بذلك ، لأنها مثله في الفناء والذهاب - (وتشاحَّوا) أي تضاربوا (على
 الحرام) أي على اقتناء كل واحد منهم المحرمات والتلذذ بها (ورفع لهم علم

الجنة والنار) أراد عليه السلام بعلم الجنة الأحكام المؤدية اليها و يعلم النار
 المحرمات المنتهية اليها ، ومعنى (رفع) ظهر كما تظهر اعلام الطريق

للمارة .

فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وَجُوهَهُمْ ، وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ ؛ دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ
فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا ، وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا !

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَظِلُ فِيهِ الْمَنَآيَا ،
مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَضَصٌ !

(فصرفوا عن الجنة وجوههم) اى اعرضوا عنها فلم يعملوا بما يؤدى اليها (و
اقبلوا الى النار) سبب (أعمالهم) المؤدية اليها (دعاهم ربهم فنفروا و
ولوا) هاربين عن دعوته (ودعاهم الشيطان) الى المعاصي . (فاستجابوا و
اقبلوا) يتمثلون أوامره وينفذون أحكامه .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي فَنَاءِ الدُّنْيَا ، وَذَمِّ الْبِدْعَةِ

(أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ) الغرض الهدف الذى يرمى
بالسهم (تنتظر فيه المنايا) جمع منية ، وهى الموت ، و تنتظر بمعنى
تترامى اليه ، فان سهام الموت تقصد الانسان وتتوجه نحوه (مع كل جرعة)
يتجرعها الانسان من الماء ونحوه (شرق) هو الماء يذهب فى مجرى التنفس ،
واحيانا يسبب هلاك الانسان ، وكونه مع كل جرعة بمعنى ان كل جرعة معرض
لذلك (وفى كل اكلة غصص) هو اللقمة لا يتمكن الانسان من ازديادها ، وربما
سببت الهلاك .

لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى ، وَلَا يُعَمَّرُ مَعْمَرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا يَهْدِمَ آخَرٌ مِنْ أَجَلِهِ ، وَلَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ ، وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ ، إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ ، وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ جَدِيدٌ ، وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَخْصُودَةٌ . وَقَدْ مَضَتْ أَصُولُ نَحْنُ فُرُوعُهَا ، فَمَا

(لا تنالون منها نعمة الا بفراق أخرى) فمثلا نعمة النضج الفكري تتوقف على فقد الشباب ، و نعمة الزوجة لا تنال الا بقصد الفراغ ، و نعمة الثروة لا تكون الا بقصد الراحة ، وهكذا .
(ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا يهدم آخر من أجله) فكل يوم يعمره الانسان ، انما يكون قد هدمه و أزاله عن مدته المقررة كونه في الدنيا .
(ولا تجدد له زيادة في أكله الا بنفاذ ما قبلها) أى ما قبل تلك الزيادة (من رزقه) فمثلا قد ران يصل الى الانسان في يوم السبت دينار ، و في يوم الأحد ديناران ، فان وصول الدينارين ، انما هو بعد نفاذ الدينار الأولى ، أى بعد وصوله اليه و عدم ترقبه .

(ولا يحيا له أثر الا مات له أثر) فان الأثر الذى يؤثره الانسان فى الماء و الهواء و الأرض و ما أشبه يأخذ فى الزوال - بمقتضى ان العالم كون و فساد - فكل وقت جديد ، يأتى فيه أثر جديد ، يذهب الأثر القديم .
(ولا يتجدد له جديد الا بعد أن يخلق له جديد) يخلق أى يبلى ، فان الدنيا دار بلى (ولا تقوم له نابتة) أى الشجرة التى تنبت (الا و تسقط منه) أى من ملك هذا الانسان (محصوله) أى ثمرة قد حصدت (وقد مضت أصول) من أجدادنا و آبائنا (نحن فروعها) فان الأولاد كالفرع بالنسبة الى الآباء (فما

بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ !

منها : وَمَا أُحْدِثْتُ بِدْعَةً إِلَّا تَرَكْتُ بِهَا سُنَّةً . فَاتَّقُوا الْبِدْعَ ، وَالْزَمُوا الْمَسْهِيحَ . إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا ، وَإِنَّ مُحْدَثَاتِهَا شَرَّارُهَا

بقاء فرع بعد ذهاب أصله (بمعنى انه لا بقاء له .

(منها) أى من تلك الخطبة ، فى ذم البدعة (وما احدثت بدعة) و هى التى يؤتى بها بعنوان انه من الاسلام . وليس من الاسلام ، بأن لم يدل على جوازه دليل عام أو خاص ، كصلاة التراويح وما أشبه ، اما ما يؤتى به لا بعنوان انه من الاسلام ، وان لم يكن فى زمن الرسول ، كركوب الطائرة ، أو بعنوان أنه من الاسلام حيث دلّ عليه دليل عام ، وان لم يدل دليل خاص كبناء المدارس الدينية وما أشبه ، فليست بدعة .

(الآ ترك بها سنة) فان البدعة إنما توضع فى مكان السنة ، فمثلا سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عدم صلاة التراويح ، فالتيان بها موجب لترك السنة هى ضدها ، وهكذا .

(فاتقوا البدع والزموا المسهيح) هو الطريق الواضح ، والمراد طريق الاسلام (إن عوازم الأمور أفضلها) جمع (عوزم) كجعفر بمعنى المتقادم ، أى الأمور التى كانت فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وجاء بها الدليل - مقابل البدعة التى هى شئ جديد - .

(وإن محدثاتها) أى ما يحدث ويبدع من الأمور (شرارها) الشر كل شئ يأتى منه الشقاء والعناء فان البدع توجب خسران الدنيا والآخرة .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا قِلَّةٍ. وَهُوَ دِينُ اللَّهِ
الَّذِي أَظْهَرَهُ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ، وَطَلَعَ حَيْثُ
طَلَعَ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ، وَنَاصِرُ جُنْدِهِ.

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص) أى الذهاب والسفر (لقتال
الفرس بنفسه) وكان عمر خاف من انهزام المسلمين ، وزعم انه لو كان معهم ،
كان أقرب الى النصر ، فأشار اليه الامام بالعدم وفى بعض التواريخ ان الامام
بعث بالامام الحسن عليه السلام مع الجيش ، وانه ذهب الى ان فتح ودخل
اصفهان وصلى فى مسجد هناك .

(ان هذا الأمر) أى الفتح (لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة) من
باب اللف والنشر المرتب (وهو) أى الاسلام (دين الله الذى أظهره) من
الغيب للناس (وجنده) الظاهر أن المراد كون المسلمين - المفهوم من -
الكلام - (الذى اعده وامده) أى هيئته وجعل له مدداً (حتى بلغ ما بلغ)
أى المقدار الذى بلغ من السعة والقدرة .

(وطلع حيث طلع) أى ظهر فى الأماكن (ونحن على) أمر (موعود من
الله) حيث قال سبحانه : ((وينصرون الله من ينصره)) .

(والله منجز وعده) أى لا يخلفه (وناصر جنده) الذين هم المسلمون

وَمَكَانُ الْقِيَمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النَّظَامِ مِنَ الْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ: فَإِنْ انْقَطَعَ
النَّظَامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحِذَائِهِ أَبَدًا . . . وَالْعَرَبُ
الْيَوْمَ ، وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا ، فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ ، وَعَزِيزُونَ بِالْاجْتِمَاعِ !
فَكُنْ قُطْبًا ، وَاسْتَدِرِ الرِّحَابَ بِالْعَرَبِ ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ
إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا .

المجاهدون في سبيله (ومكان القيم بالأمر) أى الخليفة القائم بأمر المسلمين
(مكان النظام) أى السلك (من الخرز) اسم جنس وهو ما تنظم في سلك ،
كحبة السبحة ونحوها .

(يجمعه ويضمه) أى يجمع السلك الخرز ، ويضم بعضها إلى بعض (فان انقطع
النظام) أى السلك (تفرق) الخرز (وذهب) بددا .
(ثم لم يجتمع بحذائيره) أى بتمامه (أبدا) فان السعادة اذا ذهبت
هيئات أن ترجع (والعرب اليوم وان كانوا قليلا) بالعدد (فهم كثيرون
بالاسلام) فان الاسلام قد أوجد فيهم طاقة هائلة ، وأورث لهم هبة كبيرة .
(وعزيزون بالاجتماع) لأن كلمتهم واحدة تحت لواء الاسلام (فكن) باقيا
في المدينة (قطبا) لهم (واستدر الرحا) أى أدرها (بالعرب) فهم
الذين يذهبون ويفتحون ، كما تدور الرحى على القطب لتحطيم الحبات وطحنها
(وأصلهم) أى العرب (- دونك - نار الحرب) والاصلاء يصل الشئ
الى النار (فانك ان شخست) أى ذهبت وسافرت (من هذه الأرض) وهى
المدينة (انتقضت عليك العرب من أطرافها) فانهم جددو عهد بالاسلام و
مستعدون للارتداد (وأقطارها) جمع قطر ، بمعنى الناحية .

حَتَّىٰ يَكُونَ مَا تَدْعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ .
 إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِن يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا : هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ ، فَإِذَا
 اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرْحْتُمْ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ ، وَطَمَعِهِمْ فِيكَ .
 فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ
 أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ .

(حتى يكون ما تدع وراءك من العورات) الجبهات التي تفتح ضد الاسلام
 والعورة هي المكان الذي يخشى منه ان اغفل منه (اهم اليك مما بين يديك)
 أي الفرس . فالانسان اذا تحطم داخله كان أشد عليه . مما اذا لم يكن له قوة
 في الخارج .

(ان الأعاجم ان ينظروا اليك غدا يقولوا هذا أصل العرب) الذين يحاربونا
 (فاذا اقتطعتموه) أي قتلتموه (استرحتم) مؤنة هجومهم من جديد وفتحهم
 لبلادنا (فيكون ذلك) الذي يسبب جرئة الأعاجم (أشد لكلبهم) أي ضراوتهم
 وشدتهم (عليك وطمعهم فيك) فيكون رواحك بنفسك سببا لتشدد الأمر على
 المسلمين ، وضعف جانب الداخل منهم ، ولذا فالمشورة أن لا تذهب .
 أقول : لقد تقدم وجه عدم اجازة الامام عليه السلام له في المسير - في كلام له
 عليه السلام حول عدم خروجه الى حرب الروم - .

(فاما ما ذكرت من مسير القوم الى قتال المسلمين) فقد ذكر عمر للامام انه
 سمع ان الفرس قد قصدوا المسير الى المسلمين وقصدهم لذلك دليل قوتهم وانما
 اكروه ان يغزونا قبل ان نغزوهم . فأجاب الامام بهذا الجواب ثم بين السبب في
 ردعه . وان قصدوا ذلك بقوله : (فان الله سبحانه هو اكروه لمسيرهم منك) لأن
 الله تعالى اكثر حبا للاسلام من كل أحد (و هو أقدر على تغيير ما يكره) بان يستثنى

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيهَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ ، وَ
إِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ !

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ
عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ ،

عزيمهم ويلقى الرعب فى قلوبهم فلا يتمكنون من السير .

(واما ما ذكرت من عددهم) وانهم عدد هائل وعدد المسلمين قلة (فانا
لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة) بلنا اكثر عددا من الأعداء (وانما كنا نقاتل
بالنصر) من الله سبحانه (والمعونة) اى اعانته ، وقد كان قال الامام عليه
السلام : فانتصر المسلمون ، وظهر خلل رأى عثمان ، حيث أشار بخروج عمر .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وفيهما بيان علة البعثة ، و فضل القرآن ، والناس فى المستقبل ، وعظمة
الناس .

(فبعث الله) سبحانه (محمدا صلى الله عليه وآله بالحق) اى ارسالا
بالحق لا ارسالا بالباطل ، كما يرسل الجبابرة الولاة .

(ليخرج عباده من عبادة الأوثان) أى الأصنام (الى عبادته) تعالى (ومن
طاعة الشيطان الى طاعته) فان العصاة يطيعون الشيطان اذ هو الأمر بالعصيان

بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ ، وَلِيُقَرُّوا بِهِ إِذْ جَاحَلُوهُ ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ . فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَخَوْفَهُمْ مِنْ سَطَوَاتِهِ ، وَكَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمَثَلَاتِ . وَاحْتَصَدَ مَنْ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ !

(بقرآن) أى مع قرآن (قد بينه) الله سبحانه (وأحكمه) فان احكامه متقنة لا خلل فيها ولا نقص (ليعلم) أى يعرف (العباد ربهم اذ جهلوه) أى فى ظرف جهلوه سبحانه ، فان الناس كانوا جهلة زمان ابتعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

(وليقرؤا به اذ جحدوه) أى أنكروه (وليثبتوه بعد اذ أنكروه) فلم يعترفوا بوجوده ، ولعل الجاحود مع الاستيقان والانكار مع الشك والجهل عسدم المعرفة اطلاقا .

(فتجلى سبحانه لهم) أى ظهر - ذاته وصفاته - (فى كتابه من غير أن يكونوا رأوه) فانه سبحانه قد عرّف نفسه فى القرآن الكريم .
(بما أراههم من قدرته) فان الانسان اذا ذكر بأثار أحد عرفه ، فانه سبحانه قد ذكر فى القرآن صنوفا من مظاهر قدرته ، مما يلفت الانسان الى معرفته .

(وخوفهم من سطوته) أى عقابه ، بما بين من العذاب فى الدنيا و الآخرة لمن خالف وعصى .

(وكيف محق) أى أهلك (من محق) من الأمم السابقة (بالمثلثات) أى بالعقوبات التى صارت مثلا للناس .

(واحتصد) أى حصد كما يحصد السنبل (من احتصد بالنقمات) جمع

وَإِنَّهُ سَيِّئَاتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنْ الْحَقِّ ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقٌّ تِلَاوَتِهِ ، وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ؛

نقمة وهي العقوبة (وانه سيأتى عليكم من بعدى) كزمان بنى أمية (زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل) فان الحق قد خفى في زمان بنى أمية ، وظهر الباطل ، حتى لم يكن الناس يعرفون أمور دينهم إلا كما شائست اهواء آل أمية .

(ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله) فقد أمر معاوية باختلاق الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لتقوية سلطانه ، وبذل لذلك الأموال الطائلة .

(وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب اذا تلى حق تلاوته) ((أبور)) يعنى لا رواج له اطلاقا ، بمعنى انه لا يعمل به ، ومعنى ((تلى)) عمل به ، فان حق التلاوة العمل ، والمعنى ان الكتاب بمعناه المراد أبعد الأشياء عن العمل فقد كان آل أمية يشربون الخمر ، ويزنون مع المحارم ، ويقتلون النفوس البريئة ، الى غيرها من المحرمات المنصوصة في القرآن الحكيم .

(ولا أنفق منه) أى اروج من الكتاب (اذا حُرِّفَ عن مواضعه) بمعنى فسر كما تشاء اهواء بنى أمية فقد اعطى معاوية لسمرة بن جندب اربعمائة ألف درهم ، حتى صعد المنبر ونسب الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، انه قال : نزلت في على عليه السلام آية : ((ومن الناس من يعجبك قوله فسى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام ، واذا تولى سعى

وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ ! فَقَدْ نَبَذَ
الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ : فَالْكِتَابُ يَوْمٌ مِثْلُ أَهْلِهِ مَنْفِيَانِ طَرِيدَانِ ،
وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ . فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي
ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ ،

في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)) ونزلت
في ابن ملجم قاتل على عليه السلام آية : ((ومن الناس من يشري نفسه ابتغاءاً
مرضاة الله)) .

(ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف) هذا على طريق المبالغة ، أو على
ظاهره ، فان حب الامام - مثلاً - كان من انكرا لشتام في بلاد معاوية .
(ولا أعرف من المنكر) فان ولاء آل ائمة كان من اشد انحاء المعروف (فقد
نبذ الكتاب) أي طرحوا العمل به (حملته) كأصحاب الرسول صلى الله عليه
 وآله وسلم أمثال أبي هريرة (وتناساه) أي جعلوا أنفسهم كأنهم ناسين لأحكامه
- مع انهم في الحقيقة غير ناسين - (حفظته) الذي حفظوه (فالكتاب -
يومئذ - وأهله) الحقيقيون كشيعه الامام عليه السلام (منفيان طريدان)
طرد هم أهل الباطل عن المجامع ، ينفون من بلد الى بلد ، كما فعل بحجر و
أصحابه (وصاحبان مصطحبان) أي صديقان يكون أحدهما صاحباً للآخر ، لا
يفارقه .

وهما (في طريق واحد) من الخير والصلاح (لا يؤويهما مؤو) الايواء :
اعطاء المكان والمسكن ، وذلك كناية عن الاحتفال بهما ، والاهتمام بشأنيهما
كالغريب الذي لا يؤويه احد (فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس)
بهما كلهما وجسومهما (وليس فيهم) بارواحهما ، لعدم اللفة بين الناس و
بين

وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ ! لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى ، وَإِنْ اجْتَمَعَا .
فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ ، وَافْتَرَقُوا عَلَى الْجَمَاعَةِ ، كَانَتْهُمْ أئِمَّةُ الْكِتَابِ وَ
لَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا
خَطَّهُ وَزَبْرَهُ وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مَثَلَةٍ ،

الكتاب و أهله (ومعهم) جسما و هيكلًا (وليسا معهم) روحا و عملا (لأن
الضلالة) التى بأيدى الناس (لا توافق الهدى) الذى يدعوا اليه الكتاب و
أهله (وان اجتمعا) بأجسامهما فى محل واحد - وهذا علة لقوله عليه
السلام : ليسا فيهم ، وليسا معهم - (فاجتمع القوم) أى الناس المناوئون
للكتاب و أهله (على الفرقة) أى التفرق ، كما هو الطابع العام لأهل الشام
ومن اليها فى زمن الأمويين ، ومعنى الفرقة : الابتعاد عن الكتاب و أهله (و
افترقوا على الجماعة) العاملة بالكتاب ، علوم و حلال و حرام

(كأنهم) فى اتخاذ آرائهم ، وتأويل الكتاب على طبق أهوائهم (أئمة
الكتاب وليس الكتاب امامهم) اذ لو كان الكتاب امامهم ، اتبعوه .
(فلم يبق عندهم منه) أى من الكتاب (إلا اسمه) اذ لا عمل به حتى
تبقى روحه لديهم (ولا يعرفون إلا خطّه وزبره) أى كتبه يقال زبره بمعنى كتبه
والمعنى انهم لا يعرفون مقاصده العالية و احكامه السامية (ومن قبل) فى ازمنة بنى
اسرائيل و نحوها (ما) زائدة للتزيين (مثلوا بالصالحين كل مثله) أى كل
انواع المثلة ، و المثلة عبارة عن التنكيل والعقاب ، الذى يسبب ان يجعل
ذلك مثلا عند الناس لفضاعته ، كأن تصلم الاذن ، او تفقأ العين ، أو يجذع
الأنف ، و نحو ذلك ، وهذه الجملة لبيان ان تمثيل بنى امية بأهل الكتاب
ليس شيئا جديدا ، فعادة الجبابرة - فى كل زمان - التنكيل بالصالحين ، أو

وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فَرِيَةً ، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ .
وَأِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغْيِبِ آجَالِهِمْ ، حَتَّى نَزَلَ
بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تَرُدُّ عَنْهُ الْمَغْفِرَةُ ،

المراد ان بنى امية فى زمان كفرهم فعلوا امثال هذه الأعمال . كما فعلت هند
بحمزة عليه السلام . فليس عملهم شيئاً جديداً بالنسبة اليهم .

(وسماو صدقهم) أى صدق الصالحين (على الله) حيث كانوا يصدقون
باحكام الله سبحانه (فرية) أى افتراء كما كان ابوسفيان ينسب كلام الرسول صلى
الله عليه وآله وسلم الى الافتراء (وقالوا افك افتراء)) و (وقالوا أساطير
الأولين اكتبها)) .

(وجعلوا فى الحسنة عقوبة السيئة) فالحسنة التى هى الاسلام والتوحيد ،
كان لدى بنى امية - قبل اظهارهم للاسلام - كانت لها عقوبة السيئة ، فكانوا
ينكلون بالمسلمين ويعاقبونهم - وهذا ان كان المراد بالجلل السابقة بنى
امية . وان كان المراد الأمم السابقة . فالمصداق غير بنى امية وانما عتاة الأمم
البائدة . وعلى أى حال فى هذه الجمل بيان حال الجبابرة والعتاة فى كل
زمان .

ثم توجه الامام عليه السلام الى نصيح الناس بقوله : (وانما هلك من كان
قبلكم) من الأمم (بطول آمالهم) جمع أمل ، وهو أن يرجوا الموت ان يفعل
فى المستقبل أشياء مرتبطة بالدنيا (وتغيب آجالهم) أى انه غاب عن
أنظارهم أجلهم . فلم يتأهبوا للآخرة ولم يعجلوا بالصالحات . ومعنى هلاك
الأمم اما نزول العقوبة عليهم . او ذهاب كيانهم كما ذهب كيان الرومانيين . و
كيان بنى اسرائيل . وهكذا .

(حتى نزل بهم الموعود) وهو الموت (الذى ترد عنه المغفرة) أى لا

وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنَّقْمَةُ .
 أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَفَقَّ ، وَمَنْ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدًى
 « لِتِلْكَ هِيَ أَقْوَمُ » ، فَإِنْ جَارَ اللَّهُ آمِنٌ ، وَعَدُوُّهُ خَلِيفٌ ، وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي
 لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمُ ،

يقبل فيه عذر ، بأن يعتذر الانسان عن الموت ، فيرجع الموت ، ولا يأخذ
 من جاء لأجله .

(وترفع عنه التوبة) أى لا تفيد التوبة بعده إذا جاء (وتحل) أى تنزل
 (معه) أى مع الموت (القارعة) أى الداهية المهلكة ، لأنها تقوع الانسان
 وتدقه (والنقمة) أى العقاب .
 (أيها الناس انه من استنصح الله) له ، بمعنى اتخذ الله ناصحا له ،
 باتباع أوامره ، وانتهاج مناهجه (وفق) لكل خير وسعادة (ومن اتخذ
 قوله) أى قول الله تعالى (دليلا) يدره على مواضع الخير (هدى) الى
 صراط مستقيم (لتى هى أقوم) أى للطريقة التى هى اقوم واحسن الطرق ، كما
 قال سبحانه : ((ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم)) .

(فان جار الله) أى الذى اتخذ أحكامه — كان جار فى ظل جواره —
 (آمِن) عن المكاره ، وما نزل عليه منها فانما هو موجب للمعوض والأجرة ، فلا
 منفعة تفوت من يده . بلا بدل — كما يقال : الذى آمن نفسه فى ((شركسة
 التأمين)) آمن .

(وعدوه خائف) ان عاش كان فى ضيق ، وان مات فالى النار (وانه لا
 ينبغى لمن عرف عظمة الله ان يتعظم) اذ الانسان يعرف الأشياء بأضدادها ،
 فمعرفة عظمة الله ملازمة لمعرفة حقارة النفس ، فلا ينبغى بعد ذلك التعظيم .

فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظُمَتْهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ. فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرَبِ، وَالْبَارِي مِنْ ذِي السَّقَمِ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَّهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمْسُكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ.

(فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمت له) سبحانه (ان يتواضعوا له) ففى تواضعهم رفعة لهم ، اذ التواضع يدل على الفهم ، وتقدير الأشياء حقيق قدرها وكلا الأمرين موجب للرفعة .
(وسلامة الذين يعلمون ما قدرته) أى سلامتهم عن العقوبة (ان يستسلموا له) بالانقياد ، واطاعته الأوامر (فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح) أى مثل نفار الصحيح من الحيوان (من الأجرب) الذى اصاب بداء الجرب - وهو داء خبيث يوجب العدوى ، ولذا يفر الصحيح منه خوفاً - (والبارى) أى الانسان الصحيح البرى من المرض (من) الانسان . (ذى السقم) أى المريض .
(واعلموا انكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذى تركه) فان الانسان لا يدرك حسن الأشياء ، الا اذا رأى قبح اضدادها ، ولذا قالوا تعرف الأشياء بأضدادها .

(ولن تأخذوا بميثاق الكتاب) أى بأحكامه المحكمة التى هى بمنزلة المواثيق والعهود بين الله وبين خلقه (حتى تعرفوا الذى نقضه) فان قبح الناقض يوجب ترفع الانسان عن ان يماثله ، وذلك موجب للأخذ بالكتاب (ولن تمسكوا) أصله () تتمسكون () به (أى بالكتاب والتمسك قوة الأخذ و العمل بأحكامه) حتى تعرفوا الذى نبذه (أى طرح العمل به ، والعلة لذلك

فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ هُمُ
الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمَهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمَتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ
عَنْ بَاطِنِهِمْ ، لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ
صَادِقٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ .

كما ذكرنا في الجمل السابقة (فالتمسوا) أي اطلبوا (ذلك) العمل بالكتاب ،
والمراد العلم بقاصد الكتاب (من عند أهله) وهم الأئمة والعلماء الربانيون
(فانهم عيش العلم) بهم يعيش العلم ، ويبقى في الحياة .

(وموت الجهل) أي انعدامه ونفيه ، فان العلماء هم الذين يعيشون
الجهل وينثرون الناس بالعلم (هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم) فـإن
الإنسان إذا حكم في قضية ، عرف من حكمه أنه عالم أو ليس بعالم (وصمتهم عن
منطقهم) فان العالم صامت ، والجاهل ثرثار ، فصمت الإنسان دليل علمه .
(وظاهرهم عن باطنهم) فان الظاهر عنوان الباطن ، فإذا كان الظاهر
حسنًا ، دل على قلب حسن ملئ بالفضيلة والتقوى .

(لا يخالفون الدين) بترك أوامره ، والاتيان بنواهيهِ (ولا يختلفون
فيه) بأن يكون لكل واحد اتجاه يخالف اتجاه الآخر ، فان اتجاه أهل الدين
واحد (فهو) أي القرآن (بينهم شاهد صادق) يشهد بحسن أعمالهم ،
لمطابقة أعمالهم له (وصامت ناطق) فانه لا يتكلم ، لكنه يعلم ويبين ويرشد .



مرکز تحقیقات کتب و تواتر علوم اسلامی

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

في ذكر أهل البصرة

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ ، لَا يَمْتَنَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ ، وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ . كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ !

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

(في ذكر أهل البصرة)

و هم الذين اجتمعوا لمحاربة الامام في وقعة الجمل وعلى رأسهم طلحة والزبير وعائشة .

(كل واحد منهما) أي من طلحة والزبير (يرجو الأمر) أي أمر الخلافة (له) فحاربتهما ليست لأجل الدين وانما لأجل الدنيا (ويعطفه عليه) أي يحيل الأمر إلى نفسه (دون صاحبه) وصديقه ، فهو مخالف في قلبه حتى مع صاحبه .

(لا يمتنان إلى الله بحبل) أي لا يتصلان إليه سبحانه بحبل الدين و الايمان (ولا يمدان إليه) تعالى (بسبب) فلا سبب بينهما وبينه تعالى ، من أسباب الايمان (كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه) الضب حيوان معروف ، والعرب تضرب المثل به في الحقد أي ان كل واحد من طلحة والزبير يحقد صاحبه و يحسده ، وانما جمعهما المصلحة المشتركة ، في قبال الخلافة (وعما قليل يكشف قناعه) أي قناع كل واحد منهما (به) أي بسبب الحقد

وَاللّٰهُ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا ، وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا قَدْ قَامَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ ، فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ ! فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمْ السُّنَنُ ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ .

الذى يطوى عليه لصاحبه . كما قال الشاعر :

ومهما يكن عند امر من خليفة وان خالها تخفى على الناس تعلن
وقد ظهر صدق مقالة الامام عليه السلام فانهما اختلفا فيمن يهلى بالناس ، و
أراد كل واحد منهما أن يكون هو الامام حتى خافت عائشة تفكك الجيش فأصلحت
بينهما بأن يصلى محمد بن طلحة في يوم ويصلى عبد الله بن الزبير في يوم ، وادعى
عبد الله بن الزبير ان عثمان نص عليهما بالخلافة يوم الدار ، لكن منجنيق حجاج
كانت أقوى من نصر عثمان ، وطلب كل واحد من طلحة والزبير ان يسلم الناس
عليه بأمر المؤمنين ، وطلب كل واحد منهما تولى القتال ، الى غير ذلك من
المهازل .

(واللّه لئن أصابوا الذي يريدون) من انتزاع الأمر من يدي والاستبداد
به (لينتزعنّ هذا) أى احدهما (نفس هذا) أى الآخر (وليأتين هذا)
احدهما بالقتل (على هذا) أى الآخر ، أى لقامت الحرب بينهما حتى ان
كل واحد منهما يريد قتل الآخر والاستراحة منه .

(قد قامت الفتنة الباغية) التى تبغى وتظلم ، وتهدم الاسلام (فأين
المحتسبون) أى الذين يجاهدون حسبة لله ، أى فى حسابهِ وقربة اليهِ .
(فقد سنت لهم) أى للمحتسبين الذين يريدون ثواب الله سبحانه
(السنن) أى دلّوا على الخير (وقدم لهم الخبر) فعلموا من على الحق ومن
على الباطل ، فان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اخبر بكل ذلك قبل الوقوع ،

وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ . وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ الدَّمِ ،
يَسْمَعُ النَّاعِي ، وَيَحْضُرُ الْبَاكِي ، ثُمَّ لَا يَغْتَبِرُ !

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي : حرك حرسى . وقال : على مع
الحق والحق مع على . وقال : لعن الله من اذانى فى على . الى غير ذلك .
(ولكل ضلّة) اى ضلال (علة) هذا بيان لعلّة ضلال هؤلاء ، وهى
طلب الخلافة (ولكل ناكث) ينكث البيعة ويخون العهد (شبهة) ما يسبب له
اشتباه الحق بالباطل — عن عمد أو جهل — كما كانت شبهة هؤلاء دم عثمان .
(والله لا أكون كمستمع الدم) هو ضرب الانسان على صدره ووجهه عند
المصيبة (يسمع) مستمع الدم (الناعي) الذى يخبر بموت شخص (ويحضر
الباكى) اى يراه .

(ثم لا يعتبر) والمعنى انه عليه السلام لا يتغافل عن هؤلاء ، بعد ما عرف
نواياهم ، وظهرت له آثار نكثهم ، فلا يكون كمن يرى موضع الخطر ، فيرى ان
الناعي نعى من وقع عليه الخطر ، والباكى بكاه ، ثم لا يتجنب ذلك الموضع ،
حتى يقع الخطر عليه ويموت كما مات من قبله .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل موته

أَيُّهَا النَّاسُ ، كُلُّ أَمْرٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ . وَالْأَجَلُ مَسَاقُ
النَّفْسِ . وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ . كَمْ أَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الْأَمْرِ .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل موته

والسيد ((ره)) أراد بذلك ، انه صدر منه عليه السلام بعد ما ظهر أثر
الموت عليه .

(أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ أَمْرٍ لَاقٍ) أى يلقى (ما يفر منه) أى الموت (نفسى
فِرَارِهِ) فان الانسان بمواظبته على صحة جسده ووقايته عن الآفات كالغفار عن
الموت ، لكن الفوار ليس ظاهريا ، بل عمليا وقائيا .

(وَالْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ) أى ان الأجل يسوق الانسان حتى يوصله الى
ساعته المقررة فيموت فيها (وَالْهَرَبُ مِنْهُ) أى من الموت (مُوَافَاتُهُ) أى يوجب
الوصول اليه ، اذ الهرب يحتاج الى الزمان ، وكلما أنقضى زمان اقترب الانسان
بمقدار ذلك الزمان الى الموت .

(كَمْ أَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ) أسناد الاطراد الى الأيام مجاز ، والأصل اطردت
ما أريد فى الأيام ، نحو صائم النهار ، واطراد الشئ جعله طريدا لاقتناصه و
التحصيل عليه .

(أَبْحَثُهَا) أى أبحث فى الأيام وأطلب (عن مكنون هذا الأمر) أى وقت

فَأَبَىٰ اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْزُونٌ! أَمَا وَصِيَّتِي: فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَمُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ. وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا. حُمِّلَ كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ مَجْهُودُهُ،

الموت ، وكأنَّ الامام عليه السلام اطال التفكير فى ايام عديدة ، لتحصيل قاعدة يعرف منها وقت موت كل انسان ، كما تعرف النتائج من مقدماتها ، و كما تعرف الأمراض عن علائقها .

(فأبى الله الا اخفائه) وهذه الجمل كناية عن عدم الفائدة فى اتعاب النفس لمعرفة وقت الموت فقد شاء الله أن لا يكون للموت علامة — يعرف بها وقت الموت بحيث يعرف كل انسان اى وقت يموت — وهذا فى الحقيقة مسن عجيب ، فانه اشغل بال الحكماء ، لكن احدا لم يقدر على الاستخراج .

(هيهات) لا يعلم أحد فانه (علم مخزون) قد خزن فى الغيب الذى لا يعلمه الا الله سبحانه ، ولمن شاء سبحانه ان يعلمه .

(اما وصيتى : فالله لا تشركوا به شيئا) أى لا تجعلوا شيئا شريكا له (و محمدا صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته) أى طريقته التى هى احكامه وما جاءه من عند ربه .

(أقيموا هذين العمودين) أى التوحيد والنبوة (وأوقدوا هذين المصباحين) أى أبقوا لهما ضوئيهما والمراد الاستنارة الدائمة منهما .

(و خلاكم ذم ما لم تشردوا) أى ليس عليكم ذم ما لم تغرأ من هذين الأمرين (حمل كل امرئ منكم مجهوده) أى ليحمل كل انسان ما يقدر عليه من العمل ، وهذا تحريض على العمل بمنتهى الطاقة .

وَحُفِّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ
غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ ! إِنَّ تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ فِي هَذِهِ الْمَزْلَةِ فَذَاكَ ، وَإِنْ تَذَحْضِي
الْقَدَمُ إِنَّمَا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ ، وَمَهَابٌ رِيَّاحٍ ،

(وخفف عن الجهلة) أى ليخفف كل انسان احكامه على الجهال ، كأهل
البوادي ومن أشبه ، وهذا اشارة الى انه لا يحق لانسان عالم عامل ان ينظر
بالازدراء الى الجهال ، لأنهم لا يعلمون كما يعلم ، ولا يعملون كما يعمل —
كما هي العادة عند العاملين غالبا — .

(أنا بالأمس) فى حال صحى (صاحبكم) الذى صحبتكم وكان منكم (وأنا
اليوم عبرة لكم) تعتبرون بى كيف ان الانسان يفارق الحياة ، ولا يقدر — فى
مقابل قضاء الله — على شئ (وغدا مفارقتكم) بالموت والذهاب الى الآخرة
(غفر الله لى) باعطاء الدرجات الرفيعة (ولكم) بمحو الخطايا (ان تثبت
الوطأة) أى الثقل ، اى ان بقيت حيا فى دار الدنيا (فى هذه المزلة) أى
محل ذلة الحياة ، حيث ضرب عليه السلام .

(فذاك) ما يزوجوه أهله عليه السلام والناس (وان تذحض القدم) أى
تزل وتزلق ، وهذا كناية عن موته عليه السلام (ف) ليس قولى بعجيب ، ان
الانسان فى دار الدنيا غارية ، كالأذى فى ظل شجرة او ظل غمام ، فانه يذهب
الظل عنه .

(انما كنا فى أفياء) جمع فئ ، وهو الظل (أغصان) جمع غصن (و
مهَابٌ رِيَّاحٍ) جمع مهيب وهو محل هبوبها ، فان الرياح لا تلبث ان تسكن
فلا يتمتع الانسان بها .

وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ ، أَضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا ، وَعَفَا فِي الْأَرْضِ مَخْطُهَا وَإِنَّمَا
كُنْتُ جَارًا جَاوَرَكُمُ بَدَنِي أَيَّامًا ، وَسُتَعْقِبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءَ : سَاكِتَةً بَعْدَ
حَرَائِكِ ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقِي . لِيَعْظَمَكُمُ هُدُوءِي ، وَخُفُوتُ إِطْرَافِي ، وَسُكُونُ
أَطْرَافِي ، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمُنْطَقِ الْبَلِيغِ .

(وتحت ظلّ غمام) أى السحاب (اضمحلّ في الجو) أى انعدم في
الفضاء (متلفقها) أى المنهم بعضه الى بعض ، والضمير للغمام - و إنما
انث باعتبار الجنس - .

(وعفا في الأرض مخطها) أى المكان الذي تخطّ الرياح في الأرض ، فإن
آثار الرياح تذهب سريعاً و ((عفى)) بمعنى ((انعدم)) .
(و إنما كنت) بينكم (جارا جاوركم بدني أياما) وكان التخصيص بالبدن
لهقاء روحه عليه السلام في الناس الى الأبد .

(وستعقبون مني جثة خلاء) أى ستبقى بدني ، خاليا عن الروح (ساكنة
بعد حراك) أى بعد تحرك (وصامتة بعد نطق) أى ساكنة ، وهذا وصف
للشئ باعتبار جزئه .

(ليعظكم هدؤي) أى سكوني (وخفوت أطرافي) من خفت بمعنى
السكون والاطراف جمع طرف بمعنى الاعين (وسكون أطرافي) جمع طرف بمعنى
الأعضاء (فانه) الهدوء والسكون .

(أوعظ للمعتبرين) أى الذين يريدون الاعتبار ، فإن الانسان اذا رأى
الميت تذكر فناء الدنيا ، وكان ذلك أكثر تأثيرا في قلبه من الموعظة (من
المنطق البليغ) الذي يبلغ المتكلم مراده من الوعظ .

وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ . دَاعِيكُمْ وَدَاعُ أَمْرِي مُرْصِدٌ لِلتَّلَاقِي ! غَدًا تَرَوْنَ
أَيَّامِي ، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي ، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوءِ مَكَانِي وَقِيَامِ
غَيْرِي مَقَامِي .

(والقول المسموع) الذي يسمعه المستمع (وداعيك) أي أنا أودعكم -
والأصل وداعى لكم - .

(وداع امرئ مرصد) أي منتظر (للتلاقى) في الآخرة (غدا ترون أيامي)
في الآخرة تكون أيامي عامرة بالسيادة والعزة لا كأيام الدنيا التي كانت على .
(ويكشف لكم عن سرائري) فإن السرائر في الدنيا مخفية لا يعلم حسننها
من سيئها ، فإذا صارت القيامة وظهرت السرائر ، كما قال سبحانه : ((يوم
تبلى السرائر)) يظهر نقاء سيورة الامام وكدورة سرائر أعداءه .
(وتعرفونني) في الدنيا (بعد خلوء مكاني وقيام غيري مقامي) فإن
الامام كان عطوفاً رؤفاً يعدل ويقسم المال بالسوية ، وإذا قام غيره مقامه ، أظهر
كل فساد وظلم وتعد ، وقد كان كما قال الامام عليه السلام حين استولى
معاوية وأخذ يجور في الناس جوراً لم يرمثله ، وكذلك اجلاف امية ، وبنى
العباس .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الملاحم وفي وصف اهل الضلال

وَأَخَذُوا يَمِينًا وَشِمَالًا طَعْنًا فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ ، وَتَرَكَأَ لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ .
فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ ، وَلَا تَسْتَبْطِثُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ . فَكُمْ
مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(في الملاحم) وفي وصف اهل الضلال

(وأخذوا) أي الناس (يمينًا وشمالًا) أي في طرق الضلال ، فان
جادة الهدى ، هي الوسط ، وأطرافها ضلال وهلاك (طعنًا) أي ولوجًا
(في مسالك الغي) أي الضلال (وتركوا لمذاهب الرشد) أي طرقه ، فان
مذاهب جمع مذهب ، وهو الطريق ، والأتیان باللفظ جمعاً ، باعتبار ان كل
واحد من النبي وإمام والعالم طريق الى الله سبحانه وان كان الجميع حاكمها
عن أمر واحد .

(فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد) لقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
والامام عليه السلام أخبرا بأمور مستقبله ، فكان الناس يستعجلون في صيورتها ،
فنهاهم الامام عن ذلك ، لأن الاستعجال لا يفيد الا قلق المستعجل ، و
معنى ((مرصد)) : ((مراقب)) ينتظره الانسان (ولا تستبثثوا ما يجيء به
الغد) أي لا تعدوه بطيئاً .

(فكم من مستعجل بما) أي لشيء (ان أدركه ودَّ أنه لم يدركه) لما

٣٦٠ توضيح نهج البلاغة

وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ يَا قَوْمٍ ، هَذَا إِبَّانٌ وَرُودٌ كُلُّ مَوْعُودٍ ،
وَدُنُوءٌ مِنْ طَلْعَةٍ مَا لَا تَعْرِفُونَ . أَلَا وَمَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسَرَّاجٍ
مُنِيرٍ ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ ، لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقًا ، وَيُعْتَقَ
رِقًا ،

يُصَاحِبُهُ مِنَ الْفِتَنِ وَالْإِبْتِلَاءِ (وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ) تَبَاشِيرُ الشَّيْءِ أَوَّلُهُ ،
وَالْمَعْنَى أَنَّ الْغَدَ قَرِيبٌ حَتَّى أَنَّ الْإِنْسَانَ - وَهُوَ فِي يَوْمِهِ هَذَا - قَرِيبٌ مِنْ
طُلُوعِ الْغَدِ .

(يَا قَوْمِ هَذَا) الْوَقْتُ (إِبَّانٌ) أَيْ قَرِيبٌ وَقْتُ (وَرُودٌ كُلُّ مَوْعُودٍ) مِنْ
مَوَاعِيدِ الرَّسُولِ وَالْإِمَامِ حَوْلَ تَسَلُّطِ الْأُمُومِيِّينَ ، كَمَا رَأَى الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ
آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْعِنَامِ أَنَّهُمْ يَنْزِلُونَ عَلَى مَنْبَرِهِ نَزْوِ الْقُرْدَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَخْبَسَارَاتِ
الْمُسْتَقْبَلَةِ (وَدُنُوءٌ) أَيْ قَرِيبٌ (مِنْ طَلْعَةٍ مَا لَا تَعْرِفُونَ) يُقَالُ طَلَعَ الشَّيْءُ
إِذَا ظَهَرَ بَعْدَ اخْتِفَائِهِ (أَلَا وَمَنْ أَدْرَكَهَا) أَيْ الْمَوْعُودَاتِ (مِنَّا) أَيْ مِنْ
أُتَمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

(يَسْرِي فِيهَا بِسَرَّاجٍ مُنِيرٍ) فَإِنَّ تِلْكَ الْفِتْنَ الْمَوْعُودَةَ لَا تَوَثِّرُ فِيهِمْ انْحِرَافًا ،
(وَيَحْذُو فِيهَا) أَيْ يَتَّبِعُ (عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ) مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ،
وَهَذَا تَحْرِيزٌ لِلنَّاسِ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْفِتَنِ ، وَأَنَّمَا يَرَى الْإِمَامُ
بِسَرَّاجٍ مُنِيرٍ (لِيَحُلَّ فِيهَا) أَيْ فِي تِلْكَ الْفِتَنِ (رِبْقًا) جَمْعُ رِبْقَةٍ ، وَهِيَ
الْحَبْلُ الَّذِي فِيهِ عِدَّةٌ عَرَى لِرِبْطِ الْبِهَائِمِ ، أَيْ يُرِيدُ الْإِمَامُ حَلَّ رِقَابِ النَّاسِ مِنَ
الْهَلَكَةِ .

(وَيُعْتَقَ رِقًا) أَيْ عِبُودِيَّتِهِمْ ، فَكَأَنَّ النَّاسَ فِي الْفِتَنِ عِبِيدَ شَهَوَاتِهِمْ وَ
عِبِيدَ الظَّالِمِينَ ، وَالْأُتَمَّةُ يَعْتَقُونَهُمْ مِنَ الْعِبُودِيَّتَيْنِ .

وَيَصْدَعُ شَعْبًا، وَيَشْعَبُ صُدْعًا فِي سِتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ
وَلَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ . ثُمَّ لِيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ . تُجَلَّى بِالتَّنْزِيلِ
أَبْصَارُهُمْ ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ ،

(ويصدع شعبا) الشعب التفرق ، والصدع الجمع (ويشعب) أي
يفرق (صدعا) أي جمعا في معسكر الضلال ، وأنهم يبصرون الطريق ويهدون
الناس إلى السبيل .

(في سترة عن الناس) أي في حال كونهم مستترين عن الناس ، أو في حال
سترة للحق عن الناس بحيث لا يرونه ، حتى أنه (لا يبصر القائف) وهو
الذي يعرف الآثار ويستدل بها على الأمور (أثره) أي أثر نفسه ، وهذا
بيان لشدة الظلام وتراكم الباطل على الحق (ولو تابع) القائف (نظره) بأن
نظره بعد مرة ليرى أثره (ثم) لترتيب الكلام لا لترتيب المطلب فإن
(ثم) يأتي للأمرين .

(ليُشْحَذَنَّ) من شحذ السكين ونحوها بمعنى حددها (فيها) أي في
تلك الفتن (قوم شحذ القين) أي الحداد (النصل) أي هي حديدية
السيف والسكين ونحوهما ، والمراد : أن في تلك الفتن تتقوى أذهان
جماعة من الناس فتصير مستعدة لدرك العلوم والمعارف وفهم الحقائق ، كما
هي العادة في الفتن ، فأنها - حيث كانت محل تقلب الآراء وتبدل السعاة
والعلاماة - توجب شحذ أذهان جماعة من الناس (تجلى بالتنزيل) أي القرآن
(أبصارهم) فأنهم حيث يرون الفتن يرجعون إلى القرآن ليجدوا حلا لها
فينكشف لديهم أسرار القرآن .

(ويرمى بالتفسير في مسامعهم) حيث يسألون عن تفسير الآيات ، فتفسر

وَيُغْبِقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصُّبُوحِ !

في اهل الضلال

منها : وَطَالَ الْأَمْدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغَيْرَ ، حَتَّى إِذَا
أَخْلَوْا الْأَجَلَ ، وَاسْتَرَا حَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ ، وَأَشَالُوا عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ ،

لهم كأنه القاء في المسامع (ويغبقون) أي يسقون (كأس الحكمة) أي تفهم
الأشياء وادراك الأمور (بعد الصبح) أي بعد ما شربوها بالصبح ، و هذا
كناية عن دوام تعلمهم الأمور في كل صباح ومساء .

(منها :) في أهل الضلال (وطال الأمد) أي المدة (بهم) حيث
لم يروا جزاء أعمالهم فاوغلوا في المعاصي (ليستكملوا الخزي) أي يكملوا سخط
الله سبحانه بهم (ويستوجبوا الغير) أي أحداث الدهر ونوائبه ، فإن
الانسان إنما يستوجب تغير النعمة عنه اذا تعادى في الطغيان والظلم ، كما
قال سبحانه : ((وما كان الله مغيّراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا بها
بأنفسهم)) .

(حتى اذا اخلوا) أي استوى (الأجل) يقال : اخلوا السحاب
اذا استوى وضار خليقا أن يمطر ، والمعنى قرب أجلهم (واستراح قوم الى
الفتن) بمعنى انهم اعتزلوها وتركوا الفتنة تأخذ مجراها بدون أن يقوموا
بتغيرها .

(وأشالوا) أي رفعوا أنفسهم (عن لقاح حربهم) أي عن تهيج المحاربة
مع أهل الفتنة ، فإن الفتنة اذا دخلها جماعة هاجت ، فكانت كالناقة اذا
لقت للحمل .

لَمْ يَمْنُوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ ، وَلَمْ يَسْتَغْظَمُوا بِذَلِّ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ ، حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ ، حَمَلُوا بِصَائِرِهِمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَأَعْظَمِهِمْ ، حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ ، وَغَالَتُهُمُ السُّبُلُ ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ ،

(لم يمتنوا على الله بالصبر) جواب ((اذا)) أى ان هؤلاء المؤمنين اذا أحدثت تلك الحوادث قاموا فى وجه الباطل صابرين لما يلقون من الأذى فى سبيل الجهاد ، واعلاء كلمة الحق ، بدون أن يمتنوا على الله فى صبرهم لأجله سبحانه (ولم يستغظموا بذل أنفسهم فى الحق) فلا يعدون أنفسهم عظيمسا حتى يرون أن بذلها شئ مهم (حتى اذا وافق وارد القضاء) أى القضاء الإلهى الوارد فى وجوب الجهاد (انقطاع مدة البلاء) بأن جاء القضاء بالجهاد و انقطعت مدة البلاء (حملوا بصائرهم على أسيافهم) فأنهم يظهرون عقيدتهم داعين اليها بالأسياف ، فكانهم جعلوا البصائر - جمع بصيرة بمعنى العقيدة الصحيحة - على السيف ، يدعون الى البصيرة ، والآ فالسيف .

(ودانوا لربهم بأمر واعظهم) الذى هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - وحيث ان الجمل السابقة كانت فى أحوال الجاهلية ، كما يظهر من سياق الكلام - قال عليه السلام : (حتى اذا قبض الله رسوله) محمدا (صلى الله عليه وآله ، رجع قوم على الأعقاب) جمع عقب : وهى مؤخرة الرجل ، بمعنى ارتدوا الى الجاهلية كما كانوا سابقا ، وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس (وغالتهم) أى هلكتهم (السبل) المتفرقة التى سلكوها عوض سلوك سبيل الحق .

(واتكلوا) أى اعتمدوا فى أخذ الدين (على الولائج) جمع وليجة ، أى

٣٦٢ توضيح نهج البلاغة

وَوَضَّلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَضٍ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ. قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ، عَلَى سُنَّةِ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ:

دخائل المكرو الخداع التي يدخل فيها الانسان للمؤامرة على الحق (و وصلوا غير الرحم) أي غير رحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث نحتوا لانفسهم الخليفة (و هجروا السبب) المتصل بالله سبحانه - يعنى نفسه الشريفة - (الذي أمر الله بمودته) كما قال سبحانه : ((قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى)) .

(و نقلوا البناء عن رض أساسه) أي عن سمت أساسه ، كناية عن تزحزح الأمر من على عليه السلام الذي هو أساس الإسلام ، إلى أبي بكر (فبنوه) أي البناء - وهو كناية عن الخلافة - (في غير موضعه) الذي هم آل البيت عليهم السلام .

(معادن كل خطيئة) بيان لـ ((غير موضعه)) (وأبواب كل ضارب في غمرة) الغمرة : الشدة والضارب في الغمرة ، كناية عن المشيرين للفتن ، و الخلفاء كانوا أبواب أولئك ، إذ بسببهم تمكّنوا من ايجاد الفتن ، كخالد بن الوليد ، و مروان ، وابن أبي سرح ، ومن اليهم (قد ماروا) أي تحرّكوا و اضطربوا (في الحيرة) أي في ما يوجب التّحير وعدم فهم حلّ المشاكل (وذهلوا في السكر) فهم كالسكران الذي لا يعلم من يختار وما يعمل (على سنة من آل فرعون) فان فرعون على في الأرض وجعل اهلها شيعة ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح ابنائهم و يستحيى نسائهم وقد فعل خالد بن الوليد بما لك بن نوبة مثل ذلك

مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بِحُلُرِّ مِنَ الْفِتَنِ

وَأَحْمَدُ اللَّهِ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ ، وَالْاِعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،

وهكذا قضايا آخر مذكورة في كتب السير ، تشبه أعمال فرعون وآله (من منقطع الى الدنيا راكن) اليها (أو مفارق للدين مباين) له .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَمِنْهَا تَحذِيرٌ مِنَ الْفِتَنِ

(وأحمد الله وأستعينه على مداخل الشيطان) الدَّحْرُ بمعنى الطرد ، و مداحرج جمع مداحر - مصدر ميمي - بمعنى الأمر الذي به يدحر الشيطان يعني استعين الله سبحانه على أن يوقني لطرد الشيطان .

(ومزاجره) جمع مزجر : بمعنى التَّجَرُّ ، أي على أن يوقني لزجر الشيطان (و) على (الاعتصام من حبائله ومخاتله) أي أن يحفظني سبحانه لئلا أقع في حبائله ، وهي جمع حباله ، بمعنى شرك الصياد ، والمخاتل جمع مختل ، بمعنى المحل الذي يختل ويختفى فيه الشيطان ليكن لأجل اصطيد الفريسة .

(وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) ذكر في ما سبق أن ذكر ((عبده)) لعله في مقابل النصاري ، الذين يزعمون أن المسيح

توضيح نهج البلاغة

وَنَجِيْبُهُ وَصَفُوْهُ . لَا يُؤَاوِيْ فَضْلُهُ ، وَلَا يُجْبِرُ فَقْدُهُ . أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ
بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ ، وَالنَّاسُ
يَسْتَحِلُّوْنَ الْحَرِيْمَ ، وَيَسْتَذِلُّوْنَ الْحَكِيْمَ ، يَحْيَوْنَ عَلَى فِتْرَةٍ ، وَيَمُوتُوْنَ
عَلَى كَفْرَةٍ !

ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدْ اقْتَرَبَتْ .

آله شريك مع الله سبحانه (ونجيبه) أى انتجبه واختاره لرسالته (وصفوته)
أى مختاره ، فإن الشخص مصطفى الشئ الحسن (لا يؤاوى) أى لا يقابل
(فضله) فليس أحد فى الفضل كالرسول صلى الله عليه وآله وسلم (ولا يجبر
نقده) فلا يسد مكانه صلى الله عليه وآله وسلم شئ .

(أضأت به البلاد) فكما أن الظلم تمنع عن إهداء الإنسان للطريق كذلك
الجهل بالمناهج السعيدة

(بعد الضلالة المظلمة) التى كانت شاملة للناس فى زمن الجاهلية (و)
بعد (الجهالة الغالبة) على الناس حتى أنهم لم يكونوا يعرفون طريق الرفاء و
السعادة والخير (والجفوة) يجفون ويظلم بعضهم بعضا (الجافية) وصف
للتأكيد مثل ((ليلة ليل)) .

(والناس) فى ذلك الزمان (يستحلون الحريم) أى المحرم المحظور من
الأشياء (ويستذلون الحكيم) فإن الجاهل لا يعرف قدر العالم العارف
بالأشياء ولذا لا يقدره ، بل يستذله (يحيون على فترة) أى خلون الشرائع
السماوية (ويموتون على كفر) أى على هيئة الكفر والانكار لله سبحانه .

(ثم) حذر الامام عليه السلام المسلمين بان لا يعملوا ما يستحقوا بذلك رجوع
حالات الجاهلية ، بقوله : (أنكم معشر العرب أغراض بلایا قد اقتربت) أى

فَاتَّقُوا سَكْرَاتِ النُّعْمَةِ، وَأَحْذَرُوا بَوَائِقَ النُّقْمَةِ ، وَتَثَبُّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ ،
وَأَعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا ، وَظُهُورِ كَمِينِهَا ، وَأَنْتِصَابِ
قُطْبِهَا ، وَمَدَارِ رَحَاهَا . تَبْدَأُ فِي مَدَارِجِ خَفِيَّةٍ ، وَتَوُولُ إِلَى فِطَاعَةِ جَلِيَّةٍ .
شِبَابُهَا

انّ البلايا تقصدكم . كما يرمى الغرض بالسهم .
(فاتقوا سكرات النعمة) فانّ الانسان اذا رأى نفسه منعما أخذته الغفلة -
التي هي كالسكر - فيعمل بما يوجب سخط الله سبحانه ، الموجب لسزوال
نعمته .

(واحذروا بوائق النعمة) بوائق جمع بائقة ، وهي الداهية الواردة و
النقمة ضدّ النعمة (وتثبتوا) أي ترووا ولا تعملوا شيئا بدون تدبر وتبصر (في
قتام العشوة) القتام : الغيار . والعشوة أن يركب الانسان الأمور بلا بصيرة ،
يعنى في حالات الفتن والاضطرابات لا تركبوا الأمور بدون تثبت وتفحص لئلا
تضلوا وتشقوا .

(واعوجاج الفتنة) فانّ الفتنة لها طرق ملتوية معوجة ، بخلاف الحالات
العادية التي لها طرق واضحة ، وسبل معلومة (عند طلوع) أي ظهور
(جنينها) أي جنين الفتنة ، فكأن الفتنة تحمل أولا ثم تظهر نتائجها .
(وظهر كمينها) من يكمن ويختفي ليظهر ويلقى الفتنة على غيرة وفجئة
(وانتصاب قطبها) وهو الذي تدور عليه الفتنة من المنافقين والكفار (ومدار
رحاها) أي دوران رحى الفتنة .

(تبدأ) الفتنة (في مدارج خفية) جمع مدرج : وهو محل الدرج و
الحركة ، أي انّ الفتنة تبتدئ في اختفاء (وتوول) أي تنتهي (الى فطاعة
جليّة) أي الى شناعة واضحة غير مخفية (شبابها) أي شباب الفتنة ، والمراد

كشِبَابِ الْغَلَامِ ، وَآثَارُهَا كَأَثَارِ السَّلَامِ ، تَتَوَارَثُهَا الظُّلْمَةُ بِالْمُجْرِمِينَ !
أُولَهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأُولِهِمْ ، يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دُنْيَةٍ ،
وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيْفَةٍ مُرِيحَةٍ . وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمُتَّبِعِ ،
وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ ،

أولها حين قوتها (كشباب الغلام) الذي له نشاط متزايد ، وسرعة في النمو
والحركة .

(وآثارها كأثار السلام) الحجارة الصّامدة واحدة سلعة ، أي أنّ لها في
الأبدان كأثر الحجارة من الرّضى والجرح والكسر (تتوارثها) أي تلك الفتنة
(الظلمة) جمع ظالم (باليهود) يعهد بعضهم إلى بعض ، كما عهد
معاوية إلى يزيد وهكذا .
(أولهم) أي أول الذين يسيرون الفتنة (قائد لآخرهم) فهو بما وضع من
الخطط والأساليب كالقائد للآخر الذي يتبع مناهجه .
(وآخرهم مقتد بأولهم) حيث يتبع خطواته الفاسدة ، بدون أن يتبصّر
هو بالأمر ، ويأخذ بما يوجب السّعادة والخير .

(يتنافسون) أي يتغالبن ويتحاسدون (في دنيا دنية) وضعية لا قيمة
لها (ويتكالبون) كما يتهاوش الكلاب (على جيفة مريحة) أي منتنة ، فإنّ
الدنيا كالجيفة وأكلها كالكلاب — ألا إذا كانت في طاعة الله سبحانه — .
(وعن قليل) أي بعد قليل — حين الموت ومشاهدة الآثار أعمال الآخرة —
(يتبرأ التابع من المتبوع) لأنه صار سبباً لهلاكه (والقائد من المقود) أي
المتبوع من التابع ، كما قال سبحانه : ((إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا ، وراوا العذاب ، وتقطعت بهم الأسباب)) .

فَيَتَزَايِلُونَ بِالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلَاَعْنُونَ عِنْدَ اللَّقَاءِ . ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ
الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ ، وَالْقَاصِمَةِ الرَّحُوفِ ، فَتَزِيغُ قُلُوبُ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ ، وَتُضِلُّ
رِجَالُ بَعْدَ سَلَامَةٍ ؛ وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الْأَرَاءُ عِنْدَ
نُجُومِهَا. مَنْ أَشْرَفَ لَهَا

(فيتزايلون) أى يزول بعضهم عن بعض و يفارق أحدهم الآخر (بالبغيضا)
بالعداء لا كمثل مفارقة الأحباء بعضهم لبعض .

(ويتلاعنون عند اللقاء) أى يلعن بعضهم بعضا ، اذا جمعوا فى
الآخرة ، وبعد ما أشار عليه السلام الى فتنة بنى أمية التى نكب الاسلام بها
أكبر نكبة ، أشار الى فتنة التتار أو الفتنة فى زماننا هذا بعد سقوط الدولة
الاسلامية بقوله :

(ثم يأتى بعد ذلك طالع الفتنة) أى الفتنة الطالعة الظاهرة (الرجوف)
الكثيرة الرجفة والاضطراب (و القاصمة) الكاسرة لظهر الاسلام والمسلمين
(الزحوف) التى تزحف من بلاد الكفار الى بلاد الاسلام .

(فتزيغ قلوب) أى تميل من الاسلام (بعد استقامة) فإن الناس تبع
للملوك ، وحيث أن التتار قلبوا البلاد الى مناهج كافرة ، انحرف كثير من
المسلمين فأخذوا يتعاطون المنكرات .

(وتضل رجال بعد سلامة) من أديانهم (وتختلف الأهواء) أى الميول
والاتجاهات (عند هجومها) أى هجوم تلك الفتنة لبلاد الاسلام .
(وتلتبس الآراء) أى حَقَّها بباطلها (عند نجومها) أى ظهور تلك
الفتنة .

(من أشرف لها) أى جعل ينظر الى تلك الفتنة — خارجا عنها — أو

قَصَمَتْهُ ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ ، يَتَكَادِمُونَ فِيهَا تَكَادِمَ الْحُمْرِ فِي الْعَانَةِ !
 قَدْ أَضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ . تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةَ ، وَ
 تَنْطِقُ فِيهَا الظَّلْمَةَ ، وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا ، وَتَرْضُضُهُمْ بِكُلْكُلِهَا !
 يَضِيعُ فِي غَبَارِهَا الْوُحْدَانُ ،

المعنى أراد دفعها (قصمته) أى كسرتة (ومن سعى فيها) بأن صار جزءاً
 لها (حطمتها) أى أهلكته وبادته - والجمعتان كناية عن شمول الفتنة لكل
 الناس من دخلها ومن لم يدخلها - .

(يتكادمون) أى يعرض بعضهم بعضاً (فيها) أى فى تلك الفتنة (تكادِم
 الحمر) جمع حمار (فى العانة) وهى القطيع من حمر الوحش ، أى إذا
 كانت حمر الوحش فى جماعة من أنفسها كيف تتعاض بعضها البعض كذلك هؤلاء
 (قد اضطرب معقود الحبل) أى الحبل المعقود فى رقاب الاجتماع الجامع
 لهم على منهاج الاسلام واضطرابه كناية عن اضطراب الناس فى الآراء والأخلاق
 والأعمال والعقائد - كما هو المشاهد فى زماننا هذا - .

(وعَمِيَ وجه الأمر) فلا يعرف الحق من الباطل أو الصحيح من السقيم
 (تَغِيضُ) أى تغور وتنضب (فيها) أى فى تلك الفتنة (الحكمة) فلا حكمة
 عند الناس ولا حكماً لهم .

(وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلْمَةُ) جمع ظالم ، بالظلم والعدوان (وتدق) تلك
 الفتنة (أهل البدو) أى أهل البادية - مقابل الحضر - (بمسحليها) هى
 آلة النحت وذلك كناية عن شدة وقعها عليهم كشدة وقع آلة النحت على الشئ
 المنحوت (وترضضهم) رض الشئ دقه وهشمه (بكلكليها) أى بصدرها .
 (يضيع فى غبارها الوحدان) جمع واحد : أى المفردون ، والمراد

وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ ، تَرِدُ بِمِرِّ الْقَضَاءِ ، وَتَحْلُبُ عَبِيْطَ الدِّمَاءِ ،
وَتَتْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِيْنِ تَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ ، وَتُدَبِّرُهَا
الْأَرْجَاسُ . مِرْعَادُ مِبْرَاقٍ ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ ! تُقَطِّعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ ،

الفهلاء ، فان للفاضل قدر في زمن الهدوء ، اما في زمن الفوضى فيتسدد م
الأشرار ويضيع الأفاضل .

(ويهلك في طريقها الركبان) أي ان أهل القوة الخائفين في تلك الفتنة
يهلكون ، فكيف بسائر الناس (ترد) هذه الفتنة على الناس (بمِرِّ القضاء)
أي القضاء الآتئ الذي هو مرفى اذهان الناس .

(وتحلب عبيط الدماء) أي الغليظ من الدّم الطرى ، وحلبها له
كناية عن ايجاب تلك الفتنة اراقة الدماء ، كما يحلب الانسان اللبن .
(وتتلّم) أي تكسرو تهدم تلك الفتنة (منار الدين) كالعلماء والمدارس
الدينية وما أشبه ذلك (وتنقض عقد اليقين) أي يقين الناس بالله والرسول
والأصول والفروع ، فانها تسبب زوال يقين الناس ، لما تلقيه من الشبهة و
الاشكالات .

(تهرب) أي تفر (منها) أي من تلك الفتنة (الأكياس) جمع كيس و
هو الحاذق العاقل (وتدبرها) أي تهيئتها وتدير شؤونها (الأرجاس) جمع
رجس وهو القدر ، والمراد أشرار الناس (مرعاد مبراق) أي لتلك الفتنة
أصوات هائلة كالرعد وكشوف عجيبة كالبرق ، تشبيه بالسحاب الموجب للهول
لرعه وبرقه (كاشفة عن ساق) اشاره الى عملها المتواصل ، كالذى يريـد
العمل فيكشف عن ساقه لئلا يمانعه الثوب .

(تقطع فيها الأرحام) لأن الفتنة توجب تفرق الناس ، فتقطع الرحمه

وَيُفَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ ! بَرِيْهَا سَقِيمٌ ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ !

منها : بَيْنَ قَتِيلٍ مَظْلُومٍ ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ ، يَخْتَلُونَ بِعَقْدِ الْإِيمَانِ
وَبِغُرُورِ الْإِيمَانِ ؛ فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ ، وَأَعْلَامَ الْبِدَعِ ؛ وَ
الْزُمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ ؛

(ويفارق عليها) أى على تلك الفتنة (الاسلام) فالناس يتركون الاسلام
انساقا مع تلك الفتنة (بريها سقيم) يعنى ان الدخول فيها ولو كان يرى
الجسم ، لكنه سقيم النفس .

(وظاعنها مقيم) أى ان من يسافر فرارا عنها تدركه الفتنة ، فهو والمقيم
سواء فى اشتغال الفتنة عليهم جميعا .

(منها :) أى من تلك الخطبة ، فى وصف الناس عندها (بين قتيل
مظلوم) يقال ظل دمه : بمعنى هدر فلم يقتل من القاتل (وخائف مستجير)
يستجير ويلوذ بالناس لرجاء النجاة .

(يختلون) أى ان الناس يخدعون (بعقد الايمان) فالظالمون يقولون لهم
انا مؤمنون ، حتى يخدعوهم ويقضون منهم ما ربههم (وبغرور الايمان) جمع يعين
أى يحلفون لهم بحسن نواهم ، ليخدعوهم فيظنون ان حلفهم صادقة (فلا تكونوا)
أيها الناس (انصاب الفتن) جمع نصب ، وهو ما يوضع ليقصد ، أى لا
تكونوا من حبات الفتنة حتى يقصدكم الناس الذين يريدون الفوضى والشغب (و
أعلام البدع) جمع بدعة (والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة) وهى الكتاب و
السنة ، فانهما كالحبل المعقود فى رقاب المسلمين ، والمعنى الزموا
جماعة المسلمين فى أعمالهم ، ولا تتفرقوا فى الأحزاب والأهواء (و بنيت
عليه أركان الطاعة) أى أسس الاسلام التى بنيت على تلك الأسس أركان طاعة

وَأَقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ ، وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ ، وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ ، وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ ، وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعْنَ الْحَرَامِ ، فَإِنَّكُمْ بَعِينَ مِنْ حَرَمٍ عَلَيْكُمْ الْمَعْصِيَةِ ، وَسَهْلٌ لَكُمْ سَبِيلُ الطَّاعَةِ .

• الله سبحانه

(واقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا عليه ظالمين) يعنى اذا دار الأمر بين ان تكونوا احدهما فكونوا مظلوما لا ظالما .

(واتقوا مدارج الشيطان) جمع مدرج ، وهو محل درجه وسيره ، و المعنى المعاصى (ومهابط العدوان) أى المحلات التى اسست على التعدى على الناس ، كمراكز الحكومة والسلطان الظالمة .
(ولا تدخلوا بطونكم لعن الحرام) جمع لعنه ، وهى ما تأخذه فى الملعه (فانكم بعين من حرم عليكم المعصية) أى انه سبحانه يراكم ، وسيجازيكم عليه (وسهل لكم سبيل الطاعة) حتى لا تصعب عليكم .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في صفة الله سبحانه ، وصفة أئمة الدين

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالُّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ ، وَبِمُحَدِّثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ ،
وَبِأَشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ ، وَلَا تَحْجُبُهُ السُّوَاتِرُ ،
لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في صفة الله سبحانه ، وصفة أئمة الدين

(الحمد لله الدال على وجوده بخلقه) فان الخلق اثر له سبحانه ، والاثـر
يدل على المؤثر (وبمحدث خلقه على أزليته) اذ لو كان محدثا هو سبحانه ،
لاحتاج الى محدث ، فلم يكن الها (وباشتباـههم) اى مشابهة بعضهم لبعض
(على ان لا شبه له) اذ الاشياء تجمعها الصفة الواحدة ، فلو كان سبحانه
شبيها للخلق ، لكان واياهم ، داخلين فى صفة واحدة ، وذلك يستلزم
الامكان ، وحيث ان الأشياء تعرف بما يقابلها ، عرف ازليته وعدم شـباهته ،
بحدوث الأشياء وانها يشبه بعضها بعضا .

(لا تستلمه المشاعر) اى لا تصل اليه سبحانه الحواس ، فلا يبصر ، ولا
يلمس وهكذا ، ومشاعر جمع مشعر بمعنى محل الشعور والادراك (ولا تحجبه
السواتر) اى انه سبحانه عالم بكل شئ ، وان كان مخفيا تحت الاستار (لا افتراق
الصانع والمصنوع) فالمصنوع حادث ذو شبه يمكن حجبـه والصانع بالعكس من
كل ذلك .

وَالْحَادُّ وَالْمَحْدُودُ ، وَالرَّبُّ وَالْمَرْبُوبُ ؛ الْأَحَدُ بِلَا تَأْوِيلٍ عَدَدٌ ، وَالْخَالِقُ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ ، وَالسَّمِيعُ لَا بِأَدَاةٍ ، وَالْبَصِيرُ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ ، وَ الشَّاهِدُ لَا بِمُمَاسَّةٍ ، وَالْبَائِنُ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ ، وَالظَّاهِرُ لَا بِرُؤْيَةٍ ، وَالْبَاطِنُ لَا بِلَطَافَةٍ . بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا ،

(والحادُّ) الذى جعل الحدود (والمحدود) الذى جعل له الحدود
(والرب والمربوب) اى الخلق الذين هم تحت تربيته سبحانه .
(الأحد بلا تأويل عدد) يعنى انه سبحانه واحد ، لكن لا بالوحدة العددية ، بأن يكون داخلا فى الأعداد ، حتى يكون واحدا من جنس ما يكون له ثان وثالث وهكذا (والخالق لا بمعنى حركة ونصب) أى التعب ، فكونه خالقا ، انما هو بالارادة ، لا كما فى الانسان الذى لا يتمكن من خلق و صنع شئ الا اذا تحرك وتعب .
(والسميع لا بأداة) أى آلة السمع كالاذن بل يسمع سبحانه بذاته (و البصير لا بتفريق آلة) فان الأبصار فى الانسان ونحوه لا يكون الا بتفريق الأجفان وفتح أحدهما عن الآخر ، وليس له سبحانه عين حتى يكون هكذا .
(والشاهد) أى الحاضر (لا بمماسة) أى من جسم الشاهد لهواء خاص ومكان خاص ، حتى يكون مقتريا من المشهود عليه ، فالله سبحانه منزّه عن القرب المكانى ، والمماسة الجسميّة (والبائن) أى المنفصل عن الأشياء (لا بتراخى مسافة) أى بابتعاد شئ عن شئ فى المسافة ، فان ذاته سبحانه مبائن للأشياء (والظاهر) فى العالم (لا بروئية) الانسان له ، بل ظاهر بآثاره وأدلتة (والباطن) اى الخفى ذاته (لا بلطافة) فان الأشياء الباطنة كالماء الذى يتسرب فى الباطن وما اشبه يحتاج الى لطف حتى يتسرب ويهبطن وليس الله سبحانه هكذا (بان من الأشياء بالقهر لها)

وَالْقُدْرَةُ عَلَيْهَا، وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ مَنْ
وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزْلَهُ، وَمَنْ قَالَ:
« كَيْفَ » فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قَالَ: « أَيْنَ » فَقَدْ حَيَّرَهُ، وَعَالِمٌ إِذْ لَا
مَعْلُومٌ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ، وَقَادِرٌ

أى انه سبحانه منفصل عن الأشياء انفصالا قاهرا لها - لا انفصالا محايدا - (والقدرة
عليها) فهو قادر على التصرف فيها والتقليب لها .

(وبانت الأشياء منه بالخضوع له) فكلّ شئ خاضع له سبحانه مطيع لأمره
(والرجوع اليه) فكلّ شئ يرجع في بقاءه وتقلباته - تكويننا - اليه تعالى (من
وصفه) سبحانه (فقد حدّه) والمراد من وصفه بصفات الأشياء بأن بين كيفيته
وخصوصياته ، فان ذلك مستلزم لتحديد حصره في جانب واحد ، و الله
سبحانه غير متناه ولا وصف بصفات المخلوقين (ومن حدّه فقد عده) أى جعله
معدودا في ردف سائر الموجودات فهو واحد منهم .

(ومن عده فقد أبطل أزله) اذ لو كان سبحانه كالموجودات لم يكن أزليا
(ومن قال : كيف) بأن بين كيفيته سبحانه (فقد استوصفه) أى وصفه بما هو
برى منها ، فان الله سبحانه لا كيف له ، أو المراد ان من قال كيف - على
سبيل الاستفهام - فقد طلب وصفه .

(ومن قال أين) أى انه تعالى في المكان الكذائى (فقد حيّزه) أى
جعل له حيّزا ومكانا خاصا ، والله لا مكان له .

(و) هو تعالى (عالم اذ لا معلوم) اذ علمه بالأشياء منذ الأزل (ورب)
أى له صفة الربوبية - التى معناها التربية - (اذ لا مَرْبُوب) وليس ان وجدت
له صفة الربوبية ، وصلاحيه الخلق ، بعد ان لم تكن له تلك الصلاحية (وقادر

إِذْ لَا مَقْدُورٌ

منها : قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ ، وَلَمَعَ لَامِعٌ ، وَلَاحَ لَائِحٌ ، وَاعْتَدَلَ
مَائِلٌ ، وَاسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا ، وَبَيَوْمٍ يَوْمًا ، وَانْتَظَرْنَا الْغَيْرَ انْتِظَارًا
الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ . وَإِنَّمَا الْأُئِمَّةُ قَوْمٌ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَعُرْفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ؛

اذ لا مقدور (اذ القدرة صفة ذاتية لا أنها وجدت حين خلق المقدورات .
(منها :) في بيان أوصاف أئمة الدين ، ووصف الاسلام (قد طلع
طالع) أي خرج الى الخلافة ، قالوا خطب الامام عليه السلام بهذه الخطبة
بعد مقتل عثمان ، فلعل المراد بالأوصاف أوصاف نفسه الشريفة والأئمة من
ذريته ، أو انها أوصاف الامام المهدي عليه السلام (ولمع لامع) أي أشرق
(ولاح) أي ظهر (لائح) وهذه الجملة تفيد المفاجات غير المترتبة .
(واعتدل مائل) فان الأمر كان مائلا في زمن الخلفاء نحو الانهيار واعتدل
في زمن الامام عليه السلام .

(واستبدل الله بقوم قوما) جعل القوم الذين على الحق في مكان القوم
الذين كانوا على الباطل (وبيوم يوما) أي جعل يوم الحق مكان يوم الباطل (و
انتظرنا الغير) أي صروف الدهر حتى تأتي بالحق (انتظار المجذب) أي الذي
في القحط ، من الجذب مقابل الخصب (المطر) ليخرج من البلاء الى
الرخاء ، ثم بين عليه السلام وصف الأئمة الذين يليقون بأخذ الزمام .
(وائما الأئمة قوام الله) أي القائمون من طرفه سبحانه (على خلقه)
ليسوقوهم الى الخير والسعادة (وعرفاؤه على عباد) جمع عريف بمعنى
النقيب ، المطلع على أحوال الناس .

لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ ، وَأَسْتَخَصَّكُمْ لَهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَسَمُ سَلَامَةٍ ، وَجَمَاعُ كَرَامَةٍ . أَصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُجَهُ ، وَبَيَّنَّ حُجَجَهُ ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ ، وَبَاطِنِ حِكْمٍ . لَا تَغْنَى غَرَائِبُهُ ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ . فِيهِ

(لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه) بأن يكون بينهما تعارف وتواصل
(ولا يدخل النار الا من أنكرهم وأنكروه) بأن يكون بينهما تناكر وتدابير (ان
الله تعالى خصكم) أيها المسلمون (بالاسلام) بأن وفقكم الاعتناقه والالتزام
به (واستخصكم له) أي طلب منكم أن تخصصوا أنفسكم للاسلام ، بأن تعملوا
من أجله ولاعلائه (وذلك) أي لماذا طلب منكم أن تخصصوا أنفسكم للاسلام
(لانه اسم سلامة) أي علامة على سلامة الدنيا والآخرة ، فينبغي أن يخص
الانسان نفسه لأجله (وجماع كرامة) أي مجتمع الكرامات الدنيوية والأخروية
فمن عمل به سعد في النشاطين .

(اصطفى الله تعالى منهجه) أي اختار طريق الاسلام للناس (و بين
حججه) أي الأدلة الدالة على أنه أحسن الأديان والمناهج (من ظاهر علم)
أي أن ظاهر حجج الاسلام علم (وباطن حكم) فلكل حجة من حجج الاسلام
حكمة ومصلحة وعمق ، و (من) بيان الحجج ، فإن الحجة قد تكون تافهة
سخيفة ، وقد تكون في ظاهرها دليلاً علمياً ، ولكن كانت جدلاً لا باطن
حقيقى لها ، وليس كذلك حجج الاسلام (لا تغنى غرائب) أي غرائب الاسلام
فكلما تعمق الانسان في الاسلام ظهرت له غرائب أحكام تدل على انه من جعله
سبحانه لا من جعل البشر .

(ولا تنقض عجائبه) أي الأمور العجيبة المودوعة في الاسلام (فيه) أي

مَرَابِيعُ النُّعْمِ ، وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ ، لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ ، وَ
لَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ . قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ ، وَأَرْعَى مَرْعَاهُ .
فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفِي ، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي .

في الاسلام (موابيع النعم) جمع موابع وهو المكان الذي ينبت فيه نبت
الربيع .

(ومصابيح الظلم) أي المصباح الذي يكشف الظلمة ويجعل مكانها نورا
(لا تفتح الخيرات الأبعثية) يعني أن الخير لا يتوجه نحو الانسان إلا اذا
سلك الانسان السبيل الذي جعل الله للخير وقرره في الاسلام ، مثلا العلم لا
يحصله الانسان إلا بالتعلم من عالم ، والمال لا يحصله الانسان إلا بالكسب و
الاكتساب ، وهكذا سائر الشؤون الدينية والدينية لها مفاتيح بينت وقررت
في الاسلام فالضيق في مفاتيحه عائد الى الاسلام .
(ولا تكشف الظلمات) ظلمات الجهل والفتنة وما أشبه (الابمصابيح)

أي موابيع الاسلام (قد أحى) الله أي حفظ و رعى (حماه) الضمير
للالسلام ، والحي هو المحل الذي يحظر استطراده لاحترام جعل له .
(وأرعى مرعاه) أي هي الاسلام لأن يكون مرعى للعلم والحكمة والخير، كما .
يرعى الانسان المرعى لرعى دوابه (فيه) أي في الاسلام (شفاء المشتفى) أي
من أراد الشفاء من الآثام والشقاء (وكفاية المكتفى) أي الذي ليس حريصا ، و
انما يكتفى بالخير والوسط في الاسلام كفاية له . اذ بالاسلام يحصل الانسان
على خير الدنيا وسعادة الآخرة .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

صفحة الضال

وَهُوَ فِي مُهَلَّةٍ مِنْ اللَّهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ ، وَيَعْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ ، بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ .
منها : حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ ، وَأَسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في صفة الضال ، ووصف الغافل ، والوعظ والارشاد
(وهو) أي الضال الحائد عن طريق الله سبحانه (في مهلة من الله) قد أخر أجله لينظر عمله (يهوى) وينزل في دركات الآثام (مع الغافلين) الذين غفلوا عن الله وأحكامه .
(ويعدو) أي يصيح (مع المذنبين) العاصين لله تعالى (بلا) أن يكون له (سبيل قاصد) أي متوسط يوصل الى المطلوب والمراد به سبيل الحق (ولا امام قائد) له الى السعادة والخير فان الانسان المذنب يترك الطريق الحق ، ويترك الامام الهادي الذي يقوده الى النجاة ، ويشغل بالمعاصي والآثام .

(منها) : في صفات أهل الغفلة ، وأنهم كيف يندمون حيث لا ينفع الندم (حتى اذا كشف لهم) الله سبحانه (عن جزاء معصيتهم) وذلك بعد ان قبض ارواحهم (واستخرجهم) أي أخرجهم (من جلابيب غفلتهم) جمع

اَسْتَقْبِلُوا مُدْبِرًا ، وَاسْتَدْبِرُوا مُقْبِلًا ، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا اُذْرِكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ .
وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ اِنِّي اَحْذَرُكُمْ ، وَنَفْسِي ، هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ . فَلْيَنْتَفِعْ
اَمْرُو بِنَفْسِهِ ، فَاِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ ، وَنَظَرَ فَاَبْصَرَ ، وَانْتَفَعَ
بِالْعَبْرِ ،

جلباب ، وهو الثوب الواسع الذي يلبس الانسان ، فكأنهم كانوا من جلاباب
من الغفلة لا يهتدون الى الحق حتى اذا جاءهم الموت خرجوا من ذلك الجلاباب .
(استقبلوا مدبراً) أى العذاب الأخرى (واستدبروا مقبلاً) أى الدنيا
ومتاعها ، فقد كانوا فى الدنيا يتوجهون الى الدنيا ، ويولون الدبر للآخرة ،
فلما جاءهم الموت انعكس الأمر ، استقبلوا الآخرة ، وأدبروا عن الدنيا ، و
ذلك لانقضاء أيام الدنيا ، ومجيء أيام الآخرة (فلم ينتفعوا بما أدركوا من
طلبتهم) يعنى ان ما أدركوه فى الدنيا من لذائذها وشهواتها ، لم ينفعهم
اذا أدبرت ولم تبق معهم .

(ولا بما قضوا من وطهرهم) أى حاجتهم فان حوائجهم الدنيوية التى قضيت
لم تنفعهم فى الآخرة ، حيث انقطعت الدنيا بما فيها (أنى أحذركم) أيها
الناس (و) أحذر (نفسى) من (هذه المنزلة) أى أن يكون للانسان هذه
المنزلة الموجبة للندم .

(فلينتفع امرؤ بنفسه) وذلك بالعمل الصالح ، وهذا أمر وطلب لأن
لا يضيع الانسان نفسه فى الدنيا ، بطلب الشهوات والغفلة عن الآخرة (فانما
البصير من سمع) الوعظ والارشاد والاعتبار (فتفكر) فى أمر نفسه و عمل
لنجاتها (ونظر) الى الدنيا وأحوالها (فأبصر) الحقيقة ولم تعممه
الشهوات (وانتفع بالعبر) الموجبة لأن يعتبر الانسان ، ويدرك حقيقة

ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا وَاضِحًا يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، وَالضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي، وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغَوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ.

فَأَفَقَّ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ،

الدنيا وزوالها وضرر شهواتها ، وخير تركهما في سبيل الآخرة .

(ثم) بعد الاعتبار (سلك جددا) أي طريقا (واضحا) هو طريق

الحق والهدى .

(يتجنب فيه) أي في ذلك الجدد (الصرعة) أي الوقوع والهلاك (في

المهاوي) جمع مهوى ، وهو المحل المنخفض الذي يقع فيه الانسان ، وذلك

كناية عن المعصية والاثم ، فانها توجب هوى الانسان عن مراتب الكمال الى

النقص ، ثم العقاب في الآخرة .

(و) عن (الضلال) وان يتيه الانسان (في المغاوي) جمع مغواة ،

وهي محل الغوى والضلال ، كما يضل الانسان الطريق في الصحارى المجهولة

(ولا يعين على نفسه الغواة) جمع غاوي وهو الضال عن طريق الهداية ،

أي لا يعينهم — باتباع طريقهم — على ضد نفسه وهلاكها (يتعسف في حق)

بأن يتكلف الباطل ويترك طريق الحق (او تحريف في نطق) بأن ينطسق

بالباطل ويحرف بكلامه ، الحق (او تخوف من صدق) بأن لا يصدق خوفا

من الناس ، فان الانسان اذا عمل هذه الأعمال ، كان معينا للغوات ، فانهم

يطمعون فيه ويأخذونه معهم .

ثم أخذ عليه السلام في الوعظ والارشاد (فأفق أيها السامع) للكلام

(من سكرتك) السكر كناية عن الغفلة ، والافاقة كناية عن الالتفات .

وَأَسْتَبْقِظُ مِنْ غَفْلَتِكَ ، وَآخْتَصِرُ مِنْ عَجَلَتِكَ ، وَأُنْعِمُ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ
عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا
مَحِيصَ عَنْهُ ، وَخَالَفَ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَدَعَا وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ ،
وَضَمَّ فَخْرَكَ ، وَاحْطَطُ كِبْرَكَ ، وَادْكُرْ قَبْرَكَ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمْرَكَ ،

(واستيقظ) أي تنبه (من غفلتك) فان الغافل كالنائم اذ كلاهما لا
يدركان الواقع (واختصر من عجلتك) أي سرعتك في طلب الدنيا ، والاختصار
التأني ليري الصحيح من السقيم ، والتافع من الضار .

(وأنعم الفكر) أي تفكر ففكرنا حسنا (فيما جاءك على لسان النبي الأمي)
محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) المنسوب الى ام القرى ، وهي مكة (مما
لا بد منه) أي في الأحكام التي لا بد للانسان من الأخذ بها ، او المواد من
أموال الآخرة التي لا بد وان تصل الى الانسان .

(ولا محيص) أي لا مفر (عنه) اذ لا يمكن الفرار من الأحكام لمن أراد
السعادة ، أو لا يمكن الفرار من أمور الآخرة فانها آتية لا محالة (وخالف من
خالف ذلك) الاشارة الى ((ما لا بد منه)) (الى غيره) أي العصاة الذين
خالفوا الأحكام وما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خالفهم ، ولا تتبع
طريقتهم .

(ودعه) أي ذر المخالف العاصي (وما رضى لنفسه) من الآثام (وضع
فخرك) أي لا تتخرفان الافتخار دليل صغر النفس (واحطط كبرك) أي لا
تتكبر فان الكبر دليل خفة النفس وعدم وزن لها (وادكر قبرك) فان ذكر القبر
يوجب أن يعمل الانسان صالحا (فان عليه) أي على القبر (ممر) مصدر
مبني ، أي مرورك في سفرك من الدنيا الى الآخرة .

وَكَمَا تَدِينُ تَدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدُمُ عَلَيْهِ غَدًا،
فَأَمْهَدْ لِقَدَمِكَ، وَقَدَّمْ لِيَوْمِكَ. فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِيعُ! وَالْجِدَّ الْجِدَّ
أَيُّهَا الْغَافِلُ! «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» .
إِنَّ مِنْ

(وكما تدين تدان) أى كما تعمل تجزى ، فإن الجزاء من جنس العمل ،
فان ((دان)) بمعنى عمل أى كما تعمل بك (وكما تزرع) أى كالذى تزرع
من حنطة وشعير - والمراد هنا الأعمال التى يعمله الانسان - (تحصد)
ومن المعلوم انه ((لا يجتنى الجانى من الشوك الغب)) ((ولا من الأعشاب
شوكا ذا تعب)) .

(وما قدمت اليوم) أى الى الآخرة - من صالح الأعمال أو فاسدها -
(تقدم عليه غدا) فى الآخرة (فامهد) أى هتئ فى الآخرة (لقدمك) أى
المكان الذى تضع فيه قدمك . وذلك بطيب الأعمال ليكون محللك هناك
حسنا .

(وقدم) الأعمال الصالحة (ليومك) أى الآخرة فانه يوم نجاح الانسان
أو سقوطه (فالحذر الحذر) مفعول مطلق لفعل محذوف ، أى احذر الحذر .
اللازم (أيها المستمع) لئلا تعمل بما يوجب خزيك هناك .

(والجد الجد) أى جد جدا لأن تعمل بما يجب عليك (أيها الغافل)
عن عواقب الأعمال (ولا ينبئك مثل خبير) أى لا يخبرك عن الواقع ، مثل
الانسان الخبير المطلع على الأمور ، وهذا كناية عن اطلاع المتكلم عن الحقيقة
ما يلزم على السامع قبول خبره .

ثم بين عليه السلام جملة من خصال الشر الموجب لسوء العاقبة (ان مسن

عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ ، وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ - أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا ، لَاقِيًا رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتَّبِعْ مِنْهَا : أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ ،

عزائم الله (جمع عزيمة ، وهي الفريضة ، مقابل الرخصة ، والمراد هنا المحرمات ، لأنه سبحانه فرض تركها والزم العقاب لمرتكبها (في الذكر الحكيم) أي المذكورة في القرآن ، ووصفه بالحكيم ، لأنه يضع الأشياء مواضعها ، ويبينها على حقائقها (التي عليها) أي على تلك العزائم (يثيب) أي يعطي الثواب سبحانه ، لمن تركها (ويعاقب) لمن ارتكبها .
(ولها) أي لتلك العزائم (يرضى) إذا تركت (ويسخط) إذا عمل بها (انه) اسم ((ان)) في قوله ((ان من عزائم الله)) والجار خبر مقدم (لا ينفع عبداً - وإن أجهد) ذلك العبد (نفسه) في الطاعة (وأخلص فعله) الطاعات لله سبحانه (أن يخرج) فاعل ((ينفع)) وجعلتها ((أجهد)) و ((اخلص)) معترضتان .

(من الدنيا لاقياً ربه) ملاقاته الله كناية عن الوصول إلى المحل الذي أعدّه الله سبحانه للثواب والعقاب ، ووجه الكناية : أن الإنسان يلاقى الحاكم لدى المحاكمة ، فالتشبيه للمعقول بالمحسوس (بخصلة من هذه الخصال) التي سنذكرها ، بحيث (لم يتب منها) أي أن الإنسان إذا عمل بعض هذه الأعمال ، ثم خرج من الدنيا قبل التوبة ، لا بد وأن يلاقى سخط الله سبحانه وعقابه ، إذ أنها ميزان الثواب والعقاب ، والرضا والسخط (أن يشرك بالله فيما افترض) الله (عليه من عبادته) ((فيما)) بيانية ، أي أن الشرك في

أَوْ يَشْفِي غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ ، أَوْ يُقِرَّ بِأَمْرِ فَعَلَهُ غَيْرُهُ ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ ، أَوْ يَمْشِي

عبادة الله ، بأن يعبد الانسان صنما أو ما أشبه ، يوجب العقاب ، وان كان أخلص الانسان في الأعمال الخيرية ، وأجهد نفسه في الطاعات ، فقد قال سبحانه : ((ان الله لا يغفر أن يشرك به)) .

(أَوْ يَشْفِي غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ) بأن يقتل أحدا شفاء للغضبه ، لأن يكون القتل له سبحانه ، كالحدود والقصاص ، فقد قال سبحانه : ((و من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها)) .

(أَوْ يُقِرَّ بِأَمْرِ فَعَلَهُ غَيْرُهُ) لعل المراد بذلك ، أن يقول الانسان فعلت كذا من الخير ، والحال أنه لم يفعله ، بل فعله غيره ، لقوله سبحانه : ((لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ، ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب)) أو المراد قذف انسان ، فالمعنى القول بأن الغير فعل كذا ، لقوله سبحانه : ((ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم)) وهنا احتمالات أخر ذكرها الشراح .

(أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ) أى يطلب نجاح حاجته من الناس (بإظهار بدعة في دينه) بأن يبدع في الدين ما ليس منه ، ولعل الآية الدالة على ذلك قوله سبحانه : إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)) أو قوله : ((فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون)) .

(أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ) فإذا حضروا مدحهم وإذا غابوا ذمهم (أَوْ يَمْشِي

فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ . أَعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ .
 إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بَطُونُهَا ؛ وَإِنَّ السَّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا ؛
 وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا ؛

فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ (لسان مدح واطراء ، ولسان ذم وازدراء ، ولعلّ الجملتين
 لعقائد واحد ، والدليل عليه قوله سبحانه : ((إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي دَرَكٍ الْأَسْفَلِ
 مِنَ النَّارِ)) (اعقل ذلك) الذي ذكرت من الوعظ والارشاد .
 (فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ) أي أَنَّ الْأَحْوَالَ الَّتِي تَجْرِي عَلَى الْأَشْيَاءِ ،
 دليل على أَنَّ مِثْلَ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ أَيْضًا تَجْرِي عَلَيْهِ مِثْلُ تِلْكَ الْأَحْوَالَ ، مثلاً: الحكم
 الَّذِي يَجْرِي عَلَى صَاحِبِ هَذَا السُّلْطَانِ مِنَ الْعِزَّةِ وَالْجَاهِ يَجْرِي عَلَى صَاحِبِ
 السُّلْطَانِ الْآخَرِ ، وَالْخَوْفُ الَّذِي يَسِيطِرُ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ الْمُنْكَسِرِ يَجْرِي مِثْلُهُ
 عَلَى الْجَيْشِ الْآخَرِ إِذَا انْكَسَرَ وَهَكَذَا ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ أَمَّا تَابِعَةٌ لِلْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ ،
 وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمَحْرَمَاتِ الَّتِي لَمْ يَذْكُرْهَا الْإِمَامُ ، كَالْمَحْرَمَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي عَدَمِ
 الْإِنْتِفَاعِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ لِمَنْ يَرْتَكِبُهَا ، مِمَّا وَعَدَ اللَّهُ النَّارَ عَلَيْهَا ، كَالزَّيْنِ ، وَ
 الزَّيْنِ ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ وَأَمَّا مُقَدِّمَةُ لَمَّا يَأْتِي وَذَلِكَ لِبَيَانِ أَنَّ الْإِنْسَانَ التَّابِعَ
 لَشَهْوَاتِهِ كَالْبَهِيمَةِ ، الْخ .

(إِنَّ الْبَهَائِمَ) جَمْعُ بَهِيمَةٍ وَهِيَ الْحَيَوَانُ الَّذِي لَا يَفْصَحُ ، وَلِذَا سَمِيَ
 بَهِيمَةً ، وَالتَّائِيثُ بِاعْتِبَارِ النَّفْسِ (هَمُّهَا بَطُونُهَا) أَنْ تَمْلَأَهَا وَتَفْرِغَهَا (وَإِنَّ
 السَّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا) فَهِيَ بِمَا أَوْدَعَ فِيهَا مِنَ الْغَرَائِزِ تَرْهَدُ الظُّلْمَ
 وَالتَّعَدَّى دَائِمًا .

(وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْفَسَادُ فِيهَا) إِذَا الْمَرْأَةُ
 يَوْصَفُ كَوْنُهَا عَاطِفِيَّةً ، تَهْتَمُّ بِالْفَسَادِ كُلَّمَا هَاجَ مِنْهَا الْعَاطِفَةُ نَحْوِ جَانِبٍ ، فَهِيَ

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ. إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ. إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في فضل أهل البيت والارشاد

وَنَظَرُ قَلْبِ اللَّيِّبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمْدَهُ ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ . دَاعٍ دَعَا ،

مفرطة في جانب ، ومفرطة في جانب آخر ، بخلاف الرجال الذين تتعال فيهم قوتا العقل والعاطفة (ان المؤمنين مستكينون) أي خاضعون لله عز وجل ، من استكان بمعنى تضرع ، والمستكين لا يكون في فكر البطن ، وإنما في فكسر الاطاعة والعبادة (ان المؤمنين مشفقون) أي خائفون متعطفون ، من أشفق بمعنى خاف وتعطف ، والخائف المتعطف لا يعتدى على أحد (ان المؤمنين خائفون) والخائف لا يهتم بالزينة والفساد .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في فضل أهل البيت والارشاد

(وناظر) أي عين (قلب الليب) أي العاقل - وعين القلب ، كناية عن ادراكه للاشياء ، كما يدرك البصر للمتبصرات (به) أي بسبب ذلك الناظر (يبصر) الليب (أمده) أي منتهى أمره ، وإذا أدرك الانسان منتهى الأمور وما يؤل اليه الأعمال ، لا بد وأن لا يخرج عن حدود العقل والشرعة ، مما يضره في دينه ودنياه .

(ويعرف غوره) أي عمقه وانخفاضه (ونجده) أي ارتفاعه أي يرى ما يوجب الرفعة وما يوجب الضعة (داع دعا) والمراد به الرسول صلى الله

وَرَاعٍ رَعَى ، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي ، وَاتَّبِعُوا الرَّاعِي . قَدْ خَاضُوا بِحَارَ
الْفِتَنِ ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ . وَأَرَزَّ الْمُؤْمِنُونَ ، وَنَطَقَ الضَّالُّونَ
الْمُكَذِّبُونَ . نَحْنُ الشُّعَارُ وَالْأَصْحَابُ ،

عليه وآله وسلم (وراع رعى) الناس في مواضع الرفاء والسعادة ، والجملة
السابتان كالمقدمة لهذه الجملة ، حيث ان البصير يدرك الحقيقة ، فممكن
الضروري أن يتبع الحق المتمثل في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

(فاستجيبوا) أي أجيبوا أيها الناس ، ولعل الاتيان من باب الاستفعال
لأن الاجابة يسبقها التفكير ، واهتمام النفس بالاجابة (للداعي) الذي دعى
الى الهدى .

(واتبعوا الراعي) الذي يريكم في معاشه أمن وسلامة ، اما غيرنا ممن
أخذ زمام الأمور عنفا وتخويفا فـ (قد خاضوا) أي دخلوا (بحار الفتن) حيث
أهلكوا أنفسهم من غير بصيرة .

(وأخذوا بالبدع) التي أبدعوها (دون السنن) جمع سنة ، أي :
الطرائق التي سنّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، كابداعهم صلاة التراويح
ومنع المؤلف ، وتحريم متعتي الحجّ والنساء ، وغيرها (وأرز المؤمنون) أي
انقبضوا وثبتوا ولاذوا بالصمود لئلا ينحرفوا مع المنحرفين (ونطق الضالون
المكذبون) لله ورسوله حيث استولوا على الأمور بالقوة ، وأخذوا ينطقون بما
يشائون .

(نحن الشعار) للدين ، وهو الثوب الذي يلبس ملاصقا للجسد ، وسعى
شعارا : باعتبار اتصاله بشعر جسم الانسان ، فكانهم عليهم السلام لشدة
لصوقهم بالدين كالشعار للجسد (والأصحاب) للرسول صلى الله عليه وآله و

وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ ؛ لَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا ؛ فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ
أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا .

منها : فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ . إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا ،
وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسَبِّقُوا . فَلْيَصْذُقْ رَائِدُ أَهْلِهِ ،

سَلَّمَ الَّذِينَ صَحَبُوهُ لِأَجْلِ الْإِسْلَامِ فَقَطْ ، لَا لِحَبِّ الرِّئَاسَةِ وَمَا أَشْبَهَ .
(والخزنة) جمع خازن : وهو الحافظ للشيء النفيس ، فهم عليهم
السَّلام خزان علم الكتاب وسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (والأبواب)
للعلم والمعرفة ، فكما أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتِمَكَّنُ مِنَ الدَّخُولِ فِي الدَّارِ وَنَحْوِهَا ، إِلَّا
بَطَرِيقِ الْبَابِ ، كَذَلِكَ لَا يَتِمَكَّنُ الْإِنْسَانُ مِنَ الدَّخُولِ فِي مَدَائِنِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
إِلَّا بِالسُّؤَالِ مِنْهُمْ (لَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا) كما قَالَ سُبْحَانَهُ : (فَمَنْ
أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا) وهكذا مَنْ طَلَبَ الْإِسْلَامَ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِهِمْ
عَلَيْهِمُ السَّلام .

(منها) : أَيُّ بَعْضِ الْخُطْبَةِ فِي شَأْنِ آلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلام (فِيهِمْ)
نَزَلَتْ (كَرَائِمُ الْقُرْآنِ) جَمْعُ كَرِيمَةٍ : وَهِيَ الْآيَاتُ الْمَادِحَةُ الْمَوْجِبَةُ لِتَكْرِيمِ
الْعَرَادِ مِنْهَا .

(وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ) فكما أَنَّ الْكُنْزَ مَحَلُّ الشَّيْءِ الثَّمِينِ ، فَهُمْ مَحَلُّ الْعِلْمِ
وَالْمَعَارِفِ الثَّمِينَةِ بِإِيدَاعِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ فِيهِمْ (إِنْ نَطَقُوا) وَتَكَلَّمُوا فِي
خَبْرٍ أَوْ حُكْمٍ أَوْ قِصَّةٍ أَوْ مَا أَشْبَهَ (صَدَقُوا) لَعَلَّهُمْ بِالْأَشْيَاءِ .

(وَإِنْ صَمَتُوا) وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا (لَمْ يُسَبِّقُوا) أَيُّ لَمْ يُسَبِّقْهُمْ أَحَدٌ بِالْكَلامِ
لِهَيْبَتِهِمْ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَلِمَ وَجُودَ أَعْلَمَ مِنْهُ فِي الْمَجْلِسِ ، لَا يَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ
خَوْفًا مِنَ الْفُضِيحَةِ (فَلْيَصْذُقْ رَائِدُ أَهْلِهِ) الرَّائِدُ هُوَ الَّذِي يَتَقَدَّمُ الْقَوْمَ الْمَسَافِرِينَ

وَلِيُحْضِرْ عَقْلَهُ، وَلِيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِيمٌ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ .
فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ ، يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ : أَعْمَلُهُ
عَلَيْهِ أَمْ لَهُ ! فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ . فَإِنْ
الْعَامِلُ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ . فَلَا يَزِيدُهُ بَعْدَهُ عَنِ الطَّرِيقِ
إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ .

لينظر لهم مكانا حسنا ، لنزولهم فيه ، والمراد هنا ان رواد العلم الذين
ياخذون العلوم والأحكام ، يلزم عليهم أن يصدقوا الناس في ذكر فضائلهم عليهم
السلام وأنهم هم الأئمة والخلفاء دون سواهم .

(وليحضر عقله) أى يعمل عقله في تمييز الحق من الباطل ، لا أن يجرى
على عواطفه وتقاليده (وليكن من أبناء الآخرة) الذين يخافون عذاب الله و
يرجون ثوابه ، فيعملون عملا صادقا ، وأن خالف ذلك دنياهم (فاته منها)
أى من الآخرة (قدم) فان آدم عليه السلام كان في الجنة ، ثم جاء الى الأرض
(واليهما ينقلب) أى يرجع بعد موته (فالتاظر بالقلب) نظر تبصر و
تعقل (العامل بالبصر) أى الذى يعمل بنهج البصيرة والادراك ، لا بنهج
الجهل (يكون مبتدأ عمله أن يعلم : عمله عليه أم له ؟) أى ان الذى يريد
الشروع فيه ، هل يوجب له الخير والسعادة والثواب ام الشر والشقاوة والعقاب
(فان كان) العمل المراد (له) أى نافعا له (مضى فيه) وعمله (وان
كان عليه وقف عنه) ولم يرتكبه لئلا يتضرر به .

(فان العامل بغير علم) يعاقبه عمله (كالسائر على غير طريق) منحرفا
موربا عنه (فلا يزيده بعده عن الطريق الا بعدا من حاجته) وهذا تحذير عن
العمل على غير هدى ، وبدون أن يفكر الانسان في مصير عمله .

وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ . فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ : أَسَائِرُ
هُوَ أَمْ رَاجِعٌ !

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ . وَمَا
خَبِثَ ظَاهِرُهُ خَبِثَ بَاطِنُهُ . وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَأَلِيهِ - : « إِنَّ اللَّهَ

(و) انّ (العامل بالعلم) بأن تبصر عاقبة ما يريد عمله (كالسائر على
الطريق الواضح) الذي يصل الى هدفه بدون كلل أو ملل (فليُنظر ناظر) أي
عامل يريد السير في طريق (أسائره) سيرا يوصله الى غايته (أم راجع)
يوجب سيره الخزي والندامة ، كالمراجع الذي يريد مقصدا ، لكنه يسير ضد
اتجاهه ، وبعد ما بين الامام عليه السلام ميزان العمل الصحيح ، بين التلازم
بين الظاهر والباطن ، حتى لا يقال انّ ظاهر العمل ليس دليلا على صحة
الباطن أو سوءه .

(واعلم انّ لكلّ ظاهر باطنا على مثاله) أي مثل ذلك الظاهر (فما طاب
ظاهره طاب باطنه) فانّ الظاهر عنوان الباطن (وما خبيث ظاهره خبيث
باطنه) وذلك لأن خبيث السيرة لم يتمالك من تصحيح ظاهره ، و ان أراد
اخفاء سيرته ، اذ السيرة تعمل تلقائيا ، والظاهر يعمل بتكلف ، والتلقائي
لا بد وأن يظهر أثره ، بمجرد ان رفع القسر ، ولو بالسّهو والنسيان و
نحوهما ، وهكذا طيب السيرة ، ولذا قال الامام عليه السلام : ((ما نوى
امراً شيئاً الاّ ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه)) وقال الشاعر :

و مهما يكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلن
(وقد قال الرسول الصادق صلى الله عليه وآله) وسلم : (انّ الله

يُحِبُّ الْعَبْدَ ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ .
وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتًا . وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ ، وَالْمِيَاهُ
مُخْتَلِفَةٌ ، فَمَا طَابَ سَقِيُّهُ ، طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَّتْ ثَمَرَتُهُ . وَمَا خَبُثَ
سَقِيُّهُ ، خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ .

يحبّ العبد (اذا كان نقي السّيرة طاهر الضمير) ويبغض عمله (الذي
يأتى به اذا كان منكرا ، زل اليه .

(ويحبّ العمل) الصّالح (ويبغض بدنه) أى الشخص الذى عمل
ذلك العمل ، اذا كان خبيث السّيرة ، فاسد الضمير ، والاستشهاد بهذا
الكلام لبيان خبث العمل - احيانا - لا يسبب سقوط الظاهر الحسن اذا كان
الباطن حسنا ، وبالعكس طيب العمل احيانا ، لا يسبب سقوط الظاهر
السيئ اذا كان الباطن سيئا ، فان الظاهر يتبع الباطن فى الحسن والقبح ، و
لا يتبع بعض الأعمال النادرة التى تصدر مخالفا للباطن احيانا .

(واعلم ان لكل عمل نباتا) أى ثمرًا ونموًا ونتيجة (وكل نبات لا غنى به
عن الماء والمياه مختلفة) فالعمل مثلا كتأليف الكتاب ، والنبات هو الثمر الذى
يترتب عليه من ارشاد الناس ، والمياه هو المحل الذى استقى من المؤلف الرشده -
من القرآن ، او كتب الفلاسفة - (فما طاب سقيه طاب غرسه) أى نباته (وحلت)
من الحلاوة (ثمرته) كالمستقى من القرآن الحكيم - فى المثال - .

(وما خبث سقيه خبث غرسه) ونموه (وأمرت ثمرته) أى صارت مرة
لا تستساغ ، وهذا تحريض على صحة العمل وتحسين الشخص لنواياه التى هى
بمنزلة الماء وانتقاء مصدر العمل .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يذكر فيها بديع خلقة الخفاش

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْحَسَرَ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ ، وَرَدَّعَتْ عَظَمَتُهُ
الْعُقُولَ ، فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ ! هُوَ اللَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ ،
أَحَقُّ وَأَبِينُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في حمد الله وتنزيهه ، ويذكر فيها بديع خلقة الخفاش

(الحمد لله الذي انحسرت أي انقطعت وانفجرت (الأوصاف) أي
أوصاف الناس له سبحانه (عن كنه معرفته) فلا تدرك الأوصاف معرفة كنهه
سبحانه ، لأن ذات الله لا تعرف ، وذلك لأن الإنسان محدود ، والله
سبحانه غير محدود ، ولا يعقل احاطة الحدود ، بغير المحدود ، والآ لزم
الخلف (وردعت عظمته) تعالى (العقول) التي تريد ادراكه (فلم تجد)
العقول .

(مساغاً) أي محلاً ممكناً ، يسوغ - أي يجوز - عليها الوصول الى ذلك
المحل (الى بلوغ غاية ملكوته) أي ملكه الواسع (هو) المتصف بتلك الصفات
(الله الحق) في مقابل الأصنام الباطلة (المبين) الظاهر بآثاره (أحق) و
أبين (أي أظهر) مما ترى العيون (فإن العين يمكن أن تغلط ، كما ترى
الماء الكثير أسود ، وكما ترى الشمس صغيرة وهي كبيرة ، وكما ترى الخطيين
المتوازيين الممتدّين متصلاً - بعد مسافة - الى غيرها ، أما العقل فلا يمكن

لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونُ مُشَبَّهًا ، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ
فَيَكُونُ مُمَثَّلًا خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمَثِيلٍ ، وَلَا مَشُورَةَ مُشِيرٍ . وَلَا مَعُونَةَ
مُعِينٍ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِبَطَاعَتِهِ ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ ،
وَأَنْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ . وَمِنْ لَطَائِفِ صُنْعَتِهِ . وَعَجَائِبِ خَلْقَتِهِ ،

غلطه . فاذا قال لا بد للأثر من مؤثر . أو لا يمكن اجتماع النقيضين ، أو إن الكل
أعظم من الجزء . لا بد وأن يكون ولا خطأ فيه إطلاقاً .

(لم تبلغه العقول بتحديد) بأن يحدده العقل ويعرف حدوده (فيكون)
سبحانه (مشبهاً) شبيهاً بسائر الأمور المحدودة (ولم تقع عليه الأوهام) أي
العقول (بتقدير) بأن يبين قدره تعالى (فيكون) سبحانه (ممثلاً) أي مثلاً
لسائر المخلوقات ، ولعل المراد بالتحديد الحد المنطوق - أي الجنس و
الفصل - ، وبالتقدير ، الكم والكيف ، وما أشبه .

(خلق) سبحانه (الخلق على غير تمثيل) أي لم يكتسب مثلاً للخلق ،
حتى يكون صنعه للخلق حسب ذلك المثال (ولا مشورة مشير) استشاره في
أمر الخلق (ولا معونة معين) بأن أعانه في الخلق أحد أو آلة - كما هي الحالة
عند الناس في أعمالهم - (فتَمَّ خلقه) تعالى للأشياء (بأمره) سبحانه (و
أذعن) أي انقاد الخلق (لطاعته) تكويناً (فأجاب) الخلق لما أراد تعالى
(ولم يدافع) سبحانه بأن يأبى الخلق من الانقياد التكويني له (وانقاد)
أي خضع الخلق (ولم ينزع) سبحانه بأن يخاصمه أحد في خلقه .

ثم أخذ سبحانه في بيان خلقه الخفاش . ذكرنا لمثال من أمثلة خلقه التي
تدل على عظيم لطفه وعلمه وصنعه ، وإن كان المخلوق في الناس منفوراً منه ، غير
ظاهر عليه آثار القدرة (ومن لطائف صنعته) أي دقائقها (وعجائب خلقته)

مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَنْقُبُضُهَا الضِّيَاءُ
الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ
أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا،
وَتَتَّصِلُ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا. وَرَدَّعَهَا بِتَلَالُؤِ ضِيَائِهَا عَنْ
الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا. وَأَكْنَهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنْ

أى الخلق المورث للعجب (ما أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِيشِ) جمع
خَفَاشٍ وَهُوَ حَيَوَانٌ مَعْرُوفٌ (الَّتِي يَنْقُبُضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ) فَإِنَّ ضِيَاءَ
الشَّمْسِ يَسَبِّبُ حَرَكَةَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ فِي مَذَاهِبِهَا وَآلَى مَصَالِحِهَا ، إِلَّا أَنَّ
الْخَفَاشَ يَنْقُبُضُ وَيَأْوِي إِلَى بَيْتِهِ بِالنَّهَارِ لِأَنَّ الضِّيَاءَ يُوْذِيهِ .
(وَيَبْسُطُهَا) بِالْحَرَكَةِ وَالْإِنْتِشَارِ (الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ) مِمَّا يَسَبِّبُ
لَهُ إِخْمَادَ الْبَصَرِ وَالْحَرَكَةَ (وَكَيْفَ عَشِيَتْ) الْعِشَاءُ : سَوْءُ الْبَصَرِ (ضَعْفُهُ) وَ
يَسْمَى خَفَاشًا لِذَلِكَ ، لِأَنَّ الْخَفَشَ بِمَعْنَى ضَعْفِ الْبَصَرِ (أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ
مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُورًا) فَإِنَّهَا ضَعِيفُ الْبَصَرِ ، وَلِذَا تُؤْذِيهَا الشَّمْسُ فَتَفِرُّ مِنْهَا فَلَا
(تَهْتَدِي بِهِ) أَيْ بِنُورِ الشَّمْسِ (فِي مَذَاهِبِهَا) جَمْعُ مَذْهَبٍ ، وَهُوَ طَرِيقُ
الذَّهَابِ وَالْإِيَابِ .

(وَتَتَّصِلُ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ) أَيْ بِظَهْوَرِ دَلِيلِ الشَّمْسِ - وَالْمَسْرَادُ
بِدَلِيلِهَا - نُورُهَا (إِلَى مَعَارِفِهَا) إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَتَعَرَّفُ إِلَيْهَا الْخَفَافِيشُ
(وَرَدَّعَهَا) أَيْ مَنَعَ النُّورَ الْخَفَافِيشَ (بِ) سَبَبِ (تَلَالُؤِ ضِيَائِهَا) أَيْ ضِيَاءِ
الشَّمْسِ (عَنْ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا) أَيْ دَرَجَاتِهَا وَأَطْوَارِهَا (وَآكْنَهَا) أَيْ اسْتَرَى
النُّورَ الْخَفَافِيشَ (فِي مَكَامِنِهَا) جَمْعُ مَكْنٍ ، وَهُوَ : مَحَلُّ الْإِخْتِفَاءِ (عَنْ

الذَّهَابُ فِي بُلْجٍ اِئْتِلَاقِهَا . فَهِيَ مُسْدَلَةٌ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا ،
وَجَاعِلَةٌ اللَّيْلِ سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي التِّمَاسِ ارْزَاقِهَا ، فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا
إِسْدَافُ ظِلْمَتِهِ ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِفَسْقِ دُجْنَتِهِ . فَإِذَا أَلْقَتِ
الشَّمْسُ قِنَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا ، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى
الضُّبَابِ فِي وَجَارِهَا ، أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَى مَاقِيهَا ، وَتَبَلَّغَتْ

الذَّهَابُ فِي بُلْجٍ (أي ضوء) (ائتلاقها) أي لمعان الشمس .
(فهي) أي الخفافيش (مسدلة الجفون) من اسدل الستر بمعنى
نصبه (بالنهار على أحداقها) جمع حدقة وهي العين .
(و) هي (جاعلة الليل سراجا) أي مصباحا (تستدل به) أي بالليل
(في التماس أرزاقها) أي طلب رزقها فهي تبصر بالنور القليل الوجود في
الليل .

(فلا يرد أبصارها أسداف ظلمته) يقال اسدف الليل اذا أظلم (و لا
تمتنع) الخفافيش (من المضي) والسير (فيه) أي في الليل (لفسق)
أي شدة ظلمة (دجنته) الدجنة بمعنى : الظلمة .

(فاذا ألقت الشمس قناعها) كناية عن ظهورها كأن الليل قناع تقنع
الشمس به (وبدت) أي ظهرت (أوضاع نهارها) جمع وضع بمعنى بياض
الصبح (ودخل من اشراق نورها على الضباب) جمع ضب ، وهو حيوان
معروف . يسكن في داخل الأرض (في وجارها) الوجار : حجر الضب ، فإن
النور لزم أن يشتد حتى يدخل في الثقوب العميقة في داخل الأرض .

(اطبقت) الخفافيش (الأجفان) جمع جفن ، وهو غطاء العين (على
ماقيها) جمع ماق ، وهو طرف العين مما يلي الأنف (وتبلغت) أي اقتاتت

بِمَا اكْتَسَبَتْ مِنْ فِي ظُلْمٍ لَيَالِيهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا
نَهَارًا وَمَعَاشًا ، وَالنَّهَارَ سَكْنًا وَقَرَارًا ! وَجَعَلَ لَهَا أَجْنَحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ
بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيْرَانِ ، كَأَنَّهَا شَطَايَا الْأَذَانِ ، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا
قَصَبٍ ، إِلَّا أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيْنَهُ أَعْلَامًا . لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقًا
فَيَنْشَقُّ ، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا . تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَا صِقُّ بِهَا

واكتفت (بما اكتسبت من في ظلم ليا ليها) والمراد بفى الليل ، القوت
الذى حصلته فى الليل .

(فسبحان من جعل الليل لها) أى للخفافيش (نهارا) أى كالنهار
فى الحركة (ومعاشا) أى لأجل تحصيل المعاش الذى يعيش به (و النهار
سكنا) تسكن فيه (وقرارا) تقر وتنام فلا تخرج .
(وجعل لها أجنحة من لحمها) فان جناح كل طائر من الريش الآ ان
جناح الخفاش من اللحم (تعرج) أى تصعد (بها) أى بسبب تلك
الأجنحة (عند الحاجة الى الطيران ، كأنها) أى كان تلك الأجنحة (شطايا)
جمع شظيه ، بمعنى القطعة من الشئ (الآذان) فان جناح الخفاش يشبه
قطعة الأذن فى انه كالغضروف ، فى حال كون تلك الأجنحة (غير ذوات ريش
ولا قصب) كقصب ريش الطائر وان كان لجناح الخفاش أيضا قصب من جنس
الغضروف (الا أنك ترى مواضع العروق) فى جناح الخفاش (بينة أعلاما) أى
رسوما ظاهرة ، فان علم الشئ دليله .

(لها جناحان لما يرقا) أى لم يرقا ، وجئ بـ ((لما)) للطف لا يخفى
(فينشقا) فى الطيران (ولم يغلظا فيثقلأ) ويعنعا الخفاش عن الطيران
(تطير) الخفافيش (ولدها لاصق بها) فانها تحمل أولادها الصغار اذا

لَا جِيءَ إِلَيْهَا ، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا أَرْتَفَعَتْ ، لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ ، وَيَحْمِلُهُ لِلنَّهْوِضِ جَنَاحُهُ ، وَيَعْرِفُ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ ، وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ . فَسُبْحَانَ الْبَارِئِ لِكُلِّ شَيْءٍ ، عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ !

ارادات ان تطير .

(لاجئ إليها) مخافة السقوط (يقع) الولد أى يهبط (اذا وقعت) الخفافيش (ويرتفع اذا ارتفعت) أى طارت (لا يفارقها) الولد (حتى تشتد أركانها) الضمير عائد الى الولد ، واشتداد الأركان كناية عن قوتللهووض والاستقلال .

(ويحملة للنهوض جناحه) أى حتى يحمل الولد جناحه للنهوض والطيوان وهذا عطف بيان لقوله : تشتد أركانها (ويعرف مذاهب عيشه) أى يتمكن الولد من الاستعاشة بنفسه والقيام بمهامه (ومصالح نفسه) فحينذاك ينفك عن أمه .

(فسبحان البارئ) أى الخالق (لكل شئ على غير مثال خلا) أى بقى ذلك المثال (من غيره) تعالى ، بأن يكون عمل أحد قبله سبحانه ، ثم تعلم منه تعالى ، فانه لا أحد قبله ولا شئ مخلوق لغيره .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فَمَنْ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَتَّقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ .
فَلْيَفْعَلْ . فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ .
وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ وَأَمَّا فَلَانَةُ

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

(خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم)

أى قصة حرب الجمل ، وفيها وصف الايمان ، وحال أهل القبور .
يظهر من السياق ان الامام عليه السلام أجبر عن بعض الفتن المستقبلية ، ثم
قال : (فمن استطاع عند ذلك) الأمر المستقبل (أن يعتقل) أى يحفظ
(نفسه على الله عز وجل) بأن لا يخرج عن طاعته (فليفعل) وجملته الشرط
للتأكيد ، وليبيان صعوبة الحفاظ فى طريق الله سبحانه ، كما يقال : ان كنت
رجل فافعل كذا .

(فإن أطعتمونى) فى حفظ أنفسكم (فأتى حاملكم ان شاء الله على سبيل
الجنة) أى أوصلكم اليها ، ولفظ ((حامل)) باعتبار أى الحصل والارشاد
مشابهان فى الايصال .

(وان كان) حفظ النفس - وان وصلية - (ذا مشقة شديدة) لأن
المغريات والأهواء على ضد ذلك (ومذاقة مريرة) أى ان ذوق المحافظة و
التحمل لها مر صعب (وأما فلانة) والظاهر ان المقصود بها ((عائشة))

للامام الشيرازي ٢٠١

فَأَذْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ ، وَضِغْنُ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ ، وَلَوْ دُعِيَتْ
لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ ، لَمْ تَفْعَلْ . وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى ، وَ
الْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

وكانه سأل عليه السلام عن أمرها في قصة الجمل ، وما الذي حملها على محاربة
الامام ؟ مع أنها ما كانت تطمع بالملك ، كما كان الزبير والطلحة يطمعسان
فيه ؟ .

(فأذركها رأي النساء) فإن النساء يعملن بالعواطف لا العقول — غالباً
— فلا علة لعملهن إلا الاعتبار في كثير من الحركات .

(وضغن) أي حقد قديم (غلا في صدرها) فإنها كانت تغار من فاطمة الزهراء
زوجة الامام عليه السلام ، كما كانت تحقد على الامام كونه الخليفة الشرعي المنافس
لابوها ابو بكر ، ولما تعلم من ان الامام لا يذرها تعمل ما تشاء ، كما كانت تفعل في
أيام الخلفاء من نشر الأحاديث الزائفة وما أشبه ، وكانت تعلم ان الامام لا
يفضلها في العطاء ، وانما يقسم بالسوية حسب ما كان يعمل الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم .

(كمرجل القين) المرجل القدر ، والقين الحداد ، فإن من عادة
الحدادين أن يضعوا الحديد المصنوع في الماء ، وذلك الماء اذا وضع فيه
الحديد يغلى غلياً شديداً . (ولو دعيت) عائشة (لتنال من غيري ما أتت
إلي) من السب وتجهيز الجيش وتحريض الناس وما أشبه (لم تفعل) لأنها
كانت تكره الامام اشد الكره ، على خلاف أمر الله والرسول صلى الله عليه وآله و
سلم (ولها بعد) أي بعد كل ذلك الذي تقدمت بها الي (حرمتها الأولى)
فأني احترمتها كما كنت احترمتها سابقاً — لأجل رسول الله صلى الله عليه وآله (و
الحساب على الله تعالى) فانه يجازيها بأعمالها .

وصف الايمان

منه : سَبِيلُ أَمْلَجٍ الْمِنْهَاجِ ، أَنْوَرُ السَّرَاجِ . فَبِالْإِيْمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيْمَانِ ، وَبِالْإِيْمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ ، وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا ، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ ، وَإِنَّ الْخَلْقَ لَا مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ ، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى

(منه) : أى بعض هذا الكلام ، فى وصف الايمان ، هذا الايمان (سبيل ابلج المنهاج) أى واضح الطريق (أنور السراج) أى مضيء المصباح (فبالايمان يستدل على الصالحات) اذ لا يعرف الانسان الاعمال الصالحة ، وإنما الايمان دليل على ان الشئ الفلانى صالح والشئ الفلانى غير صالح (وبالصالحات يستدل على الايمان) فأن العامل بالصالحات مؤمن ، فاعمل دليل الايمان ، اما من يقول انا مؤمن ولا يعمل فكلامه كذب ، اذ للايمان آثار . (وبالايمان يعمر العلم) اذا العلم انما يحفز عليه الايمان ، اما العلم الذى لا يحفز عليه الايمان ، ففيه المخلوط من الحق والباطل ، مثلا العلم بعبء الكون ومنتهاه يأتى من الايمان ، ولذا نرى من لا ايمان له يقول بالتعطيل او الشك أو ما أشبه (وبالعلم يرهب الموت) أى يخشى منه ، اذ من يعلم عاقبة أمره يخشى من العمل الفاسد ومن ان يلقى الموت بلا استعداد . (وبالموت تختم الدنيا) كما ان بالولادة تبتدئ الدنيا ، وانما ينتقل الانسان بالموت الى الآخرة (وبالدنيا تحرز الآخرة) اذ الأعمال الصالحة المحرزة للآخرة انما تؤتى فى الدنيا (وإن الخلق لا مقصر لهم) أى لا مستقر لهم (عن القيامة مرقلين) أى مسرعين (فى مضمارها) أى ميدان الدنيا (الى

للامام الشيرازى ٢٠٣
الْغَايَةِ الْقُصْوَى .

منه : قَدْ شَخَّصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ ، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ ،
لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا .
وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، لَخُلُقَانِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ،

الغاية القصوى (أى أبعد الغايات ، وهى الآخرة فان العمر يذهب بكل
سورة .

(منه) : أى بعض هذا الكلام ، فى حال حشر الانسان (قد شخّصوا)
أى سافروا ، وتحركوا (من مستقر الأجداث) جمع جدث وهو القبر ، أى قد
سافروا من قبورهم التى كانت محل قرارهم الى الآخرة - وقد تم برزخهم - (و
صاروا الى مصائر الغايات) مصائر جمع مصير ، وهو ما يصير الانسان اليه من
سعادة او شقاء وجنة او نار (لكل دار) من الجنة والنار (أهلها) فلجنة
المؤمن العامل بالصالحات ، وللنار غيره .

(لا يستبدلون بها) بدارهم دارا أخرى (ولا ينقلون عنها) فالتسعداء
فى الجنة أبدا ، والأشقياء فى النار أبدا ، وانما ينتقل من النار المؤقتة الى
الجنة السعداء ، والمقصود أبدية البقاء بالآخرة ، لا من الابتداء ، واذ كان
الأمر خطرا فعلى الانسان أن يعمل لانقاذ نفسه وانقاذ غيره ، اما انقاذ الغير
فبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واما انقاذ النفس فبالعمل بالكتاب ، و
لذا شرع عليه السلام - بعد بيان الجنة والنار - فى التحريض على هذين
الأمرين .

(وإن الأمر بالمعروف) وهو كل ما حسنه الشرع والعقل (والنهي عن
المنكر) وهو كل ما قبحه الشرع والعقل (لخلق الله سبحانه) فمن

وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ،
 « فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ » ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ ، وَالرِّيُّ النَّاقِعُ ،
 وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ . لَا يَعْوجُّ فِيقَامٌ ،

اخلاقه سبحانه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنه لم يرسل الرسل ، ولم
 ينزل الكتب إلا لأجل هذين الأمرين (وانهما لا يقربان ، من أجل) الأمر
 الناهي .

(ولا ينقصان من رزق) فإنه يغلب على ظن الناس انهم ان امروا او نهوا
 قتلوا ، أو نقص رزقهم بعدم توفيره من فاعل المنكر - اذا كان سببا لرزقهم - و
 الأمر ليس كذلك ، فانهما بشرائطهما - التي منها الأمن من الضرر - لا يوجبان
 شيئا من تقرب الأجل ونقص الرزق ، اما ما يوجب أحد الأمرين - أي الضرر -
 فذلك من الجهاد في سبيل الله ، ومورده غير مورد الأمر والنهي .
 (وعليكم بكتاب الله) أي ألزموه فان ((عليك)) اسم فعل بمعنى ألزم
 (فإنه الحبل المتين) أي المحكم الذي لا ينقطع ، تشبيهه له بالحبل الذي
 يرفع الانسان من البئر ونحوها .

(والنور المبين) بمعنى الواضح ، من ابان بمعنى ظهر (والشفاء
 النافع) الذي ينتفع به الانسان من مشاكل الدنيا والآخرة (والري) أي الارتواء
 من الماء (الناقع) أي المزيل للعطش ، يقال نقع العطش اذا أزاله .
 (والعصمة للمتمسك) أي يعصم ويحفظ المتمسك به ، من الأخطار (و
 النجاة للمتعلق) فمن تعلق بالقرآن ، أي عمل به نجى من المهالك (لا
 يعوج) وينحرف (فيقام) كما يقام الرمح وشبهه اذا اعوج .

للامام الشيرازي ٢٠٥
 وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ، وَوُلُوجُ السَّمْعِ. مَنْ قَالَ بِهِ
 صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ.

وقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن الفتنة ، وهل سألت
 رسول الله - صلى الله عليه وآله - عنها ؟ فقال عليه السلام :

إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ، قَوْلُهُ : « أَلَمْ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا
 أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ »

(ولا يزيغ) من زاغ بمعنى مال (فيستعتب) من اعتب اذا انصرف ، و
 المعنى لا يطلب منه الانصراف عن زيفه ، كما يطلب من الانسان الزائف ان يرجع
 الى الجادة ، فليس القرآن كالقوانين الوضعية التي يلزم تعديلها باختلاف
 الظروف وتبدل الحالات (ولا تخلقه) أي تبليه كما يبل الثوب ونحوه (كثرة
 الرد) أي القراءة .

(وولوج السمع) أي دخول القرآن في سمع الانسان ، وهذا من
 عجائب القرآن ، فان اسلوبه ومعانيه جديدة الى الأبد لانطباقه على كل زمان
 ومكان (من قال به) أي بالقرآن ، بأن بين محتوياته (صدق) لأنه مطابق
 للواقع (ومن عمل به سبق) غيره الى السعادة والخير .

(وقام اليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن الفتنة ، وهل
 سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها ؟ فقال عليه السلام :)
 (لما أنزل الله سبحانه قوله : ((أَلَمْ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا
 آمَنَّا)) (أي ظنوا أنهم بمجرد اظهارهم الايمان يتركوا وشأنهم بدون امتحان و
 اختبار) (وهم لا يفتنون) أي لا يمتحنون ، وهذا استفهام انكاري ، أي
 ليس الأمر كذلك ، وانما كل أحد يظهر الايمان لا بد وأن يختبر ويمتحن

عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - بَيْنَ أَظْهَرِنَا . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا ؟ فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي » ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتَشْهَدَ مَنْ اسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ ، فَقُلْتَ لِي : « أَبْشِرْ ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ ؟ » فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِي :

(علمت أن الفتنة) أي الامتحان (لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا) وذلك لدلالة الآية على كون الفتنة في المستقبل لا في الحال ، والقرائن تدل على أن المستقبل بعد فوت الرسول (ص) (فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها) ؟ .

(الظاهر أن قوله عليه السلام : « لما أنزل الله » وقوله : « فقلت ») لبيان كون السؤال والجواب بعد نزول الآية في الجملة ، لا لكونهما وقعا بعد النزول مباشرة وبلا فصل ، حتى يستشكل أن السورة مكية ، فكيف يجتمع كلامه عليه السلام « لما » مع كون السؤال بعد « قصة أحد » ؟

(فقال :) صلى الله عليه وآله (يا علي : إن أمتي سيفتنون من بعدى) أي يعتحنون أيهم يثبت على الحق وإيهم ينحاز إلى الباطل .

(فقلت : يا رسول الله ، أليس قد قلت لي يوم أحد ، حيث استشهد من استشهد من المسلمين) كحزمة عليه السلام وغيره (وحيزت) أي نحيت (عني الشهادة) فلم أقتل في سبيل الله (فشق ذلك علي) حيث لم استشهد حتى أنال درجات الشهداء (فقلت لي : « أبشرفان الشهادة من ورائك ») أي على يدي ابن ملجم لعنه الله (فقال صلى الله عليه وآله لي :

للامام الشيرازى ٢٠٧

« إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ ؟ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ
لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ فَقَالَ :
« يَا عَلِيُّ ،

((انّ ذلك)) (النهى قلت (لكذلك) كائن لا محاله (فكيف صبرك
اذا)) ؟ أى على اية حالة تكون حين تضرب ؟ على حالة الصبر او حالة الجزع ؟
(فقلت : يا رسول الله : ليس هذا من مواطن الصبر) أى ينبغي أن لا
أسأل هل أصير أم لا ، فانّ ذلك مثل أن يسأل ((من زف اليه عروس)) : هل
تصبر ؟ (ولكن من مواطن البشرى) أى البشارة (والشكر) فان أهمل
الايمان وأولياء الله يستبشرون بالمنية فى سبيل الله .
(فقال يا على :) فى جواب السؤال عنه صلى الله عليه وآله ((ما هذه
الفتنة ؟ والجمل فى وسط السؤال والجواب معترضه لبيان وقت السؤال و
الجواب معترضه لبيان وقت السؤال والجواب . وبيان انه كيف يجمع بين
((افتتان الناس)) ما ظاهره كونه بسبب الامام بعد موت الرسول صلى الله
عليه وآله وبين ((استشهاد الامام)) ما ظاهره كون ذلك فى زمن الرسول
صلى الله عليه وآله والظاهر ان السيد الرضى ((ره)) بتروسط الكلام الموجب
لربط الجمل بعضها ببعض - وقد نقل بعض الشارحين وسط الكلام - ففى
المقام سؤالاً وجواباً :

الأول : ((ما الفتنة)) ؟ وجوابه مذكور بقوله صلى الله عليه وآله : ((يا
على ... الخ))

(والثانى : كيف يفتن الناس بسبب الامام ، والحال انه سيقتل ؟ .
والجواب : انه يقتل بعد افتتان الناس به - وهذا ساقط فى الذى نقله

٢٠٨ توضيح نهج البلاغة

إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ ، وَيَمْنُونَ بِلَيْدِنِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ ، وَيَتَمَنُّونَ رَحْمَتَهُ ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ ، وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ ، وَالسُّخْتِ بِالْهَدِيَةِ ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بِأَيِّ الْمَنَازِلِ أَنْزَلَهُمْ

السيد ((ره)) -

(انَّ القوم سيفتنون بأموالهم) فانَّ الانسان اذا رأى ماله كثيرا طغى وضيع الحقوق . (ويمنون بدينهم على ربهم) فيزعمون انَّ اسلامهم الظاهري مئة منهم على الله تعالى ، بينما الله سبحانه غنى عن العالمين . (ويتمنون رحمته) بلا عمل يستحقون به الرحمة (ويأمنون سطوته) أى عقابه ونكاله ، من دون أن يتركوا المناهى والمحرمات . (ويستحلون حرامه) أى الذى حرمه سبحانه (بالشبهات الكاذبة) أى يجعلون المحرم مشتبهاً ، وهم يعلمون انهم كاذبون فى هذا الجعل (والأهواء الساهية) أى الموجبة للسهو عن الحق ، وذلك مثل قوله تعالى ((فى عيشة راضية)) أى مرضية .

(فيستحلون الخمر ب) اسم (النبيذ) وهو نوع من الخمر لكنه أخف من خمر العنب (والسُّخْت) كالرشوة وما اشبه (ب) اسم (الهدية) فاذاً أراد أن يرشى القاضى ومن أشبهه ، قال : انه هدية (والربا ب) اسم (البيع) فيبيع ما قيمته مائة بمائة وخمسين ثم يشتريه منه بمائة ، ولا يربد بهذا الا اعطاء قرض مائة وأخذ مائة وخمسين ، وانما البيع لفظ محض وصورة مجردة .

(قلت يا رسول الله :) اذا كان كذلك (بأى المنازل أنزلهم) أى بأى

عِنْدَ ذَلِكَ ؟ أَيْمَنْزِلَةَ رِدَّةٍ ، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ ؟ فَقَالَ : « بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ » .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فيها الحث على التقوى والعمل للآخرة

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِدِكْرِهِ ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ ،

حكم أحكم على مثل هؤلاء (عند ذلك ؟) الامتثال والامتحان ؟ (أَيْمَنْزِلَةَ رِدَّةٍ) وانهم مرتدّون عن الاسلام (أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ) وانهم مخدوعون مفتنون ، فانما لهم التأديب والتأنيب ، لا القتل والتعذيب .
(فقال :) صلى الله عليه وآله (بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ) اذ هذه الأمور معاصي و ليست كفرا وارتدادا ، وانما الكفر في الانكار ، ولعل وجه سؤال الامام عليه السلام ، لأن يعرف الخواارج ان ليس كل عاص كافرا - كما كانوا يزعمون - .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فيها الحث على التقوى والعمل للآخرة

(الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره) فاذا أراد الانسان ذكره سبحانه لزم ان يفتح الكلام بالحمد ، كما يفتح الباب بالمفتاح ، وقد ورد ((كل امرؤى بال لم يبدء فيه بحمد الله فهو أبتى)) (وسببا للمزيد) أى الزيادة (من فضله) كما قال سبحانه : ((لئن شكرتم لأزيدنكم)) والحمد أحد أنواع الشكر ، فانّ مواقع الشكر الجنان ، والاركان ، واللسان ، ولذا قال سبحانه : ((اعلموا آل داود شكرا)) .

وَدَلِيلًا عَلَى آلَائِهِ وَعَظَمَتِهِ عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرِّهِ
بِالْمَاضِينَ ، لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَدًا مَا فِيهِ . آخِرُ فَعَالِهِ
كَأُولِهِ . مُتَسَابِقَةُ أُمُورُهُ ، مُتَظَاهِرَةُ أَعْلَامُهُ . فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ
حَدُّو الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ

(ودليلا على آلائه) جمع ((آلى)) بمعنى النعمة (وعظمته) فان
الانسان الذى يحصد الله يتوجه الى نعمته سبحانه والى عظمته ، اذ اللفظ
يوجب الايماء الى الذهن بالتفكر حول ما يلفظ ، يا (عباد الله ان الدهر)
أى الزمان ، والدنيا (يجرى بالباقيين كجره بالماضين) فان حال الباقي من
الناس ، فى الدنيا ، كحال الماضى منهم ، فالدنيا نسخة مكررة لأمر واحد (لا
يعود ما قد ولى منه) أى من الدهر ، والمراد مما فيه من حيوان وانسان و
نبات وسائر الأشياء ، فانها اذا قُتلت لم تعد .

(ولا يبقى سرمدا) باقيا دائما (ما فيه) فان كلشئ فيه الى زوال و
اضمحلال (آخر فعاله) أى فعال الدهر (كأوله) حياة وموت ، ووجود و
عدم ، وما أشبه (متسابقة أمور) أى تتسابق الأمور الجارية فى الدنيا ، فمثلا
الفقر يريد أخذ مكان الغنى ، والغنى يريد أخذ مكان الفقر ، وكذلك فى
الصحة والمرض ، والحياة ، والموت ، وغيرها ، وفى بعض النسخ
(متشابهة أمور) (متظاهرة أعلامه) أى تتوالى العلامات على الأشياء ، فان
كل ما يوجد فى الدنيا ، او يعدم له علم — أى علامة — ليبقى ذلك الشئ
ليدل عليه (فكأنكم بالساعة) أى القيامة (تحدوكم) أى تحوضكم على السير ،
فان الانسان يسير سيرا حثيثا نحو الآخرة ، فكأن الساعة تحدوه (حدو الزاجر)
أى سائق الابل (بشوله) جمع شائلة ، وهى : الخالية عن الولد فان سوق

فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحْيِرَ فِي الظُّلُمَاتِ ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ ،
وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ فَالْجَنَّةُ غَايَةُ
السَّابِقِينَ ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفْرَطِينَ . اَعْلَمُوا ، عِبَادَ اللَّهِ ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنِ
عَزِيزٍ ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنِ ذَلِيلٍ ، لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ ، وَلَا يُخْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ . أَلَا وَ

الانسان لها أعنف .

(فمن شغل نفسه بغير نفسه) بأن لم يشتغل باصلاح نفسه ، بل اشتغل
بعمارة الدنيا وبأمور الناس وما أشبه (تحير في الظلمات) أى ظلمات الجهل
وظلمات العاقبة السيئة (وارتبك في الهلكات) ((ارتبك)) أى تحير ، فيما
إذا وقع في الهلكة ، ماذا يصنع ؟ والهلكة انما تكون لأنه لم يهتئ نفسه
للسعادة الأبدية (ومدت به شياطينه في طغيانه) أى أمدوه بالوسوسة ، و
الاغواء ، حتى لا يخرج عن الطغيان ، وهو المحالفة لأوامر الله سبحانه .
(وزينت) الشياطين (له سيئ أعماله) فإن الانسان اذا اعتاد عملا زين
ذلك العمل في نظره ، كما قال سبحانه : ((أفمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا)) .

(فالجنة غاية السابقين) الذين سبقوا الى الخيرات (والنار غاية
المفرطين) الذين فرطوا وقصروا في الأعمال الصالحة (اعلموا عباد الله ان
التقوى دار حصن عزيز) أى موجبة لعزة الكائن في هذه الدار ، أى الملا بس
للتقوى .

(والفجور) أى الخروج عن أوامر الله سبحانه (دار حصن ذليل) توجب
ذلة الداخلين فيها (لا يمنع) الفجور (أهله) عن المكاره والآفات (ولا
يحرز) أى لا يحفظ (من لجأ اليه) واعتصم به (ألا) فليتنبه السامع (و

بِالتَّقْوَى تَقْطَعُ حُمَةَ الْخَطَايَا ، وَبِالْيَقِينِ تُدْرِكُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى .
 عِبَادَ اللَّهِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أعْزِ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ : فَإِنَّ
 اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ . فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ ، أَوْ
 سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ ! فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ . فَقَدْ دَلَلْتُمْ عَلَى
 الزَّادِ ، وَأَمَرْتُمْ بِالظَّنَنِ ،

بِالتَّقْوَى تَقْطَعُ حُمَةَ الْخَطَايَا (حمة هي ابرة الزنبور والعقرب وما اليهما ، والمراد
 بها هنا سطوة المعاصي ، فَإِنَّ الْمُتَّقِيَ يَحْفَظُ نَفْسَهُ - بِسَبَبِ تَقْوَاهُ - مِنْ أَنْ
 يَنَالَهُ الْخَطَايَا بِسُوءٍ .

(وَبِالْيَقِينِ) بِالْمَبْدِ وَالْمَعَادِ (تُدْرِكُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى) أَي أَبْعَدَ
 الْغَايَاتِ ، وَهِيَ الْجَنَّةُ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الْمُتَّقِينَ يَجْتَنِبُ عَنِ الْعَصْيَانِ ، مِمَّا
 يَجِبُ ادْرَاكُ السَّعَادَةِ الْآخِرِيَّةِ .

يَا (عِبَادَ اللَّهِ) احْذَرُوا (اللَّهَ) احْذَرُوا (اللَّهَ فِي) أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا
 يَجِبُ هَلَاكُ (أعْزِ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ) والمراد بها نفس الانسان ، فَإِنَّهَا أَعَزُّ
 الْأَنْفُسِ (وَأَحَبُّهَا إِلَيْكُمْ) فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَحِبُّ نَفْسَهُ أَكْثَرَ مِنْ حُبِّهِ لِأَيِّ نَفْسٍ آخَرَ
 (فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ) الْمَوْجِبُ لِنَجَاتِهِ مِنْ سُلْكَهَ (وَأَنَارَ طُرُقَهُ)
 أَيِ الطَّرِيقِ إِلَى مُخْتَلَفِ السَّعَادَاتِ (ف) أَنْ وَرَاءَ الْإِنْسَانِ لَيْسَ إِلَّا (شِقْوَةٌ
 لَازِمَةٌ) بِالْخُلُودِ فِي النَّارِ لِمَنْ كَفَرَ وَعَصَى (أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ) بِالْخُلُودِ فِي
 الْجَنَّةِ لِمَنْ آمَنَ وَأَطَاعَ .

(فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ) وَهِيَ أَيَّامُ الدُّنْيَا (لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ) فِي الْآخِرَةِ
 (فَقَدْ دَلَلْتُمْ عَلَى الزَّادِ) وَهُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ (وَأَمَرْتُمْ بِالظَّنَنِ) أَيِ
 مَا يَجِبُ الْحَسَنَ ، وَهُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ ، فَإِنَّ مَعْنَى الظَّنِّ السَّيْرَ .

وَحِثُّكُمْ عَلَى الْمَسِيرِ؛ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكِبٍ وَقُوفٍ، لَا يَذْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ
بِالْمَسِيرِ. أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ! وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ
عَمَّا قَلِيلٍ يُسَلِّبُهُ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ!
عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرُكٌ، وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ
مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ. عِبَادَ اللَّهِ، أَخَذَرُوا يَوْمًا تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ،

(وحثتم على المسير) أى تهيئة أسباب السير المريح ، أو المراد أن
الدنيا تحت الانسان على السير بتقلب أحوالها وقصر أيامها (فانما أنتم كركب
وقوف) جمع واقف (لا يدرون متى يؤمرون بالمسير) فان الموت يأتى مفاجئا
(ألا فما يصنع بالدنيا من خلق للآخرة) ؟ استفهام للانكار فان الانسان
الذى لا يبقى فى الدنيا ، اذا عمل من أجلها كان سفها وعبثا .
(وما يصنع بالمال من عما قليل يسلبه) أى يؤخذ منه ، وذلك حين
الموت (وتبقى عليه تبعته) فان ما يتبع المال من الآثام فيما اذا منع حقه ،
أو صرف فى غير حقه ، أو اكتسب من غير حقه ، يبقى على الانسان (وحسابه)
فان الانسان محاسب بما ملك سواء من الخير أو من الشر ، وسواء صرفه فى
الخير أو فى الشر أو لم يصرفه .

يا (عباد الله أنه ليس لما وعد الله من الخير مترك) أى محل ممكن الترك
فان كل ما أمر الله سبحانه لابد وأن ينفذ ويطاع ، وقوله عليه السلام ((من
الخير)) أى من موجبات الخير ، وهى الواجبات التى توجب السعادة (ولا
فيما نهى عنه من الشر مرغب) أى محل رغبة فانه لا يمكن للانسان أن يأتى
بمناهى الله سبحانه الموجبة للشر ، يا (عباد الله اخذروا يوما تفحص فيه
الأعمال) أى يرى الصحيح منها والسقيم ؛ وذلك للجزاء .

وَيَكْثُرُ فِيهِ الزَّلْزَالُ ، وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ .
 اَعْلَمُوا ، عِبَادَ اللَّهِ ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصْدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، وَعِيُونًا مِنْ جَوَارِحِكُمْ ،
 وَحِفَاطَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ ، لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ
 ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابُ ذُو رِتَاجٍ ،

(ويكثر فيه الزلزال) كما قال سبحانه : ((وان زلزلة الساعة شيء عظيم))
 فإن من أحوال القيامة وقوع الزلازل فيها (وتشيب فيه الأطفال) أي يبلغون
 حدَّ الهرم ، أما لطوله فانه خمسون ألف سنة ، وأما لأهواله فإن الهول يوجب
 الضعف الموجب لبياض الشعر ، كما قال الشاعر : ((وأشاب الدهر رأسي
 قبل أبان المشيب)) .

(اعلما عباد الله ان عليكم رقدا) أي رقبيا يرصد عليكم (من أنفسكم) فإن
 في باطن الانسان قوة توقظ الانسان وتنبيهه ، فإذا أراد عمل الخير حثه وإذا
 أراد عمل الشر ردعه (وعيونا من جوارحك) فإن جوارح الانسان تشهد على
 الانسان بما فعل ، في يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ((اليوم نختم على
 أفواههم ، وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون)) فالجوارح
 كالجواسيس على الانسان .

(وحفاظ صدق) أي صادقين في كلامهم وكتابتهم (يحفظون أعمالكم) و
 هم الملائكة ، كما قال سبحانه : ((ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)) (و
 عدد أنفاسكم) يعني ان الحساب دقيق الى هذا الحد .

(لا تستركم منهم) أي من أولئك الحفظة (ظلمة ليل داج) دجى
 بمعنى أظلم واشتد ظلامه (ولا يكتكم) من الكن ، بمعنى : محل الحفظ
 (منهم باب ذو رتاج) أي ذو أحكام في الغلق أي لا يتمكن الانسان أن يهرب

وَلَا غَدَاً مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ . يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقاً
بِهِ ، فَكَأَنَّ كُلَّ أَمْرٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ ، وَمَخَطَ
حُفْرَتِهِ . فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتٍ وَحْدَةٍ ، وَمَنْزِلٍ وَحْشَةٍ ، وَمُفْرَدٍ غُرْبَةٍ ! وَكَأَنَّ
الصَّبِيحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ ،

الى مكان ويفلق الباب على نفسه لئلا يعلم بأعماله الحفظة من الثلاث .
(وان غدا) الذي فيه حسابكم (من اليوم قريب) فان كل آت قريب ، و
هذا تحريض للعمل لذلك اليوم ، لا أن يقال : انه بعيد فلا يهتم العمل
لأجله ، فان الانسان لا يهتم للمستقبل البعيد (يذهب اليوم) أي أيام
الدنيا (بما فيه) من خير وشر (ويجيء الغد) وهو ما بعد الموت (لاحقا
به) أي بهذا اليوم ، الذي نحن فيه من أيام الدنيا .
(فكأن كل امرئ منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته) وهو القبر (ومخط
حفرته) الحفرة المكان الذي يحفر ، والمخط موضع التخطيط ، فان القبر
يخطط مقداره أولا ، ثم يحفر (فيا له) لفظة تعجب في فرح أو حزن أو ما
أشبهه ، وأصله ((يا قوم له)) والضمير عائد الى ما يسبقه ، يفسره ((من))
فيما بعده ، و ((اللام)) تعجب من هذا النحو من المالكه ، فعثلا : مالكية
القبر لهذا النحو من الوحدة المنقطعة عن جميع الناس ، وهكذا .
(من بيت وحدة) لا أحد مع الانسان فيه (ومنزل وحشة) بوجب وحشة
الانسان ، وهي حالة خوف تطرأ على الانسان المتوحد في محل مخسوف ،
كالصحراء أو المكان المظلم أو ما أشبه (ومفرد غربة) أي محل يفرد فيه الانسان
وهو غريب لا عهد له به (وكان الصيحة) أي صيحة الموت ، أو صيحة القيام
للمحشر (قد أتتكم) والثاني أقرب .

وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيْتُمْ ، وَبَرَزْتُمْ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ ، قَدْ زَاَحَتْ عَنْكُمْ
الْأَبَاطِيلُ ، وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمْ الْعِلَلُ ، وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمْ الْحَقَائِقُ ، وَصَدَرَتْ
بِكُمْ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا ، فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغَيْرِ ، وَأَنْتَفِعُوا
بِالنَّذْرِ .

(والسَّاعَةُ) أى ساعة القيام للسوق نحو المحشر (قد غشيتكم) أى شملتكم
(وبرزتم) أى ظهرت في المحشر (لفصل القضاء) أى للقضاء الفاصل بين
السعيد والشفى وأهل الجنة وأهل النار (قد زاحت) أى انكشفت (عنكم
الآباطيل) التى كانت تكتنفكم في الدنيا ، من زخارفها ومالها وجاهها وما
أشبهه ، لأن الانسان مجرد من كل ذلك في الآخرة .
(واضمحت) أى بطلت (عنكم العلل) التى كنتم تعملون بها أعمالكم
الفاسدة في الدنيا ، فإن هناك لا يعمل العلل الباطلة ، كأن يعمل شربه
للخمر بأنه اعتادها ، أو لعبه للقمار بأنه مسلى له (واستحقت بكم الحقائق) أى
أحاطت بكم ، يقال استحق الدين إذا جاء وقته (وصدرت بكم الأمور
مصادرها) أى وصلتكم الأمور الصادرة من مصادرها ، وهذا للتسهيل ، فإن
الأمر لا يصدر من الصدر إلا أنه يوجب غاية ونتيجة مهمة بالنسبة الى الانسان
(فاتعظوا بالعبر) جمع عبرة ، وهى ما يوجب التفات الانسان ، وإدراكه لطائفة و ما
يضر (واعتبروا بالغير) أى التغيرات فان تغيرات الدنيا توجب اعتبار الانسان
ان فكر فيها وأعطاه حق النظر (وانتفعوا بالنذر) جمع نذير وهو كل أمر
يوجب تخويفا من عمل ، لأن له عاقبة سيئة .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فيها بيان فضل الرّسول ، وعظمة القرآن ، ودولة بنى أمية
أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْرَةٍ مِنَ الْأُمَمِ ، وَأَنْتِقَاضِ
مِنَ الْمُبَرَمِ ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ .
ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ ، وَلَنْ يَنْطِقَ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فيها بيان فضل الرّسول ، وعظمة القرآن ، ودولة بنى أمية
(أَرْسَلَهُ) أى أرسل الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله (على حين فترة
من الرّسل) أى حين عدم وجود الرّسل ، وبعد زمانهم الذى كانوا فيه ، فان
بين رسول الاسلام ، وعيسى عليه السّلام ما يقرب من خمسمائة عام (وطول هجرة)
أى نوم ، والمراد نوم عن المعارف والأحكام (من الأمم) فقد كانت أمم العالم
تغطى فى نوم الجهل والغفلة (وانتقاض من المبرم) أى المحكم ، واصله مبرم
الحبل ونحوه اذا قتل فتلاقوا ، أى ان أحكام الله سبحانه المبرمة كانت منقوضة
فى زمن الجاهلية لا يعمل بها .

(فجاءهم) الرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم (بتصديق الذى بين يديه)
أى ما كان أمامه صلى الله عليه وآله من الرّسل وأحكام الله سبحانه (والنور)
أى جاءهم الرّسول بالنور (المقتدى به) وهو القرآن الحكيم ، الذى يقتدى به
الناس (ذلك) النور هو (القرآن فاستنطقوه) أى اطلبوه أن ينطق لكم ، و
لكنه (لن ينطق) نطقاً باللسان ، وانما النطق بمعنى بيان القصص والمعارف

وَلَكِنْ أَخْبِرْكُمْ عَنْهُ : أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي ، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي ،
وَدَوَاءَ دَائِكُمْ ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ .

منها : فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٌ إِلَّا وَأَدْخَلَهُ
الظُّلْمَةُ تَرْحَةً ، وَأُولِجُوا فِيهِ نِقْمَةً . فَيَوْمئِذٍ لَا يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ
وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ . أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ

والأحكام .

(ولكن أخبركم عنه) أي عن القرآن ، وكيفية إرشاده (ألا إن فيه علم ما
يأتي) من أحوال القيامة والجنة والنار وما أشبه (والحديث عن الماضي)
المبدئ وأحوال الأنبياء وقصصهم مع أقوامهم (ودواء دائكم) فان داء الإنسان
الجهل والمرض والرديلة ، ودواء الكل في القرآن (ونظم ما بينكم) فانه ينظم
أمور الناس حتى يسعدوا جميعاً في الله ورفاه

(منها :) في دولة بني أمية (فعند ذلك) أي قيام الحكم الأموي (لا
يبقى بيت مدر) مصنوع من حجارة ونحوها (ولا وبر) مصنوع من الشعر و
نحوه ، أي الخيام (ألا وأدخله الظلمة) جمع ظالم ، والمراد حكام بني
أمية (ترحة) أي يؤسا وشدة ، ضد ((فرحه)) .

(وأولجوا فيه نعمة) أي أدخلوا فيه الانتقام والشدة ، فان حكم الباطل
هكذا يكون دائماً ، يوجب ضيقاً في النفوس ، وضيقاً في الحياة (فيومئذ) أي
في ذلك اليوم الذي يحكم فيه الأمويون ويذيقونكم ألوان العذاب .

(لا يبقى لكم في السماء ولا في الأرض ناصر) وذلك لأن الناس اذا
اشتغلوا بالمعاصي ، ولم يغيروا المنكر ، انقطع عنهم عون السماء ، واذا انقطع
عون السماء ، لم يكن لهم عون في الأرض (أصفيتم) أي آثرتم وقدمتم (بالأمر

غَيْرَ أَهْلِهِ ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ ، وَسَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْ ظَلَمٍ ، مَا كَلَّا
بِمَا كَلَّ ، وَمَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلَقَمِ ، وَمَشَارِبِ الصَّبْرِ
وَالْمَقْرِ ، وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ ، وَدِثَارِ السَّيْفِ . وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ
وَزَوَامِلُ الْآثَامِ فَأَقْسِمُ ، ثُمَّ أَقْسِمُ ، لَتَنْخَمَنَّهَا

غير أهله (أى بأمر الخلافة والامارة .

(وأوردتموه غير مورد) تشبيه للخلافة بالحيوان الذى يورد على الماء ، فانه

إذا أورد السائق فى غير المشرعة تعب السائق والحيوان معا .

(وسينتقم الله ممن ظلم) باعطاء الأمور الى الأمويين ، والسكوت على

أعمالهم (ماكلا بماكل) أى يؤكله سبحانه المقر ، كما أكل الحلو (ومشربا

بمشرب) أى يشربه الكدر ، كما شرب العذب (من مطاعم العلقم) شئ شديد

المرة (ومشارب الصبر والمقر) الصبر عصارة شجرة مرة ، والمقر السم ، يعنى

أن الجزاء تقديم بنى أمية هذه الأمور ، وهى كناية عما يلاقونه من الشدائد فى

دولتهم .

(و) من (لباس شعار الخوف) أى باطنه الخوف (ودثار السيف)

أى ظاهره السيف . فإن الانسان فى دولة الظلمة خائف القلب ، مهين السلاح

وشبه الخوف بالشعار - وهو الثوب الذى يلاصق شعر الجسد - لأنه فسى

داخل قلب الانسان ، وأما الدثار وهو الثوب الذى فوق الشعار ظاهر ، ولذا

شبه به السيف الظاهر على جسد الانسان .

(وإنما هم) أى آل أمية (مطايا الخطيئات) كأن الخطايا والآثام تركب

عليهم لتسوقهم الى النار (وزوامل الآثام) جمع زاملة ، وهى : ما يحمل

عليها الطعام من الأهل ونحوه (فأقسم ثم أقسم) تكرار للتأكيد (لتتخمنها

أَمِيَّةٌ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفِظُ النُّخَامَةُ ، ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلَا تَتَطَعَّمُ بِطَعْمِهَا
أَبَدًا مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ !

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يبين فيها حسن إدارته للرعية

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جَوَارِكُمْ ، وَأَحْطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ . وَأَعْتَقْتُكُمْ
مِنْ رِبْقِ الذَّلِّ ،

أمية (النخامة : ما يدفعه الصدر أو الدماغ من الماء اللزج ، معنى الجملة إن أمية
تلفظ الخلافة ، كما يلفظ الإنسان النخامة ، وذلك كناية عن خروج الأمر من
أيديهم ، بسبب بنى العباس (من بعدى كما تلفظ) أى تطرح (النخامة)
ولعل وجه أسناد اللفظ إليهم ، أنهم ارتكبوا جرائم أوجبت ذلك - وإن كان
خروج الخلافة عنهم كان بكره منهم - .

(ثم لا تذوقها) أى الخلافة (ولا تتطعم بطعمها) أى لا تعرف طعم
الخلافة (أبد ، ما كرر الجديدان) هما الليل والنهار وكرها ودورانها .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يبين فيها حسن إدارته للرعية

(ولقد أحسنت جواركم) أيها المسلمون ، فأوصلت الخير إليكم ، وكففت
الأذى عنكم (وأحطت - بجهدى - من ورائكم) أى حفظتكم عن أن ينال
أحد منكم مكروها ، كما يحيط البناء بالإنسان حافظا له عن الأخطار (وأعتقتكم
من ربق الذل) جمع ربة ، وهى : الحيل فيه عرى ، لربط أعناق الأغنام بها

وَحَلَقِ الضُّمَيْمِ ، شُكْرًا مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ وَإِطْرَاقًا عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ ، وَ
شَهْدَهُ الْبَدَنُ ، مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ .

لينخرط الكل فى نظام واحد يساقون كما يشاء الراعى ، فان عثمان جمع —
المسلمين اذلاءً ، بسبب أعماله وحكامه ، حتى أنهم كانوا يعدون العسراق
(بستان قریش)) .

(وحلق) جمع حلقة (الضيم) أى الذل ، فكانه حلقة فى رقابهم ، و
أيديهم وأرجلهم (شكرا منى للبر القليل) أى ما رأيته من بر بعضكم ، فانسى
جازيت ذلك البر بتلك الأعمال من احسان الجوار وغيره (واطراقا) يقال
أطرق رأسه ، اذا لم يرفعها ، وكأنه لا يرى ما يفعل أمامه (عما أدركه البصر)
منكم من سوء الأعمال (و) اطراقا عما (شهده البدن) أى لمسه بدننى — و
ذلك كناية عما أدركه عليه السلام والأذى الوارد على جسده الشريف — (من
المنكر الكثير) الصادر منكم ، كل ذلك بعكس عثمان وولاته ، الذين سبقوا
الامام فى ادارة البلاد .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في حمده سبحانه وبيان عظمته ، وفضائل رسله ، وحقيقة الرجاء .
 أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ ، وَرِضَاؤُهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ ، يَقْضِي بِعِلْمٍ .
 اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي ، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتُبْتَلِي ، حَمْدًا
 يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ ، وَأَحَبُّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ ، وَأَفْضَلُ الْحَمْدِ عِنْدَكَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في حمده سبحانه ، وبيان عظمته ، وفضائل رسله ، وحقيقة الرجاء .
 (أمره) سبحانه بشئ (قضاء) لازم لا يمكن الفوارغه (وحكمة) فانه
 تعالى لا يأمر الا حسب المصلحة والخير (ورضاه) اذا رضى عن أحد (أمان)
 له عن الأخطار (ورحمة) له بالانعام والافضال (يقضى) أى يحكم فيما
 يحكم (بعلم) فليس حكمه صادرا عن جهل .
 (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي) فان كليهما خير للانسان ، ولذا
 يستحق سبحانه على كل واحد منهما الحمد والمدح (وعلى ما تعافى وتبتلى)
 فان ابتلاءه اما لحط ذنب او لرفع درجة ، وكلاهما نعمة تستحق الحمد (حمدا)
 يكون ارضى الحمد لك (أى تكون أنت أكثر رضا من ذلك الحمد ، من رضاك
 سائر أنواع حمد الحامدين ، وذلك كناية عن بلوغ حمد الحامد الدرجة الكاملة
 حتى يكون سبحانه شديد الرضا به (وأحب الحمد إليك) أى تحبه أكثر من
 حبك لسائر أنواع المحامد (وأفضل الحمد عندك) فان الرضا والحب قد
 يتعلقان بغير الأفضل — كما يتداول عند الناس — .

حَمْدًا يَمَلَأُ مَا خَلَقْتَ ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ . حَمْدًا لَا يُحْجَبُ عَنْكَ ،
وَلَا يُقْصَرُ دُونَكَ .

حَمْدًا لَا يَنْقُطِعُ عَدْدُهُ ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ . فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ ،

(حمدا يملأ ما خلقت) هذا من تشبيه المعقول بالمحسوس ، فلو كان الحمد جسما لملأ كل شيء ، ومثل هذا الكلام تعبير عن مدى اهتمام النفس بهذا الجانب ، حتى انه لو تمكن من هذا المقدار من الحمد - تكويننا، لا رمزا ، كما يقوله الآن - لمحمد ، والحاصل ان مثل هذا اللفظ رمزا الى هذا المقدار من الحمد النفسى ، كما تقول : ألف رحمة على فلان ، تهدي أنك لو قدرت لترحمت عليه ألف مرة ((رحمة رحمة رحمة ...)) حتى تبلغ الألف فى التعداد وحيث لا تقدر على ذلك - عدم قدرة حقيقة أو ادعاء جعلت لفظ ((الألف)) رمزا الى ذلك ، دلالة لما تنطوى عليه نفسك من ارادة نزول الرحمة على (فلان) (ويبلغ ما أردت) لو كان جسما ، وأريد بلوغه الى المكان المرتفع ((الفلانا)) لبلغ (حمدا لا يحجب عنك) فان الانسان اذا كان عاصيا حجب ومنع حده عن الله سبحانه ، بمعنى أنه لم يقبل ولم يترتب عليه الأثر المترتب على حمد الحامدين (ولا يقصر) نفس الحمد (دونك) أي دون البلوغ الى رضاك ، فان عدم الوصول قد يكون بسبب منع مانع عن الوصول وقد يكون بسبب عدم وجود المقتضى فى الشيء .

(حمدا لا ينقطع عدده) فلو كان يعد لبقى الى الأبد (ولا يفنى مدده)

ما يمدّه من الحمد المتوالى بعضه اثر بعض .

(فلسنا نعرف كنه عظمتك) أي مقداره الزائد ، و ((الفاء)) لتعليل

هذا الحمد الكثير ، كأن قائلا قال : ولم هذا القدر الكبير من الحمد ؟ فأجيب

إِلَّا أَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ «حَيٌّ قَيُّومٌ» ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ . لَمْ يَنْتَهُ إِلَيْكَ نَظَرٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ . أَذْرَكْتَ الْأَبْصَارَ ، وَأَخْصَيْتَ الْأَعْمَالَ ، وَأَخَذْتَ «بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ» . وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ ، وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ ،

لعظمته سبحانه البالغة حدًّا لا يدرك ، فهو أعظم من أن يفنى الحصد مهما كثر بعظمته (إِلَّا إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ) لا تموت أبداً (قَيُّومٌ) قائم بالأمور لا تغفل عنها طريقة عين (لَا تَأْخُذُكَ سِنَّةٌ) هي مقدّمة النوم (وَلَا نَوْمٌ) فأنه سبحانه لا تعرض عليه العوارض (لَمْ يَنْتَهُ إِلَيْكَ نَظَرٌ) فيراك أحدك من خلقه ، لأنّ النظر يقع على الجسم ولوازمه وهو سبحانه منزّه عنهما .
 (وَلَمْ يَدْرِكْكَ بَصَرٌ) عطف بيان للجملة السابقة ، أو المراد بالنظر: الفكر فالجملتان مختلفتان (أَذْرَكْتَ الْأَبْصَارَ) والتخصيص بها للمقابلة (وَأَخْصَيْتَ الْأَعْمَالَ) بمعنى علمه سبحانه بها وبكيفيةها وكيفيةها .
 (وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ) جمع ناصية ، وهي : مقدم الرأس (وَالْأَقْدَامِ) جمع قدم ، وذلك كناية عن كون الناس تحت قدرته الكاملة ، كما أنّ من يأخذ بناصية شخص وقدمه - جميعاً - يكون مسلّطاً على المأخوذ أقوى سلطة (وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ ؟) استفهام للتحقيق ، أي أنّ مربيائنا ليست بمهمّة بالنسبة إلى غيرها التي لا نراها ممّا خلقت وصنعت (وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ) ممّا ندركه بحواسنا (وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ) ؟
 (وَ) الحال ان (مَا تَغَيَّبَ) أي غاب (عَنَّا مِنْهُ) أي من خلقك (وَ قَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ) فلا نراه لبعده عَنَّا ، أو لحيلولة شئ بيننا وبينه ، أو لصغره

وَأَنْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ ، وَحَالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ . فَمَنْ
فَرَّغَ قَلْبَهُ ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ
خَلْقَكَ ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى
مُورِ الْمَاءِ أَرْضَكَ ، رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيرًا ، وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا ، وَسَمْعُهُ وَالْهَاءُ ،
وَفِكْرُهُ حَائِرًا .

منها : يَدْعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ ،

حتى لا يرى بالعين المجردة (وانتهت عقولنا دونه) فلا تدركه عقولنا ، لأن
عقولنا أقصر من ادراكه .

(وحالت سواتر الغيوب) أي كونه غائبا عنا ، فكان الغيب ساتر (بيننا
وبينه) فلا تدركه (أعظم) خبر قوله (وما تغيب منا) ثم لمع عليه السلام
الى بعض ما لا يدركه العقل من أسرار الخلقة بقوله (فمن فرغ قلبه) عن كل
شئ ليفكر في هذا الأمر : (كيف أقمت) فقط (واعمل فكره ليعلم كيف أقمت
عرشك) على أكتاف الملائكة ، أو في الفضاء أو المراد كيف هو - بالذات - .
(وكيف ذرات) أي خلقت (خلقك) من أي شئ ، وبأية كيفية (وكيف
علقت في الهواء سماواتك) هذه الأجرام الثقيلة ، والمنضعات الكثيرة .

(وكيف مددت على مور الماء) أي اضطرابه وموجه - الذي كان عند بدء
الخلقة - (أرضك ، رج) جواب (من فرغ) (طرفه حسيرا) أي ممنوعا
عن الفهم والاستناد الى الطرف ، لأنه آلة الادراك (وعقله مبهورا) أي يغفلوا
عن الفهم (وسمعه والها) اذ لا يسمع ما يفيد ذلك (وفكره حائرا) غير
مدرك لما أراد .

(منها :) في بيان حقيقة الرجاء (يدعى - بزعمه - انه يرجو الله) و

كَذَّبَ وَالْعَظِيمِ ! مَا بَالُهُ لَا يَتَّبِعُنْ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ . وَكُلُّ رَجَاءٍ - إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ تَعَالَى - فَإِنَّهُ مَذْخُولٌ وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ ، إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ .

الرجاء عبارة عن تقرب المحبوب ، ورجاء الله ترقيب رضاه واحسانه وفضله (كذب) في قوله انه يرجو (و) الله (العظيم) انه لا يرجوا رجاءاً حقيقياً (ما باله لا يتبين رجاءه في عمله) ؟ (ما باله) ((أى ما شأنه ، لو صدق في قوله ، انه لا يظهر من أعماله كونه راجياً .

(فكل من رجا عرف رجاءه في عمله) فانه لا يصح أن يقول الزارع انى أرجو أن احصل فى هذه السنة على حنطة جيدة ، وهو لم يزرع الحنطة ، أو يقول المهندس انى أرجو أن احصل على دار جميلة ، وهو لم يخطط ولم يبين ، فان الرجاء عبارة عن تقرب المحبوب ، بعد تهيئة الانسان للمقدمات التى بيده ، واما الرجاء بالنسبة الى سائر المقدمات التى ليست بيد الانسان ، فانه يرجسو تمامها بقدرة الله تعالى ، ويخاف عدم تمامها ، كما يرجو ويخاف الزارع اذا زرع ، ان يهطل المطر ، وان لا يهطل .

(وكل رجاء الا رجاء الله تعالى ، فانه مدخول) أى مغشوش قد دخله العيب اذ ليس بايدى الناس شئ ، الا اذا شئت الاقدار ، وهذا كما يقال كل ملك غير ملك الله مجاز ، فلو قدر الله وصول الدينار من (زيد) الى الراجى وصل ولو لم يقدر لم يصل .

(وكل خوف محقق) أى ان الناس يخافون من كل مخوف خوفاً حقيقياً (الا خوف الله فانه معلول) أى فيه علة وسقم ، فان الغالب من الناس لا يخافون الله سبحانه ، خوفاً هو أهله ولذا يغلبهم الذنب ، مع العلم انه لو

يَرْجُو اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي
الرَّبَّ ! فَمَا بَالُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَقْصُرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ ؟ أَتَخَافُ
أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِبًا ؟ أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا ؟ وَ
كَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِهِ ، أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي

كان خوفهم خوفا تاما لم يقدموا على الذنب ، بعد ما أعد له من العقاب .
ثم بين عليه السلام ان الناس كيف لم يؤدوا حق الله مع عظيم رجائهم منه .
(يرجو الله في الكبير) أى في الشئ الكبير كالأولاد والجنة . وما أشبه (و
يرجو العباد في الصغير) كإعطائه مالا أو منصباً أو ما أشبه (فيعطى العبد)
من التقدير والاحترام (ما لا يعطى الرب) من الائتمار بأوامره والانتها عن
نواهيه . وهذا كما لورجوت ((زيدا)) ألف دينار ، ولم تطعه ، ورجوت
((خالدا)) ديناراً وأطعته .
(فما بال الله) أى ما شأن الانسان مع الله (جلَّ ثَنَاؤُهُ يَقْصُرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ
لِعِبَادِهِ) أى لا يأتى الانسان بواجب تقديره ، مثل ما يأتى بواجب تقدير
العبد (أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِبًا) ؟ فأنت لا ترجوه حقيقة ولذا
لا تقدّره حق قدره ، بينما ترجو سائر العباد حقيقة ، ولذا تقدّره حق قدرهم
والمعنى : هل السبب في عدم تقديرك لله أنك لا ترجوه حقيقة .
(أو) السبب في عدم تقديرك له سبحانه أنك (تكون لا تراه للرجاء موضعاً) و
من الطبيعي ان من لا يرجوه الانسان لا يقدره . بخلاف الناس ، فانت تراهم
موضع رجاء وأهلاً لا يرجون ، فلذا تقدّره (وكذلك) لما أتم عليه السلام
الكلام حول الرجاء تكلم حول الخوف ، على طريق ((اللف والنشر المرتب)) .
(ان هو) أى الانسان (خاف عبداً من عبيده أعطاه من خوفه مالا يعطى

رَبُّهُ ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْدًا ، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِمَارًا وَوَعْدًا .
وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا قَلْبِهِ ، آثَرَهَا
عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا ، وَصَارَ عَبْدًا لَهَا .

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَافٍ لَكَ فِي
الْأُسْوَةِ ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا ، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا ،

رَبِّهِ) فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الْخَائِفَ مِنْ شَيْءٍ يَتَجَنَّبُ سَخَطَهُ وَيُرِيدُ اِرْضَاءَهُ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ
لِيَحْمَدَ الْخَوْفَ ، وَلَيْسَ الْإِنْسَانُ كَذَلِكَ مَعَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ إِنْ خَافَهُ لَمْ يَطْعِهِ ، وَلَمْ
يَأْتِ بِعَرْضَاتِهِ ، وَلِذَا لَا يَعْبُدُ الْإِنْسَانُ الْمَلِكَ الَّذِي يَخَافُ مِنْهُ ، وَيَعْصِي
اللَّهَ وَإِنْ ادَّعَى أَنَّهُ يَخَافُ مِنْهُ تَعَالَى (فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْدًا) حَيْثُ
يَأْتِي بِمَقْتَضَى الْخَوْفِ (وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ) أَيِ خَالِقِ الْعَبِيدِ (ضِمَارًا) يَسُوفُ
بِهِ وَيُضْمَرُهُ (وَوَعْدًا) يَعِدُ وَلَا يَفِي .

(وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ) يَعَامِلُ مَعَ اللَّهِ أَقْلَ مِنْ مُعَامَلَتِهِ مَعَ
النَّاسِ ، فَيُبَايِ الرِّجَاءَ وَالْخَوْفَ ، لِأَنَّهُ قَدِمَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ (وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا
فِي قَلْبِهِ) أَكْبَرَ مِنْ مَوْقِعِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَمَوْقِعِ الْآخِرَةِ (آثَرَهَا) أَيِ اخْتَارَهَا وَ
قَدَّمَهَا (عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا) فَلَمْ يَسِرْ إِلَى مَا وَرَائِهَا (وَصَارَ عَبْدًا
لَهَا) فِي الْإِنْقِيَادِ وَالْخُضُوعِ لَا عَبْدًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ .

(وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - كَافٍ لَكَ فِي الْأُسْوَةِ)
أَيِ الْإِقْتِدَاءِ (وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا) أَيِ أَنَّهَا مَذْمُومَةٌ مُعْيُوبَةٌ (وَ
كَثْرَةُ مَخَازِيهَا) جَمْعُ مَخْزٍ ، بِمَعْنَى الْخِزْيِ - وَهُوَ السَّقُوطُ عَنْ دَرَجَةِ الْإِعْتِبَارِ
وَإِهْمَالُ الشَّأْنِ بِحَيْثُ لَا يَعْنِي بِهِ - (وَمَسَاوِيهَا) مِنَ السُّوءِ بِمَعْنَى الْقَبِيحِ .

إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا ، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْتَافُهَا وَقُطِعَ عَنْ رِضَاعِهَا ،
وَزُويَ عَنْ زَخَارِفِهَا

وَأَنْ شِئْتَ ثَنَيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ - عَلَيْهِ السَّلَام - إِذْ يَقُولُ :
« رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » .

ثم بين عليه السلام وجه الدلالة بقوله : (إذ قبضت عنه أطرافها) أي أطراف الدنيا ، طرف المال وطرف المأكّل ، وطرف النساء وهكذا ، فإن الرسول صلى الله عليه وآله لم يتمتع بمال الدنيا ومأكليها ، والحسان من أبنائها - وهذا وإن كان بإرادة الرسول صلى الله عليه وآله في الواقع ، إلا أنه لم يتهبها له صلى الله عليه وآله ما تهبها للقيصرة والأكاسرة في الظاهر - ولو كانت الدنيا حسنة مدوحة ، لم يحرم منها الرسول صلى الله عليه وآله وتعطى لغيره . (ووطئت لغيره أكتافها) جمع كنف ، بمعنى : الجانب ، ومعنى ((ووطئت)) هيئت وذلت (وفطم عن رضاعها) كناية عن عدم التذاذع صلى الله عليه وآله بلذائذ الدنيا (وزوي) أي ابتعد (عن زخارفها) جمع (زخرف) بمعنى الزينة .

(وإن شئت) أن تدرك كيف أنّ الدنيا مذمومة (ثنيت بموسى كليم الله عليه السلام) أي ذكرته صلى الله عليه وآله ثانياً ، لتري كيف أنه انقطع عن الدنيا (إذ يقول) كما يحكيه القرآن الحكيم (« ربّ اتني لما أنزلت اليّ من خير ، فقير ») (« فقير » مبتدأ مؤخر ، و « لما » خبر مقدم ، أي أنا فقير لكل نوع من أنواع الخير الذي تتفضل به عليّ ، وقد قال موسى عليه السلام ذلك حين ما جاء إلى « مدين » هارباً من « فرعون » ولم يكن زاد ولا مركب ولا

وَاللَّهُ ، مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْرًا يَأْكُلُهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ ، وَلَقَدْ
كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تَرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ ، لِهَزَالِهِ وَتَشَدُّبِ
لَحْمِهِ وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَام - صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ ،
وَقَارِيءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ . فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ ، وَيَقُولُ
لِجُلَسَائِهِ : أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا ! وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا .

ماوى (واللّه ما سأله الا خبزا يأكله) فكان سؤاله عليه السلام لشيع بطنه (لأنه
كان يأكل بقلة الأرض) فى سفره من (مصر) الى (مدين) .

(ولقد كانت خضرة البقل) أى العشب (ترى من شفيف صفاق بطنه)
الصفاق الجلد الأسفل تحت الجلد الذى عليه الشعر ، وشفيفه كونه غير متمل
حتى يكون كالزجاج رقة (لهزاله) عليه السلام (وتشدّب لحمه) أى تفرقه و
تحلّله ، حتى لم يبق له لحم كثيف يحول بين ما فى البطن ، وبين نفوذ النظر
فى الداخل ، فلو كانت الدنيا مددوحة لم تذوع عن مثل موسى عليه السلام .

(وان شئت) الزيادة فى عرفان ذم الدنيا (ثلثت بداوود عليه السلام)
أى ذكرته كفضائل ثالث (صاحب المزامير) جمع (مزموور) وهو ما يترنم به
من الأنشيد ، فقد كان داوود عليه السلام يقرئ (الزبور) - وهو الكتاب
السمّوى المنزل عليه بلحن طيب جميل ، لا بلحن الغناء - كما ربما يزعم - .

(وقارئ أهل الجنة) كما ورد فى الأحاديث أنّ الله سبحانه ينعم على
أهل الجنة بقراءة داود بصوته الجميل الرخيم (فلقد كان يعمل سفائف الخوص)
جمع سفيقة ، وهى : المنسوجة من خوص الأشجار ، أى كان ينسج الخوص
(بيده) الكريمة (ويقول : لجلسائه أيكم يكفينى بيعها) بأن يبيع هذه
السفائف ، لكى لا ابيعها أنا بنفسى (ويأكل قرص الشعير من ثمنها) أى ثمن

وَلَاِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ
الْحَجَرَ ، وَيَلْبَسُ الْخَشْنَ . وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ . وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ ،
وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ ، وَظِلَالُهُ فِي الشَّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ، وَفَاكِهَتُهُ
وَرِيحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ ، وَ
لَا وَلَدٌ يَحْزَنُهُ ،

تلك السفائف ، ولو كان للدنيا قدر ، لم يتركها مثل داود النبي العظيم عليه
السلام .

(وان شئت) الزيادة في معرفة دَم الدنيا (قلت في عيسى بن مريم عليه
السلام) بعض أحواله وزهده في الدنيا (فلقد كان يتوسد الحجر) أي يجعله
وسادته ، فيضع رأسه عليه (ويلبس) اللباس (الخشن) غير الناعم (ويأكل
الحشب) أي الغليظ من الطعام (وكان إدامه) هو الشيء الذي يؤكل مع
الخبز (الجوع) هذا كناية عن أنه لم يكن له إدام ، بل كان يأكل قدرا من
الخبز ، ويجوع عوض الإدام فالجوع كان يملا بعض بطنه عوض الإدام ، وهذا
من بليغ العبارة :

(وسراج به بالليل القمر) إذ لم يكن له مصباح يستضيئ بنوره في الليالي (و
ظلاله في الشتاء) أي ما يظله من البرد (مشارق الأرض ومغاربها) ففي
الصباح كان يأوي نحو الشرق حتى تشرق عليه الشمس ، وفي العصر نحو الغرب
حتى لا يحرم من الشمس .

(وفاكهته وريحانه) الفاكهة الثمار ، كالرمان ، والريحان الخضروات
كالفجل (ما تنبت الأرض للبهائم) من القوت ونحوه (ولم تكن له زوجة تفتنه)
أي توجب فتنته وامتحانه (ولا ولد يحزنه) أي يوجب حزنه ، لمرضه أو ما أشبه

وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ ، دَابَّتُهُ رَجُلَاهُ ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ !
فَتَأْسُرُ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَةً
لِمَنْ تَأْسَى ، وَعِزًّا لِمَنْ تَعَزَّى . وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأْسِي بِنَبِيِّهِ ،

(ولا مال يلفته) أى يجلب التفاته ونظره فينشغل عن الآخرة (ولا طمع) فى مال احد او منصب او شئ (يذله) فان الطامع يذل لمن يطمع فيه .
(دابته رجلاه) فكان يسير من مدينة الى مدينة راجلا بغير دابة (وخادمه يداه) لا خادم له يخدمه ، وانما كان يقضى حوائجه بنفسه ، ثم لا يخفى ان مثل هذا الالاحاح فى الأحاديث وكلمات الرسول و الأئمة عليهم الصلاة والسلام ، انما هو لتعديل جانبى الدنيا والآخرة ، فان الناس مغرقون فى الدنيا ، ومن الغريب ان الناس بعد ذلك كله لم يعتدلو ، بل مضوا فى نفس الخطأ البهيمه لكن يادنى تفاوت .

(فتأس) أى اقتد ايها المسلم (بنبيك الأطيب) ريحا (الأطهر) خلقا ، وفى سائر أنواع الطهارة (صلى الله عليه وآله) دعاء فى صورة خبر رأى اللهم اعطف عليه وارحمه بفضلك (فان فيه) صلى الله عليه وآله (أسوة) و مقتدى (لمن تأسى) أى لمن أراد الاقتداء ، لأنه صلى الله عليه وآله كامل فى الجهات الانسانية ، والمثل الرفيعة (وعزاء) أى صبرا وسلوة (لمسن تعزى) أى لمن أراد التصبر والتسلى ، فان الانسان الذى يتوك اللذائذ تهيج به النفس ، فلا بد له من سلوة يتسلى بها ، فان النفس تستقر اذا رأى الذين هم مثلها فى الصبر عند المكاره .

(وأحب العباد الى الله المتأسى) أى المقتدى (بنبيه) صلى الله

وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ . قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا ، وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا
كَشْحًا ، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا ، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا ،
وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ ، وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ .

عليه وآله وسلم (والمقتص) أى المتتبع (لأثره) يمشى فى المحل السدى
مشى فيه ، من باب تشبيه المعقول بالمحسوس - تقريباً للذهن (قضم) صلى
الله عليه وآله (الدنيا قضا) القضم ، هو : الكسر بالأسنان ، فكأنه صلى
الله عليه وآله كسر الدنيا كسراً ، ولم يبق عليها سائلة كمن يقضم الشيء الذى لا
حاجة له به (ولم يعرها) من أعار بمعنى أعطى العارية (طرفاً) أى لم ينظر
إليها ، ولم يعطها طرفه ، وأتينا كان نظره الى الآخرة .

(أهضم أهل الدنيا كشحاً) الكشح : ما بين الخصرة والضلع الخلفى ، أى
أنه صلى الله عليه وآله كان أخلى الناس بطناً ، فإن الأهضم بمعنى خمس البطن
وخلوه من الطعام ، وذلك كناية عن اعتراضه عن الدنيا (وأخمصهم من الدنيا بطناً)
أى أن بطنه كان أخلى بطون أهل الدنيا (عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها)
فإن الله سبحانه عرض الدنيا على الرسول صلى الله عليه وآله ، لكن الرسول صلى
الله عليه وآله امتنع من قبولها ، لأنه كان يعلم أنه لا فائدة فيها وإنها زائلة لا تبقى .
(وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئاً) أى الدنيا (فأبغضه) وبغض الله
للدنيا ، من جهة كونه سبحانه يعصى فيها ، والآل الدنيا المحللة التى هى
رسولة الآخرة ، فقد كان النبى صلى الله عليه وآله وسائر الرسل يقبلون عليها ،
ولذلك أخذ الرسول صلى الله عليه وآله فى يده الملك والقوة (وحقر) الله
(شيئاً فحقره) أى عدّه حقيراً ، فإن الدنيا فى جنب الآخرة حقيرة جداً ، حتى
لا تساوى جناح بعوضة .

وَصَغَرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبْنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَ
تَعْظِيمُنَا مَا صَغَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ .
وَلَقَدْ كَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - بِأَكُلٍ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ
الْعَبْدِ ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ ،

(وصغر شيئاً فصغره) والفرق بين الحقير والصغير ، انّ ما لا كمال له ،
والثاني ما لم يبلغ الكمال ، وان كان له كمال مترقب ، ولذا يقال للطفل صغير
ولا يقال له حقير (ولولم يكن فينا الا حبنا) أي محبتنا (ما أبغض الله) أي
(ورسوله) له ، ومصادق (ما) : الدنيا ، أي حبنا للدنيا التي
أبغضها الله ورسوله .

(وتعظيمنا) له (ما صغر) : (الله ورسوله) والمراد بها الدنيا
أيضا (لكفى به) أي بذلك الحب (شقاً لله) المشاقة بمعنى : المخالفة ،
كأن أحد الطرفين في شق ، والآخر في شق ثان (ومحادة عن أمر الله)
المحاداة المخالفة في عناد (ولقد كان صلى الله عليه وآله يأكل على الأرض) أي
جالسا عليها ، لا على الكرسي والفرش ، أو كان يضع خبزه وما أشبه على
صعيد الأرض .

(ويجلس جلسة العبد) فإن العبد لا يجلس جلسة استراحة وتربيع ، و
إنما يجلس جلسة المنتظر للقيام ، لأنه منتظر لأمر مولاه ، حتى إذا أمره كان
مهيأ فوراً ، بدون تأخير حتى بمقدار أن ينتقل من الجلسة المريحة الى الجلوس
التهيؤ ثم القيام ، وهكذا يكون دائماً أصحاب الأشغال الكثيرة المتواضعون في
أنفسهم (ويخصف) أي يخييط (بيده نعله) إذا احتاجت الى الخياطة و
نحوها (ويرقع بيده ثوبه) الرقعة : الوصلة ، توضع في موضع الخرق ، ثم

وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ ، وَيَكُونُ السُّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ
فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ : « يَا فُلَانَةُ - لِإِخْدَى أَزْوَاجِهِ - غَيْبِي عَنْي ،
فَلَمَّا إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا . فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ ،
وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ ، لَكِي لَا
يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا ، وَلَا

تخاطب بالشوب لئلا يبقى الخرق (ويركب الحمار العاري) فلا يأنف من عريه
(ويردف خلفه) هو أن يجلس الراكب معه غيره ، وهذا يدل على التواضع .
(ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاویر) أي الصور مقابل الستر
الذي لا صورة فيه (فيقول) صلى الله عليه وآله (يا فلانة - لأحدى زوجاته -
غيبه عني) والمراد رفع الستر ، لا يبقى معلقا تظهر صورته (فأنى إذا نظرت
إليه ذكرت الدنيا وزخارفها) جمع زخرف ، بمعنى : الزينة ، ومن المعلوم
أن الإنسان بمقدار ما تذكر الدنيا وتعلق قلبه بها ، يغفل عن الآخرة ، فإن
القلب لا يتوجه إلى طرفين مختلفين ، كما أشار إليه سبحانه بقوله : ((ما جعل
الله لرجل من قلبين في جوفه)) .

(فأعرض عن الدنيا بقلبه) ولعل ذكر القلب للإشارة إلى أن الإعراض كان
حقيقيا ، لا كبعض الناس ، الذي يظهرون الإعراض ، ويبطنون الحب و
الاقبال (وأمات ذكرها من نفسه) صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يكن يذكر
الدنيا ويميل إليها حتى في نفسه .

(وأحب أن تغيب زينتها عن عينه) حتى لا يراها ، ليكون في موضع
الافتتان بها والحب لها ، فإن القلب يميل إلى الشيء الجميل إذا نظر إليه ،
أو ذكر عنده (لكى لا يتخذ منها ريشا) الرياش اللباس الفاخر ونحوه (ولا

يَعْتَقِدَهَا قَرَارًا ، وَلَا يَرْجُو فِيهَا مَقَامًا ، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ ، وَأَشْخَصَهَا
عَنِ الْقَلْبِ ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ . وَكَذَا مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ
إِلَيْهِ ، وَأَنْ يُذَكَّرَ عِنْدَهُ .

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مَا يَدُلُّكَ عَلَى
مَسَاوِي الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا : إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ ،

يعتقدها قراراً (أى أنها دار قرار وبقاء ، فإن الإنسان إذا تعلق قلبه بشئ
قويت فيه ملكة التلاقي معه دائماً (ولا يرجو فيها مقاما) أى لا يترقب البقاء و
الاقامة فى الدنيا (فأخرجها) صلى الله عليه وآله (من النفس) فلم يكن
للدنيا فى نفسه الشريفة محل واعتبار (وأشخصها) أى أبعدها (عن القلب)
فلم يتعلق قلبه المبارك بها (وغيبها عن البصر) فلم ينظر اليها و لم يجمع
حوله منها ما يقع نظره عليه (وكذا من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر اليه) لأن
النظر يذكر الإنسان به فيهيج فيه عواطف العداة مما يوجب أذاه (وأن يذكر
عنده) لنفس ذلك السبب :

(ولقد كان فى رسول الله - صلى الله عليه وآله - ما يدلك على مساوئ
الدنيا) جمع المساواة ، بمعنى : العيب والنقص (وعيوبها) وهو ضد
الكمال ، والتعام (إذ جاع فيها) أى فى الدنيا (مع خاصته) أى مع
خصوصيته وفضله عند الله سبحانه ، او المراد بخاصته أهله ، الذين هم الصق
الناس به صلى الله عليه وآله رحماً ، ولو كانت الدنيا حسنة جميلة عند الله
سبحانه لكان نصيب الرسول صلى الله عليه وآله منها أكثر ، لانه كان احب الناس
اليه تعالى ، والاحب موفور النصيب واوفر الحظ .

وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ . فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ : أَكْرَمَ اللَّهُ
مُحَمَّدًا بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ ! فَإِنْ قَالَ : أَهَانَهُ ، فَقَدْ كَذَبَ وَالْعَظِيمِ .
وَإِنْ قَالَ : أَكْرَمَهُ ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا
لَهُ ، وَزَوَّاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ . فَتَأْسَى مُتَأْسٍ بِنَبِيِّهِ ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ
وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنُ

(وزويت) أى بعدت (عنه) صلى الله عليه وآله وسلم (زخارفها) أى
زينتها (مع عظيم زلفته) أى قربه من الله تعالى فان ((زلفى)) بمعنى القرب
(فلينظر ناظر بعقله) أى نظر تدبر وتفكر هل (أكرم الله محمداً بذلك) الزهد
فى الدنيا (أم أهانه ؟) فانزوا الدنيا عنه ، اذا لم يكن أهانة ، حكم العقل
بحسن اتباع هذه الطريقة (فان قال أهانه فقد كذب و) الله (العظيم) اذ
لم يوجد عاقل فى الدنيا يحكم بأن الرسول صلى الله عليه وآله كان مهانا من هذه
الناحية ، بل جميع العقلاء يحبون الانسان الزاهد الذى صرف نظره عن الدنيا
وزخارفها .

(وان قال أكرمه ، فليعلم ان الله قد أهان غيره) أى غير الرسول صلى
الله عليه وآله (حيث بسط الدنيا له) أى لذلك الغير العثرى (وزواها)
أى الدنيا (عن أقرب الناس منه) منزلة ، وهو الرسول صلى الله عليه وآله
(فتأسى) أمرنى صورة الاخبار ، أى فليتأس ، والتأسى : الاقتداء
(متأس) أى من أراد التأسى والاقتداء (بنبيه) فى الاعراض عن الدنيا (و
اقتص أثره) أى وليتبع أثر الرسول فى الزهد فى ملذات الحياة (وولج) أى
دخل (مولجه) أى المحل الذى دخل فيه الرسول صلى الله عليه وآله .
(والآ) فان لم يفعل كما فعل الرسول صلى الله عليه وآله (فلا يأمن

الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - عَلَمًا لِلسَّاعَةِ،
وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ. خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصًا، وَوَرَدَ
الْآخِرَةَ سَلِيمًا. لَمْ يَضَعْ حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ
دَاعِيَ رَبِّهِ. فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا نَتَّبِعُهُ،
وَقَائِدًا نَطَأُ عَقْبَهُ !

الهلكة (أى الهلاك الأخرى) فإن الله جعل محمدا - صلى الله عليه وآله -
علما للساعة (أى علامة ليوم القيامة) فإن مبعثه أقرب من الساعة ، من مبعث
سائر الأنبياء ، فهو صلى الله عليه وآله الدليل الذى يقتدى به ، ومن خالفه
يقدم على هلاك نفسه مع قرب الساعة ، (ومبشرا بالجنة) لمن آمن و أطاع
(ومنذرا بالعقوبة) لمن كفر أو عصى (خرج) صلى الله عليه وآله (من الدنيا
خميصا) أى خال البطن من الطعام ، أما حقيقة ، أو كناية عن عدم تمتعه
باللذات (وورد الآخرة ، سليما) عن الآثام والاداران (لم يضع) لنفسه
(حجرا على حجر) أى لم يبنى بيتا محكما كما يبنى أهل الدنيا ، وإنما صنع
غرفة التى كانت دائرة مدار المسجد من اللبن والطين .

(حتى مضى) صلى الله عليه وآله (لسبيله) أى طريقه الذى يحب أن
يسلكه وهو الموت (وأجاب داعى ربه) وهو ملك الموت الذى يدعو إلى الله
سبحانه (فما أعظم منة الله عندنا حين أنعم علينا به) أى بالرسول صلى الله
عليه وآله (سلفا) أى فى حال كونه صلى الله عليه وآله سابقا علينا فى الطاعة و
العبادة ، أو سابقا فى العمر (نتبعه) فى أعماله وأفعاله (وقائدا) يقود
الناس إلى الخير (نطأ عقبه) العقب : مؤخر القدم ، ووطئها كناية عن
الاقتفاء التام حتى أن رجلنا نتصل برجله ، كأنها تطأ عقبه صلى الله عليه وآله ثم

وَاللّٰهُ لَقَدْ رَفَعْتُ مِدْرَعَتِيْ هَذِهِ حَتّٰى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا . وَلَقَدْ قَالَ لِىْ قَائِلٌ : اَلَا تَنْبِذُهَا ؟ فَقُلْتُ : اَغْرُبْ عَنِّيْ ، فَعِنْدَ الصُّبْحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى !

بين عليه السلام : انه اقتدى بالرسول صلى الله عليه وآله فى الزهد و الاعراض عن الدنيا .

(والله لقد رفعت مدرعتى هذه) هى ثوب من صوف (حتى استحييت من راقعها) كما يستحي الانسان ذو الثوب الخلق من الناس الذين حواليه .
(ولقد قال لى قائل :) ولعله هو الراقع ، أو غيره (ألا تنبذها) ؟
أى تطرح هذه المدرعة لتستبدل بها جديدة . وهذا استفهام للتحريض .
(فقلت : اغرب عني) أى ابتعد (فعند الصبح يحمد القوم السرى)
السرى هو السير ليلاً ، فان القافلة اذا سارت ليلاً ، وصل المحل قبل الصبح ، فاذا أصبح حمد سيره فى الليل الموصل له الى الهدف ، وان كان فى الليل وقت السير ، يكره السير لنعاسه ولصعوبة السير ، وهذا مثل يقال لمن يتحمل التعب رجاء ادراك الخير ، وقد أراد الامام عليه السلام بذلك ، انه يتحمل مثل هذه المدرعة المشينة ، رجاء رحمة الله وفضله المعدة للزاهدين فى الدنيا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى صفة الرسول صلى الله عليه وآله ، وأهل بيته عليهم السلام

ولزوم اتباع طريقتهم ، والوعظ

بَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ ، وَالْبَرْهَانَ الْجَلِيِّ ، وَالْمِنْهَاجَ الْبَادِي ، وَالْكِتَابَ الْهَادِي . أَسْرَتُهُ خَيْرُ أَسْرَةٍ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ ، وَأَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى صفة الرسول صلى الله عليه وآله ، وأهل بيته عليهم السلام ولزوم

اتباع طريقتهم ، والوعظ

(بعثه) الله سبحانه (بالنور المضئ) وهى الأحكام التى تضيئ سبيل السعادة (والبرهان الجلى) أى الواضح ، وهى المعجزات الباهرات التى كانت للنبي صلى الله عليه وآله مما تدل على صدق كلامه وادعائه النبوة (والمنهاج) أى الطريق (البادى) أى الظاهر ، فإن طريقة الاسلام ظاهرة لا لبس فيها ولا غموض (والكتاب) أى القرآن (الهادى) فاته يهدى السى الحق والى طريق مستقيم (أسرته خير أسرة) الأسرة : أقارب الانسان . (وشجرته) أى أصله (خير شجرة) لأنها شجرة ابراهيم الخليل ، و الأنبياء من آله الأطهار (وأغصانها) أى أغصان تلك الشجرة وهم الأنبياء (معتدلة) لا انحراف فيهم (وثمارها) وهى العلوم والمعارف المنتشرة منهم (متهدلة) أى دانية للاقتطاف ، فكل أحد يتمكن من الوصول السى

مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ ، وَهَجْرَتُهُ بِطَبِيبَةَ . عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ وَآمَتْدَ بِهَا صَوْتُهُ
أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ . أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ
الْمَجْهُولَةَ ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدْعَ الْمَدْخُولَةَ ، وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ .

معارفهم وعلومهم .

(مولده بمكة) أى أنها محلّ ولادته ، وهذا من جملة المفاخر ، إذ مكّة
حرم الله سبحانه . (وهجرته بطيبة) وهى المدينة المنورة ، وكانت لها قبل
تسمية الرسول صلى الله عليه وآله إياها بـ ((المدينة)) اسمان :

الأول : طيبة ، كانت اسما لها عند أهلها ، لكثرة مياهها وزروعها ،
وندى هوائها ، فى وسط الجبال والصّحراء القاحلة .

الثانى : يثرب ، كانت اسما لها عند سائر الناس ، لأنهم إذا وردوها
تمروا لتغيير المناخ عليهم من نيوتة إلى رطوبة ، وكون الهجرة الى هناك مفخرة
دنيوية ، للتخلص من الهواء الشديد ، الى الهواء اللطيف (علا) أى ارتفع
(بها) أى بالمدينة (ذكره) صلى الله عليه وآله (وامتدّ بها صوته) كناية
عن بلوغ دعوته الى أطراف البلاد .

(أرسله) الله (بحجة كافية) فى الدلالة والبرهنة (وموعظة شافية)
عن أمراض الجهل والرديلة (ودعوة متلافة) من تلافاه بالاصلاح قبل أن يهلكه
الفساد ، فلولوا الرسول صلى الله عليه وآله كان الناس يذهبون الى الشقوة
الأبدية (أظهر) الله سبحانه (به) صلى الله عليه وآله (الشرائع المجهولة)
عند الناس (وقمع) أى قلع (به البدع المدخولة) التى دخلت فى الأديان
كالوثنية ، وعبادة المسيح وعزير ، وما أشبه .

(وبين به الأحكام المفصلة) التى فصلها الله سبحانه تفصيلا ، أو بمعنى

فَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَتَحَقَّقُ شِقْوَتُهُ ، وَتَنْفَصِمُ عُرْوَتُهُ ، وَتَعْظُمُ كَبَوْتُهُ ، وَيَكُنْ مَأْبَهُ إِلَى الْحُزَنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ . وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُوْدِي إِلَى جَنَّتِهِ ، الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ .

أَوْصِيَكُمْ ، عِبَادَ اللَّهِ ، بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، فَإِنَّهَا النُّجَاةُ غَدًا

الفاصلة بين الحق والباطل فان اسم المفعول قد يأتي بمعنى اسم الفاعل ، نحو ((حجاباً مستوراً)) أى ساتراً (فمن يتبع غير الاسلام ديناً تتحقق شقوته) أى شقائه فى الدنيا والآخرة (وتنفصم) أى تنقطع (عروته) أى محل استمساكه بالحياة السعيدة .

(وتعظم كبوته) أى سقطته ، لأنه يسقط فى مشاكل الحياة ، وفى النار بعد العماة (ويكون مأبه) أى مرجعه ، من ((أب)) بمعنى ((رجع)) الى الحزن الطويل (فى الآخرة) والعذاب الوبيل (أى الموجب للويل والشدة) (وأتوكل على الله توكل الانابة اليه) أى توكل من يرجع اليه سبحانه فى جميع أموره ، لا توكل من يجعل ذلك لقلقة لسانه بلا حقيقة له .

(وأسترشده) أى أطلب أن يرشدنى (السبيل المؤدى الى جنته) والمراد. الابقاء على ذلك السبيل - مثل : اهدنا الصراط المستقيم - (القاصدة) صفة السبيل وهى مؤنثة سماعاً ، والمراد بها ((المتوسطة)) التى لا انحراف فيها (الى محل رغبته) أى المحل الذى رغب سبحانه أن يذهب الانسان اليه أى الجنة .

(أوصيكم) يا (عباد الله بتقوى الله) أى الخوف منه (وطاعته) فى أوامره ونواهيه (فانها) أى كل واحد من التقوى والطاعة (النجاة غدا) أى

وَالْمَنْجَاةُ أَبَدًا . رَهَبَ فَأَبْلَغَ ، وَرَغَبَ فَأَسْبَغَ ، وَوَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيَا وَ
أَنْقَطَاعَهَا ، وَزَوَالَهَا وَأَنْتِقَالَهَا . فَأَعْرَضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا
يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا . أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ! فَغُضُّوا
عَنْكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - غُيُومَهَا وَأَشْغَالَهَا ، لِمَا قَدْ أَيقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَ
تَصَرُّفِ حَالَاتِهَا .

موجبة للنجاة في الآخرة (والمنجاة) مصدر ميمي بمعنى ((النجاة)) (أبدا)
أي دائما في الدارين (رهب) أي أخاف الناس عن المعاصي (فأبلغ) في
ترهيبه ، إذ أتى بكل ما يمكن أن يوجد في الإنسان خوفا وخشية (ورغب) في
الجنة والرضوان (فأسبغ) أي أحاط بجميع وجوه الترويب ، أو أكثر ففى
الاعطاء .

(ووصف لكم الدنيا وانقطاعها) كما في القرآن الكريم (وزوالها و
انتقالها) ألفاظ متقاربة المعنى تؤدي إلى أمر واحد ، وهو فناؤ الدنيا
(فأعرضوا) أيها الناس (عما يعجبكم فيها) أي ما يحلو في أنفسكم ، من
زخارف الدنيا (لقلّة ما يصحبكم منها) فإنّ منتهى عمر الدنيا مائة سنة ، وهي
تنقضى بسرعة .

(أقرب دار من سخط الله) سبحانه حيث يعصى فيها (وأبعدها من
رضوان الله) أي رضا سبحانه ، حيث تقل الطاعة فيها (فغضوا عنكم) يا
(عباد الله ، غيومها وأشغالها) أي لا تهتموا بغموم الدنيا وأمورها ، و
الغض كناية عن عدم الالتفات ، فكما أنّ من غشّ بصره ، سترت عينه ، كذلك
من غشّ همه ، سترو ولم يعتن به ، كأنه غير مشاهد (لما قد أيقنتم به) الضمير
عائد إلى ((ما)) (من فراقها وتصرف حالاتها) أي انقلاباتها من حال إلى

فَاَحْذَرُوها حَذَرَ الشَّقِيْقِ النَّاصِحِ وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ . وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ : قَدْ تَزَايَلَتْ اَوْصَالُهُمْ ، وَزَالَتْ اَبْصَارُهُمْ وَاسْمَاعُهُمْ ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ ، وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ ، فَبَدَّلُوا بِقُرْبِ الْاَوْلَادِ فَقْدَهَا ، وَبِصُحْبَةِ الْاَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا . لَا يَتَفَاخَرُونَ ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ ،

حال (فاحذروها) وخافوا منها (حذر الشقيق) أى الخائف (الناصح)
لنفسه الذى يزجرها عن الوقوع فى الهلكة (والمجد) فى عمله (الكادح) الذى
يكدح أى يتعب لخلاص نفسه ، وراحة مستقبله .

(واعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم) مصارع جمع مصرع، والمراد
به الهلاك ، والقرون ، الأمم الذين كانوا فى الدنيا ، حيث هلكوا وفنوا عن
آخرهم . ولم يبق منهم أحد ، ومعنى الاعتبار بهم التهيئ والاستعداد
للاخرة قبل أن يكون الانسان كأحدهم فى الفناء والذهاب عن الدنيا (قد
تزايلت) أى تفرقت (أوصالهم) أى مفاصل أبدانهم ، بأن زالت بعضها عن
بعض (وزالت) أى ذهبت (أبصارهم واسماعهم) فلا سمع لهم ولا بصر
(وذهب شرفهم وعزهم) فلا شريف ولا عزيز ، بل كلهم متساوون تحسنت
التراب (وانقطع سرورهم ونعيمهم) فلا سرور وفرح لهم ، ولا نعيم عندهم ،
والمراد اما مطلقا ، أو الدنيوى من تلك الأمور .

(فبدلوا) أى بدلهم الموت (بقرب الأولاد فقدها) اذ ايتعدوا عنهم
(وبصحبة الأزواج) النساء ، او الأعم (مفارقتها) فلا أزواج لهم ، وانما
نكحت نسائهم ، وصرن لقوم آخرين (لا يتفخخرون) بأن يفتخر بعضهم على
بعض بالأمور الدنيوية (ولا يتناسلون) بأن يولدوا الأولاد (ولا يتزاورون)

وَلَا يَتَحَاوِرُونَ. فَاحْذَرُوا، عِبَادَ اللَّهِ، حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَانِعِ لَشَهَوَاتِهِ،
الْناظِرِ بِعَقْلِهِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ، وَالْعِلْمَ قَائِمٌ، وَالطَّرِيقَ جَدِّدٌ وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ

يزور أحدهم الآخر، والمراد اما الأشرار، او الزهارة الدنيوية - ان اريد به
الأعم من الأخيار - (ولا يتجاورون) أى لا يسكن أحدهم بجوار الآخر، كما
كانوا يتجاورون فى الدنيا .

(فاحذروا) يا (عباد الله) عن العاقبة السيئة (حذر الغالب لنفسه)
أى الذى غلب على نفسه، فلم تتمكن من الانقياد الى شهواتها (المانع
لشهوته) عن النفوذ والارتواء (الناظر بعقله) أى الذى يفكر فى الأمور، ويأخذ
بالأصلح (فإن الأمر واضح) أى أمر السعادة والشقاء، واضح لا لبس فيه (و
العلم) أى العلامة للخير والشر (قائم) يراه الانسان، كالعلم القائم فى
الطريق، مقابل العلم الساقط الذى لا يدل على طريق (والطريق) السى
الآخرة (جدد) أى مستوى سلوك (والسبيل) الى الجنة (قصد) قوم
مستقيم .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لبعض أصحابه وقد سأله عليه السلام : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام
وانتم أحق به ؟ فقال :
يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِيعِ ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ ، وَلَكَ
بَعْدُ ذِمَامَةُ الصُّهْرِ

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(لبعض أصحابه ، وقد سأله عليه السلام : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام
أي الخلافة (وانتم أحق به ؟ فقال) :
(يا أخا بني أسد) أخو فلان ، يعني أنه من تلك القبيلة (انك لقلق
الوضين) شئ يشد تحت بطن البعير لبقاء الرجل قويا مستويا ، وقلقه كناية
عن عدم استحكامه ، فلا يتنهأ الراكب في ركوبه ، لتحرك ما تحته (ترسل) أي
تقول الكلام (في غير سدد) أي بدون استقامة ، وقلق الوضين ، مثال يقال
لمن يتكلم اعتباطا ، بدون ترو ، ودون مراعاة محل الكلام ، وكأن السائل كان
سأل هذا الكلام في غير موضعه ، ولذا زجره الامام ، وحيث ان ((قلق الوضين)) و
المتكلم في غير موضعه ، شبيهان في ازعاج الانسان ، استعير احدهما للآخر .
(ولك بعد) أي بعد هذا الذي ذكر من الاضطراب في الكلام (ذمامة
الصهر) أي حاية صهر الانسان ، فان الانسان يراعى حق صهره ويحاميها ،
فلك الحق في أن أجيبك عن سئوالك ، وان كان في غير موده ، فان الرجل
كان أسديا ، وكانت زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله زينب بنت جحش

وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ ، وَقَدْ اسْتَعْلَمْتَ فَأَعْلَمْ : أَمَّا الْإِسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ
وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَبًا ، وَالْأَشْدُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -
نَوْطًا ، فَلِئِنْهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ ، وَسَخَتْ عَنْهَا نَفُوسُ
آخَرِينَ ، وَالْحَكْمُ اللَّهُ ، وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ

أسدية ، و الصهر علة حاصلة بين أقارب الزوج و أقارب الزوجة (و) لك
(حق المسألة) اذ للجاهل أن يسأل عن العالم بما يهتم من أمر دينه و دنياه .
(وقد استعلمت) أى طلبت العلم (فاعلم) جوابك (أما الاستبداد)
أى استقلال عمرو أبى بكر و عثمان بالخلافة ، و انحصارها فيهم (علينا) أى
على ضررنا (بهذا المقام) أى الخلافة (ونحن الأعلون نسبا) لانتسابهم
الى عبد المطلب الذى كان سيدا عظيما ، وكذلك سائر أفراد أسرهم (و
الأشدون برسول الله - صلى الله عليه وآله - نوطا) أى تعلقا (فانها كانت
أثرة) أى اختصاص الشخص بالشئ و عزله عن مستحقه .

(شحَّت عليها نفوس قوم) أى بخلت عن وضع الحق فى موضعه ، و القوم
هم الذين تقدموا على الامام (و سخت) أى سمحت (عنها نفوس آخرين) أى
نفسه الكريمة ، فانه سخرى بهذا المقام ، ليسلبه غيره ، حفظا لبيضة الاسلام ،
فانه لو جرد سيفه و أراد أخذها منهم بالقهر لحدثت التفرقة ، مما تؤدى بالاسلام
حيث ان الناس جديرو العهد به .

(و الحكم) بيننا و بينهم (الله) و سوف يحاسب كل امرئ بما عمل (و
المعود اليه القيامة) أى ان العود اليه سبحانه فى الآخرة ، حيث يجزى

وَدَعُ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ

وَهَاتَ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرُّوَاحِلِ

وَهَلُمَّ الْخُطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ ابْتِكَائِهِ ،

المثيب و يعاقب المسئ (و دع عنك نهبا صيح فى حجراته) البيت لامرء القيس وتتمته (وهات حديثا ، ما حديث الرواحل) فان جماعة نهبوا ابلا لامرء القيس فقال له : بعض أصدقائه اعزنى راحلتك حتى اركبها والتحق بهم واستسرد الابل ، فأعطاه امرء القيس راحلته ، ولما ذهب الرجل لياخذ ابل امرء القيس، أخذ أولئك هذه الراحلة أيضا منه ورد خائبا ، فقال امرء القيس : دع عنك قصة نهب الابل ، فانه أمر واضح - اذ الناهبون نهبوا فجئة وبغته - والذى ينبغي التكلم حوله ، قصة الراحلة : هل انها أخذت من صديقى قهرا ، أم انه خاننى وأعطاهم اياهم خدعة بى ؟ و ((الحجرات)) بمعنى ((الأطراف)) و معنى ((صيح فى حجراته)) اى جرى الكلام حوله ، فهو شئ معلوم لا يحتاج الى السؤال والجواب و ((ما)) خبر ، و ((حديث الرواحل)) مبتدأ . و ((هات)) بمعنى قص وانقل وتكلم حول ذلك .

ووجه تمثيل الامام عليه السلام ، ان قصة الخلفاء الثلاثة شئ معلوم ، لا يحتاج الى السؤال والجواب ، فانهم نهبوا الخلافة بكل وضوح وجلأ ، وعرف ذلك كل أحد ، وانما الذى ينبغي التكلم حوله ، قصة معاوية ، الذى جاء يدعى الأمر بعد ما استقرت السلطة بيدي وبايعنى الناس .

(وهلم) أى اذكر (الخطب) أى الأمر العجيب المدهش (فى) معاوية (ابن ابي سفيان) وادعائه الخلافة (فلقد أضحكنى الدهر بعد ابكائه) فان الانسان اذا دهمه امر حقير ، فأثرفيه أثرا كبيرا ، يبكى أولا لما

وَلَا غُرُوْا وَاللّٰهَ ، فَيَا لَهُ خَطْبًا يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ ، وَيُكْثِرُ الْأَوْدَ ! حَاوَلَ
الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ ، وَسَدَّ فَوَارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ ، وَجَدَحُوا
بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شَرِبًا وَبَيْثًا ،

ناله ، ثم يرجع فيضحك متعجباً من تهاة الأمر الذي نابه فأثرفيه ما لم يكن
متوقفاً ، وهذا مثال يضرب لأمر تافه يؤثر أثراً غير متوقف (ولا غرو) أى لا
عجب (والله) فإن حالة الدنيا هي هذه قديماً وحديثاً .

(فيا له خطباً) الخطب : الأمر المعجب المدهش ، و (يا) حرف
نداء مناداه محذوف ، أى يا قوم و (له) عائد الى المتأخر ، أو المعنى
(يا للخطب) يعنى يا خطب أحضر فهذا وقتك ، كما قالوا فى (يا للعجب)
(يستفرغ العجب) أى يثير كلاماً لدى الانسان من تعجب ، حتى يفرغ محل
عجب الانسان ، وهذا لا ينافى قوله (لا غرو) فإن الانسان اذا نظر الى
تقلب الدنيا لا يتعجب ، واذا نظر الى الأمر نفسه يتعجب ، أو هو مثل ما
قال ابن هانى :

قد سرت فى الميدان يوم طرادهم فعجبت حتى كدت لا أتعجب
بمعنى انه فرع محل تعجبي من كثرة العجب (ويكثر الأود) أى الاعوجاج
(حاول القوم اطفاء نور الله من مصباحه) وهو الامام عليه السلام (و سدَّ
فواره) أى فوار النور ، وهو الثقبه التى يخرج منها النور بشدة — كفواره الماء
(من ينبوعه) أى عين النور ، فان للنور محلاً للاشعاع كما للماء عين لاجراج
الماء (وجدحوا) أى خلطوا (بيني وبينهم شرباً وبيثاً) أى نصيباً من الماء
يوجب شربه الوفا ، أراد عليه السلام بذلك الفتنة التى اججوها ، حتى ان
من وقع فيها أصيبت واهتلى ، كما يبتلى الشارب للماء الوبيئ .

فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحْنُ الْبَلَايِ، أَحْمِلُهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ
تَكُنِ الْآخِرَى، «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا
يَصْنَعُونَ» .

(فان ترتفع عنا وعنهم محن البلى) المحن : جمع محنة ، وهى الشدة ،
والبلوى : الابتلاء ، يعنى اذا ارتفعت عنا هذه الفتن ، بانهمزام القسوم
(أحملهم من الحق على محضه) أى خالصه ، فأتى اتما أحارب للحق ، فان
جاء الأمر بيدى عملت به — بكلّ دقة وأمانة — (وان تكن) الواقعة ، الخصلة
(الأخرى) بأن لم أتمكن من السيطرة عليهم ، فلم ينهزموا ()) فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات () أى لا تمت غما من أجلهم ، فان الانسان اذا اشتدّ
تجسّره وتوجعه لأمر ، مات فجئة ، والآية تنهى عن ذلك («ان الله عليم بما
يصنعون») فهو يجازيهم بسوء أعمالهم .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في بيان صفة الخالق سبحانه ، وابتداعه للمخلوقات
 الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ ، وَسَاطِحِ الْمِهَادِ ، وَمُسِيلِ الْوَهَادِ ، وَمُخْصِبِ
 النَّجَادِ . لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ ، وَلَا لِأَزَلِّيَّتِهِ انْقِضَاءٌ هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ .
 وَالْبَاقِي بِلا أَجَلٍ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في بيان صفة الخالق سبحانه ، وابتداعه للمخلوقات
 (الحمد لله خالق العباد) جمع عبد ، والانسان عبد الله تعالى ، بما
 للكلمة من معنى ، لأن جميع أموره ابتداءً واستدانة منه سبحانه (وساطح
 المهاد) أي الأرض ، يقال سطحه بمعنى : بسطه (ومسيل الوهاد) جمع
 وهدة ، وهي : المنخفض من الأرض ، وتسييل الوهاد ، اسالة الأمطار فيها
 — بعلاقة الحال والمحل مثل جرى النهر — .
 (ومخصب النجاد) جمع نجد ، وهو : ما ارتفع من الأرض وتخصيبها
 انبات النبات فيها مما يسبب الخصب والرخاء (ليس لأوليته) سبحانه —
 (ابتداءً) فكلما تقدم الفكر في طرف الابتداء ، كان سبحانه بلا انقطاع له ،
 حتى يقال اول ابتدائه تعالى ، ذلك الوقت والا لزم الامكان والحدوث ، و
 يوجب التسلسل او الدور — كما تقرر في علم المعقول — .
 (ولا لأزليته انقضاء) أي ليس آخر لبقائه ودوامه ، بل هو باقى بلا آخر
 (هو الأول لم يزل) في أوليته (والباقي بلا أجل) أي بدون مدة ، بل

خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ ، وَوَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ . حَدَّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ لَهُ مِنْ شَبْهٍهَا . لَا تُقَدَّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ . لَا يُقَالُ لَهُ : « مَتَى ؟ » وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ « بِحَتَّى » الظَّاهِرُ . لَا يُقَالُ : « مِمَّا ؟ »

يبقى بلا آخر (خرت) أى سقطت خضوعاً (له الجباه) جمع جبهة ، والمراد بالسجود له (ووحده الشفاه) جمع شفة ، أى : قالت انه سبحانه واحد لا شريك له (حد الأشياء) أى جعل لكل شئ حداً ، من زمان ومكان وكم وكيف . (عند خلقه لها ابانة له) أى تميزاً لنفسه سبحانه (من شبهها) أى من شباهاة الأشياء ، فهو تعالى لا حد له ، والأشياء لها حدود . (لا تقدره الأوهام) أى الأفكار ، بأن تعرف قدره تعالى ، وتبين حدوده سبحانه (بالحدود والحركات) بأن تقول الأوهام ان له تعالى كذا من الحدود وكذا من الحركات ، كما تحدّد حركات الانسان وحدوده - و ذلك لأنه تعالى لا حركة له ولا حدود - اذ كلا الأمرين يستلزمان الحدوث .

(ولا بالجوارح) جمع جارحة ، وهى : العضو ، فلا عين له سبحانه ولا يد ، وهكذا (والأدوات) جمع (أدوات) بمعنى : ((آلة)) كالقلب والكبد ، والكلية ، وما أشبه (لا يقال له : متى ؟) كان بمعنى الزمان ، اذ لا زمان له ، بل الزمان مخلوق له (ولا يضرب له) تعالى (أمد) و مدة فى بقائه (بحتى) كأن يقال ((انّ الله باقى حتى الوقت الفلانى)) وذلك لأنه تعالى لا آخر له و ((حتى)) للغاية (الظاهر ، لا يقال : ممّا ؟) فلا يقال من أى شئ ظهر ، كما يظهر النبات من الأرض والجنين من الرحم ، فان ظهوره تعالى ليس من هذا القبيل ، بل بمعنى انه معلوم بآثاره وقدرته وصنائه

وَالْبَاطِنُ لَا يُقَالُ : « فِيمَا ؟ » لَا شَبَحٌ فَيُتَقَضَّى ، وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحَوَّى . لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتَّصَاقِ ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ . لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شَخُوصٌ لِحَظَّةٍ ، وَلَا كُرُورٌ لَفْظَةٍ ، وَلَا أَزْدِلَافٌ رِبْوَةٍ .

(والباطن لا يقال : فيما ؟) فلا يقال في أي شيء بطن ، كما يقال بطن الذهب في الصندوق ، والانسان في القبر ، فان كونه باطنا ، بمعنى انه غير ظاهر الكنه ، كالشيء الباطن الغائب عن الحواس .

(لا) انه سبحانه (شبح) أي جسم كسائر الأجسام (فيقتضى) أي يفنى وينعدم كما تفن الأجسام (ولا محجوب) أي وراء حجاب جسماني (فيحوى) أي يشمله ذلك الحجاب ، كما يشمل الحجاب الانسان وما أشبهه فان ذلك من صفات الأجسام ، وهو تعالى ليس بجسم (لم يقرب من الأشياء بالتصاق) كما يلتصق الأجسام بعضها ببعض وانما قربه سبحانه بالعلم والقدرة (و لم يبعد عنها) أي عن الأشياء (بافتراق) بأن يكون بينها مسافة ، اذ ذلك من صفات الجسم ، وانما بعده بمعنى انه ليس كمثل الأشياء في الجسم والروح وما أشبه .

(لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة) أي امتداد بصر ، بدون حركة ، الجفن ، كان ابصر شاخص أي مسافر الى لجهة النظر (ولا كرور لفظة) أي رجوعها ، ولعل التخصيص بذلك لأجل ان رجوع اللفظ الى الحلقة أخفى و أيسر من خروجها الى الخارج ، وكرورها جر النفس بقايا اللفظ الى الداخل (ولا ازدلاف ربوة) ازدلف ، بمعنى : اقترب ، والربوة المحل المرتفع من الأرض ، يعنى وقوع نظر الانسان الى اول ربوة بعيدة من الربى ، فيمن يسير في الصحراء ، فانه حتى مثل هذه النظرة مشمولة لعلم الله سبحانه .

وَلَا أَنْبَسَاطُ خُطْوَةٍ ، فِي لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ
الْقَمَرُ الْمُنِيرُ ، وَتَعْقِبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الْأَفْوَلِ وَالْكُرُورِ ، وَتَقْلُبُ
الْأَزْمِنَةَ وَالْدَّهْورَ ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ ، وَإِذْبَارِ نَهَارٍ مُذْبِرٍ . قَبْلَ كُلِّ
غَايَةٍ وَمُدَّةٍ ،

(ولا انبساط خطوة) أى التى يخطوها الانسان ، فإن الرجل تنفرج
عند الخطوة ، سواء كان ذلك (فى ليل داج) أى العظم من دجى بمعنى :
أظلم (ولا غسق ساج) الغسق : الظلمة ، والمراد بها الليل ، والساجى
بمعنى الساكن ، ونسبة السكون الى الليل من باب علاقة الحل والمحل ، اذ
الساكن ما فى الليل ، لا الليل بنفسه - الا بضرب من الاعتبار - .
(يتفيا عليه القمر المنير) تفى أى نسخ ، فان نور القمر ينسخ سواد الليل
وغسقه ، وياخذ مكانه (وتعقبه) أى الغسق ، أو الليل (الشمس) أى
تأتى بعقب الليل ، وفى مكانه (ذات النور فى الأفول والكرور) أى فى
كل من الغروب والطلوع ، فإن الشمس عند غروبها تكون كالشئ يعقب الليل
اذ تطرده من تحت الأفق ، وكذلك عند طلوعها تعقب الليل اذ تطرده من
فوق الأفق .

(و) فى (تقلب الأزمنة والدهور) عطف على قوله ((فى ليل داج))
أى أن جميع الحركات والسكنات معلومة لديه فى طول الأزمنة ، لا فى زمان
دون زمان ، ويحتفل ان يكون ((تقلب)) بالرفع ، عطفاً على ((شخوص))
أى لا يخفى عليه تقلب الأزمنة (من اقبال ليل مقبل) بيان لتقلب الأزمنة و
الدهور (وأدبار نهار مذبر) فان كل ذلك مشمول علمه سبحانه .
وهو سبحانه (قبل كل غاية) للأشياء (ومدة) لها ، والظاهر ان

وَكُلُّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ ، تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُّهُ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ ،
وَنِهَائِيَّاتِ الْأَقْطَارِ ، وَتَأْتِلِ الْمَسَاكِينِ ، وَتَمَكِّنِ الْأَمَاكِينَ . فَالْحَدُّ لِيَخْلُقِهِ
مَضْرُوبٌ ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ .

الفرق بينهما هنا ، ان الغاية اخر الشئ ، والمدة امتداد بقاءه (وكل احصاء
وعدة) أى وتعداد ، اذ هو سبحانه قبل الأشياء ، فيكن بعددها و
تعدادها ، الذى هو من الصفات العارضة للأشياء .

(تعالى) أى ارتفع سبحانه — ارتفاعا معنويا — (عما ينحله المحددون)
أى ينسبه اليه تعالى الذين يجعلون له حدودا (من صفات الأقدار) بيان
(ما)) وصفات الأقدار ، الطول والعرض والعمق ، والكبر والصغر ، مما
يُقَصَفُ به الأشياء ذات القدر والحدود ، فانه سبحانه برى من كل ذلك (و
نهایات الأقطار) أى آخر الأبعاد الثلاثة ، فان ما لا قدر له ، لا نهاية له —
فى جهة من الطول والعرض والعمق — .

(وتأتل المساكين) أى انه سبحانه تعالى عن تأصل المسكن ، أى المساكين
المتأصلة فليس له مسكن ، لا بد له منه ، كما لا بد للانسان من ذلك . والاتیان
بـ ((تأتل)) بمعنى ((تأصل)) مع انه لا مسكن له اطلاقا لافادة ، ان كل
شئ له مسكن ، لا بد وان يكون متأصلا فى الاحتياج الى المسكن (وتمكن
الأماكن) فان المكان متمكن بالنسبة الى ذى المكان ، أى انه لا بد له من
المكان .

(فالحد) كيف او كما ، زمانا او مكانا ، (لخلقه مضروب) أى ان خلقه
مُتَّصِفٌ بهذه الصفات ، لا هو تعالى (والى غيره) تعالى (منسوب) اما هو

لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَصُولٍ أَزَلِيَّةٍ ، وَلَا مِنْ أَوَائِلٍ أَبَدِيَّةٍ ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ . لَيْسَ لَشَيْءٍ مِنْهُ أَمْتِنَاعٌ ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ انْتِفَاعٌ . عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى .

منها : أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْغِيُّ ،

فمنزه عن الحد (لم يخلق الأشياء من أصول أزلية) بأن كانت أصول الأشياء موادها ، وإنما كان الله سبحانه صورها - كما يقول القائلون بقدم العالم - بل الله سبحانه خلق المادة وخلق الصورة .
(بل خلق ما خلق) من الأشياء (فأقام حدّه) أى جعل له حداً خاصاً به (وصور ما صور) أى أعطاه صورة خاصة ، كصورة الإنسان ، وصورة الحيوان وما أشبه (فأحسن صورته) فأتقنها وأحكمها (ليس لشيء منه) سبحانه (امتناع) بل كلما يريد يكون .

(ولا له) تعالى (بطاعة شيء انتفاع) وإنما الطاعة لانتفاع المخلوقين (علمه) تعالى (بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين) فإن علمه بالنسبة إلى جميع المعلومات متساوى . من دون تفاوت بين الماضى والمستقبل والحال (وعلمه بما فى السماوات العلى) أى العالية المرتفعة (كعلمه بما فى الأرضين السفلى) لا يفترق بالنسبة إلى علمه المرتفع والمنخفض .

(منها) : أى بعض هذه الخطبة (أيها المخلوق السَّوِيُّ) أى المستوى الخلقة ، لا نقص فيه . بل صنع كل شيء منه على وجه الاتقان والأحكام (والمنشأ) أى الذى انشأ وابدع (المرعى) الذى رعى وحفظ بحفظه سبحانه وبرعايته

فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ ، وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ . بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، وَ
وُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ . تَمُورُ فِي
بَطْنِ أُمِّكَ جَنِينًا لَا تُحِيرُ دُعَاءَ ، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً ، ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقْرَكَ
إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا ، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا . فَمَنْ هَذَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ
مِنْ ثَنَدِي

تعالى (في ظلمات الأرحام) ظلمة البطن وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة (و
مضاعفات الاستار) أي الاستار التي بعضها فوق بعض ، وهي الطبقات الثلاثة
المذكورة .

(بدئت من سلالة من طين) السلالة الخالص من الشيء ، الذي ينسل
— أي يخرج — منه ، فان كل انسان اصله تراب ، ثم ينقلب عسبا ، ثم دما
ثم منيا (ووضعت في قرار مكين) هي رحم الأم ، فان المنى يستقر فيها ، و
كونها مكينا ، لأنها ذات تمكن من حفظ النطفة .

(الى قدر معلوم) أي الى مدة معلومة مقدرة للحمل ، وهي بين ستة أشهر
وسنة ، حسب اختلاف المقدر لكل جنين ، (وأجل مقسوم) أي نهاية
قسمها الله سبحانه لهذا الجنين (تمور) أي تضطرب (في بطن أمك) في
حال كونك (جنينا لا تحير دعاء) أي لا ترد جواب من يدعوك ، من ((ما
أحار جوابا)) أي ما رد (ولا تسمع نداء) لمن يناديك لعدم قابلية اذن
الجنين للسمع .

(ثم اخرجت من مقرك) في البطن (الى دار لم تشهدها) أي لم ترها
قبل ذلك ، وهي دار الدنيا (ولم تعرف سبل منافعها) أي الطرق التي
تجر المنفعة اليك (فمن هذاك) وانت طفل (لاجترار الغذاء من ثندي

أُمِّكَ ، وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلْبِكَ وَإِرَادَتِكَ ! هَيْهَاتَ ، إِنَّ مَنْ
يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ ،
وَمِنْ تَنَاوَلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ !

امك (؟ بسبب المعص ، أليس هذا دليلا على مدبر حكيم عليم خالقك وهداك
الى ذلك .

(و) من (عرفك عند الحاجة) الى شئ من الطعام والافراغ (مواضع
طلبك وارادتك) فتمص الثدي دون غيره ، وتبكي اذا اردت ذلك ؟ وهكذا
من عرفك الافراغ لدى الحاجة (هيهات) كلمة تستعمل لاستبعاد الأمر ، و
المراد هنا استبعاد ان يفهم الانسان كنه الخالق (ان من يعجز عن صفات ذي
الهيئة والأدوات) اي ذي الشكل والجوارح ، وهو الانسان .
(فهو عن صفات خالقه أعجز) لأن الخلق اذا كان مع وضوحه متعذرا لوصف
وبلوغ الكنه ، فالخالق لغموضه ابعد فهما ، وانغص ادراكا ووصفا (و من
تناوله) أي يتناوله الانسان ، بمعنى يدركه (بحدود المخلوقين) فيظن انه
محدود بالكم والكيف والزمان والمكان (أبعد) عن الفهم والادراك .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما تقوموه على عثمان
وسألوه مخاطبته لهم واستعتابه لهم ، فدخل عليه فقال :

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدْ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا
أَقُولُ لَكَ ! مَا أَعْرِفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ ، وَلَا أَذُكُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ . إِنَّكَ
لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغُكَهُ .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(لما اجتمع الناس إليه ، وشكوا ما تقوموه على عثمان ، وسألوه مخاطبة
عنهم ، واستعتابه لهم) أي يطلب الإمام عليه السلام منه ان يرضى الناس
(فدخل عليه) حاملاً لرسالة الناس إليه (وقال) :

يا عثمان (ان الناس ورائي) أي خلفي ، في المدينة (وقد استسفروني)
أي جعلوني سفيرا ، وهو حامل الرسالة بين شخصين (بينك وبينهم) لأودى
رسالتهم اليك ، وكلامك اليهم (والله ما ادرى ما اقول لك) هذا كناية عن
عدم جهله بشئ من أمر نفسه وأمر الناس ، حتى ينبه ويرشد (ما أعرف) من
طلبات الناس (شيئا تجهله) انت حتى ابين لك

(ولا ادلك على أمر لا تعرفه) بل انت تعرف وجه نعمة الناس عليك (انك
لتعلم) من أمر الاسلام (ما نعلم) من واجباته ومحرماته (ما سبقناك الى
شئ) بأن اخذناه بدونك (فنخبرك عنه) لتعرفه (ولا خلونا بشئ) من أمر
الدين - الواجب على كافة المسلمين - (فنبلغك) أي نبين لك ذلك الشئ

وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا ، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَمَا صَحَبْنَا . وَمَا أَبْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا أَبْنُ الْخَطَّابِ أَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَشَيْجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا ، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا .

(وقد رأيت) الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأمور المرتبطة بالسلام (كما دفعكم رأينا) نحن .

(وسمعت) كلام الله والارشاد من الرسول (كما سمعنا) نحن (وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله) فعرفت سيرته (كما صحبنا) نحن ، و هذه الجمل لتأكيد انه يعلم ماذا يجب عليه ، فلا موضع لأن يرشد الى مجهول (وما ابن ابى قحافة) ابوبكر (ولا ابن الخطاب) عمر (اولى بعمل الحق منك) لأن الكل متساوون عند الله تعالى يريد من جميعهم العمل .

(وانت أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشيعة) أى اشتباك (رحم) وقراءة (منهما) أى من عمر و ابى بكر ، فان عثمان من بنى امية بن عبد شمس بن عبد مناف رابع اجداد النبی صلى الله عليه وآله واما ابو بكر فهو من بنى مرة سابع اجداد النبی صلى الله عليه وآله وسلم وعمر بن عدى بن كعب ثامن اجداد النبی صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا حسب الظاهر ، والامامية كان لصيقا وعمر كان غير نقى النسب .

(وقد نلت من صهره) أى مصاهرة الرسول صلى الله عليه وآله (ما لم ينالا) فقد تزوج عثمان به بنتى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رقيه ، و ام كلثوم ، وكان هذا من اكبر الشرف - لوعرف قدره - وهذا لتأكيد انه اوجب

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ ! فَإِنَّكَ - وَاللَّهِ - مَا تُبْصِرُ مِنْ عَمَى ، وَلَا تُعْلَمُ مِنْ
جَهْلٍ ، وَإِنَّ الطَّرُقَ لَوَاضِحَةٌ ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ . فَأَعْلَمُ أَنَّ
أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدًى وَهَدًى ، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ ،
وَأَمَاتَ بِدْعَةَ مَجْهُولَةٍ . وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَبِيرَةٍ ، لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٍ ،
لَهَا أَعْلَامٌ . وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ

بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْهُمَا (ف) اذْكَرُ (اللَّهُ اللَّهُ فِي) جِهَةٌ (نَفْسِكَ) لَا تَعْرِضُهَا
لِلْهَلَكَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْعُقُوبَةِ فِي الْآخِرَةِ .

(فَاِنَّكَ - وَاللَّهِ مَا تُبْصِرُ مِنْ عَمَى) أَيِ إِذَا قَالَ لَكَ شَخْصٌ وَجْهَ الْخِلَاصِ
مِنْ هَذِهِ الْمَشْكَلَةِ ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ ، فَانْتَ اعْرِفْ بِمُظَالَمِكَ عِنْدَ
النَّاسِ (وَلَا تَعْلَمُ مِنْ جَهْلٍ) بَأَنَّ لَا تَعْلَمُ سَبَبَ نَقْمَةِ النَّاسِ ، ثُمَّ تَعْرِفُهُ بِمَقَالَةٍ
قَائِلٍ (وَأَنَّ الطَّرُقَ لَوَاضِحَةٌ) أَيِ طَرِيقِ الْإِسْلَامِ ، وَالْمُرَادُ أَحْكَامُهُ (وَأَنَّ أَعْلَامَ
الدِّينِ لَقَائِمَةٌ) أَعْلَامُ الدِّينِ ، مَا يَدُلُّ عَلَى أَحْكَامِهِ ، كَمَا أَنَّ أَعْلَامَ الطَّرِيقِ تَدُلُّ
عَلَى الطَّرِيقِ الْمُنْجِحِ الْمَوْصِلِ .

(فَأَعْلَمُ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ ، عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ) يَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ
(هُدًى) إِلَى الْحَقِّ ، بَأَنَّ تَعْلِيمَهُ (وَهَدًى) النَّاسَ إِلَيْهِ (فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ)
بَأَنَّ عَمَلَ بِهَا وَنَشَرَهَا بَيْنَ النَّاسِ (وَأَمَاتَ بِدْعَةَ مَجْهُولَةٍ) أَيِ لَا يَعْرِفُهَا الشَّرْعُ ،
وَلَا يَعْتَرِفُ بِهَا (وَأَنَّ السُّنَنَ) أَيِ الْأَحْكَامِ الَّتِي سَنَّهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَفِي
كُفْيَةِ إِدَارَةِ الْأُمَّةِ (لَنَبِيرَةٍ) وَاضِحَةٍ (لَهَا أَعْلَامٌ) أَيِ إِدْلَةِ مِنَ الشَّرِيعَةِ ، كَمَا أَنَّ
الطَّرِيقَ لَهُ أَعْلَامٌ ، تَدُلُّ الْإِنْسَانَ صَوْبَهُ .

(وَأَنَّ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ) أَيِ إِدْلَةِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا بِدْعٌ ، فَلَيْسَ
لأَحَدٍ أَنْ يَرْتَكِبَهَا زَاعِمًا إِنَّهُ لَا دَلِيلَ عَلَى أَنَّ الشَّيْءَ الْفُلَانِي بِدْعَةٌ (وَأَنَّ شَرَّ النَّاسِ

عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ ، فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَأْخُودَةٍ ، وَأَحْيَا بِدْعَةَ مَتْرُوكَةٍ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - يَقُولُ : «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَازِرٌ ، فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ، ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا » . وَإِنِّي أُنْشِدُكَ اللَّهَ أَنْ لَا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،

عند الله امام جائر (الامام هو المقتدى سواء كان بحق او باطل قال سبحانه : ((و جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا)) وقال : ((أئمة يهدون الى النار)) (ضل) عن الطريق (و ضل به) اي ضل الناس بسببه لأنه نشر البدع فأخذ بها الناس (فأما سنة مأخوذة) قد أخذها الناس وصلوا بها (واحيا بدعة متروكة) عند المسلمين (واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر) الذي جار و ظلم (وليس معه نصير) ينصره (ولا عاذر) يقبل عذره ، او يبين عذره في اعماله التي عملها (فيلقى في جهنم فيدور فيها) لحيرته و ارادته الفرار والنجاة (كما تدور الرحى) حول نفسها .

(ثم يرتبط في قعرها) اي يشد في الطبقة السفلى من جهنم ، لأنه اشد الناس جورا ، ولذا يكون من اشد الناس عذابا (واني انشدك الله) اي أقسمك بالله (ان لا) تفعل ما بسببه (تكون امام هذه الامة المقتول) الذي يفتح على المسلمين المضاربة والمقاتلة .

(فانه كان يقال) ولعله لتذكيره بما علم سابقا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يقتل في هذه الأمة امام يفتح) ذلك الامام (عليها) اي على الأمة (القتل والقتال الى يوم القيامة) وقد كان كذلك فان انحرف عثمان

وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبْثُ الْفِتْنَ عَلَيْهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ،
يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجًا، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجًا. فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً
يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السَّنِّ وَتَقْضِي الْعُمَرِ. فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ:
«كَلَّمَ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤْجَلُونِي، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ»

الموجب لقتله اوجب انشقاق الامة الى سنة وشيعة ، والتاريخ يدل على ما وقع
بين الطائفتين من المآسى ، بينما لو كان الأمر طبيعياً ، لكان الامام يملك زمام
الحكم ويحكم بين المسليين على الكتاب والسنة ويتسلسل الأمر بلا خلاف وتشاحن .
(ويلبس) ذلك القتل (امورها عليها) فلا يدرون الحق من الباطل
(ويبث) اي ينشر (الفتن عليها) كفتنة الجمل وصفين والخوارج وغيرها
(فلا يبصرون الحق من الباطل) وذلك لالقاء الطامعين الفتن والقلقل بين
الناس .

(يموجون فيها) كما يموج البحر ، والضمير عائد الى الفتنة (موجاً)
مصدر للتاكيد (ويمرجون فيها مرجاً) اي يخلطون بين الحق والباطل فسى
تلك الفتنة (فلا تكونن) يا عثمان (لمروان سيقه) هو ما استاقه العدو من
الدواب ، وقد كان مروان - ابن طريد رسول الله - مستشاراً لعثمان و كان
احمق منافق ، عابد شهوة وفجور ، وهو الذي اشعل الفتنة ، حتى استبد بالأمر ، و
كان عثمان ملكه زمام الدولة في الواقع ، فأردى المسلمين بهذا المهوى السحيق
(يسوقك حيث شاء بعد جلال السن) اي تقدمه (وتقضي العمر) اي
انقضائه .

(فقال له عثمان) في جواب طلبه عليه السلام منه الاصلاح (كلم الناس) التائرين
(في ان يؤجلوني) اي يمهلونى مدة (حتى اخرج اليهم من مظالمهم) وأرفع

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا كَانَ بِالمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ
وَصُورُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ .

الظلم عنهم ؟ (فقال عليه السلام) له : (ما كان) من المظالم (بالمدينة)
كالخبي . وحبس اموال المسلمين ونحوهما (فلا أجل فيه) لانك تهدر أن
تنفذ الأمر في ظرف يوم (وما غاب) عن المدينة ، كالمظالم بالأمصار (فأجله
وصول أمرك إليه) والآن تتمكن من ارسال الرسل لرد مظالم الناس في الآفاق ، و
معنى كلام الامام عليه السلام انه لا وجه للتأجيل لكن عثمان ركب راسه وتعادى في
المظالم ، حتى قتله المسلمون ووقعت الفتنة .

الفهرست

رقم الصفحة

الموضوع

- من خطبة له عليه السلام : في صفة الجنة والحث على العمل
وذكر نعمة الدين ، و ذم الرياء والكذب ٥
- ومن خطبة له عليه السلام : في بيان صفات المتقين وصفات
الفساق ١٢
- ومن خطبة له عليه السلام : وقد ذكر فيها ما يسبب
هلاك الناس ٢٢
- ومن خطبة له عليه السلام : حول الرسول الأعظم صلى الله
عليه وآله واتباعه عليه السلام له صلى الله عليه وآله ٢٧
- ومن خطبة له عليه السلام : وهي مشتملة على أوصاف الله
سبحانه وعظيم مخلوقاته ٣٣
- ومن خطبة له عليه السلام : تعرف بخطبة الأشباح وهي
من جلائل خطبه ٣٨
- ومن خطبة له عليه السلام : لما أريد على البيعة بعد قتل
عثمان ٩٢
- ومن خطبة له عليه السلام : يذكر فيها ما كان من تغلبه على
فتنة الخوارج ، وما يصيب الناس من بني أمية ٩٢
- ومن خطبة له عليه السلام : في وصف الله والرسول وآل
البيت عليهم السلام ، ثم الوعظ والارشاد ١٠٢

- ومن خطبة له عليه السلام : في فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ١٠٦
- ومن خطبة له عليه السلام : فيها حمد الله ، وتمجيد الرسول صلى الله عليه وآله ١٠٧
- ومن خطبة له عليه السلام : في حال أصحابه ، وحال أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله ١١٠
- ومن كلام له عليه السلام : في وصف بنى أمية ١١٨
- ومن خطبة له عليه السلام : في التزهيد في الدنيا ١٢٠
- ومن خطبة له عليه السلام : في رسول الله وأهل بيته الأظهر ١٢٥
- ومن خطبة له عليه السلام : وهي تشتمل على الملاحم ١٢٩
- ومن كلام له عليه السلام : في ذكر الملاحم والأخبار المستقبل ١٣٢
- ومن خطبة له عليه السلام : في التزهيد في الدنيا ١٣٨
- ومن خطبة له عليه السلام : وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية ١٤٣
- ومن خطبة له عليه السلام : فيها صفات الرسول صلى الله عليه وآله ، وتهديد بنى أمية ، وموعظة الناس ١٤٦
- ومن خطبة له عليه السلام : وفيها فضل الاسلام ، وفضائل الرسول ، ولوم أصحابه ١٥٢
- ومن كلام له عليه السلام : في بعض أيام صقيين ١٦٢

الموضوع	رقم الصفحة
ومن خطبة له عليه السلام : وهي من خطب الملاحم	١٦٢
ومن خطبة له عليه السلام : في صفة الله وذكر الملائكة و	
بيان الخلق والاشارة الى البعث	١٧٥
ومن خطبة له عليه السلام : في اركان الاسلام	١٩٢
ومن خطبة له عليه السلام : في ذم الدنيا	١٩٦
ومن خطبة له عليه السلام : ذكر فيها ملك الموت	٢٠٧
ومن خطبة له عليه السلام : في ذم الدنيا	٢٠٩
ومن خطبة له عليه السلام : في وعظ الناس	٢١٤
ومن خطبة له عليه السلام : في الاستسقاء	٢٢٣
ومن خطبة له عليه السلام : في تعظيم ما حجب عن الناس	
وكشف له والأخبار بما سيكون من أمر الحجاج الثقفي	٢٢٩
ومن كلام له عليه السلام : يوبخ البخلاء بالمال والنفس	٢٣٣
ومن كلام له عليه السلام : في مدح أصحابه وتخصيهم على	
العمل	٢٣٤
ومن كلام له عليه السلام : وقد جمع الناس وحضهم على	
الجهاد فسكتوا مليا	٢٣٦
ومن كلام له عليه السلام : في بيان بعض فضله ، ووعظ	
الناس	٢٣٩
ومن خطبة له عليه السلام : بعد ليلة السهر	٢٤٢
ومن كلام له عليه السلام : قاله للخوارج ، وقد خرج الى	
معسكرهم وهم مقيمون على انكار الحكومة	٢٤٧

الموضوع رقم الصفحة

- ومن كلام له عليه السلام : قاله لأصحابه في ساحة الحرب بصفين ٢٥٢
- ومن كلام له عليه السلام : في التحكيم ٢٦٠
- ومن كلام له عليه السلام : لما عوتب على التسوية في العطا ٢٦٦
- ومن كلام له عليه السلام : وفيه يبين بعض أحكام الدين و
يكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكيم ٢٦٨
- ومن كلام له عليه السلام : فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة ٢٧٥
- ومن خطبة له عليه السلام : في ذكر المكاييل والموازن ٢٨٠
- ومن كلام له عليه السلام : لأبي ذر رحمه الله لما أخرج السق
الريذة ٢٨٥
- ومن كلام له عليه السلام : وفيه يبين عليه السلام قبوله ، أي
الخلافة ، ويصف الإمام الحق ٢٨٨
- ومن خطبة له عليه السلام : وفيها وعظ وتزهيد وتذكير ٢٩٢
- ومن خطبة له عليه السلام : فيها تعظيم الله سبحانه ، وذكر
للقرآن والرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وعظ الناس ٢٩٦
- ومن كلام له عليه السلام : وقد شاوره عمر بن الخطاب في
الخروج إلى غزو الروم ٣٠٣
- ومن كلام له عليه السلام : وقد وقعت مشاجرة بينه وبين
عثمان ، فقال المغيرة بن الأحنس لعثمان : انا أكفيكه ، فقال على
عليه السلام للمغيرة : ٣٠٦
- ومن كلام له عليه السلام : في أمر البيعة ٣٠٧
- ومن كلام له عليه السلام : في شأن طلحة والزبير وفي البيعة له ٣٠٩

الموضوع	رقم الصفحة
ومن خطبة له عليه السلام : يوصى فيها الى ذكر الملاحم	٣١٣
ومن كلام له عليه السلام : فى وقت الشورى	٣١٨
ومن كلام له عليه السلام : فى النهى عيب	٣١٩
ومن كلام له عليه السلام : فى النهى عن سماع الوقعة وترتيب	
الأثر عليها ، وفى الفرق بين الحق والباطل	٣٢٢
ومن كلام له عليه السلام : فى مواضع المعروف	٣٢٢
ومن خطبة له عليه السلام : فى الاستسقاء	٣٢٦
ومن خطبة له عليه السلام : فى بعثة الرسل ، وفضل أهل	
البيت ، وأحوال أهل الضلال	٣٣١
ومن خطبة له عليه السلام : فى فناء الدنيا ، وذم البدعة	٣٣٥
ومن كلام له عليه السلام : وقد استشاره عمر بن الخطاب فى	
الشخص لقتال الفرس	٣٣٨
ومن خطبة له عليه السلام : وفيها بيان على البعثة ، وفضل	
القرآن ، والناس فى المستقبل ، وعظمة الناس	٣٤١
ومن كلام له عليه السلام : فى ذكر أهل البصرة	٣٥٠
ومن كلام له عليه السلام : قبل موته	٣٥٣
ومن خطبة له عليه السلام : فى الملاحم ، وفى وصف أهل	
الضلال	٣٥٨
ومن خطبة له عليه السلام : وفيها تحذير من الفتن	٣٦٢
ومن خطبة له عليه السلام : فى صفة الله سبحانه ، وصفة أئمة	
الدين	٣٧٣

رقم الصفحة

الموضوع

- ومن خطبة له عليه السلام : في صفة الضال ، ووصف الغافل ،
 ٣٧٩ والوعظ والارشاد
- ومن خطبة له عليه السلام : في فضل أهل البيت والارشاد
 ٣٨٧
- ومن خطبة له عليه السلام : يذكر فيها بديع خلقة الخفاش
 ٣٩٣
- ومن كلام له عليه السلام : خاطب به أهل البصرة على جهة
 ٣٩٩ اقتصاص الملاحم
- ومن خطبة له عليه السلام : فيها الحث على التقوى والعمل
 ٤٠٨ للآخرة
- ومن خطبة له عليه السلام : فيها بيان فضل الرسول ، وعظمة
 ٤١٦ القرآن ، ودولة بني أمية
- ومن خطبة له عليه السلام : يبين فيها حسن ادارته للرعية
 ٤١٩
- ومن خطبة له عليه السلام : في حمده سبحانه وبيان عظمته ،
 ٤٢١ وفوائده رسله ، وحقيقة الرجاء
- ومن خطبة له عليه السلام : في صفة الرسول صلى الله عليه وآله
 ٤٣٩ وأهل بيته عليهم السلام ولزوم اتباع طريقتهم ، والوعظ
- ١٦٢- ومن كلام له عليه السلام : لبعض أصحابه وقد سأله عليه السلام
 ٤٢٥ كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به ؟
- ١٦٣- ومن خطبة له عليه السلام : في بيان صفة الخالق سبحانه ، و
 ٤٥٠ ابتداعه للمخلوقات
- ١٦٤- ومن كلام له عليه السلام : لما اجتمع الناس اليه وشكوا ما نقموه
 ٤٥٨ على عثمان وسألوه مخاطبته لهم واستعتابه لهم